

ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام

تأليف

دكتور

بشار عواد معروف

أستاذ منهج البحث التاريخي المساعد بكلية الآداب

جامعة بغداد

رسالة دكتوراه من جامعة بغداد بإشراف
الأستاذ الدكتور جعفر خصباك

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٥ شارع خان جعفر بسيدنا الحسين

القاهرة

[الطبعة الأولى]

القاهرة ١٩٧٦

الإهداء

إلى أخي الحبيب وصديقي الوفيّ

الدكتور أحمد مطلوب رحمه الله



مفاتيـح وإضاءات

قد استعملنا فى هذا الـكتاب كثيراً من المختصرات للدلالة على ما قـد يطول ذكره . وغايتنا من هذا التجوز عدم إطالة صحائفه بغير ما هو نافع له لصيق به ، واجتهدنا أن تـكون هذه المختصرات أخصر من غيرها شرط وفائها بالمراد ، وها هى ذى :

ت : توفى ، المتوفى .

ج : جزء .

ص : صفحة .

ط : طبعة .

م : مجلد أو مجلدة .

هـ : هجرية .

أحمد الثالث : خزانة كتب السلطان أحمد الثالث باستانبول .

الأزهر : المـكتبة الأزهرية بمصر .

الأوقاف : خزانة كتب الأوقاف ببغداد .

أيا صوفيا : خزانة كتب أيا صوفيا فى استانبول .

باريس : دار الـكتب الوطنية فى باريس .

التيمورية : الخزانة التيمورية الملحقة بدار الـكتب المصرية بالقاهرة .

الحاج صبحى : خزانة شيخنا العالم الفاضل العقيد الحاج صبحى البدرى السامرائى نزيل بغداد .

حلب : المكتبة الأحمدية بحلب .

دار الكتب : دار الكتب المصرية بالقاهرة .

شهيد على : مكتبة شهيد على باشا باستانبول .

ظاهرية : دار الكتب الظاهرية بدمشق .

كوبرلى : خزانة كتب كوبرلى باستانبول .

مطبوعة : الأجــزاء الستة التى نشرها حسام الدين القدسى من تاريخ الإسلام .

معهد المخطوطات : معهد إحياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

نسختى : النسخة المحفوظة فى خزانة كتبى وجميعها مصورات وقليل منها بخطى .

ثم بعد ذلك :

١ ـ لم أفصل فى أسماء المؤلفين وكتبهم فى هوامش الكتاب إلا عند الضرورة القصــوى واقتصرت على ذكر ما اشتهر به المؤلف من اسم أو لقب أو كنية أو نسبة وما إليها ثم اكتفيت بإلحاق مختصر اسم كتابه ، فمن أراد تفصيلا فعليه بجريدة المصادر والمراجع الملحقة فى آخر هذا الكتاب يجد فيه مبتغاه .

٢ ـ لما كنت قد اعتمدت جملة كبيرة من المخطوطات ، بل عولت فى كثير من الأحيان على أكثر من نسخة من الكتاب المخطوط الواحد ، فقــد نبهت فى مثل هذه الأحوال على مكان النسخة باختصار بحيث ذكرت موضع النسخة على الاختصار ورقمها وحصرت ذلك بين عضادتين .

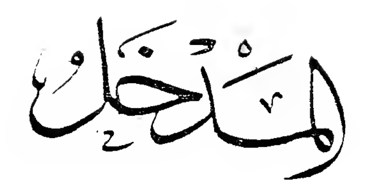
"لم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة النقلة .

بل هو فقيه النظر له دربة بأقوال الناس

ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات .. "

الصلاح الصفدي

بسم الله الرحمن الرحيم



المدخل

أولا _ أهمية البحث ونطاقه :

لقد أصبح معلوماً فى بدائه العقول أن أية دراسة تقوم على البحث العلمى الأصيل والإدراك الكامل لطبيعته لا يمكن أن تتكامل إلا بتكامل خبرة عميقة شاملة بموارده، ومناهج مؤلفيها وأساليبهم، وهى أدوات البحث وآلاته، وإن أى بناء تاريخى سرعان ما يمسى ضعيفا مهزوزا متداعى الأركان إذا لم يقم على دراسة علمية مستفيضة لتلك الآلات والأدوات وكثرة اختبار لها وعناية بها.

ومع أن المؤلفات الأولى من التاريخ الإسلامى قد نالت عناية لا بأس بها ودراسات وبحوثاً امتاز البعض منها بالنظرة العلمية والعمق والتقصى والنقد، إلا أن تلك الدراسات والبحوث غالبا ما كانت تقف عند مطلع القرن السادس الهجرى، بزعم أن هذه المؤلفات المتأخرة ليس فيها من أصالة تميزها أو إضافات أو مناهج تثير انتباه الباحثين والمعنيين بالشؤون التاريخية. وعندى أن هذا الحيف الذى لحق هذه الفترة عموماً قد جاء من جهل الدارسين وعدم اطلاعهم الواسع على تراثها، بسبب من كون أكثره مازال مطوياً لم يطلع عليه جمهور كبير من الباحثين غارقاً فى متاهات خزائن الكتب ودورها، ينتظر من يرفع عنه الغطاء ويزيل النقاب، ويخرجه ويدرسه دراسة علميــة منهجية بما يستأهله من المكانة اللائقة به ويجلى نصوصه لتعم فائدته وترتجى عائدته.

وقد شهد القرن الثامن الهجرى بروز أعلام فى الثقافة الإسلامية كان من بينهم مؤرخون اكتسبوا مكانة مرموقة بين المسهمين فى الفكر التاريخى

العربى الإسلامى ، منهم : كمال الدين ابن الفوطى «ت ٧٢٣ هـ» وقطب الدين اليونينى «ت ٧٢٦ هـ» وابن سيد الناس اليعمرى «ت ٧٣٤ هـ» وقطب الدين الحلبى «ت٧٣٥ هـ» وعلم الدين البرزالى «ت٧٣٩ هـ» وابن الجزرى «ت٧٣٩هـ» وأبو الحجاج المـــزى «ت ٧٤٢ هـ» وشمس الدين الذهبى «ت ٧٤٨ هـ» وابن الوردى «ت ٧٤٩ هـ» وصلاح الدين الصفدى «ت ٧٦٤ هـ» وابن شاكر الكتبى «ت ٧٦٤ هـ» وشمس الدين الحسينى «ت ٧٦٥ هـ» واليافعى «ت٧٦٨هـ» وتاج الدين السبكى «ت ٧٧١ هـ» وابن كثير «ت ٧٩٤ هـ» وتقى الدين ابن رافع السلامى «ت ٧٧٤ هـ» وبدر الدين الزركشى «ت ٧٧٤ هـ» وغيرهم.

إلا أن المعنيين بالدراسات التاريخية اعتبروا المزى والذهبى مؤرخى القرن الثامن اللذين لا ينافسهما أحد [١] . وعرف الذهبى بتآليفه الكثيرة المتنـــوعة فى التاريخ ، فألف فى السِّيَر والرجال والتراجم والتاريخ العام ، واختصر عدداً كبيراً من أمهاتها ، وعانى التأليف فى الحديث ومصطلحه ، والقراءات ، والعقائد ، واختصر عددا من الكتب المشهورة فيهـــا حتى بلغت مختصراته ومؤلفاته وتخاريجه أزيد من مئتين . وكان له منهجه المتميز فى الاختصار والتلخيص ظهرت فيه ذاتيته ظهوراً واضحا ، كما كان له منهجه المتميز فى التأليف . وقد تخلص الذهبى من جمود المحدثين وكودنة النقلة ، فكان فقيه النظر ، له دربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة [٢] ، بفضل دراساته الواسعة وفطنته وذكائه وانكبابه على الدراسة وصرف جماع همته إليها . وكان ناقدا حديثيا وتاريخيًّا ماهراً تدل على ذلك مؤلفاته فى النقد ، ومن أشهرها كتابه الأصيل «ميزان الاعتدال

---

(١) الإعلان ، ص ٧٠٤ .

(٢) الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣ .

فى نقد الرجال » الذى أصبح الكتاب المعول عليه فى العصور التالية فى هذا الفن.
كما عرف بقوته فى البحث والاستدلال ومناقشة آراء الغير بروح علمى يعتمد الدليل والإقناع، فضلا عما تميز به منهجه التاريخى من ميزات لم تكن عند كثير من المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه أو جاءوا بعده .

واشتهر الذهبى بكتابه العظيم «تاريخ الإسلام» شهرة واسعة ونال من أجله صيتا ذائعاً ، ولا غرابة فى ذلك لما تميز به هذا الكتاب من ميزات عظيمة ؛ إذ هو أضخم مؤلفات الذهبى الكثيرة وأوسع التواريخ العامة حتى عصره ، تناول فيه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة ٧٠٠ هـ ، فحصر مادة ضخمة فى نطاقه الزمانى الممتد عبر سبعة قرون كاملة ، وفى نطاقه المكانى الشامل لجميع الرقعة الواسعة التى امتد إليها الإسلام من الأندلس غربا إلى أقصى المشرق، وقد شمل الحوادث الرئيسة التى مرت بها الجماعة الإسلامية منذ هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاقب الأحداث والدول فى شتى أنحاء العالم الإسلامى حتى نهاية القرن السابع الهجرى . كما تضمن تراجم المشهورين فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ولم يقتصر على فئة معينة منهم ، وفى هذا المجال ، أعنى التراجم تظهر عظمة كتاب الذهبى فى العدد العديد والشمول الفريد الذى أقدره بأربعين ألف ترجمة وهو مما لا نجده فى كتاب آخر من بابته ممن سبقه أو جاء بعده مثل كتاب « المنتظم » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، و« مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ ، و « ذيل مرآة الزمان » لقطب الدين اليونينى المتوفى سنة ٧٢٦هـ ، و «عيون التواريخ» لابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ ، و « البداية » لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، و « نثر الجمان » للفيومى المتوفى سنة ٧٧١ هـ، و « عقد الجمان » لبدر الدين العينى المتوفى سنة ٨٥٥هـ وغيرهم ، ففى

الوقت الذى أوردت فيه مثل هذه التواريخ قرابة ١٠ ـ ١٥ ترجمة فى السنة الواحدة كان معدل ما يذكره الذهبى قرابة الستين ترجمة . ومعنى ذلك أن هناك عددا كبيرا من التراجم التى ضمها هذا الكتاب لانجدها فى غيره لاسيما بعد ضياع كثير من الأصول التى اعتمدها .

ومما يعلى فى قيمة الكتاب ويغليها منهجه فى ذكر الموارد ؛ فقد كان الذهبى من المؤرخين الذين ذكروا مواردهم بصورة جيدة ، سواء أكانت شفوية أم إجازات أم كتباً . وقد امتازت خطته فى هذا المضمار بتنوع موارده وتعددها حيث كان يورد آراء الموافقين والمخالفين لصاحب الترجمة ولا يقتصر على مصادر معينة ، وعنى بعد ذلك بالمصادر المتخصصة فنقل عن كل فئة من مصادرها ، وكان يتميز بعقلية عظيمة فى الانتقاء ويعنى بانتقاء الموارد المعاصرة . لكل هذا حفظ لنا الذهبى فى «تاريخ الإسلام» نقولا هائلة عن مصادر كثيرة جدا لم تصل إلينا مع أسف . ومعلوم أن قيمة أى كتاب تاريخى تتحدد فى قربه من الحوادث التى يصفها أو استخدامه موارد قريبة من الأحداث ، ثم ما بقى من هذه الموارد وما فقد منها ومدى قيمتها التاريخية . ولما كان الذهبى قد وصل بتاريخه إلى سنة ٧٠٠ هـ فقد دون فى قسم ، ولو قصيرا من تاريخه ، تاريخاً معاصرا له قيمته العظيمة فى دراسة هذه الحقبة .

وتضمن « تاريخ الإسلام » مادة واسعة فى التاريخ السياسى والإدارى انتقاه من موارد كثيرة ضاع الكثير منها . وقدم معلومات اقتصادية جيدة حيث عنى بذكر الأحوال الاقتصادية للدولة الإسلامية عموما والتطورات التى طرأت عليها . أما من الناحية الاجتماعية فقد أبان لنا «تاريخ الإسلام» باعتباره كتابا صرف جل عنايته للتراجم ، اتجاه المؤرخين فى تخليد المبرزين فى المجتمع

وصور جانبا من القاعدة الاجتماعية لفئة العلماء ، وظهر فى هذا الكتاب عدم وجود المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية وقلة تأثيرها، بل انعدامها ، فى تقدير الناس، وأن المجتمع الإسلامى لم يعرف فى هذا المجال فى الأقل أى نوع من النظم الطبقية وأزاح الفكرة القائلة : إن التاريخ الإسلامى هو تاريخ حكام لم يعن بتاريخ جماهير الأمة ، فإن عناية المسلمين بتاريخ « التراجم » وتدوينهم سير الناس ممن اشتهروا بسياسة ، أو علم ، أو أدب أو فن ، أو عقيدة وما إليها من غير نظر لمركز اقتصادى أو اجتماعى يؤكد من غير شك أن موازينهم كانت على غاية من الرقى الإنسانى ، وقد جربنا الذهبى وهو يترجم محدثا فقيرا ويترك غنيا ، ويطول فى ترجمة عبد ويقصر فى سيد كبير ، ويثنى على شخص من عامة الناس ويذم آخر من علية القوم، فى الوقت الذى اقتصرت فيه النواحى العلمية ومحتويات كتب التراجم عند كثير من الأمم فى هذه الأعصر على فئات معينة من الناس كما كان فى أوربا العصور الوسطى .

إلا أن أهمية « تاريخ الإسلام » تتكشف عظيمة رائعة فى تصويره للحياة الفكرية على مدى العصور الإسلامية ، فقد أبان لنا تطور الفكر الإسلامى طيلة سبعة قرون بما فيه من كشف عن الحياة الثقافية والتعليمية : وذلك أن معرفة نسبة العلماء إلى بلدان معينة ، أو إقامتهم بها أو رحلتهم إليها فى وقت ما تظهر لنا مراكز الثقافة الإسلامية على مدى العصور وانتعاشها واضمحلالها ، وبالنظر لكثرة مايذكر الذهبى من تراجم فى السنة الواحدة فإن قيام إحصائيات بأعداد العلماء المنتسبين إلى مدن معينة أو رحلتهم إليها ضمن هذا النطاق الواسع من الزمان والمكان سوف يقدم خدمة عظيمة فى هذا المضمار .

وصور الكتاب مقاييس الثقافة فى كل فترة من الفترات التى تناولها

واتجاهات العلماء الدراسية واهتماماتهم العلمية في علوم معينة ، وطرق التدريس والإملاء والمناظرة والمذاكرة والحلقات العلمية ، وأماكن الدراسة في المساجد والجوامع والبيوت والربط والمدارس المعنية بتدريس مذهب واحد أو مذهبين أو المذاهب الأربعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي .

وعنى الذهبي في « تاريخ الإسلام » بذكر المرويات الأساسية وبعض الأجزاء والكتب التي عنى المترجمون بروايتها، فقدم لنا بذلك مادة أساسية في معرفة نوعية الكتب والعلوم التي اهتم بها الطلبة في عصر من العصور مما يستفاد منها في التعرف إلى أوجه النشاط الثقافي واتجاهات الثقافة ونوعيتها في ذلك العصر .

وقد حفظ لنا الذهبي في « تاريخ الإسلام » عدداً هائلا من أسماء مؤلفات المترجمين بحيث لو جمعت وأفردت لكونت كتاباً عظيماً يضاهي الكتب المعنية بهذا الفن . ولم يكتف الذهبي بذكر الكتب ونسبتها إلى مؤلفيها، بل تكلم على كثير منها وقومها .

وقد شعر بأهميته معاصروه ومن جاء بعدهم وقوموه بما يستأهله من المكانة الرفيعة ؛ قال الصلاح الصفدي : « وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني ـ رحمه الله ـ على تاريخه الكبير المسمى « تاريخ الإسلام » جزءاً بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعة وقال : « هذا كتاب علم »[1] وذكر حافظ عصره ابن حجر العسقلاني أن الذهبي « أربى فيه على من تقدم »[2] .

(١) الصفدي : الوافي ، ج ٢ ص ١٦٣ ، ونكت ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ وانظر الزركشي : عقود الجمان ، الورقة ٢٦١ .

(٢) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦ .

وقد كان « تاريخ الإسلام » فوق كل الذى قدمنا ، أضخم مؤلفات الذهبى التاريخية بل عمدتها وأسها ، فمن أجله قام الذهبى باختصار عدد من الكتب التاريخية[١]، ومنه اختصر بعض مؤلفاته مثل «العبر فى خبر من عبر»، و«الدول الإسلامية »، و«الإشارة إلى وفيات الأعيان»، و «الإعلام بوفيات الأعلام»، وعليه عول فى كثير من تآليفه التراجمية مثل «سير أعلام النبلاء» و « تذكرة الحفاظ » و «معرفة القراء الكبار » وغيرها . وبسبب هذا صار تاريخ الإسلام مصدرا عظيما لمعظم المؤرخين الذين جاءوا بعده وتناولوا نطاق كتابه أو بعضه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الصفدى[٢] ، وابن شاكر الكتبى[٣]، والسبكى[٤] ، والإسنوى[٥] ، وابن كثير[٦] ، وابن رجب[٧] ،

---

(١) انظر مقدمة تاريخ الإسلام ، ج ١ ص ١٦ .

(٢) قال فى مقدمة الوافى : « وهو كتاب علم نافع جدا قرأت عليه المغازى التى له وسيرة النبي — صلى الله عليه وسلم — وإلى آخر أيام الحسن — رضى الله عنه — وحوادثه إلى آخر سنة سبعمئة ، ولم أنتفع بشىء مثله، وعليه العمدة فى هذا الكتاب، وهو القطب لهذا الدائرة واللب لهذه الجملة السائرة » ج ١ ص ٥٠ — ٥١ .

(٣) لاسيما فى كتابه « عيون التواريخ » فقد نقل معظم التراجم من «تاريخ الإسلام» تصريحا » انظر نسخة دار الكتب الظاهرية ذات الأرقام ٤٤ — ٤٩ تاريخ .

(٤) راجع فهرس كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » تحقيق صديقينا الاستاذين: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى .

(٥) طبقات الشافعية (انظر فهرس الكتب التى نقل عنها الإسنوى ج٢ ص ٣٢٠) .

(٦) نقل منه كثيرا فى كتابه «البداية والنهاية» وإن لم يشر إليه كثيرا. وقد قرأ ابن كثير الكتاب ، ووضع خطه على نسخة المؤلف الموقوفة بالمدرسة المحمودية (انظر الورقة ٤٦٤ أيا صوفيا ٣٠٠٩ ، والورقة ٣١٩ أيا صوفيا ٣٠١٤ وانظر أدناه وصف مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة ، مثلا ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ . . . إلخ .

والفيومى [١] ، وابن دقماق [٢] ، وسبط ابن حجر [٣] ، والسخاوى [٤] ، وابن عبد الهادى [٥] ، والسيوطى [٦] ، بحيث يصعب أن نجد مؤرخا جاء بعده وكتب فى نطاقه ولم يستفد من كتابه . ولذلك ـ أيضاً ـ اختصر هذا الكتاب وانتقى منه عدد من المؤرخين البارزين ، منهم :

١ ـ تلميذه علاء الدين على بن خلف بن خليل السعدى والغزى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ [٧] فى كتابه « مختصر تاريخ الإسلام [٨] » . وكان عند ابن قاضى شهبة الأسدى المتوفى سنة ٨٥١ هـ المجلد الأخير من هذا المختصر ، قال فى نهاية منتقاه الذى بخطه «وعندى من مختصر التاريخ المذكور بخط القاضى علاء الدين الغزى مجلد إلى آخر سنة سبع مئة وهو آخر التاريخ المذكور [٩] » .

---

(١) انظر : نثر الجمان فى تراجم الأعيان ، مثلا، ج ٢ الورقة ١٠، ١٣ ، ١٨، ٣٢، ٣٦ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٣ . . . إلخ (دار الكتب ١٧٤٦) .

(٢) انظر كتابه : نزهة الأنام ، مثلا الورقة ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٨، ٨٣ ، ٨٧ . . . إلخ (دار الكتب ١٧٤٠) .

(٣) لاسيما فى كتابه « رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ » وقد جاء فى آخر المجلد الرابع من نسخة المكتبة الأحمدية بحلب بخط سبط ابن حجر : « الحمد لله مررت على هذه المجلدة وعلقت مافيها من الحفاظ استدراكا على المصنف فى « التذكرة » وفى كتابى « رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ » وقد جاءت مثل هذه الملاحظة فى نسخة باريس رقم ١٥٨٢ عربى ، كما نجدها فى آخر المجلدات المحفوظة فى مكتبة البودليان باكسفورد رقم ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٤٤ ، ٣٠٥ .

(٤) الإعلان ، (انظر الفهرس فى آخره) .

(٥) معجم الشافعية ، مثلا الورقة ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٢، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٦ . . . إلخ (ظاهرية ٤٥٥١ عام) .

(٦) ذكره من بين مصادره الرئيسة فى كتابه « بغية الوعاة » (انظر ج ١ص٥).

(٧) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ١١٦ .

(٨) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ١ عمود ٢٩٥ .

(٩) ابن قاضى شهبة : المنتقى من تاريخ الإسلام (حلب ١٢٢٠ / ٤) .

٢ ـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد العمري الدمشقي المعروف بابن الجزري المقرئ المشهور المتوفى سنة ٨٣٣ هـ[(١)] في « ملخص تاريخ الإسلام » وقد فرغ منه في رجب سنة ٧٩٨ هـ . واقتنيت نسخة مصورة منه عن النسخة المحفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٩٠ تاريخ وهي في « ١٨٠ » ورقة كتبت عن نسخة المؤلف سنة ٩٠٠ هـ . كما اقتنيت نسخة أخرى منـــه صورها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية عن نسخة كتبخانة ملي بطهران رقم (٤٦٩) تقع في (٢٠٨) ورقات كتبت سنة ٩١٦ هـ .

٣ ـ تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد المعروف بابن قاضي شهبة الأسدي المتوفى سنة ٨٥١ هـ في « المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي » وقفت على أقسام منه بخطه في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ١٢٢٠، وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منه ، والظاهر أن ابن قاضي شهبة اختصر كتاب الذهبي باعتباره أحسن الكتب التي أرخت هذه الفترة، ثم ذيل عليه وسمى كتابه المكون من المختصر والذيل « الإعلام بتاريخ أهل الإسلام » .

٤ ـ شمس الدين محمد بن عبدالرحمان السخاوي المتوفى ٩٠٢ هـ قال في كتابه الإعلان : « وجمعت كتابا حافلا على حروف المعجم أصلته من تاريخ الإسلام للذهبي وزدت عليه خلقاً أغفلهم أو تجددوا بعده ، ولكن لم أستوف فيه غرضي إلى الآن[(٢)] » . واستعمل نسخة المؤلف التي بخطـــه والموقوفة على المدرسة

---

(١) العليمي : الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٤٥٤ ، والسخاوي : الضوء ، ج ٩ ص ٢٥٥ فما بعد ، حاجي خليفة : كشف ، ج ١ عمود ٢٩٥ .

(٢) الإعلان ، ص ٥٨٩ .

المحمودية بالقاهرة ، وقد وجدنا خط السخاوى على معظم طرر المجلدات الباقية من هذه النسخة ونصه « فرغ تراجمه ترتيبا محمد بن السخاوى » .

٥ ـ أحمد بن محمد بن على الحصكفى[١] الحلبى المعروف بابن الملا المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ . وقد انتهى من تلخيص المجلد الأول منه فى مطلع سنة ٩٨٤ هـ ، وقال فى نهاية المجلد الأول منه : « ومن وقف على الأصل علم أن المتروك منه بالنسبة إلى المذكور أقل قليل » . وفى خزانة كتب الأوقاف الأجزاء من الأول إلى الثامن منه ويبتدئ من السنة الأولى للهجرة وينتهى الموجود بوفيات سنة ٥٦٩هـ وقد ذهبت بعض ورقات من المجلد الأول فذهبت مقدمة الكتاب وبعض من حوادث السنة الأولى للهجرة حيث يبدأ المجلد بقصة إسلام عبدالله بن سلام[٢] . وأرقام هذه المجلدات ، ٥٨٨٥ ، ٥٨٨٦ ، ٥٨٨٧ ، ٥٨٨٨ ، ٥٨٨٩ . ٥٨٩٠ ، ٥٨٩١ ، ٥٨٩٢ ، على التوالى ومنه نسخة فى المكتبة الأحمدية بحلب فى سبعة مجلدات تحمل الرقم ١٢١٩ .

٦ ـ ولتاريخ الإسلام مختصرات كثيرة غير التى ذكرنا ، لم نستطع الوقوف على مختصريها ، منها ـ مثلا ـ النسخة المحفوظة فى مكتبة السلطان أحمد الثالث باستنبول ذات الأرقام (٢٩١٧ / ١ ب ـ ٢٩١٧ / ٥ ب) .

وهى المجلدات من الأول إلى الخامس من نسخة لعلها كانت تتكون من ستة مجلدات ، وأخطأ الدكتور لطفى عبد البديع حينما ظن أنها أجزاء من « تاريخ الإسلام »[٣] . وهى من أقدم المختصرات التى وصلت إلينا حيث كان

---

(١) منسوب إلى حصن كيفا .

(٢) قارن الورقة ٤ (سعودية) .

(٣) فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ قسم ١ ص ٥٣ .

اختصارها فى حياة المؤلف سنة ٧٣٧ ﻫ كما جاء فى آخر المجلد الثانى منها . وفى خزانة كتبى نسخة مصورة للمجلدات الثلاثة : الثانى والرابع والخامس [١] .

ويشمل المجلد الثانى: من خلافة أبى بكر – رضى الله عنه – إلى سنة ١١٠ ﻫ مع المحافظة على ترتيب المؤلف . وقد جاء فى طرة هذا المجلد : « الثانى من المنتقى فى التاريخ تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل شمس الدين الذهبى » وجاء فى آخره: « كان الفراغ من المجلدة الثانية بالعشر الأوسط (كذا) [٢] من ربيع الآخر من سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بالصالحية من ظاهر دمشق المحروسة ، والحمد لله رب العالمين ، وذلك على يد الفقير إلى الله فى كل زمان وحال ... محمد بن هبة الله ابن عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله البكرى ثم المغربى [٣] » . ويقع هذا المجلد فى (٣١٢) ورقة . وقد ظن صانع فهرس المخطوطات التاريخية فى معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية غلطا أنه كتب فى أوائل القرن التاسع الهجرى [٤] .

وتناول المجلد الرابع من هذه النسخة الحوادث والوفيات للفترة الواقعة بين سنتى (٢٠١ – ٣٨٠ ﻫ) وهى الطبقات : من الحادية والعشرين إلى آخر الثامنة والثلاثين .

---

(١) لم أطلع للأسف على المجلدين الأول والثالث ، والظاهر أننى ذهلت عنهما .

(٢) هكذا فى الأصل ، وهو وهم ، وكان عليه أن يقول « الوسط » جمع الوسطى ، قال الفيومى فى المصباح المنير : « واليوم الأوسط والليلة الوسطى ، ويجمع الأوسط على الأواسط مثل الأفضل والأفاضل ، وتجمع الوسطى مثل الفضلى والفضل ، وإذا أريد الليالى قيل : العشر الوسط . وإن أريد الأيام قيل : العشرة الأواسط . وقولهم: العشرة الأوسط عامى ، ولا عبرة بما يفشو على ألسنة العوام مخالفا لما نقله أئمة اللغة . » .

(٣) لا أعرفه .

(٤) لطفى عبد البديع : فهرس المخطوطات ، ج ٢ قسم ١ ص ٥٣ .

أما المجلد الخامس فهو تكملة للمجلد الرابع من هذه النسخة ، حيث يبتدئ بسنة (٣٨١ هـ[1]) وينتهى فى أثناء سنة (٥٦٩ هـ) وقد جاء فى أوله : « الجزء الخامس من تاريخ الإسلام للشيخ الإمام العالم العلامة . . . » وجاء فى آخره: « تم المجلد من المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبى بحمد الله وحسن توفيقه ، يتلوه ـ إن شاء الله ـ ترجمة محمود بن أبى سعيد زنكى بن آقسنقر التركى الملك العادل نور الدين . . » .

٧ ـ ومن ذلك ـ أيضاً ـ المجلد المحفوظ فى مكتبة رضا رامبور فى الهند برقم (٣٥٣٣) والذى أحتفظ بنسخة مصورة منه فى ٦٥٥ صفحة ، ويشتمل على حوادث السنين (٥٨١ ـ ٧٠٠ هـ) مع انتقاء لبعض التراجم المهمة . وقد توهم صديقنا المرحوم الأستاذ فؤاد سيد حينما ظن أن هذا هو المجلد الأخير من تاريخ الإسلام[2] .

وبالنظر لما احتله شمس الدين الذهبى من مكانة مرموقة فى تاريخ الفكر الإسلامى عموما والتاريخى خصوصا ، وما كان لتاريخه العظيم من الأهمية البالغة على الكتابات التاريخية التى لحقته ، وما تميز به منهجه فى الكتابة التاريخية من ميزات ، ولكون « تاريخ الإسلام » من أمهات المصادر التاريخية فى عصرنا هذا ، فقد اخترت « الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام » موضوعا لبحث تقدمنا به لنيل رتبة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد .

وقد جعلت هذه الدراسة فى مدخل وبابين : أولها عن الذهبى ، وثانيهما عن منهجه فى كتابه تاريخ الإسلام .

---

(١) توهم الدكتور لطفى عبد البديع حينما ذكر أن هذا المجلد يبدأ بسنة (٣٣٢ هـ) (انظر الهامش السابق) .

(٢) فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ قسم ٣ ص ٦١ .

شمل « المدخل » ثلاثة مباحث مهمة : تناولنا فى الأول منها أهمية هذا البحث ، والدوافع التى دفعتنا إلى اختياره دون غيره من الموضوعات ، ثم حاولنا تحديد نطاقه . وتناولنا فى المبحث الثانى تدوين الذهبى لكتابه ، والنسخ التى وصلت إلينا منه ، ثم وصفنا مفصلا للنسخة التى قامت عليها هذه الدراسة . أما المبحثَ الأخير منه فقد كان دراسة تحليلية للموارد المعتمدة فى هذا البحث .

أما الباب الأول فقد جعلته فى فصلين :

تكلمت فى الأول منهما على سيرة الذهبى ، فدرست بيئته ونشأته وبدء عنايته بطلب العلم ، ورحلاته فى طلبه ، ونوعية دراساته ، وصلاته الشخصية وأثرها فى تكوينه الفكرى ، ونشاطه العلمى ومناصبه التدريسية . ثم اجتهدت أن أستبين مكانته العلمية مستعينا بآثاره التى خلفها لنا وبآراء العلماء الذين عاصروه أو جاءوا بعده . وختمت الفصل بوفاته .

وعنيت فى الفصل الثانى منه باستقصاء آثار الذهبى من المختصرات والانتقاءات والتآليف والتخاريج مما ذكرته المصادر أو وقفت عليه ، سواء أكانت مفقودة أم مخطوطة أم مطبوعة ، وتكلمت على المهم منها بعبارة وجيزة مركزة .

واقتصرت فى الباب الثانى على دارسة « منهج » الذهبى فى كتابه « تاريخ الإسلام » لإيمانى بأن مثل هذه الدراسة سوف توضح إلى حد بعيد قيمة الكتاب ، وتيسر للباحثين الإفادة منه كأحسن ما تكون الإفادة ، ومن ثم فإنها سوف تكشف عن مناهج كثير من المؤرخين الذين سبقوه أو الذين جاءوا بعده ؛ لأننى عنيت دائما بمقارنة منهجه بمناهج السابقين واللاحقين . وقد اقتضت الدراسة أن يكون هذا الباب فى خمسة فصول :

عنيت فى الفصل الأول بتنظيم الكتاب وأساليب عرضه ، فتكلمت فيه أولا على التنظيم العام للكتاب ، وتتبعت التغييرات التى طرأت على هذا التنظيم فى الفترات الزمانية التى تناولها الكتاب . ولما كان الكتاب قد احتوى على الحوادث والتراجم فقد اجتهدت أن أستبين العلاقة بينهما ، فلما اتضح لى عدم وجود علاقة واضحة بين الاثنين ، تناولت دراسة تنظيم الحوادث، وتنظيم التراجم وأساليب عرضهما ، كل واحدة منفصلة عن الأخرى . ثم إنى وجدت المؤلف منذ أواخر القرن السادس الهجرى يعنى بذكر مواليد بعض الأعلام فى كل سنة، فحاولت أن أدرس هذه الظاهرة وأوضح المنهج الذى اتبعه فى عرضها . وعنيت فى آخر الفصل بدراسة موجزة لأسلوب الذهبى الأدبى واللغوى الذى عرض فيه المادة التاريخية التى تضمنها الكتاب .

وحاولت فى الفصل الثانى أن أوضح الأسس التى اتبعها المؤلف فى انتقاء المادة التاريخية لكتابه فى الحوادث والتراجم وفيما إذا كان له منهج واضح فى هذا الانتقاء من حيث النوعية والكمية .

ولما تبين لنا من الدراسة السابقة أن الذهبى ركز بشكل كثيف على التراجم بحيث احتلت قرابة ٨٥٪ من مادته وتضمن الكتاب ما يناهز الأربعين ألف ترجمة من عصور مختلفة ونوعيات متباينة ، رأينا من الواجب علينا دراسة فكر الذهبى التاريخى من هذه الزاوية وتبيان فنه فى صياغة الترجمة وعرضها . وبمعنى آخر كان لابد لنا أن نجيب عما يأتى : هل كان المؤلف ينقل التراجم من الكتب الأخرى كما هى ويعرضها بالشكل الذى عرضته فيه ، أم أنه اتبع منهجا خاصاً فى صياغة الترجمة الواحدة وعرضها ؟ وهل تابع المؤرخين السابقين فى نوعية المادة التى احتوتها كل ترجمة أم كان له أسلوبه الخاص ومنهجه المتميز

فى المادة التى اهتم بها وضمنها الترجمة الواحدة ؟ لذلك كانت « عناصر الترجمة » موضوع الفصل الثالث من هذا الباب .

أما الفصل الرابع فقد خصصته لدراسة منهجه فى تناول الموارد وطرائق النقل منها . وتناولت فيه أنواع الموارد التى أفاد منها فى كتابه من المشاهدة والملاحظة، والمشافهة، والمساءلة والمكاتبة ، والإجازات، ومجاميع الطلبة والشيوخ ، ومؤلفات المترجم ، والمؤلفات السابقة . ولما ظهر لى أن المؤلفات السابقة هى أساس موارد الكتاب والمكون الرئيسى لمادته ، عنيت بدراسة مدى اعتماده عليها واستيعابه لها مع الأمثلة الموضحة لذلك ، ثم حاولت تبيان الأسس التى اعتمدها فى المفاضلة بينها ، واجتهدت أن أوضح منهجه فى النقل منها والإشارة إليها تصريحاً أو تلميحاً ، ومدى دقته فى النقل والمقارنة والترجيح ، وفيما إذا كان يعنى بانتقاء النسخ الموثقة أو يقابل بين مخطوطات الكتاب الواحد .

وتناول الفصل الأخير من هذا الباب منهج الذهبى فى النقد الذى اتبعه فى الكتاب ، فعنيت بالتعرف على أنواع النقد الذى مارسه ، واجتهدت أن أميز بين النقد الحديثى « نقد الرجال » وبين التقويم وإصدار الأحكام التاريخية ، ونقد الروايات التى ينقلها عن السابقين . ثم تناولت منهجه فى نقد الأسانيد ونقد المتن، وقدمت الأمثلة التوضيحية لكل منهما. ولما كان الذهبى قد اتهم من قبل بعض المعنيين بالتاريخ بالتعصب والهوى العقائدى . فقد رأيت من الواجب على أن أعنى بدراسة مدى تعصبه وإنصافه فى كتابه ومن ثم تبيان قيمة الانتقادات الموجهة إليه وإلى كتابه .

وختمت الرسالة بملخص لأهم النتائج التى حققها هذا البحث ، وأعقبتها بثبت تفصيلى المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة التى أفدت منها فيه .

ثانيا ـ تدوين الكتاب ووصف نسختنا منه :

لا ندرى الوقت الذى بدأ الذهبى فيه بتآليف كتابه ، ولكننا نعلم أنه فرغ من إخراجه الأول فى جمادى الآخرة من سنة ٧١٤هـ كما جاء بخطه فى آخر المجلدة الأخيرة منه [١] . ورجح الدكتور صلاح الدين المنجد أنه بدأ به إثر عودته من مصر سنة ٧٠٠ [٢] هـ . وقد بينا عند كلامنا على سيرة الذهبى أن رحلته إلى مصر لم تكن فى هذا التاريخ ، إنما كانت فى سنة ٦٩٥ هـ ودللنا على ذلك بأدلة لا تقبل الشك [٣] ، ومع ذلك فإننا نعتقد بأنه بدأ بكتابة المسودة الأولى قبل سنة ٧٠٤ هـ وهى السنة التى اختصر فيها الذهبى تاريخ ابن الدبيثى [٤] حيث لم يذكره من بين ما اختصر من كتب رئيسة فى مقدمته لتاريخ الإسلام [٥] . ولكن من المحتمل جداً أن يكون قد جمع كثيراً من مادة الكتاب قبل هذا التاريخ بكثير ، إذ من غير المعقول أن يكون قد كتب مثل هذا التاريخ الواسع ذى الموارد المتعددة قبل جمع مادته بصورة دقيقة ومنظمة ، واختصار عدد من المؤلفات الرئيسة التى كونت مادة كتابه مثل تاريخ نيسابور لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، وتاريخ مصر لابن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ هـ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، والذيل عليه لأبى سعد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ، والأنساب

---

(١) الورقة ٣٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) مقدمة سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٧ .

(٣) انظر أدناه الفصل الأول من الباب الأول .

(٤) الذهبى : المختصر المحتاج إليه ، الورقة ١٣٢ (نسخة دار الكتب المصرية وهى بخط الذهبى) وقد جاء فى آخرها : « تم اختصاره للذهبى فى أواخر سنة أربع وسبع مئة من نسخة الوقف بالناصرية » .

(٥) ج ١ ص ١٦ – ١٧ (مطبوعة) .

السمعانى أيضا ، وتاريخ دمشق لأبى القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، وتاريخ أبى شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ، وذيل مرآة الزمان لشيخه قطب الدين اليونينى المتوفى سنة ٧٢٦[١] هـ.

وحينما انتهى الذهبى من تدوين تاريخه لأول مرة سنة ٧١٤ هـ صار الكتاب كما يبدو فى تسعة عشر مجلداً ضخاماً بخطه. ثم أضاف إليه كثيراً من تراجم المئة الثانية وبيض هذا القسم ثانية سنة ٧٢٦[٢] هـ فجاءت النسخة فى واحد وعشرين مجلدا ، يدل على ذلك قوله فى طرة المجلد الحادى والعشرين الذى بخطه : « المجلد الحادى والعشرون من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبى . ثم إننى زدت جملة كثيرة فى أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أن هذا المجلد صار فى العدد المجلد الحادى والعشرين »[٣] . ولعل هذا هو الذى يفسر لنا ذكر تلميذه ابن شاكر الكتبى « ت ٧٦٤ هـ » أن الذهبى ألف « تاريخ الإسلام » فى تسعة عشر مجلدا[٤] .

ولكن إذا كان الذهبى قد انتهى من تدوين كتابه فى تسعة عشر مجلداً سنة ٧١٤ هـ ثم زاد فى تراجم المئة الثانية بعد ذلك فأصبح فى واحد وعشرين مجلدا سنة ٧٢٦ هـ فكيف نفسر التناقض الحاصل بين تسلسل عناوين المجلدات الباقية

---

(١) ج ١ ص ١٦ – ١٧ (مطبوعة) .

(٢) وصل إلينا من هذا القسم المبيض تبييضا ثانيا بخط المؤلف قسم من وفيات الطبقة الثامنة عشرة فى أثناء ترجمة الإمام مالك بن أنس ، وجميع الطبقتين التاسعة عشرة والعشرين فى حوادثهما ووفياتهما ، وهو فى (٣٠١) ورقة (أيا صوفيا ٣٠٠٦) وقد جاء فى نهاية المجلد : « فرغت من تبييض الطبقة تبييضا ثانيا فى سنة ٧٢٦ » وهذا هو قسم من المجلد السابع من نسخة المؤلف ، كما نرى .

(٣) أيا صوفيا ٣٠١٤ .

(٤) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ (كيمبرج ٢٩٢٣) .

بخطه وبين قوله فى نهاية المجلد الحادى والعشرين أنه انتهى منه سنة ٧١٤ ﻫ؟ وهل يعنى هذا أنه أعاد نسخ الكتاب وتنظيمه ثانية منذ سنة ٧٢٦ ﻫ؟ فإذا كان ذلك كذلك فإن التناقض باق بسبب كتابته على طرة المجلد الأخير : إنه المجلد الحادى والعشرون وأنه صار كذلك بعد الزيادة التى أضافها فى أهل المئة الثانية وبيضها سنة ٧٢٦ ﻫ وقوله فى آخر المجلد الأخير نفسه : إنه انتهى منه سنة ٧١٤ ﻫ !.

وجوابنا على ذلك أن المؤلف، فيما نعتقد، لم يبيض سوى المئة الثانية أو قسما منها فى الأقل، فكان أن زاد هذا القسم المبيض زيادة جعلت المؤلف يزيده مجلدين آخرين، ثم إنه أعاد كتابة عناوين المجلدات اعتبارا من المجلد الثامن وحتى المجلد الحادى والعشرين بعد أن أعاد تنظيمها وصلح[1] بعض ما أمكن تصليحه، وعليه فإن عناوين هذه المجلدات قد كتبت فى حدود سنة ٧٢٦ ﻫ. بينما بقيت المادة التى احتوتها هى تلك التى انتهى من كتابتها فى سنة ٧١٤ ﻫ. واعتقادنا هذا له من الأدلة التى تؤيده ما يجعلنا مطمئنين إليه، وهاهى ذى :

١ – إن القسم غير المبيض الذى وصل إلينا بخط الذهبى والذى يتكون من المجلدات : الثانى[2]، والثامن[3]، والثانى عشر[4]، والثالث عشر[5]،

---

(١) مثل مافعل فى المجلد الثالث عشر حيث حاول تصليحه وجعله المجلد الخامس عشر. ومثل ذلك أيضا تصليحه طرة عنوان المجلد التاسع عشر وتحويلها إلى المجلد الحادى والعشرين.

(٢) أيا صوفيا ٣٠٠٥

(٣) أيا صوفيا ٣٠٠٧

(٤) أيا صوفيا ٣٠٠٨

(٥) أيا صوفيا ٣٠٠٩

والخامس عشر[١] ، والثامن عشر[٢] ، والتاسع عشر[٣] ، والعشرون[٤] ، والحادى والعشرون[٥] مليئة بالزيادات التى كتبها الذهبى بخطه على حواشيها ، وفى الطيارات الكثيرة التى وضعها بين الأوراق ، بينما لانجد فى المجلد السابع[٦] ، وهو المبيض ثانية ، إلا النزر اليسير من ذلك ، بل يكاد يخلو منه .

٢ ـ يظهر الاختلاف فى الخط واضحا بين النشرتين : فخط الذهبى فى المجلد السابع أكثر إتقانا ووضوحا ، وقد خط المؤلف بعض العناوين الداخلية بخط جميل[٧] ، وميز التراجم الحافلة عن غيرها بأن خط اسم الشهرة بخط غليظ جميل فى أعلى الترجمة وفى وسط الصفحة[٨] . بينما لانجد أى أثر لذلك فى المجلدات الأخرى .

٣ ـ وصول بعض الطرر المصلحة إلينا ، فمن ذلك طرة المجلد الخامس عشر الذى كان سابقا المجلد الثالث عشر ، وهو تصليح جد ظاهر . ومن ذلك أيضاً طرة المجلد الحادى والعشرين الذى كان قبل التصليح المجلد التاسع عشر ، وهو تصليح لايعرفه ولا يلاحظه إلا من يطيل التمعن فيه ، فقد حول الذهبى كلمة « التاسع » إلى » الحادى » بأن غير حرف (التاء) إلى (حاء) ثم وضع ركزة للسين بحيث

---

(١) أيا صوفيا ٣٠١٠

(٢) أيا صوفيا ٣٠١١

(٣) أيا صوفيا ٣٠١٢

(٤) أيا صوفيا ٣٠١٣

(٥) أيا صوفيا ٣٠١٤

(٦) أيا صوفيا ٣٠٠٦

(٧) انظر مثلا الورقة ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٢ ... إلخ .

(٨) انظر مثلا الورقة ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ... إلخ .

صارت دالا ومد حرف العين وقعره فصار (ياءً) . وهذا هو الذى يفسر التصاق الياء بالدال التصاقا بينا، ووجود فتحة فوق الحاء مع عدم الحاجة إليها لأنها كانت فى الأصل نقطتى التاء . أما كلمة «عشر» فقد أضاف إليها الياء والنون فى آخرها فصارت « عشرين » وهى تظهر واضحة وقد حشرت بين « عشر » وحرف الجر « من » . والطريف أن الفتحات التى وضعها الذهبى فوق كلمة « عشر » ظلت باقية بعد تحويل الكلمة إلى « عشرين » [١] .

٤ ـ ويتبين من دراسة السماعات التى كتبها صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى بخطه على صفحات العنوان ، وعلى هوامش المجلدات فى الداخل ، تسلسل تواريخ هذه السماعات ابتداء من أوائل سنة ٧٣٥ هـ حتى شهر شعبان منها ، ووجود الوقفية على المدرسة المحمودية على معظم المجلدات التى وصلت إلينا، وهذا يؤيد أن القسم المبيض سنة ٧٢٦ هـ قد أصبح جزءا من النسخة القديمة .

٥ ـ لم يشر الذهبى فى أى من تلك المجلدات إلى تبييض الكتاب ثانية ، بله ماهو مذكور فى آخر المجلد الحادى والعشرين من أنه فرغ منه سنة ٧١٤هـ وماجاء فى آخر المجلد الخامس عشر بخط الذهبى « آخر المجلد الثالث عشر والحمد لله » مع أنه كتب فى طرته أنه المجلد الخامس عشر .

إن هذا التناقض الظاهرى جعل مفهرسى هذه النسخة فى معهد إحياء المخطوطات العربية يظنون أن الذهبى كتبها سنة ٧٢٦ هـ وسنة ٧٢٧ هـ من غير دليل لديهم غير إشارته الواردة فى المجلد الذى استرجحنا أنه المجلد السابع [٢] .

وعلى الرغم من وصول نسخ عديدة من تاريخ الإسلام ، إلا أنه لم تصل

---

(١) انظر صورة طرة هذا المجلد .

(٢) راجع فهرس المخطوطات المصورة، ج ٢ قسم ١ ص ٥٣ .

إلينا نسخة كاملة منه ، وكان السيد حسام الدين المقدسى قد نشر بالقاهرة ستة أجزاء من الكتاب منذ سنة ١٣٦٧ هـ نشرة ناقصة ثم توقف ، فكان لابد أن ألفق نسخة كاملة منه ، رجوت أن تكون من أحسن النسخ وأصحها .
وكنت منذ سنين كثيرة أجمع لنفسى نسخاً مصورة من أجزائه المبعثرة فى خزائن الكتب ودورها ، وكان معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية قد صور نسخا منها ، فصورت لنفسى جميع نسخه فتحصل لدى عدد كبير جداً من مجلداته بلغت قرابة المئة مجلدة كبيرة وهى: من مصر فى دار الكتب المصرية[1] والمكتبة الأزهرية[2] والمدرسة الباسطية بالخرنفش[3] ، ومن سورية : فى دار الكتب الظاهرية[4] ، والمكتبة الأحمدية بحلب[5] ، ومن استانبول : فى مكتبة أيا صوفيا[6] والسلطان أحمد الثالث[7] ، ومن المغرب : فى الرباط[8] ، ومن

---

(١) النسخة التى رقمها (٤٢ تاريخ) وهى ملفقة من نسخ عديدة وتقع فى أربعة وثلاثين مجلدا إلا أنها غير كاملة وفيها مختصرات وخروم . وهناك مجلد برقم (٢٤٣٢ تاريخ) .

(٢) رواق المغاربة رقم (٨٩٥) وهو الجزء الثانى والعشرون ، ورقم (٤٤٩ أباظة ٦٧٤٢ عام) ورقم (٧١٢ تاريخ = ١٠٦٦٨ عام) والرقم الأخير يضم قطعة فى ٣٦ ورقة المجلد الثالث عشر من إحدى النسخ .

(٣) هى الآن فى دار الكتب المصرية برقم (١٤٥٢ تاريخ) .

(٤) رقم (٧٨٧٥ – ٧٨٧٦) .

(٥) تقع هذه النسخة فى أربع مجلدات ، وبعضها انتقاء لابن قاضى شهبة وهى فيها برقم (١٢٢٠) .

(٦) وهى التى تحمل الأرقام (٣٠٠٥ – ٣٠١٤) فى عشر مجلدات بخط المؤلف .

(٧) وهى التى تحمل الأرقام ٢٩١٧ / ١ – ٢٩١٧ / ١٨ ، وتقع فى ثمانية عشر مجلدا .

(٨) رقم (٢٢٦ ك) .

السعودية: فى مكتبة الأمير عبدالله بن عبد الرحمن آل سعود الخاصة بالرياض[١]، ومن باريس: فى المكتبة الوطنية[٢]، ومن انكلترة: فى المتحفة البريطانية[٣] ومكتبة البودليان بأكسفورد[٤]، ومن ألمانيا: فى مكتبة بلدية ميونيخ[٥]، ومن الهند: فى مكتبة رضا رامبور[٦]. إضافة إلى النسخ المتوافرة ببغداد ولاسيما فى مكتبة الأوقاف والمتحف العراقى، فضلا عن المختصرات العديدة التى صورتها. ومع ذلك فهناك نسخ لم أستطع الوقوف عليها[٧].

على أن تلفيق نسخة من هذه المخطوطات لم يكن بالأمر الهيِّن الميسر لعدة أمور لعل من أبرزها:

١ ـ اختلاط المختصرات بالأصل فى خزائن الكتب العالمية وعدم استطاعة المعنيين بهذا الشأن تمييز المختصر من الأصل أحياناً[٨].

---

(١) لم ترقم هذه المخطوطة فى المكتبة المذكورة وتشمل المجلدات: الأول، والثانى والسادس، والسابع: وقد صورها معهد إحياء المخطوطات سنة ١٩٧٣.

(٢) هى المجلدات التى تحمل الأرقام (١٥٨٠ - ١٥٨٢ عربى).

(٣) رقم (١٥٤٠ شرقى) وهى فى سبعة مجلدات (وانظر فهرس المخطوطات فى المتحفة المذكورة، رقم (١٦٣٦ - ١٦٤١)، وملحقه رقم (٤٦٨).

(٤) وقفنا على أربعة مجلدات هى التى تحمل الأرقام (٢٤٤، ٢٧٩، ٢٨٦، ٣٠٥ من مجموعة لاود Laud).

(٥) رقم (٣٧٨) وقد كتب عليه أنه المجلد الثالث عشر وفيه من سنة ٤٨٧ هـ إلى سنة ٥٥٠ هـ.

(٦) رقم (٣٥٣٣) وقد تبين لى فيما بعد أنها مختصر من تاريخ الإسلام.

(٧) ذكر بروكلمان مجلداً فى خزانة (لى) الإنكليزى، وآخر فى ليدن (لعله مختصر) وبعض الأجزاء فى مكتبة كوتا، وآخر فى برلين، انظر كتابه: « تاريخ التراث العربى ج ٢ ص ٥٨ وملحقه ج ٢ ص ٤٥ » (بالألمانية)، وغيرها.

(٩) من ذلك ـ مثلا ـ ما وقع لمفهرسى معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية =

٢ ـ اختلاف أرقام المجلدات من نسخة إلى أخرى، فالنساخ لم يحافظوا على تجزئة المؤلف فى الأغلب الأعم ، فمع أن الذهبى ألف كتابه فى واحد وعشرين مجلداً ضخما إلا أننا وجدنا نسخة دار الكتب المصرية تتكون من أربعة وثلاثين مجلداً . وفى الوقت الذى تناول الذهبى فى المجلد الثامن عشر من تاريخه وفيات ٦٠١ ـ ٦٢٠ هـ[١] ، فإن المجلد الثامن عشر من نسخة أحمد الثالث تناول وفيات ٦٤٨ ـ ٦٧٠ هـ[٢] . وتناول المجلد الثانى والعشرون من نسخة الأزهر وفيات ٥٨٨ ـ ٦٠٩ هـ[٣] ، وتناول المجلد الثالث عشر من نسخة المكتبة نفسها وفيات ٥٣٢ ـ ٥٦١ هـ[٤] وهلم جرا . وقد جعلنا هذا الأمر نضطر إلى الإشارة إلى مكان النسخة ورقمها باختصار بدلا من الإشارة إلى المجلدات .

٣ ـ فضلا عن توزع النسخة الواحدة فى أكثر من مكان ، فقد تبين لنا بعد الدراسة والتتبع ـ مثـــلا ـ أن معظم المجلدات التى فى المكتبة الأحمدية بحلب ، والمكتبة الأهلية بباريس ومكتبة البودليان بأكسفورد هى من نسخة واحدة[٥] .

ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا عشرة مجلدات من النسخة التى كتبها الذهبى

= فى بعض أجزاء نسخة أحمد الثالث رقم (٢٩١٧/٢، ٢٩١٧/٤، ٢٩١٧/٥) ونسخة رضا رامبور رقم (٣٥٣٣) وبعض أجزاء نسخة دار الكتب المصرية رقم (٤٢ تاريخ) وغيرها .

(١) أيا صوفيا ٣٠١١

(٢) أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٨ .

(٣) الأزهر ، رواق المغاربة ، رقم ٨٩٥ .

(٤) رقم ٧١٢ تاريخ .

(٥) ومما يقوى هذا الرأى وجود خط سبط ابن حجر « ت ٨٩٩ » على بعض المجلدات التى فى حلب وباريس وأكسفورد .

بخطه ، وهي تكون قرابة نصف الكتاب؛ ولذلك اتخذناها أصلا في نسختنا الملفقة وأكملناها من النسخ الأخرى، وقد أعانتنا هذه النسخة كثيرا في دراسة الكتاب فهي فضلا عن دقتها ، نظرا لدقة مؤلفها وكاتبها الإمام الذهبي ، قد أفادتنا فائدة عظيمة في تتبع منهج المؤلف منذ بدأ بتأليف الكتاب وما طرأ عليه من زيادات في الحواشي الكثيرة والوريقات الطيارة المبثوثة بين ثناياه، ولولاها لصعب علينا كثيرا الوصول إلى جملة من القضايا منها ـ مثلا ـ : الموارد التي استعملها المؤلف أولا وتلك التي وقف عليها بعد تأليف الكتاب ، وكيفية تنظيم الحوادث والتراجم والعلاقة بينهما ، ثم نوعية التراجم التي أضافها فيما بعد .

وصف نسختنا الملفقة[١] :

١ ـ المجلد الأول من النسخة المحفوظة في مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود الخاصة بالرياض من السعودية (١ ـ ١١ هـ)[٢] :

ويحتوي هذا المجلد على الفترة الواقعة من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الحادية عشرة وهو ما يعرف بالمغازي ، ويستمر فيأخذ قسما من الترجمة النبوية حتى نهاية خبر وفاة خديجة[٣] ـ رضي الله عنها ـ . وقد انخرم قدر ورقة من النسخة

(١) قال الزمخشري في (ل ف ق) من أساس البلاغة : ثوب ملفق وملفوق .وقد لفقت بين ثوبين ، ولفقت أحدهما بالآخر :إذا لاءمت بينهما بالخياطة كشقتي الملاءة . . تلافق القوم: تلاءمت أحوالهم ، ص٨٦٣ . وقد استعمل العلماء المسلمون هذا التعبير للدلالة على تجميع نسخة من نسخ متعددة .

(٢) إن الفترة الزمانية المحصورة بين العضادتين لهذا المجلد الموصوف وغيره من المجلدات الآتية لاتستغرق بالضرورة جميع محتويات المخطوطة ، فهي تمثل القسم الخاص بنسختنا الملفقة من الكتاب والتي قامت عليها هذه الدراسة . على أننا في الوقت نفسه قد استفدنا محتويات كثير من المجلدات لاسيما تلك التي بخط المؤلف .

(٣) عند الصفحة ١٤١ من ج ١ (مطبوعة) والورقة ٦٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) .

وفيها بعض مقدمة الذهبي لكتابه ، حيث يبدأ هذا المجلد في أثناء كلامه على المصادر التي أفاد منها في تأليف كتابه وهو : « للإمام أحمد وتاريخ المفضل ابن غسان الغلابي . . . . »[(1)] . وجاء في آخر النسخة . « تجز الجزء الأول من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام من تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . . . . ويتلوه الجزء الثاني المبدوء بقصة المعراج » .

وقد اعتمدت هذا المجلد إلى بداية الترجمة النبوية . ولما كانت النسخة غير مرقمة فقد عولت على الأرقام التي وضعتها لنسختي المصورة .

٢ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠٠٥ (من بداية الترجمة النبوية إلى سنة ٣٠ﻫ):

وهو المجلد الثاني من نسخة المؤلف التي بخطه. وقد جاء في طرة النسخة «المجلد الثاني[(2)] من تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام وأوله الترجمة النبوية جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي ابن الذهبي » . وعلى طرة النسخة أيضاً سماع لصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ﻫ على المؤلف وقد كتب بخطه المتقن « قرأت هذه المجلدة ، وهي الجزء الثاني من تاريخ الإسلام على كاتبه ومؤلفه شيخنا الإمام الحافظ العلامة قدوة المؤرخين حجة المحدثين شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ أدام الله الإمتاع بفوائده ـ في ثمانية عشر ميعاداً آخرها تاسع عشر ربيع الأول سنة ٧٣٥ وسمعها كاملة فتاى طيدمر بن عبد الله الرومي ومن أول الترجمة النبوية إلى آخر ترجمة عيينة بن حصن. وسمع بعض ذلك

(١) انظر السطر قبل الأخير من ج ١ ص ١٧ (مطبوعة)

(٢) كتب فوق هذه الكلمة بخط يشبه خط الذهبي ، وليس خطه، كلمة «الأول» وهو وهم من هذا الكاتب .

فى مياعيد مفرقة جماعة ذكرتهم فى البلاغات على الهامش[1] وأجازنا رواية ذلك عنه أجمع . وكتب خليل بن أيبك بن عبد الله الشافعى الصفدى حامداً ومصليا » .

وعلى الطرة أيضاً نص وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة وهو : « الحمد لله حق حمده . وقف وحبس وسبل المقر الأشرف العالى الجمالى محمود استدار العالية الملكى الظاهرى — أعز الله تعالى أنصاره — جميع هذا المجلد وما قبله ومابعده من المجلدات من تاريخ الإسلام للذهبى بخطه ، وعدة ذلك أحدوعشرون مجلدا ، وقفا شرعيا على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على الوجه الشرعى . وجعل مقر ذلك بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التى أنشأها بخط الموازنيين بالقاهرة[2] المحروسة ، وشرط الواقف المشار إليه أن لايخرج ذلك ولا شىء منه من المدرسة المذكورة برهن ولا بغيره . وجعل النظر فى ذلك لنفسه أيام حياته ثم من بعده لمن يؤول إليه النظر على المدرسة المذكورة على ما شرح فى وقفها . وجعل لنفسه أن يزيد فى شرط ذلك وينقص ما يراه دون غيره من النظار ، جعل ذلك لنفسه فى وقف المدرسة المذكورة ، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم ، بتاريخ الخامس والعشرين من شعبان المكرم سنة سبع وتسعين وسبع مئة » ثم شهادة اثنين بذلك .

وفى أعلى الطرة خطوط جماعة من العلماء ممن نسخوا تاريخ الإسلام عن هذه النسخة أو اختصروه أو طالعوه واستفادوا منه وهى :

---

(١) انظر بعض هذه البلاغات فى الأوراق : ١٥ ، ٣٠ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٣٠ ، ١٣٩ . . . إلخ .

(٢) فى صورة الوقفية الموجودة على المجلدات الأخرى يضيف عبارة « بالشارع الأعظم » .

« فرغه نسخاً وقراءة عبد الرحمن بن محمد ابن البعلى داعياً لجامعه » .

و « طالعه وانتقاه وما قبله إبراهيم بن يونس البعلبكى الشافعى » .

و « أنهاه تعليقا البدر البشتكى[1] » .

و « طالعه يوسف الكرمانى » .

و « فرغ تراجمه ترتيبا محمد ابن السخاوى ، ختم له بخير »[2] .

يبدأ هذا المجلد ، كما مر ، بالترجمة النبوية التى تستغرق ١٣٠ ورقة منه وينتهى فى أثناء سنة ٣٠ هـ ويقع فى ٢٤١ ورقة ، وآخر ما فيه ترجمة عيينة ابن حصن (ج٢ ص ٩١ من النسخة المطبوعة) .

وقد عولنا عليه فى جميع فترته نظرا لنفاسته ودقته بسبب كونه بخط مؤلفه ، بالرغم من وجود مادته فى النسخة المطبوعة التى استفدنا منها أيضاً .

---

(١) توفى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكى سنة ٨٣٠ هـ (السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٧٧ — ٢٧٩) ، وإن بعض المخطوطات المحفوظة فى المكتبة الأحمدية بحلب والمكتبة الوطنية فى باريس ومكتبة البودليان بأكسفورد قد نسخت عن نسخة البشتكى . وذكر السخاوى فى الإعلان (ص ٥٩٨) أن النسخة التى كتبها بدر الدين البشتكى كانت موجودة فى أيامه بالمدرسة الباسطية . قال بشار : وقد نقلت بعض أجزائها إلى دار الكتب المصرية حيث نجد بعض المجلدات المحفوظة فى هذه الدار بخطه . وأخطأ الأستاذ الفاضل فرانتس روزنتال حينما ذكر أن نسخة البشتكى كانت تتكون من اثنين وعشرين مجلدا (راجع تعليقه على الإعلان ، ص ٥٩٧ هامش رقم ٥٠) فقد ذكر هو بخطه فى آخر وفيات الطبقة السبعين من تاريخ الإسلام أنه علق منه نسخة فى واحد وعشرين مجلدا (انظر أدناه كلاما على مجلد أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) إن هذه الإشارة تؤيد قول السخاوى فى الإعلان (٥٨٩) أنه رتب « تاريخ الإسلام » على حروف المعجم (وانظر أعلاه كلامنا على مختصرات الكتاب) .

٣ ـ الأجزاء المطبوعة (من الترجمة النبــــوية إلى سنة ١٦٠ هـ الحوادث والوفيات) [١] :

وهى الأجزاء الستة التى نشرها السيــــد حسام الدين القدسى عن نسخة دار الـكتب المصرية الملفقة من مجموعة من النسخ أصلا ، وطبعها فى القاهرة منذ سنة ١٣٦٧ هـ ثم توقف عن نشرها .

احتوى الجزء الأول على المقدمة التى وضعها الذهبى لـكتابه[٢] ثم الترجمة النبوية وخلافة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وينتهى فى أثناء ترجمة أبى بكر، ويقع فى ٣٩٩ صفحة .

ويبدأ الجزء الثانى بعمال أبى بكر ، وترجمة أبى كبشة مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم سنة ١٤هـ ، وينتهى فى أثناء تراجم الطبقة السابعة (٦١ـ٧٠هـ) حيث أورد اثنتى عشرة ترجمــة منها ، وآخره ترجمة ثور بن معن بن يزيد ابن الأخنس السلمى من الطبقة المذكورة . ويقع هذا الجزء فى ٣٩٩ صفحة أيضاً .

أما الجزء الثالث فيقع فى ٣٨٣ صفحة ، وأوله ترجمة جابر بن سمرة بن جنادة من الطبقة السابعة ، وينتهى فى أثناء وفيات الطبقة العاشرة (٩١ ـ ١٠٠ هـ) ، وآخر ما فيه ترجمة السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الـكندى المدنى من تراجم الطبقة المذكورة .

وأما الجزء الرابع الذى يقع فى ٣٢٠ صفحة ، فيبدأ بترجمة سعيد بن جبير

---

(١) يبتدىء اعتمادنا الرئيس على الأجزاء المطبوعة من سنة ٣١ هـ على أننا آثرنا فى الوقت نفسه الإشارة فى كثير من الأحيان إلى الأقسام السابقة منها بعد مقارنتها بنسخة أيا صوفيا رقم (٣٠٠٥) بغية تمكين القارىء من الرجوع إليها عند الحاجة فذلك أيسر عليه .

(٢) أخذها من النسخة الـكيمبرجية .

من الطبقة العاشرة ، وينتهى فى أثناء حرف الميم من تراجم الطبقة الثانية عشرة (١١١ ـ ١٢٠ هـ) ، وآخر مافيه ترجمة معبد بن خالد الجدلى الكوفى .

ويبدأ الجزء الخامس بترجمة المغيرة بن حكيم الصنعانى من أهل الطبقة الثانية عشرة ، وينتهى بآخر وفيات الطبقة الرابعة عشرة (١٣١ ـ ١٤٠ هـ) وعدد صفحات هذا الجزء ٣٥١ صفحة .

أما الجزء السادس الذى جاء فى ٣٥٥ صفحة ، فقد اشتمل على حوادث ووفيات الطبقتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة (١٤١ ـ ١٦٠) .

وهذه الطبعة لا هى بالجيدة ولا بالرديئة . وقد حاول ناشرها التعليق على بعض النصوص ، وكثير من تعليقاته منقولة عن الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، وهو حنفى جلد ما أنصف الذهبى فى كثير من كتاباته . إلا أن هذه الطبعة قد أساءت فى الوقت نفسه إلى الكتاب كثيراً بإيراد الترجمة النبوية بعد المقدمة مباشرة وعدم شمولها للمجلد الأول من « تاريخ الإسلام » وهو المجلد الخاص بالمغازى . ومن ثم انتقلت هذه الإساءة إلى بعض الباحثين والدارسين والمعنيين بالتدوين التاريخى بحيث ظنوا ، غلطا ، أن هذا هو نطاق « تاريخ الإسلام » للذهبى .

٤ ـ المجلدان التاسع والعاشر من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ووفيات ١٦١ ـ ١٨٠ هـ) :

ويشملان الطبقتين السابعة عشرة والثامنة عشرة فى حوادثهما ووفياتهما (١٦١ ـ ١٨٠ هـ) وهما بخط محمد بن إبراهيم البشتكى المتوفى سنة ٨٣٠ هـ ، نقلها من النسخة التى بخط المؤلف والتى كانت موقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة .

٥ ـ مجلد مكتبة أياصوفيا رقم ٣٠٠٦ (حوادث ووفيات ١٨١ ـ ٢٠٠هـ) :

وهو بخط المؤلف ، ومخروم من أوله حيث يبدأ هذا القسم الذى وصل إلينا فى أثنـاء ترجمة الإمام مالك بن أنس من تراجم الطبقة الثامنة عشرة (١٧١ ـ ١٨٠ هـ)[١] وتجئ بعدها ١١٥ ترجمة من تراجم الطبقة المذكورة[٢] .

وتبدأ حوادث الطبقة التاسعة عشرة (١٨١ ـ ١٩٠هـ) فى الورقة ٣٢ وتنتهى عند الورقة ٤٣ حيث تبدأ تراجم أهل الطبقة مرتبة حسب حروف المعجم فتنتهى فى الورقة ١٧٠ . أما الطبقة العشرون (١٩١ ـ ٢٠٠ هـ) فتبدأ حوادثها فى الورقة ١٧١ وتنتهى عند الورقة ١٩٢ حيث يبدأ المؤلف بذكر المترجمين من أهل الطبقة العشرين على حروف المعجم، وينتهى المجلد بآخر المترجمين فيها (الورقة ٣٠١) .

وهذا المجلد فيما نرى هو قسم من المجلد السابع من نسخة المؤلف التى بخطه والتى أوقفت فيما بعد على المدرسة المحمودية بالقاهرة ، وليس المجلد الثامن كما توهم الدكتور لطفى عبد البديع صانع فهرس معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية[٣] ، فقد وصل إلينا المجلد الثامن من النسخة المذكورة وهو يبدأ بالطبقة الحادية والعشرين[٤] .

وهذا المجلد من القسم الذى أعاد الذهبى كتابته ثانية سنة ٧٢٦هـ بسبب الإضافات الكثيرة التى أضافها على تراجم القرن الثانى بعد تأليف الكتاب[٥] .

(١) استغرق القسم الباقى من ترجمة الإمام مالك ثمانية أوراق من النسخة .

(٢) الورقة ٨ ـ ٣١ .

(٣) انظر الفهرس المذكور ، ج ٢ قسم ١ ص ٥٣ .

(٤) انظر وصف المجلد الآتى .

(٥) راجع أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب ، وانظر الورقة ٣٠١ من هذه النسخة وطرة المجلد الحادى والعشرين الذى فى مكتبة أيا صوفيا (٣٠١٤)

ونجد فى نهاية حوادث الطبقتين التاسعة عشرة والعشرين بلاغا لصلاح الدين الصفدى بقراءة حوادثهما على المؤلف[١] ، ثم خط البدر البشتكى فى آخر المجلد الذى يشير فيه إلى انتساخه[٢] .

٦ ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٧ (حوادث ووفيات ٢٠١ـ٢٣٠هـ):

وهو المجلد الثامن من نسخة المؤلف التى بخطه ، وقد جاء فى صفحة العنوان بخط الذهبى «المجلد الثامن من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبى ـ سامحه الله ـ » . وعلى هذه الصفحة أيضاً سماع الصفدى ، وصورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخطوط جماعة من الفضلاء . ويقع هذا المجلد فى (٢٤٠) ورقة .

يبتدىء المجلد بحوادث الطبقة الحادية والعشرين[٣] (٢٠١ ـ ٢١٠ هـ) ، فوفياتها مرتبة على حروف المعجم[٤] ، ثم يتناول حوادث الطبقة الثانية والعشرين[٥] (٢١١ ـ ٢٢٠ هـ) ووفياتها المرتبة على حروف المعجم[٦] ، ثم حوادث الطبقة التالية وهى الطبقة الثالثة والعشرون[٧] (٢٢١ ـ ٢٣٠) ، وينتهى المجلد بآخر المترجمين من وفيات هذه الطبقة[٨] .

---

(١) الورقة ٤٣ ، ١٩٢ ونص البلاغ « بلغت قراءة خليل بن أيبك على مؤلفه وكاتبه ـ فسح الله فى مدته » .

(٢) الورقة ٣٠١ ونصه « أنهاه تعليقا البدر البشتكى » . ويغلب على ظنى أن المجلد السابع هذا كان يشمل ثلاث طبقات بحوادثها ووفياتها ، وهى الطبقات : من الثامنة عشرة إلى العشرين .

(٣) الورقة ٣ ـ ٩

(٤) الورقة ٩ ـ ٨٥ .

(٥) الورقة ٨٦ ـ ٩٤

(٦) الورقة ٩٤ـ ١٦٧ .

(٧) الورقة ١٦٨ ـ ١٧٦

(٨) الورقة ١٧٦ ـ ٢٤٠ .

وهذا المجلد ملىء باستدراكات الذهبى وتعليقاته المدونة فى حواشى النسخة وفى الجزازات الكثيرة التى وضعها بين طيات أوراقه .

٧ — مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧ / ٧ (حوادث ووفيات ٢٣١ — ٢٦٠ هـ) :

وهو المجلد السابع من نسخة المكتبة المذكورة ، ويقع فى (٢٩٥) ورقة من القطع الكبير . وعلى النسخة تملكات وقراءات منها ما هو مقيد فى سنة ٨١٤ هـ فيكون تاريخ نسخها قبل هذا التاريخ ، ولعله يعود إلى أواخر القرن الثامن . ونجد على النسخة خط محمد بن عمار المالكى المتوفى سنة ٨٤٤ هـ(١) بانتخابه من الكتاب والإفادة منه ، كما نجد عليها خط محمد بن أحمد بن إينال العلائى الدوادار الحنفى وهو من المهتمين بالتاريخ(٢) . أما خط النسخة فقليل الإعجام صعب القراءة لكنه دقيق ومضبوط .

ويبدأ هذا المجلد من أول الكنى من وفيات الطبقة الثالثة والعشرين وهى ترجمة أبى أيوب الأشعرى(٣) ، ثم يتناول حوادث الطبقة الرابعة والعشرين(٤) (٢٣١ — ٢٤٠ هـ) ووفياتها(٥) ، ويستمر فيشمل حوادث ووفيات الطبقتين

---

(١) كان من علماء العربية المشهورين فى زمانه ، وقد ولى التدريس بالمدرسة المسلمية بالقاهرة سنة ٨٠٣ هـ (السخاوى : الضوء ، ج ٨ ص ٢٣٢ ، السيوطى : بغية ، ج ١ ص ٢٠٣ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٧ ص ٢٥٤) .

(٢) هذب محمد بن أحمد العلائى كتاب « الضوء اللامع » للسخاوى ، وسماه « تشنيف المسامع بتهذيب الضوء اللامع » اطلعت على قسم منه بخطه فى الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية (رقم ٦٢٤ تاريخ) .

(٣) قارن الورقة ٢٣٨ من نسخة أيا صوفيا ٣٠٠٧ .

(٤) سبق قلم الناسخ فكتب أنها الطبقة الثانية والعشرون (الورقة ٤)

(٥) الورقة ٨ — ٩٢ .

الخامسة والعشرين[١] (٢٤١ ـ ٢٥٠ ﻫ) والسادسة والعشرين[٢] (٢٥١ ـ ٢٦٠ ﻫ) ، ولعل هذا هو المجلد التاسع من نسخة المؤلف[٣] .

٨ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧ / ٨ (حوادث ووفيات ٢٦١ ـ ٣٠٠) :

وهو المجلد الثامن من نسخة المكتبة المذكورة ويقع فى (٣١٦) ورقة ، وجاء فى أوله « الجزء الثامن من تاريخ الإسلام للذهبى ـ رحمه الله تعالى آمين » وقد ذهب اسم الناسخ من النسخة ، وناسخه هو ناسخ المجلد السابق لتشابه الخطين. ونجد فى طرة هذا المجلد ما وجدناه فى طرة المجلد السابع من قراءات وتملكات .

اشتمل هـــذا المجلد على حوادث ووفيات أربع طبقات هى : السابعة والعشرون[٤] (٢٦١ ـ ٣٧٠ ﻫ) ، والثامنة والعشرون[٥] (٢٧١ ـ ٢٨٠ ﻫ) ، والتاسعة والعشرون[٦] (٢٨١ ـ ٢٩٠ ﻫ) والثلاثون[٧] ، (٢٩١ ـ ٣٠٠ ﻫ ،

---

(١) تبدأ الحوادث فى أثناء الورقة ٩٢ وتنتهى فى أثناء الورقة ٩٥ حيث تبدأ وفياتها وتستمر من هذه الورقة إلى قبيل نهاية الورقة ٢١٠ .

(٢) تبدأ حوادث الطبقة عند نهاية الورقة ٢١٠ وتستمر إلى الورقة ٢١٦ حيث تبدأ فيها وفياتها وتنتهى بانتهاء المجلد فى الورقة ٢٩٥ .

(٣) جاء فى آخر المجلد الخامس عشر من نسخة دار الكتب المصرية (٤٢ تاريخ) مايشير إلى أن سنة ٢٦٠ هى آخر المجلد التاسع.

(٤) تشتمل الحوادث على الأوراق ٢ ـ ٩ ، أما الوفيات فتشمل الأوراق ١٠ـ٨٩.

(٥) استغرقت الحوادث قرابة أربع أوراق فقط (٨٩ ـ ٩٣) بينما استغرقت الوفيات الأوراق ٩٣ ـ ١٥٦ .

(٦) تقع الحوادث في الأوراق ١٥٦ ـ ١٦٦ والوفيات فى الأوراق ١٦٦ ـ٢٤٥.

(٧) تبدأ الحوادث فى أثناء الورقة ٢٤٥ وتستمر إلى أثناء الورقة ٢٥١ حيث تبدأ وفيات الطبقة ، وتنتهى بانتهاء المجلد فى الورقة ٣١٦ .

ورتبت وفيات كل طبقة منها على حروف المعجم . وهذا هو المجلد العاشر من نسخة المؤلف[1] .

٩ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧ / ٩ (وفيات ٣٠١ ـ ٣٥٠ هـ) :

وهو المجلد التاسع من نسخة أحمد الثالث المذكورة ويقع فى (٢٥٨) ورقة من القطع الكبير . إلا أن خطه يختلف عن خط المجلدين السابقين ، السابع والثامن ، فهو نسخ جميل واضح معجم فى أغلب الأحيان . وقد جاء فى أوله بخط الناسخ : « ذكر وفيات الأعلام على السنين من بعد الثلاث مئة إلى سنة خمسين وثلاثمائة » ، ثم كتب على طرته أسفل ذلك وبالخط الذى كتبت به جميع مجلدات نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧[2] « الجزء التاسع من تاريخ الإسلام للذهبى ـ رحمه الله آمين » والخطوط التى نجدها على طرة المجلدات السابقة نجدها على طرة هذا المجلد أيضاً .

تناول هذا المجلد وفيات الطبقات من الحادية والثلاثين إلى آخر الخامسة والثلاثين (٣٠١ ـ ٣٥٠ هـ) على السنين ، ورتبت وفيات كل سنة على حروف المعجم[3] . ونطاق هذا المجلد هو نطاق المجلد الحادى عشر من نسخة المؤلف[4] .

---

(١) لأن المجلد التاسع ينتهى بسنة ٢٦٠ هـ كما جاء فى آخر المجلد الخامس عشر من نسخة دار الكتب المصرية (٤٢ تاريخ) . وأشار السخاوى إلى أن المجلد العاشر من نسخة المؤلف ينتهى بآخر الطبقة الثلاثين (الإعلان ، ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨) .

(٢) ومن ضمنها المختصرات أيضاً . ولا ريب أن هذه التجزئة تعود إلى عصر متأخر .

(٣) رتب الذهبى كتابه حسب السنين اعتبارا من سنة ٣٠١ هـ وإلى آخر الكتاب (انظر أدناه الفصل الأول من الباب الثانى) .

(٤) لأن المجلد العاشر ينتهى بآخر سنة ٣٠٠ هـ ويبتدىء المجلد الثانى عشر بسنة ٣٥١ هـ .

١٠ ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٨ (وفيات ٣٥١ ـ ٤٠٠) :

وهو بخط المؤلف ، وعليه سماع الصفدى ، ونص وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة ، وخطوط جماعة من الفضلاء . ويقع فى (٢٦٦) ورقة ، ويتناول تراجم أهل الطبقات من السادسة والثلاثين إلى آخر الأربعين (٣٥١ـ ٤٠٠ هـ) . والنسخة مليئة باستدراكات المؤلف وتعليقاته سواء أكان ذلك فى حواشى النسخة أم فى الجزازات الكثيرة التى وضعها بين أوراقها .

وهذا المجلد هو المجلد الثانى عشر من نسخة المؤلف كما جاء فى طرته ، والظاهر أنه كان يحتوى على حوادث هذه الفترة أيضاً إلا أنه لم يصل إلينا فى الوقت الحاضر[1] .

وبالنظر لعدم وضوح الأوراق الأولى من نسختى المصورة لهذا المجلد بسبب اهتزاز فى التصوير ، لم أنتبه إليه حينئذ ، أصبح من الصعب على دراسة الوفيات الواقعة بين سنتى ٣٥١ ـ ٣٦٧ هـ من هذه النسخة ، لذلك عولت فى الفترة المذكورة على المجلد المحفوظ فى مكتبة أحمد الثالث رقم (٢٩١٧ / ١٠) وهو المجلد العاشر من النسخة المحفوظة فى المكتبة المذكورة ، ويقع فى ٣١٨ ورقة وخطه يشبه خط المجلدين السابع والثامن من هذه النسخة كتبها ناسخ واحد ، ولعل ذلك كان فى أواخر القرن الثامن الهجرى . وعلى هذا المجلد خطا محمد بن عمار المالكى ، ومحمد بن أحمد بن إينال العلائى الحنفى . ويتناول الوفيات فقط من سنة ٣٥١ هـ إلى أثناء سنة ٤١٥ هـ . والقسم الذى عولت عليه يمتد من أول المجلد إلى الورقة ١٢٤ منه .

---

(١) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب فى الفصل الأول من الباب الثانى .

١١ ـ مجلد أيا صوفيا رقم ٣٠٠٩ (وفيات ٤٠١ ـ ٤٥٠ هـ) :

وهو بخط المؤلف، وعليه خط السخاوى وبعض الفضلاء وفى آخر النسخة خط البدر البشتكى بالانتهاء من انتساخه. كما نجد خط ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى حاشية الورقة ٤٦٤ عند ترجمة أبى العلاء المعرى .

ويقع هذا المجلد فى (٤٩٤) ورقة ذات وجه واحد[١] . ويلاحظ كثرة استدراكات المؤلف وتعليقاته فى جواشى النسخة وفى الجزازات الكثيرة التى وضعها بين طيات المجلد .

ويتضمن هذا المجلد وفيات الطبقات من الحادية والأربعين إلى آخر الطبقة الخمسين (٤٠١ ـ ٤٥٠ هـ) .

وقد جاء فى الطرة التى وصلت إلينا لهذا المجلد بخط الذهبى: «المجلد الحادى عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد بن أحمد ابن عثمان بن الذهبى ـ عفا الله عنه » . ويبدو لنا أن هذا العنوان هو العنوان الذى كان يحمله هذا المجلد قبل أن يعيد الذهبى تنظيم كتابه ثانية بسبب الزيادات الكثيرة الحاصلة فى تراجم أهل المئة الثانية [٢] . فهذا هو المجلد الثالث عشر والذى وجدنا على طرته صورة وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية وخط الصفدى بقراءة حوادثه على المؤلف ، ثم إن السخاوى أشار إلى أن المجلد العاشر ينتهى بسنة ٣٠٠ هـ[٣]، فكيف يصح بعد هذا أن يكون هذا المجلد هو المجلد الحادى

(١) أبقيت على هذا الترقيم لوجوده فى أصل نسختى المصورة ، والظاهر أن أحدهم قد رقم النسخة الأصلية .

(٢) انظر أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب .

(٣) الإعلان ، ص ٥٩٧ . وانظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب فى الفصل الأول من الباب الثانى .

عشر ؟ . ولـكن أين ذهب العنوان الجديد الذى وضعه الذهبى لهذا المجلد بعد أن أصبح الثالث عشر؟ ثم أين هى صورة وقفية الـكتاب على المدرسة المحمودية وخط الصلاح الصفدى بالقراءة على شيخه ؟ .

فنقول : إننا نعتقد أصلا أن هذا الذى وصل إلينا هو ليس جميع المجلد الثالث عشر بل القسم الخاص بالوفيات منه ، أما الحوادث التى تضمنها هذا المجلد والتى استرجحنا أنها تناولت الفترة نفسها فلم تصل إلينا . فلعل العنوان الجديد كان فى صدر الحوادث ، وهو الذى عليه خط الصفدى وصورة الوقفية كما هو فى المجلد الخامس عشر الذى سيأتى وصفه، وكأن المجلد صار فى قسمين : قسم خاص بالحوادث وقسم خاص بالوفيات . أما خط السخاوى على طرة المجلد فهو أمر طبيعى لأن السخاوى لم يهتم بالحوادث وكان اهتمامه ينصب على تجريد التراجم فقط .

١٢ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ٢٩١٧ / ١١ (وفيات ٤٥١ ـ ٤٧٧ هـ) :

وهو المجلد الموسوم بالحادى عشر من هذه النسخة ، وعلى طرته خط محمد ابن عمار المالـكى ومحمد بن أحمد العلائى وغيرهما ، ويقع فى ٣٠١ ورقة ، وخطه صعب القراءة قليل الإعجام لـكنه دقيق ومضبوط ، وناسخه هو ناسخ المجلدين السابع والثامن وغيرهما من هذه النسخة .

وهذا المجلد متمم للمجلد العاشر من النسخة حيث يبدأ فى أثناء حرف العين من وفيات سنة ٤١٥ هـ وينتهى فى أثناء وفيات سنة ٤٧٧ هـ وآخره ترجمة: « على بن أحمد بن عبد العزيز الميورقى الأندلسى » من وفيات السنة المذكورة .

وقد عولنا على هذا المجلد ابتداء من وفيات سنة ٤٥١ هـ التى تبدأ بالورقة ١٦١ وإلى نهايته .

١٣ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمـــد الثالث رقم ٢٩١٧ / ١٢ (وفيات ٤٧٧ ـ ٥٠٠ هـ) :

وهو المجلد الثانى عشر من هذه النسخة ، وطرته والخطوط التى عليها وخطه كما فى المجلد السابق ، وعدد أوراقه (٢٨٦) ورقة .

ويبدأ هذا المجلدمن حيث ينتهى المجلد السابق فى أثناء وفيات سنة ٤٧٧هـ ، وأول مافيه ترجمة : « على بن محمد الغزنوى » . ويستمر فيتناول الوفيات إلى أثناء سنة ٥٢٤ هـ وآخر ما فيه ترجمة : « محمد بن سعدون بن مرجى بن سعدون العبدى الميورقى نزيل بغداد » من وفيات السنة المذكورة .

وقد عولنا على هذا المجلدمن أوله إلى آخر من توفى تقريبا من الطبقة الخمسين فى أثناء الورقة ١٥٥ .

١٤ ـ مجلد المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠/١ (حوادث ٣٠١ـ٥٠٠هـ):

يقع هذا المجلد فى (٢٣٦) ورقة . كتب بخط جيد واضح لكنه غير دقيق ، ولم نعرف ناسخه ولعله من منتسخات القرن التاسع الهجرى . وقد جاء فى طرته بخط أحدث : « حوادث تاريخ الذهبى »، وفى السطر الذى يليه: « وهو حوادث المئة الرابعة والخامسة من سنة ٣٠١ ـ ٥٠٠ » . وعلى النسخة تمليك مؤرخ فى سنة ١١١٢ هـ وقد شطب أحدهم على اسم مالكه ، ثم نقل أحدهم ترجمة ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى ، وفى أسفلها بعض الفوائد .

يبدأ المجلد بالبسملة ، ثم حوادث سنة ٣٠١ هـ ويستمر حتى نهاية حوادث سنة ٣٥١[١] هـ ، ثم تبدأ حوادث سنة ٣٥١ هـ بورقة جديدة وبالبسملة والدعاء بالتيسير . وتستمر الحوادث مسلسلة إلى آخر حوادث سنة أربعمئة حيث تنتهى

(١) الورقة ٧٤

بورقة كتب فيها بضعة أسطر [١] ، ثم بدأ حوادث سنة ٤٠١ ﻫ بورقة جديدة. ولعل هذا يدل على أنه نقل هذه الخمسين سنة من موضع واحد ولم يجمعها [٢] ، ثم تستمر الحوادث إلى سنة ٤٥٠ ﻫ التي ينهيها المؤلف بعبـــارة « والله أعلم » . ثم يبدأ سنة ٤٥١ ﻫ بقــــوله : « سنة إحدى وخمسين وأربع مئة على سبيل الاختصار [٣] » وتشير العبارة الأخيرة إلى بداية ذكر الحوادث فى طبقةجديدة، أو مجلدة جديدة وهو ما نرجحه [٤] ، وينتهى المجلد بآخر حوادث سنة ٥٠٠ ﻫ .

١٥ ـ مجلدمكتبة أياصوفيارقم ٣٠١٠ (حوادث ٥٠١ـ٥٥٠هووفيات٥٠١ إلى أثناء ٥٤٦ ﻫ) :

وهو بخط المؤلف . ويقع فى (٣٢٣) ورقة . ويشمل هذا المجلد حوادث السنوات ٥٠١ ـ ٥٥٠ [٥] ﻫ والوفيات من سنة ٥٠١ ﻫ إلى أثناء سنة ٥٤٦ ﻫ وآخر ما فيه ترجمة : « على بن مرشد بن على بن مقلد الـكنانى الشيرزى » من وفيات السنة المذكورة . وجاء فى آخر النسخة بخط الذهبى : « آخر المجلدالثالث عشر والحمد لله يتلوه : على بن هبة الله » .

على أنه جاء فى طرة المجلد بخط الذهبى وبخط جميل « المجلد الخامس عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد ابن عثمان ابن الذهبى ـ سامحه الله » ، ثم نجــــد بعد ذلك خط الصفدى بقراءة حوادث السنين من هذه المجلدة على المؤلف ، وصورة وقفية الـكتاب على المدرسة

(١) الورقة ١٢٢

(٢) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للـكتاب فى الفصل الأول من الباب الثانى .

(٣) الورقة ١٧٠

(٤) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للـكتاب فى الفصل الأول من الباب الثانى .

(٥) الورقة ٢ ـ ٤٧

المحمودية بالقاهرة ، ثم خط السخاوى بالفراغ من ترتيب تراجمه ، ثم نجد بعد ذلك فى الورقة (٤٨) من النسخة عنوانا آخر بخط الذهبى أيضا كان مكتوبا فيه أولا : « المجلد الثالث عشر من تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبى الدمشقى » ثم صحح كلمة « الثالث » بقطة قلم دقيقة بحيث أصبحت « الخامس » وكتب فوقها بالقطة الدقيقة نفسها كلمة « حوادث » فأصبح العنوان « حوادث المجلد الخامس عشر ... » ولم نجد على هذه الطرة خط الصفدى ولا صورة الوقفية غير إشارة بخط البدر البشتكى وهى : « أنهاه كتابة البدر البشتكى » ثم مرور أحدهم على النسخة .

وتفسير ذلك ـ فيما نرى ـ بسيط، فهذا هو عنوان المجلد قبل أن يعيد الذهبى تنظيم كتابه مرة ثانية ، وقد اضطر بسبب هذا التنظيم أن يعيد كتابة بعض المجلدات. واسترجحنا أنه غير عناوين المجلدات الأخرى من غير تغيير أو إعادة كتابة لمحتويات هذه المجلدات بحيث بقيت إشارته فى نهاية هذا المجلد أنه المجلد الثالث عشر[1] .

والظاهر أن بعض الطرر القديمة بقيت موجودة ، وأن الذهبى حاول الاستفادة منها ليضعها كالعناوين الداخلية للحوادث أو الوفيات . فهذا بالتأكيد هو المجلد الخامس عشر من نسخة الذهبى التى بخطه وقد وصل إلينا كاملا .

١٦ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٣/٢٩١٧ (وفيات ٥٤٦ ـ ٥٦٤ هـ) :

وهو المجلد الثالث عشر من نسخة أحمد الثالث المذكورة ، ويقع فى (٢٩٤)

(١) انظر أعلاه كلامنا على تدوين الكتاب .

ورقة ، وطرته والخطوط التى عليها وخطه وناسخه هو نفسه الذى فى المجلد الثانى عشر وغيره من المجلدات التى سبق التعريف بها ، ومن ثم فهـــو استمرار له حيث يبدأ بأول ترجمة «محمد بن عبد الله بن تومرت» من وفيات سنة ٥٢٤ه[١] التى هى جزء من وفيات الطبقة الثالثة والخمسين[٢] ، ويستمر بعد ذلك ليشمل وفيات الطبقات: الرابعة والخمسين[٣] والخامسة والخمسين[٤] والسادسة والخمسين[٥] وقسما من الطبقة السابعة والخمسين حيث ينتهى المجلد بانتهاء وفيات سنة ٥٦٤ه .

ولما كان مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٠ الذى بخط المـــؤلف يقف فى أثناء وفيات سنة ٥٤٦ ه فقد عولنا على هـــــذا المجلد من حيث انتهى مجلد أيا صوفيا المذكور وإلى نهايته .

١٧ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٤/٢٩١٧ (وفيات ٥٦٥ ـ ٦٠٠ ه) :

وهو المجلد الرابع عشر من هذه النسخة ويقع فى (٢٨٢) ورقة وأوصافه هى أوصاف المجلد السابق ويبتدىء من حيث ينتهى ذلك المجلد ويتضمن وفيات السنوات ٥٦٥ ـ ٦٠٠ ه[٦] .

(١) جاء فى فهرس معهد إحياء المخطوطات أن هذا المجلد يبتدئ بسنة ٥١٤ ه ، وهو وهم : (ج ٢ قسم ١ ص ٥٣) .

(٢) تنتهى هذه الطبقة فى الورقة ٥٠

(٣) الورقة ٥٠ ـ ١٣٥

(٤) الورقة ١٣٥ ـ ٢١٧

(٥) الورقة ٢١٨ ـ ٢٧٣

(٦) تنتهى الطبقة السابعة والخمسون فى الورقة ٣٩ حيث تبدأ الطبقة الثامنة والخمسون التى تنتهى بالورقة ٩٠ وفيها أيضاً تبدأ وفيات الطبقة التاسعة والخمسين وتنتهى فى أثناء الورقة ١٧٢ . أما الطبقة الستون فتشمل الأوراق ١٧٢ ـ ٢٨٢

١٨ ـ مجلد مكتبة السلطان أحمد الثالث رقم ١٥/٢٩١٧ (حوادث ٥٥١ـ ٦٠٠ هـ) :

وهو المجلد الخامس عشر من النسخة المذكورة ويقع فى (٣٥٠) ورقة من القطع الكبير . أما خطه فمختلف والظاهر أن ناسخه أكثر من واحد .

تضمن هـذا المجلد الحوادث التى ذكرها الذهبى فى « تاريخ الإسلام » اعتباراً من سنة ٣٥١ هـ وحتى سنة ٦٧٠ هـ إلا أن هناك خرما فى المجلد يشتمل على حوادث السنوات ٤٢٥ ـ ٤٥٠ هـ . والظاهر أن الناسخ جمع هذه الحوادث من مجلدات متعددة من « تاريخ الإسلام » إلا أنه حافظ على بدايات الحوادث فى كل مجلد بحيث أعاننا على تفهم تنظيم المؤلف للحوادث والوفيات فى نسخته التى بخطه والتى لم تصل إلينا كاملة[١] .

ولما كنا اعتمدنا النسخة الحلبية فى حوادث السنين ٣٠١ ـ ٥٠٠ هـ[٢] ، ثم وصلت إلينا حوادث السنين ٥٠١ ـ ٥٥٠ هـ بخط المؤلف[٣] وكذلك جميع حوادث القرن السابع[٤] ، فقد عولنا على هذا المجلد فى الحوادث الواقعة فى السنوات ٥٥١ ـ ٦٠٠ هـ فقط[٥] .

---

(١) انظر أدناه كلامنا على الخطة العامة للكتاب فى الفصل الأول من الباب الثانى .

(٢) انظر أعلاه المجلد رقم (١٤) من نسختنا هذه .

(٣) أيا صوفيا ٣٠١٠ وانظر أعلاه وصفنا لهذا المجلد فى الرقم (١٥) من نسختنا هذه .

(٤) انظر أدناه كلامنا على المجلدات (١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) من نسختنا هذه .

(٥) الورقة ١٦٨ ـ ٢٤٩

١٩ – مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١١ (حوادث ووفيات ٦٠١ – ٦٢٠ هـ) :

وهو المجلد الثامن عشر من نسخة المؤلف التى بخطه والموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة ، وعليها خط الصفدى بسماع الحوادث التى تضمنها هذا المجلد. ويقع فى (٢٥١) ورقة . وجاء فى طرة المجلد بخط الذهبى : « المجلد الثامن عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعـــلام تصنيف محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبى – عفا الله تعالى عنه » ثم بخطه أيضاً إجازة لبعض الفضلاء برواية كتابه هـــذا ومن بينهم حفيده وسبطه . وفى أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوى بالإفادة من هذا المجلد فى كتابه « طبقات المالـكيـــة » ونصه : « طالعته على طبقاتى للمالـكية ، كتبه محمد ابن السخاوى – غفر الله له[١] » . كما نجد فى آخر الوفيات خط السخاوى بالانتهاء من ترتيب الـكتاب وخط كل من : البدر البشتـكى ويوسف بن يحيى بن محمد الـكرمانى . بنسخه[٢] .

يبدأ المجلد بوفيات الطبقة الحادية والستين (٦٠١ – ٦١٠ هـ) مرتبة كالعادة على السنين[٣] ، وتنتهى الوفيات بآخر المتوفين من الطبقة الثانية والستين حيث قال : « وقد انقضى ما انتهى إلى علمه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى الله

(١) قال السخاوى فى الإعلان عند كلامه على الـكتب المؤلفة فى تراجم الفقهاء المالـكية : « وعملت لهم كتاباً حافلا فى المسودة بعد أن رتبت كتاب ابن فرحون ترتيبا معتبرا ، وجردت من المدارك ما لم يذكره ابن فرحون كل واحد فى مجلد » (ص ٥٦٣).

(٢) الورقة ٢١٧

(٣) الورقة ٢ – ٨٩

فى هذه العشرين سنة فلنشرع فيما وقع الاختيار عليه من حوادث هذه العشرين سنة ـ إن شاء الله ـ والحمد لله على كل حال [١] » ، ثم ذكر الحوادث الواقعة فى تلك السنوات ، وبانتهائها ينتهى المجلد .

٢٠ ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٢ (وفيات ٦٢١ ـ ٦٤٠ ه، وحوادث ٦٢١ ـ ٦٥٠ ه) :

بخط المؤلف . وهو المجلد التاسع عشر من نسخته الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة ، وعليه خط الصفدى بسماع الحوادث ، وخط السخاوى بالإفادة منه فى كتابه عن تراجم المالكية والفراغ من تجريد تراجمه . ويقع فى (٢٧٠) ورقة . وقد جاء فى طرته بخط الذهبى : « المجلد التاسع عشر من كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بنى تميم » .

ابتدأ هذا المجلد بأول وفيات الطبقة الثالثة والستين (٦٢١ ـ ٦٣٠ ه) . ثم انتهى منها[٢] ، وتناول وفيات الطبقة الرابعة والستين (٦٣١ ـ ٦٤٠ ه)[٣] ، ثم تناول الحوادث الواقعة فى السنوات ٦٢١ ـ ٦٥٠ ه متتالية[٤] .

٢١ ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٣ (وفيات ٦٤١ ـ ٦٧٠ ه) وحوادث ٦٥١ ـ ٦٧٠ ه) :

بخط المؤلف ، وهو المجلد العشرون . وقد خط المؤلف عنوانه بخط جميل .

(١) الورقة ٢١٧

(٢) الورقة ١٠٤

(٣) الورقة ١٠٥ ـ ٢٢٧

(٤) الورقة ٢٢٧ ـ ٢٧٠

ووجدنا على طرة هذا المجلد ما وجدناه على طرة المجلد السابق مثل خطى الصفدى والسخاوى ، وصورة وقفية النسخة على المدرسة المحمودية بالقاهرة .

يقع هذا المجلد فى (٣٠٨) أوراق . وقد ابتدأه بوفيات سنة ٦٤١ ﻫ من الطبقة الخامسة والستين واستمر إلى آخر وفيات سنة ٦٧٠ ﻫ من الطبقة السابعة والستين ، ثم تناول الحوادث الواقعة فى السنوات ٦٥١ ـ ٦٧٠ ﻫ ،وقد لاحظنا أنه ذكر حوادث السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠ ﻫ فى المجلد السابق ، وهى من حوادث هذا المجلد .

٢٢ ـ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٤ (حوادث ووفيات ٦٧١ ـ ٧٠٠ ﻫ) :

بخط المؤلف . وهو المجلد الحادى والعشرون والأخير من نسخة المؤلف الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة . وكان هذا المجلد فى الأصل المجلد التاسع عشر قبل أن يعيد الذهبى تنظيم كتابه[1] . وقد جاء فى طرته « المجلد الحادى عشرين ، من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبى » . وجاء أسفل ذلك بخطه « ثم إننى زدت جملة كثيرة من أرباب المئة الثانية فآل الحال إلى أن هذا المجلد صار فى العدد المجلد الحادى والعشرين » . ثم نجد فى أعلى الطرة من الجهة اليمنى خط السخاوى بالإفادة منه فى كتابه عن المالكية . ونجد ـ أيضاً ـ خط الصفدى بسماع هذا المجلد وجميع ما سمعه من تاريخ الإسلام على مؤلفه، وقد جاء فيه « قرأت حوادث السنين من هذا المجلد وهى أول سنة إحدى وسبعين وست مئة إلى آخر سنة سبع مئة على مؤلفه وكاتبه الشيخ الإمام الحافظ العلامة

(١) انظر التفاصيل فى كلامنا على تدوين الكتاب أعلاه .

شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى . وكذلك قرأت عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن على – رضى الله عنهما – ثم قرأت الحوادث من هذا التاريخ سنة فسنة[1] حتى أكملت الجميع، وسمع ذلك أجمع فتاى طيدمر بن عبد الله الرومى ، وفاته من ذلك شىء يسير مذكور فى بعض المجلدات من هذا التاريخ . وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز له تسميعه فى مدة آخرها خامس عشرين شعبان سنة خمس وثلاثين وست مئة . وكتب خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى حامدا ومصليا » ، ثم وضع الذهبى خطه أسفل ذلك للإعلام بصحة ذلك . وجاء فى آخر وفيات الطبقة السبعين : « وهذا آخر الطبقة السبعين وهنا نقف ونحمد الله عودا على بدء ونسأله أن يصلى على محمد وآله ويسلم » . ثم نجد فى هذه الورقة خطوط جماعة من العلماء منها خط الصفدى بالإفادة من التراجم وهو : « فرغ منه اختيارا من أوله إلى آخره فى مدة كان آخرها رابع عشرين شهر المحرم سنة أربعين وسبع مئة خليل بن أيبك بن عبد الله الشافعى الصفدى حامدا الله ومصليا على نبيه محمد ومسلما ، اللهم أحسن العاقبة » . ومنها خط بدر الدين البشتكى بتعليق نسخة من الكتاب ونصه : « علق منه نسخة فى إحدى وعشرين مجلدة الفقير إلى الله محمد بن إبراهيم البشتكى – لطف الله به » . وتحت خط البشتكى خط السخاوى بالفراغ من ترتيبه . وفى أسفل الورقة خط يوسف بن يحيى الكرمانى بمطالعة الكتاب سنة ٨٦٨ ﻫ . وفى الجهة اليسرى خط العلامة المؤرخ عماد الدين ابن كثير الدمشقى ونصه : «أنهاه مطالعة من أوله إلى هذا المجلد وعلق منه داعيا لمؤلفه شيخنا الإمام العلامة الحافظ

---

(١) وبذلك يشير الصفدى أيضاً إلى قراءته المغازى وهى بين ١ – ١١ ﻫ (وانظر الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣) .

مؤرخ الإسلام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبى أثابه الله وجزاه خيرا . وكتب إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعى ـ عفا الله الكريم عنه بمنه آمين » .

ونص الذهبى فى آخر هذا المجلد على انتهاء الكتاب وتاريخه ، فقال : « هذا آخر ماقضى الله لى تأليفه من كتاب تاريخ الإسلام والحمد لله على الإتمام والصلاة على نبينا محمــــد وآله والسلام . فرغت منه فى جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة . قاله محمد بن أحمد بن عثمان » .

ويقع هذا المجلد فى (٣٤٥) ورقة . وقد تناول فيه الحوادث والوفيات للفترة من سنة ٦٧١ ﻫ إلى سنة ٧٠٠ ﻫ وهى الطبقات من الثامنة والستين إلى السبعين وكان يذكر وفيات الطبقة حسب السنين ثم يذكر حوادثها بعد ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلفيقنــا لهذه النسخة لايعنى مطلقا عدم إفادتنا من النسخ الأخرى ؛ فقـــد أعانتنا النسخ الأخرى على ترسم خطوات المؤلف فى تأليف كتابه حينما قارنا بينها ، ثم كنا نرجع إلى النسخ الأخرى حينما يشكل علينا شىء من نسختنا الملفقة : فى قراءة ، أو سقط ، أو نحوهما .

ثالثا : تحليل موارد البحث :

لما كان بحثنـــا يتكون من بابين أولهما عن الذهبي وثانيهما عن منهجه فى كتابه « تاريخ الإسلام » ، وبالنظر لاختلاف موارد البابين فقد وجدنا من الأفضل أن نبحث موارد كل باب على حدة ، وإن كنا لم نعـــدم الإفادة من موارد الباب الأول فى دراسة الباب الثانى .

١ – موارد الباب الأول :

تناول الذهبي جملة كبيرة من المؤرخين فترجموا له تراجم تختلف طولا وقصرا ، وتتباين فى نوعية المعلومات التى تقدمها استنادا إلى اختلاف مشاربهم وتنوع ثقافاتهم واهتماماتهم وأمزجتهم . ونجـــد بينهم رفاقا له فى طلب العلم وتلامذة ، وتلامذة لتلامذته وهلم جرا إلى أزمنة متأخرة .

وقد ترجم له من معاصريه رفيقه علم الدين البرزالى[١] « ت ٧٣٩ هـ » ، وابن الوردى[٢] « ت ٧٤٩ هـ » ، والصفدى[٣] « ت ٧٦٤ هـ » وابن شاكر الكتبى[٤] « ت ٧٦٤ هـ » ، وشمس الدين الحسينى[٥] « ت ٧٦٥هـ »، والإسنوى

(١) فى معجم شيوخه . وهذا المعجم فى عداد المفقودات فى عالم المخطوطات العربية لكن ترجمة الذهبي فيه منقولة فى كتاب« رونق الألفاظ» لسبط ابن حجر ، و«المنهل الصافى » لابن تغرى بردى وغيرهما .

(٢) تتمة المختصر ، ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣ – ١٦٨ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤١ – ٢٤٤

(٤) فوات الوفيات :ج٢ ص ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦ – ٨٨ (كيمبرج ٢٩٢٣

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٤ – ٣٨ ، والذيل على العبر ، ص ٢٦٧ – ٢٦٩

« ت ٧٧٤ هـ »[١] ، والسبكى[٢] « ت ٧٧١ هـ » ، وبـدر الدين[٣] النابلسى « ت ٧٧٢ هـ » وابن كثير[٤] « ت ٧٧٤ هـ » ، وابن رافـع السلامى[٥] « ت ٧٧٤ هـ » ، وبدر الدين الزركشى[٦] « ت ٧٩٤ هـ » .

وليس فى هذه التراجم من اختلاف كبير، إلا أن ترجمتى الصفدى والسبكى كانتا من أكثر التراجم فائدة لنا ؛ فقد قدم لنا الصفدى رأيه الشخصى فى تقويم الذهبى وتخلصه من الجمود ، ونقل تقويما لكمال الدين ابن الزملكانى « ت ٧٢٧ هـ » لكتابه « تاريخ الإسلام » بعد أن أنهاه مطالعة . كما أشار فى مقدمة كتابه « الوافى » إلى أن عمدته فى تأليف كتابه كان على كتاب « تاريخ الإسلام » « للذهبى[٧] » . أما السبكى فإنه الوحيد الذى انتقد الذهبى فى كتابه « تاريخ الإسلام » انتقاداً مراً ، كما نقل نقدا لتلميذه صلاح الدين

---

(١) طبقات الشافعية ، ج ١ ص ٥٥٨ – ٥٥٩ (ط . الجبورى) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٩ ص ١٠٠ – ١١٦ (من الطبعة الجديدة بعناية صديقينا العالمين الطناحى والحلو) ، وطبقات الشافعية الوسطى (دار الكتب ٥٥٤ تاريخ) وفيها زيادات عما فى الطبقات الكبرى ، ومعيد النعم ، ص ٨٤ ، ٨٧ ، ومعجم الشيوخ (التيمورية ١٤٤٦ تاريخ) .

(٣) معجم الشيوخ، ولم أقف عليه، وقد وقف عليه ابن حجر بخطه (الدرر ، ج ٢ ص ١٢٢) ونقل ترجمة الذهبى منه (الدرر، ج ٣ ص ٤٢٧) ، وكان الذهبى قد ذكره فى معجمه المختص فى حرف النون .

(٤) البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٢٥ ، وطبقات الشافعية (نسخة الرباط ٢١٩ ك) .

(٥) كتاب الوفيات (وفيات ٧٤٨ دار الكتب ١٢٦ م تاريخ) ، ومعجم شيوخه الذى لم يصل إلينا ، إلا أن سبط ابن حجر نقل ترجمة الذهبى منه فى كتابه « رونق الألفاظ » .

(٦) عقود الجمان ، الورقة ٧٩ (نسخة مكتبة فاتح باستانبول رقم ٢٤٣٥) .

(٧) الوافى ، ج ١ ص ٥٠ – ٥١

خليل بن كيكلدى العلائى « ت ٧٦١ هـ » . وأشار إلى العلاقة التى تربط بين كل من المزى والبرزالى وابن تيمية والذهبى وميلهم إلى آراء الحنابلة . وقدم السبكى فى كل الذى كتبه تقويما أشعرياً للذهبى .

أما الذين ترجموا له بعد عصره فهم : ابن دقماق[١] « ت ٨٠٩ » وابن الجزرى[٢] « ت ٨٣٣ هـ » ، وابن ناصر الدين الدمشقى[٣] « ت ٨٤٢ هـ » ، وابن قاضى شهبة[٤] « ت ٨٥١ هـ » ، وابن حجر العسقلانى[٥] « ٨٥٢ هـ » ، وبدر الدين العينى[٦] « ت ٨٥٥ هـ » وابن تغرى بردى[٧] « ت ٨٧٤ هـ » ، وسبط ابن حجر[٨] « ٨٩٩ هـ » ، والسخاوى[٩] « ت ٩٠٢ هـ » ، ويوسف

(١) ترجمان الزمان ، الورقة ٩٨ ـ ٩٩ (أحمد الثالث ٢٩٢٧) .

(٢) غاية النهاية ، ج ٢ ص ٧١

(٣) التبيان ، الورقة ١٦٦ (مصورة الحاج صبحى) ، ومقدمة توضيح المشتبه (نسخة سوهاج ومنها مصورة بدار الكتب رقم ٢٣٢٩١)، والرد الوافر، ص ٣١ـ٣٦.

(٤) طبقات الشافعية ، الورقة ٨٥ (دار الكتب ١٥٦٨ تاريخ = الورقة ١٠٤ـ ١٠٥ أحمد الثالث ٢٨٣٦)، والإعلان بتاريخ أهل الإسلام ، م ١ الورقة ٩٠ (باريس ١٣٩٨ عربى) .

(٥) الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

(٦) عقد الجمان ، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١) .

(٧) المنهل الصافى ، الورقة ٦٩ ـ ٧٢ (أحمد الثالث ٣٠١٨) ، والنجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، والدليل الشافى ، الورقة ٩٦ (نسخة مكتبة قره چلبى باستانبول رقم ٢٦٦) .

(٨) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ ـ ١٨٣ (مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٨٧ تاريخ) .

(٩) وجيز الكلام ، الورقة ٧ (نسخة كوبرلى ١١٨٩) والإعلان (فى غير موضع منه فراجع فهرسته) .

ابن عبد الهادى[1] « ت ٩٠٩ هـ » ، والسيوطى[2] « ت ٩١١ هـ » ، وابن والنعيمى[3] « ت ٩٢٧ هـ » وابن الحريرى[4] « ت بعـد ٩٢٦ هـ » وابن طولون[5] « ت ٩٥٣هـ » ، وطاش كبرى زادة[6] «ت ٩٦٧هـ » ، وابن هداية الله المصنف[7] « ت ١٠١٤ هـ » وابن العماد الحنبلى[8] « تَ ١٠٨٩ هـ » ، والبغدادى[9] «ت١٠٩٣هـ » ، والشوكانى[10] « ت ١٢٥٠هـ »،والقنوجى[11] « ت ١٣٠٧ هـ » والـكتانى[12] .

وتقدم تراجم المتأخرين نقولا جيدة عن بعض معاصريه مما لم يصل إلينا . ونحن نعلم أن الذهبي خلف عدداً كبيراً من التلاميذ النجب من متعينى رواة القرن الثامن الهجرى،وكان لـكثير من هؤلاء مشيخات أو معجمات لشيوخهم[13]

(١) معجم الشافعية ، الورقة ٢٥ – ٢٦ (ظاهرية ٤٥٥١ عام) .

(٢) طبقات الحفاظ ، الورقة ٨٤ – ٨٥ (نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٨٢٣ ب) .

(٣) تنبيه الدارس ، ج ١ ص ٧٨ وراجع فهرس الجزء الثانى أيضاً .

(٤) منتخب الزمان ، الورقة ٢٠٧ – ٢٠٨ (مصورة التيمورية ٢٤٠٥) .

(٥) القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية ، ص ٣٢٨ (دمشق ١٩٤٩) .

(٦) مفتاح السعادة ، ج ١ ص ٢٦١ ، ج ٢ ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

(٧) طبقات الشافعية ، ص ٢٣٢ (بيروت ١٩٧١) .

(٨) شذرات الذهب ، ج ٦ ص ١٥٣ .

(٩) تراجم العلماء ، الورقة ٦٩ – ٧٠ (رئيس الـكتاب باستانبول ، رقم ٦٢٧) .

(١٠) البدر الطالع ، ج ٢ ص ١١٠ – ١١٢ .

(١١) التاج المـكلل ، ص ٤١١ – ٤١٢ .

(١٢) فهرس الفهارس ، ج ١ ص ٣١٢ – ٣١٤ (فاس ١٣٤٦ هـ) .

(١٣) كان القرن الثامن مشحونا بكثرة المشيخات ، يعرف ذلك من يقرأ كتاب الدرر لابن حجر وغيره من الـكتب المؤلفة فى رجال هذه الفترة . وانظر أيضا : السخاوى: الإعلان ص ٦٠٥ فما بعد، والذهبي: معجم الشيوخ، م ١ الورقة ١١، ١٨، =

فكانت هذه المادة هى المعين لما كتبه المتأخرون عن الذهبى . إضافة إلى أن هذه التراجم تمثل رأى أجيال العلماء فى الذهبى وتقدير علمه وكتبه .

على أن هذه التراجم كانت متفاوتة فى قيمتها ، فقد نقلها قسم منهم عن المتقدمين المعروفين لنا فلم نفد منها كثيراً . أما القسم الآخر فكان مفيدا ؛ فقد كان ابن الجزرى هو الوحيد الذى ترجم للذهبى باعتباره أستاذاً فى القراءات وأشار إلى أنه سلخ كتابه « طبقات القراء » وأدخله فى كتابه «غاية النهاية». أما ابن ناصر الدين وابن قاضى شهبة وابن حجر فهم من الذين اتصلوا بكتب الذهبى ؛ فقد شرح ابن ناصر الدين كتاب « المشتبه » للذهبى ، ونظم كتابه « تذكرة الحفاظ » . ولخص ابن قاضى شهبة « تاريخ الإسلام » . وكان لابن حجر اتصال قوى بكثير من مؤلفات الذهبى ، وهو من أعظم النقاد فى القرن التاسع الهجرى ، ولذلك فإن رأيه فى الذهبى له قيمته العلمية،أما ابن تغرى بردى وسبط ابن حجر فهما أكثر من عنى بذكر مؤلفات الذهبى وآثاره ؛ ففى الوقت الذى ذكر فيه السبكى (٢٤) مؤلفا ، والصفدى (٣٨) مؤلفا ، وهما من أكثر الناس اتصالا به ذكر لنا ابن تغرى بردى وسبط ابن حجر قرابة المئة أثر بين مختصر وتأليف وتخريج . أما كتاب « الإعلان » للسخاوى فقد كان من أحسن المصادر المتأخرة ، وقد انفرد بعدة أمور لم نجدها فى غيره من الكتب ، فهو الوحيد الذى نقل إلينا خطة الذهبى لتاريخه « المحيط » الذى لم يؤلفه وقد أفادتنا هذه الخطة كثيراً فى تفهم مفهوم التاريخ عند الذهبى ومدى

= ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، م ٢ ورقة ١ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٠٠ .

التصاقه بالتراجم ، بل إن السخاوى بنى أصل كتابه على خطة الذهبى هذه بعد أن أضاف إليها . وقد أشار السخاوى إلى نقد السبكى وابن المرابط للذهبى ونقل أقوالها ورد عليها وفندها ونقل آراء العلماء فيهـا ، كما شاهد خط ابن بصخان المقرىء على الصفحة التى ترجم له الذهبى فيها وكيف أقـذع فى الكلام على الذهبى بسبب كلام الذهبى فيه . وقد انفرد السخاوى بذكر بعض آثار الذهبى ، بل نقل كتيبا صغيراً له فى كتابه هو « الأمصار ذوات الآثار » ، وهو الوحيد الذى أشار إلى رسالة الذهبى إلى ابن تيمية مما وثق نسبتها إليه لا سيما وقد شك فيها غير واحد، ثم قدم لنا السخاوى تقويما لكتب الذهبى فى نهاية القرن الثامن الهجرى . والسخاوى بعد ذلك من كبار علماء التاريخ امتاز بمنهج على درجة كبيرة من الرقى فأقواله لها قيمتها .

وكتب عن الذهبى من المحدثين العرب حسام الدين القدسى(١)، والأستاذ سعيد الأفغانى(٢)، ومصطفى جواد(٣)، ومحمد بن شنب(٤)، والدكتور صلاح الدين المنجد(٥) وغيرهم(٦). وكتب عنه من المستشرقين: شبيز(٧)، وبروكلمان(٨) وسوموجى(٩).

---

(١) مقدمة الجزء الأول من تاريخ الإسلام ، ج ١ ص ٣ — ١٢

(٢) مقدمة سيرة ابن حزم (مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، م ١٦ ج ٩ ص ٣٨٧ — ٣٩٨) . (٣) مقدمة المختصر المحتاج إليه ، ج ١ ص ٤ — ١٦ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « الذهبى » من الترجمة العربية .

(٥) مقدمة سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١١ — ٣٥ .

(٦) كتب معظم محقق وناشرى كتب الذهبى ترجمة لحياته فى مقدمات هذه الكتب وليس فيها جديد .

(٧) Spies , O . : Beitrage zur arabaischen , Leteraturgeschichte 112 (Leipziq 1932) .

(٨) Brockelmann , D . : Geschichte der Arabischen , Leteratur , Band 2 P . 57 – 60

(٩) Somogyi : Dhahabi , in , Ency . of Islam (New ed .)

وليس فى هذه الكتابات الحديثة أكثر من تلخيص لما هو شائع فى المصادر ، إلا أن ما كتبه الدكتور المنجد يعد جيدا بسبب اعتماده على معجم شيوخ الذهبى وإن كان فيما كتبه بعض الأوهام ، وقد أفدنا منها . وكتبت أنا سيرة موجزة لحياته فى مقدمة كتابه « أهل المئة فصاعدا »(١)، وفيها بعض الأوهام أيضا .

وقد عنينا العناية التامة بمؤلفات الذهبى ، لإيماننا بأن من أكثر الينابيع صفاء وأعلاها ثقة فى تدوين سير العلماء هو دراسة ما خلفه صاحب السيرة من تراث كتابى ، لا سيما إذا كان العالم ظاهر الشخصية فى كتبه من جهة ، وإذا كان قد تناول عصره الذى عاش فيه وشاهده من جهة أخرى . ومن هنا كان استيعابنا لمؤلفات الذهبى على غاية من الأهمية فى استنباط أحداث سيرته العلمية؛ وآية ذلك أن الذهبى ترك لنا ثروة ضخمة من الكتابات . وقد ظهرت شخصيته على أشدها فى الأقسام الأخيرة من كتبه ، وبخاصة تاريخ الإسلام ، وتذكرة الحفاظ ، وسير أعلام النبلاء ، ومعرفة القراء الكبار وغيرها . يضاف إلى أن ما وصل إلينا من كتابات للذهبى فى الحديث والتاريخ والعقائد ، يوضح جوانب غير معروفة من سيرته ، فكان أن جمعنا ما تناثر منها فى ثنايا كتبه من نصوص أفادتنا فى دراسة سيرته مدققين تلك النصوص ومقارنين إياها بما حفظته لنا كتب التراجم على مر العصور .

فضلا عن أن الإمام الذهبى ترك لنا ثلاثة معجمات لشيوخه : المعجم الكبير ، والمعجم الأوسط ، والمعجم الصغير، وقد وصل إلينا معجمه الكبير(٢)

---

(١) مجلة المورد ، العدد الرابع من المجلد الثانى ، ص ١٠٧ — ١١٣ .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم (٦٥ حديث) وصورت لنفسى نسخة منه .

ومعجمه الصغير[١] .

ومعلوم أن أى معجم للشيوخ يمثل فى حقيقته سجلا أمينا لتطور سيرة صاحبه العلمية ، وقائمة بشيوخه الذين كان على اتصال وثيق بهم بحكم رؤيته لهم واتصاله بهـــم وتتلمذه عليهم ، ومن ثم فإن دراسته تؤدى بالباحث إلى تلمس الطريق الذى اتخذته دراساته ولقاؤه المشايخ وما أخـــذ عنهم ، وأسماء الـكتب والأجزاء التى سمعها منهم مما يشير إلى نوعية اهتمامه واتجاهاته العلمية ، ولذلك فإنها تعد من أنفس المصادر والمنابع التى يستقى منها الباحثون الـكاتبون فى سير العلماء ، فضلا عن أنها تـكون المادة الرئيسة لمؤلفى كتب التراجم والرجال خاصة أولئك الذين لم يدركوا عصر المؤلف ، وإن لم يشيروا إلى ذلك دائما[٢] .

وقد عنيت عناية كبيرة بمعجمه الـكبير ودرسته بإمعان وروية ، وتحصلت لدى منه نسختان : نقلت الأولى من نسخة بخط المؤلف[٣] . أما النسخة الثانية

---

(١) منه نسخة بدار الـكتب الظاهرية برقم (١٢ مجموع) ، وعند الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة منه أعارنيها ـ حفظه الله ـ ويسمى « المعجم اللطيف » أيضا وهو من تخريج الذهبي نفسه .

(٢) انظر بحثنا : « معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى » مجلة الأقلام البغدادية ج ٧ السنة الخامسة (١٩٦٩) ص ٦١ فما بعد ، ودراستنا عن ابن الدبيثى فى المجلة التاريخية (العدد الثالث ص ١١ ـ ١٢) ، ومقدمتنا لـ « مشيخة النعال البغدادى » ص٥ فما بعد (مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد ١٩٧٥م بالاشتراك مع الدكتور ناجى معروف). وقد ذكر السخاوى فى الجواهر والدرر أن الذهبي ألف سيرة لنفسه (ص ٧٤٦) ولـكنها لم تصل إلينا .

(٣) نسخة أحمد الثالث (رقم ٤٦٢) وهى فى (٢٢٧) ورقة ، وجاء فى آخرها أن عدد التراجم فى سنة ٧٣٨ هـ (١٢٧٨) ترجمة ، وذكر أن المؤلف أنهى كتابه المعجم فى أول صفر سنة ٧٢٧ هـ ، وهى فى مجلدين ، يبدأ الأول بحرف الألف وينتهى فى أثناء حرف العين ، ويبدأ المجلد الثانى بمن اسمه « على» من حرف العين، وينتهى بنهاية الـكتاب.

فقد قرئت على المؤلف سنة ٧٤٥ هـ ، وهى تمثل آخر نشرة له ، فقد جاء فى آخر المجلد الثانى من هذه النسخة سماع صاحبها عبد الله [١] بن أحمـــد بن يوسف الزرندى على مؤلفه ومخرجه « الحجة شيخ الإسلام شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الذهبى ـ أبقاه الله ـ فى مجالس آخرها يوم السبت رابع عشرين شهر رمضان المعظم من سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وقوبل بأصل المخرج وأشار بإسقاط جماعة من المكتوبين على حواشى الأصل من أصحاب ابن البخارى [٢] فلم يكتبوا هنا وما عليه مكتوب فى الحواشى بخطى وأصله بيد « عمى » . وقد أشار عبد الله الزرندى ، سامع النسخة ، فى حواشيها ، وبخطه ، إلى مقابلته بالأصل وقراءته على المؤلف فى غير موضع منها [٣] . ومع أن الذهبى كان قد كتب معجمه وخرجه منذ فترة مبكرة ، لكنه بقى يزيد ويحذف ويصحح ويعلق ويدقق حتى سنة ٧٤٥ هـ [٤] . وقد ظلت بعض الإضافات والإشارات التى تدل على نشر الكتاب أكثر من مرة واضحة فى أصل النسخة التى قوبلت على

---

(١) جلال الدين عبد الله بن أحمد بن يوسف الزرندى المدنى ، ولد سنة ٧٢٠ هـ ومات شابا فى شعبان سنة ٧٤٩ هـ (ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ٣٥٢) .

(٢) هو الإمام فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى المعروف بابن البخارى « ٥٩٥ — ٦٩٠هـ » صاحب المشيخة المشهورة التى سمعها الخلق المعظم ، وفى خزانة كتبى نسخة مصورة منها عن نسخة المكتبة الأحمدية بحلب ذات الرقم ٢٦١ .

(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٦ ، م ٢ ورقة ١٠ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٨٠ .

(٤) جاء فى آخر النسخة من معجم الشيوخ : « تم الكتاب بحمد الله وعونه فى ضاحى نهار الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى مغفرته حسين بن محمد سبط الشيخ محمد بن سعد الكاتب ـ رحمه الله » . (م ٢ ورقة ١٠٠) .

المؤلف ، مثال ذلك قوله : « والله يمـــد فى عمره . توفى ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة » [١] . وقوله فى ترجمة شيخه ورفيقه علم الدين البرزالى : « فالله يلهمه رشده ويمد فى عمره » ثم يقول فى آخر الترجمة : « توفى بخليص فى ثالث ذى الحجة سنـــة تسع وثلاثين [٢] » ، وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أحمد بن تمام التلى الصالحى الخياط : «فالله يبارك فى عمره... توفى فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مئة[٣]» . ومع أن الـكتب التى ترجمت له ذكرت أن هذا المعجم حوى نحـــواً من ألف وثلاث مئة ترجمة [٤] . إلا أننى أحصيت مافى هذه النسخة الأخيرة فكان فيها قرابة ألف وخمس وثلاثين ترجمة[٥]، وقد انخفض العدد بسبب إشارة المؤلف إلى إسقاط جماعة من المـكتوبين على حواشى الأصل من أصحاب ابن البخارى [٦] .

اشتمل معجم الذهبى الـكبير على شيوخه بالسماع والإجازة مخلوطين إلا أنه لم يستوعبهم ، وخاصة شيوخه بالإجازة ، إذ ربمـــا أجاز له الرجل ولم يشعر به

---

(١) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٢٨

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ ورقة ٢٥

(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، ٢ ورقة ٣١

(٤) انظر مثلا : الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ابن ناصر الدين : بديعة الزمان ، ورقة ١٦٦ ، العينى : عقد الجمان ، ورقة ٣٧

(٥) بينهم ١٠٥ من النساء . وقد احتوى المجلد الأول على ٤٩٧ شيخا بينهم ٧٠ امرأة واحتوى المجلد الثانى على ٥٣٨ شيخا بينهم ٢٥ امرأة . علما أن نسخة استانبول (المنقولة عن نسخة المؤلف الموجودة سنة ٧٢٧ هـ) قد حوت ١٢٧٨ ترجمة كما أشرنا سابقا، ويبدو أن مؤلفى سيرته قصدوا هذا الرقم فهو قريب إلى ماذكروا .

(٦) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ ورقة ١٠١

بخلاف من سمع منه فإنه يعرفه معرفة جيدة بسبب اللقيا . واعتذر الذهبي عن الجمع بين الشيوخ بالسماع والإجازة بأنه وجد الحافظ الكبير أبا القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ قد خلطهم أيضا[١] . وكتب الذهبي معجمه هذا على حروف المعجم في الأسماء والآباء والأجداد ، وابتدأ بالأحمدين في حرف الألف تكريما لاسم النبي – صلى الله عليه وسلم[٢] – وعمل إحالات للأسماء والنسب المشهورة[٣] ، وتناول فيه اسم المترجم وشيئا من سيرته الحياتية والعلمية ، وأورد بعد ذلك حديثا أو رواية عنه بسنده ، وتكلم على الأحاديث وخرجها ، كما أورد بعض الكتب والأجزاء التي سمعها منه .

أما الفصل الخاص بمؤلفات الذهبي من هذا الباب فقد رجعنا فيه إلى الكتب التي ترجمت له ، وإلى الكتب التي عنيت بذكر المؤلفات العربية قديما[٤] ، وحديثا[٥] ، فضلا عن قيامنا بتصيد الإشارات العديدة في كتبه الموجودة عن مؤلفاته وتخاريجه ومختصراته وتعاليقه .

على أن الأساس في مثل هذا البحث يعتمد كثيرا على خبرة الباحث ومعرفته بالمؤلفات العربية مطبوعها ومخطوطها . إذ أن ما ذكرته أولا لا يمكن أن يسد

---

(١) انظر مقدمه المعجم (م ١ ورقة ١) وراجع عن تنظيم معجمات الشيوخ وترتيبها مقدمة كتاب « مشيخة النعال البغدادي » ص ١٦ فما بعد .

(٢) م ١ ورقة ٢ لكنه لم يبدأ بالمحمدين في حرف الميم (م ٢ ورقة ٢٨) .

(٣) انظر مثلا م ١ ورقة ٣٩

(٤) منها مثلا كتاب « الإعلان بالتوبيخ » لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ و « كشف الظنون » لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، ومنها أيضا : « إيضاح المكنون » لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ .

(٥) منها « تاريخ التراث العربي » لبروكلمان (بالألمانية) و « معجم المطبوعات » ليعقوب سركيس ، وفهارس الكتب المتعددة لخزائن الكتب ودورها في أنحاء العالم .

النقص فى مثل هذا البحث مالم تعضده خبرة الباحث . وقد حاولت جاهدا أن أطلع على مؤلفات الذهبى وأقتنى نسخا منها سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، مستعينا بالخبرة القليلة التى تحصلت لى فى هذا الفن من فنون التاريخ ـ بحمد الله ومنه ـ . أما مالم أستطع الوقوف عليه ، لأسباب خارجة عن طاقتى ، فقد أشرت إلى مظانه ونبهت إلى عدم اطلاعى عليه .

ولما كنت قد عنيت بذكر أهمية بعض كتب الذهبى الرئيسة فقد صارلز اماً على أن أتتبع أثر هذه المؤلفات فى المؤلفات الأخرى التى تناولت موضوعها بعدها، ثم رجعت إلى عدد كبير منها دارسا ومتتبعا أثر الذهبى فيها ، لاسيما من نقل عن كتاب « تاريخ الإسلام » .

٢ ـ موارد الباب الثانى :

لما كان هذا الباب مخصصا لدراسة منهج الذهبى فى كتابه « تاريخ الإسلام » فقد كان هذا التاريخ هو عمدتنا فى هذه الدراسة . وبالنظر لكون الكتاب مازال مخطوطا لم يطبع منه إلا جزء يسير جدا ، فقد اعتمدت فى هذه الدراسة على النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة كتبى والتى وصفتها قبل قليل .

ولما كنا قد عنينا فى هذا القسم من الدراسة بمقارنة منهج الذهبى بالكتب التى من بابته ممن سبقوه أو جاءوا بعده ، فقد وجب علينا الرجوع إليها ، فحاولنا التعرف على مناهج كتب الحوليات التى عنيت بالحوادث بصفة خاصة مثل كتاب « التاريخ » لخليفة بن خياط « ت ٢٤٠ هـ » و « تاريخ الطبرى » « ت ٣١٠ هـ » أو تلك التى عنيت بذكر الحوادث والتراجم وأعطت أهمية للتراجم مثل كتاب « المنتظم » لابن الجوزى « ت ٥٩٧ هـ » وكتاب « مرآة الزمان » لسبطه « ت ٦٥٤ هـ » والذيل عليه لليونينى « ت ٧٢٦ هـ » و « عقد

الجمان » للعيني « ت ٨٥٥ هـ » ونحوها . كما عنينا بالاطلاع على الكتب التراجمية حينما بحثنا عن منهجه في التراجم مثل « تاريخ بغداد » للخطيب « ت ٤٦٣ هـ » و « تاريخ ابن الدبيثي » « ت ٦٣٧هـ » و « التكملة » للمنذري « ت ٦٥٦ هـ » و « صلة التكملة » للحسيني « ت ٦٩٥ هـ » ونحوها .

إن اهتمام هذه الدراسة بمنهج الذهبي في الموارد وطرائق النقل منها قد اضطرنا إلى الرجوع إلى عشرات المؤلفات التي نقل منها سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة بغية الوقوف على مدى إفادة الذهبي منها ، وما هو منهجه في النقل عنها ابتداء بالمغازي وانتهاء بالكتب المتأخرة .

وعلى الرغم من عدم توافر دراسة مسهبة سابقة في « المنهج » عن أحد الكتب التاريخية كالتي قمت بها ، فإنه لابد لي من الإشارة إلى إفادتي الكبيرة مما تحقق من الدراسات عن بعض المصادر الإسلامية التي قام بها جماعة من الأساتذة أخص منهم بالذكر الدكاترة : صالح أحمد العلي[1] وعبد العزيز الدوري[2]، وفرانتس روزنتال[3]. وبالدراسات التي قام بها زميلي

---

(١) من ذلك بحوثه عن : « المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز » (مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي عشر) و « مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية » (المجلة السابقة ، العدد الرابع عشر) و « مصادر دراسة الكوفة في القرون الإسلامية الأولى » (المجلة السابقة ، العدد الرابع والعشرون) ، وغيرها .

(٢) من أبرزها كتابه القيم « بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب » (بيروت ١٩٦٠) .

(٣) من أبرزها كتابه القيم عن « علم التاريخ عند المسلمين » الذي ترجمه الدكتور صالح العلي (بغداد ١٩٦٣) وكتابه عن « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » الذي ترجمه الدكتور أنيس فريحة (بيروت ١٩٦١) .

وصديقى الدكتور أكرم العمرى[١] . كما أعانتنى دراساتى السابقة العديدة فى مثل هذه الموضوعات[٢] على تفهم كثير من المشاكل التى واجهتنى فى هـــذا البحث .

وبعـــد :

فإن البحث لم يكن سهلا ميسورا ؛ فالذهبى الذى خصصنا له هذه الدراسة كان واحدا من أغزر العلماء إنتاجا ، وقد وصل إلينا من إنتاجه الشىء الكثير لم يزل جـــله مخطوطا ، فكان علينا أن نقف عليه وندرسه بروية وإمعان ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . وهو بعد ذلك عالم احتل مكانة مرموقة بين علماء عصره والذين جاءوا بعده ، وانتشرت كتبه فى الآفاق وتناولها العلماء درسا وتمحيصا لها ، وتعقيبا وتذييلا عليها ، ثم مدحا له أو قدحا به ، فكان لا بد من

(١) منها كتابه « بحوث فى تاريخ السنة المشرفة » (ط ٢ بغداد ١٩٧٢) وبحثه : « نفطويه النحوى ودوره فى الكتابة والتاريخ » (مجلة كلية الآداب ، سنة ١٩٧٢) ، و« نظرة فى مصادر ودراسة السيرة النبوية» (مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، ١٩٧٠) ودراسته النفيسة عن « موارد الخطيب فى تاريخ بغداد » (رسالة دكتوراه من القاهرة ١٩٧٤ وطبعت أخيراً فى دمشق) وغيرها .

(٢) منها : « مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين » (مجلة الأقلام، العدد الخامس من السنة الأولى ، بغداد ١٩٦٥) و « أثر الحديث فى نشأة علم التاريخ عند المسلمين » (بغداد ١٩٦٦) و « كتب الوفيات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى» (مجلة كلية الدراسات ، العدد الثانى ١٩٦٨) و « معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى » (مجلة الأقلام ، العدد السابع من السنة الخامسة بغداد ١٩٦٩) و « أصالة الفكر التاريخى عند العرب » (بغداد ١٩٧٤) و «ابن الدبيثى» (المجلة التاريخية ، العدد الثانى ، بغداد ١٩٧٤) ، و«تواريخ بغداد التراجمية» (بغداد ١٩٧٤) و« تاريخ بغداد لابن الدبيثى: منهجه ، موارده ، أهميته » (بغداد ١٩٧٤) وكتاب « المنذرى وكتابه التكملة لوفيات النقلة » (النجف ١٩٦٨) ، وغيرها .

تتبع كل ذلك بغية تقويمه بما يستأهله من المكانة بين أهـــل فنه . أما كتابه « تاريخ الإسلام » فإن أكثره لم يزل مخطوطا مبعثرا فى خزائن الكتب بالخافقين شرقا وغربا ولم يكن الحصول على نسخة كاملة منه تعتمد فى مثل هذه الدراسة الأكاديمية من الأمور الهينة أبدا . وهو فوق كل ذلك كتاب عظيم الضخامة ؛ إذ لو طبع على الطريقة الحديثة لجاء فى نحو سبعين مجلداً ، تناول فيه نطاقا زمانيا امتد سبعة قرون من تاريخ الإسلام الحافل ، ونطاقا مكانيا شمل جميع العالم الإسلامى اعتمد فيه مؤلفه أنواعاً متعددة من المـــوارد ، ومئات عديدة من المؤلفات السابقة . وعليه فإن قراءة الكتاب قراءة الدارسين بحاجة إلى وقت طويل وعزيمة أكيدة لا يقويها إلا حب البحث وعشقه .

ويعلم المعنيون بشؤون المخطوطات مدى الصعوبات التى تجابه الباحثين فى الحصول على نسخ مصورة منها لاسيما إذا كانت من ذوات المجلدات العديدة. ويعرف الذين عانوا قراءة المخطوطات المصورة ماذا يعنى إدمان النظر فيها على مدى أشهر طويلة وأثر ذلك فى نظر العين ، ناهيك عن الخطوط الرديئة التى كتبت بها معظم مخطوطاتنا .

ومع أن العراق يبذل جهوداً جدية فى محاولة جمع التراث العربى وإحيائه ، فإن ضخامة هذا التراث تتطلب جهوداً أكبر، ولولا خزانة شيخنا الحاج صبحى السامرائى وخزانة كتبى الخاصة ، وهما خزانتان عامرتان بمئات من نفائس المخطوطات التاريخية والتراجمية المصورة لما ظهر هذا البحث بمثل هذه الهيئة التى هى عليه .

والحق : أن هذا البحث لم يكن وليد السنيات القليلة التى قضيتها طالبا فى قسم الدكتوراه بكلية الآداب ، بل هو نتيجة ولع شديد بهذا الفن لازمنى منذ

اثنى عشر عاما عندما كنت طالبـــا فى قسم الماجستير بدائرة التاريخ والآثار بجامعة بغداد ، ثم معيداً بها ومدرساً وأستاذًا مساعدًا . وقد كنت طيلة تلك المدة على صلة بتاريخ الإسلام للذهبى أفيد منه فى بحوثى ولاسيما فى الكتب التى حققتها[1] فى هذه المدة، فقد كنت أجد فى مادته الضخمة ودقته وسعته خير مُعِين ومَعين فى المقارنة والمطابقة .

وأرى من الواجب علىّ أن أنوه بمن ساعد على إخراج هـــذه الدراسة وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور جعفر خصباك الذى تفضل فأشرف على هذا البحث . والأستاذ الدكتور ناجى معروف الذى قرأت عليه هذه الرسالة قبل طبعها . وأستاذى وصديقى الدكتور على الزُّبيدى لتقييمه هـــذا البحث بما يستأهله فى أثناء المناقشة، وزميلى وصديقى الدكتور أكرم العمرى للاحظاته القيمة ، وابن خالتى الخطاط الأستاذ وليـــد الأعظمى لتفضله بتزويق البحث بخطوطه الجميلة ، وصديقى الأستاذ الشيخ الأديب عبد الله شبانة لما بذله من جهد فى إتقان تصحيح هـــذا الكتاب عند طبعه . أما شيخنا الأستاذ العالم المحدث الحاج صبحى السامرائى فإنى أجد نفسى عاجزاً عن شكره ، فقد فتح لى خزانة كتبه العامرة بنفائس المخطوطات الرجالية ، ولم يألُ جهداً فى معاونتى

---

(١) مثل كتاب « التكملة لوفيات النقلة » للمنذرى (م ١ — ٤ ، النجف ١٩٦٨ فما بعد، م ٥ — ٦ القاهرة ١٩٧٥ — ١٩٧٦) ، وكتاب «الوفيات» لعبدالرحيم الحاجى (بغداد ١٩٦٦) ، وكتاب «أهل المئة فصاعدا» للذهبى (بغداد ١٩٧٣) ، وكتاب «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » لابن الدبيثى (بغداد ١٩٧٤) وكتاب « مشيخة النعال البغدادى » لمحمد بن الأنجب النعال (نشره المجمع العلمى العراقى فى بغداد ١٩٧٥) .

بكل ممكن ، وفضله ظاهر فى صفحات الرسالة . حفظهم الله جميعا ووفقهم لخدمة تراث هذه الأمة ؛ إنه سميع الدعاء ، إليه الرغباء وبيده النعماء .

كتبه

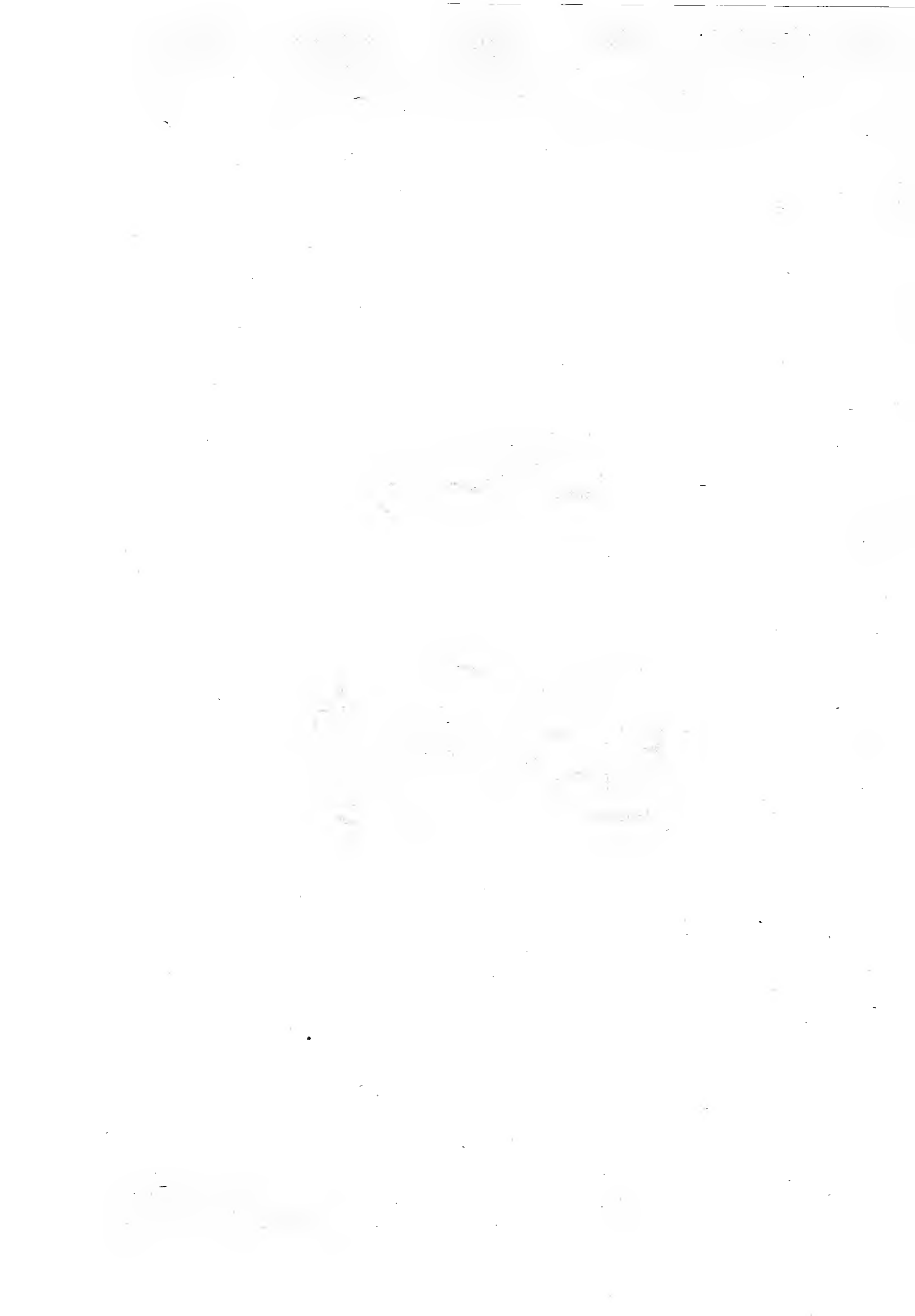
أفقر العباد بشار عواد ، الدكتور

الأعظمية : غرة ذى الحجة سنة ١٣٩٥ هـ

٣ من كانون الأول سنة ١٩٧٥ م

الباب الأول

الذهبي



الفصل الأول

حياة الذهبي ومكانته العلمية

أولا ـ بيئة الذهبي ونشأته :

قامت دولة المماليك البحرية على أنقاض الدولة الأيوبية بمصر والشام وتمكن المماليك أن يكونوا دولة قوية كان لهـــا أثر فى إيقاف التقدم المغولى وتصفية الإمارات الصليبية فى بلاد الشام[1] .

وكانت دمشق فى نهاية القرن السابع الهجرى ومطلع القرن الثامن قـــد أصبحت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة الفكرية ، فيها من المدارس العامرة ودور الحديث والقرآن العدد الكثير ، عمل على تعميرها حكامها وبعض المياسير من أهلها لاسيما منذ عهد نور الدين زنكى[2] وكانت العناية بالدراسات الدينية ، من تفسير وحديث وفقه وعقائد ، هى السمة البارزة لهذا العصر ، ولم يعد هناك اهتمام بدراسة العلوم الصرفة التى كانت قد أصبحت من « الصنائع المظلمة[3] » و « الهذيان[4] » ثم لاحظنا تبايناً شديداً فى قيمة الإنتاج الفكرى

---

(١) راجع عن عصر المماليك : الدكتور على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، ط ٢ (القاهرة ١٩٤٨) والدكتور سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، وغيرها . والكتاب الأخير أحسن ما كتب فى الموضوع .

(٢) يتضح ذلك من العدد الذى ذكره النعيمى فى كتابه « تنبيه الدارس » .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)

(٤) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ ، الورقة ٤

لهـــذه الفترة وأصالته ، فوجدنا الـكثير من المؤلفات الهزيلة التى لم تـكن غير تـكرار لما هو موجود فى بطون الـكتب السابقة ، ووجدنا القليل من المؤلفات التى امتازت بالأصالة والإبداع والمناهج العلمية المتميزة . وقد زاد من صعوبة الإبداع أن الواحد من العلماء كان يجد أمامه تراثا ضخماً فى الموضوع الذى يروم التأليف فيه ، وهو فى وضعه هذا يختلف عن المؤلفين الأولين الذين لم يجابهوا مثل هذا التراث .

وشهدت دمشق فى هذا العصر نزاعا مذهبياً وعقائديا حاداً ، كان الحـكام المماليك يتدخلون فيه فى كثير من الأحيان، فيناصرون فئة على أخرى [١] . وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عنوا عناية كبيرة بنشر مذهب الإمام الشافعى، فأسسوا المدارس الخاصة به وأوقفوا عليها الوقوف [٢] . وعنوا فى الوقت نفسه بنشر عقيدة الأشعرى واعتبروها السنة التي يجب اتباعها [٣] . لذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة فى مصر والشام . وقد أثر ذلك على المذاهب الأخرى فأصابها الوهن والضعف عدا الحنابلة الذين ظلوا على جانب كبير من القوة ، وكانت لهم فى دمشق مجموعة من دور الحديث والمدارس [٤] . وكان النزاع العقـــائدى بين الحنابلة والأشاعرة مضطرما، زاده اعتماد الحنابلة على النصوص فى دراسة العقائد واعتماد الأشاعرة على الاستدلال العقلى والبرهان المنطقى فى دراستها [٥] . وبقدر ما ولد

---

(١) ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩، وابن حجر : الدرر، ج ١ ص ٦١ وغيرها .

(٢) انظر التفاصيل فى كتابنا : المنذرى وكتابه التكملة ، ص ٣٨ فما بعد .

(٣) وكان صلاح الدين أشعريا متعصبا كما هو معروف من سيرته .

(٤) انظر النعيمى : تنبيه الدارس ج ٢ ص ٢٩ — ١٢٦

(٥) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٢٥

هذا التعصب من تمزق فى المجتمع فإنه ولد فى الوقت نفسه نشاطا علميا واضحا فى هذا المضمار تمثل فى الكتب الكثيرة التى وضعت فيه . كما ظهر تحيز واضح فى كثير من كتابات العصر .

وكان الجهل والاعتقاد بالخرافات والمغيبات منتشرا بين العوام فى المجتمع الدمشقى . وكان التصوف منتشرا فى أرجاء البلاد انتشارا واسعا وظهر بينهم كثير من المشعوذين الذين أثروا على العوام أيما تأثير ، بل عمل الحكام المماليك على الاهتمام بهم وكان لهم اعتقاد فيهم ، فكان للملك الظاهر بيبرس البندقدارى «ت ٦٧٦ هـ» شيخ اسمه الخضر بن أبى بكر بن موسى العدوى ، كان « صاحب حال ونفس مؤثرة وهمة إبليسية وحال كاهنى » ، وكان الظاهر يعظمه ويزوره أكثر من مرة فى الأسبوع ويطلعه على أسراره ويستصحبه فى أسفاره لاعتقاده التام به [1] . وانتشر تقديس الأشياخ والاعتقاد فيهم ، وطلب النذور عند قبورهم ، بل كانوا يسجدون لبعض تلك القبور ويطلبون المغفرة من أصحابها [2] .

فى هذه البيئة الفكرية والعقائدية المضطربة ولد مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبى فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣ [3] هـ . وكان من أسرة تركمانية الأصل ، تنتهى بالولاء إلى بنى تميم [4] ، سكنت مدينة ميافارقين من أشهر مدن ديار بكر [5] . ويبدو أن

(١) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٣٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) المصدر نفسه ، الورقة ٧٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٣) انظر مثلا : الذهبى : طبقات القراء ، ص ٥٤٩ ، الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٢ ، وذكر ابن حجر أن مولده فى الثالث من الشهر المذكور (الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦) .

(٤) كتب الذهبى بخطه على طرة المجلد التاسع عشر من تاريخ الإسلام (نسخة أيا صوفيا ٣٠١٢) « تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بنى تميم » .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٧٠٣ فما بعد .

جد أبيه قايماز قضى حياته فيها [١] ، وتوفى سنة ٦٦١ هـ وقد جاوز المئـــة ، قال الذهبي : « قايماز ابن الشيخ عبد الله التركانى الفارقى جد أبى . قال لى ابن عم والدى على بن فارس النجار : توفى جدنا عن مئة وتسع سنين . قلت : عمر وأضر بأخرة ، وتوفى سنة إحدى وستين وست مئة [٢] » ، وكان قد حج [٣] .

وكان جده فخر الدين أبو أحمد عثمان أميا لم يكن له حظ من علم ، قد اتخذ من النجارة صنعة له ، لـكنه كان « حسن اليقين بالله » [٤] . ويبدو أنه هو الذى قدم إلى دمشق واتخذها سكنا له ، وتوفى بعد ذلك بها سنة ٦٨٣هـ وهو فى عشر السبعين [٥] .

أما والده شهاب الدين أحمد فقد ولد سنة ٦٤١ هـ تقريبا ، وعدل عن صنعة أبيه إلى صنعة الذهب المدقوق ، فبرع بها وتميز ، وعرف بالذهبى ، وطلب العلم فسمع «صحيح البخارى» سنة ٦٦٦ هـ من المقداد القيسى، وحج فى أواخر عمره، وكان دينا يقوم من الليل [٦] . وقد يسرت له صنعته رخاء وغنى ، فأعتق من

---

(١) لم يذكر الذهبى فى نسبته أنه دمشقى ، بل قال : « الفارقى » ، مما يدل على أنه لم ينتقل إلى دمشق. وذكر الدكتور صلاح الدين المنجد فى مقدمة «سير أعلام النبلاء» أن قايماز هو الذى قدم دمشق وأشار إلى معجم الشيوخ، ولم نجد لذلك دليلا فى مصدره (ج ١ ص ١٥) وانظر معجم الشيوخ (م ١ الورقة ٨٩) .

(٢) الذهبى : أهل المئة فصاعدا ، ص ١٣٧ ، و معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٨٩ .

(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٨٩ .

(٤) الذهبى : معجم الشيوخ م ١ ورقة ٨٩ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الذهبى : تاريخ الإسلام (وفيات ٦٩٧) نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤ ، ومعجم الشيوخ ، م ١ ورقة ١٣ ، والصفدى : الوافى ، م ٧ ورقة ٨٦ .

ماله خمس رقاب[١] ، وتزوج من ابنة رجل موصلى الأصل هو علم الدين أبو بكر سنجر بن عبـــد الله عرف بغناه وكان « خيرا عاقلا مديراً للمناشير بديوان الجيش ... وخلف خمسة عشر ألفا »[٢] من الدنانير. وأحله علمه وغناه ومروءته مكانا جعلت خلقا من أهل دمشق يشيعونه يوم وفاته فى آخر جمـادى الأولى سنة ٦٩٧ ﻫ يؤمهم قاضى القضاة يومئذ عز الدين ابن جماعة الكنانى[٣] .

وعرف محمـــد بابن الذهبى ، نسبة إلى صنعة أبيه ، وكان هو يقيد اسمه «ابن الذهبى»[٤] . ويبدو أنه اتخذ صنعة أبيه مهنة له فى أول أمره لذلك عرف عند بعض معاصريه بـ «الذهبى» مثل الصلاح الصفدى[٥] وتاج الدين السبكى[٦] والحسينى[٧] وعماد الدين ابن كثير[٨] وغيرهم .

وعاش طفولته بين أكناف عائلة علمية متدينة ، فكانت مرضعته وعمته ست الأهل بنت عثمان ، الحاجة أم محمـــد ، قد حصلت على الإجازة من

---

(١) كان من بينهم فك أسر امرأتين من أسر الفرنجة من عكا (انظر المصادر فى الهامش السابق) .

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٥٥ وتوفى سنة ٦٨٦ .

(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ١٣ .

(٤) ونسبته بـ « ابن الذهبى » مقيدة بخطه فى معظم الكتب والطبقات التى بخطه مثل طبقة سماع كتاب أهل المئة فصاعدا (ص ١١١ بتحقيقنا) ، وطرر المجلدات التى وصلت بخطه من تاريخ الإسلام (نسخة أيا صوفيا) وطبقة سماع لكتاب «الكاشف» له (نسخة التيمورية رقم ١٩٣٦) وجاء فى أول معجم شيوخه : « أما بعد ، فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد . . . ابن الذهبى » .

(٥) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣ ونكت الهميان ، ص ٢٤١ .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ج ٩ ص ١٠٠ .

(٧) ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٤ .

(٨) البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٢٥

ابن أبي اليسر وجمال الدين بن مالك وزهير بن عمر الزرعي وجماعة آخرين ، وسمعت من عمر ابن القواس وغيره ، وروى الذهبي عنها[١] . وكان خاله على قد طلب العلم وروى عنه الذهبي في معجم شيوخه ، وقال : «على بن سنجر بن عبدالله الموصلي ثم الدمشقي الذهبي الحاج المبارك أبو اسماعيل خالي . مولده في سنة ثمان وخمسين وست مئة . وسمع بإفادة مؤدبه ابن الخباز من أبي بكر بن الأنماطي وبهاء الدين أيوب الحنفي وست العرب الكندية . وسمع معي ببعلبك من التاج عبد الخالق وجماعة . وكان ذا مروءة وكد على عيـــاله وخوف من الله . توفي في الثالث والعشرين من رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة[٢]» . وكان زوج خالته فاطمة ، أحمد بن عبد الغني بن عبد الكافي الأنصاري الذهبي المعروف بابن الحرستاني قد سمع الحديث ورواه ، وكان حافظا للقرآن الكريم كثير التلاوة له ، وتوفي بمصر سنة ٧٠٠[٣] هـ .

وطبيعي أن تعتني مثل هذه العائلة المتدينة التي كان لها حظ من العلم بأبنائها ، لذلك وجدنا أخاه من الرضاعة علاء الدين أبا الحسن على بن إبراهيم بن داود ابن العطار الشافعي : « ٦٥٤ ـ ٧٢٤ هـ[٤] » يسرع ويستجيز للذهبي جملة من

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٥٧ ، ولدت ست الأهل سنة ٦٥٣ هـ وتوفيت سنة ٧٢٩ هـ .

(٢) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ ورقة ٦ .

(٣) المصدر السابق ، م ١ ورقة ١٢ .

(٤) الذهبي : ذيل العبر ، ص ١٣٦ ، ومعجم الشيوخ ، م ٢ ورقة ١ ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١١٧ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٧٣ ـ ٧٤ ، النعيمي : تنبيه الدارس ، ج ١ ص ٦٨ ـ ٧٠ ، ٩٩ ، ١١٢ . ورأينا لأبي الحسن ابن العطار هذا رسالة في السماع في خزانة كتب جستربتي بدبلن ضمن مجموع برقم ٣٢٩٦ .

مشايخ عصره فى سنة مولده[١] منهم من دمشق : أحمد بن عبد القـــادر ، أبو العباس العامرى « ٦٠٩ ـ ٦٧٣ هـ[٢] »، وابن الصابونى« ٦٠٤ـ ٦٨٠هـ[٣] »، وأمين الدين ابن عساكر « ٦١٤ ـ ٦٨٦ هـ[٤] » ، وجمـــال الدين ابن الصيرفى «٥٨٣ـ٦٧٨هـ[٥] » . ومن حلب : أحمد بن محمد بن النصيبى «٦٠٩ـ٦٩٢هـ[٦] » ومن مكة : الإمام محب الدين الطبرى محدث الحرم ومفتيه«٦١٥ـ٦٩٤[٧]هـ»، وغيره[٨] . ومن المدينة : كافور بن عبد الله الطواشى[٩] . ويبدو أن علاء الدين ابن العطار قد حج فى تلك السنة[١٠] فحصل بعض الإجازات من مكة والمدينة . وذكر ابن حجر أن الذين أجازوه فى هذه السنة «جمع جم[١١] » وقال فى ترجمة ابن العطار : « وهو الذى استجاز للذهبى سنة مولده فانتفع الذهبى بعد ذلك بهذه الإجازة انتفاعا شديدا[١٢] » .

---

(١) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ١٢ .

(٣) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٥٥ .

(٤) المصدر السابق ، م ١ الورقة ٨٠ .

(٥) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٨٧ .

(٦) المصدر السابق ، م ١ الورقة ١٨ .

(٧) الذهبى : معجم الشيوخ ، م الورقة ٨ .

(٨) انظر مثلا : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٩٠ ، م ٢ الورقة ٦ ، ٣١ ، ٥٩ — ٦٠ ، ٨٨ ، وابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٣٦ .

(٩) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٢٦ .

(١٠) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٥٩ — ٦٠ .

(١١) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦ .

(١٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٧٣ .

ويمضى الطفل إلى أحد المؤدبين هو علاء الدين على بن محمد الحلبى المعروف بالبصبص ، وكان من أحسن الناس خطا وأخبرهم بتعليم الصبيان ، فيقيم فى مكتبه أربعة أعوام[(١)] ، وفى أثناء ذلك كان جده عثمان يدمنه على النطق بالراء يقوم بذلك لسانه[(٢)] . ولا نعرف فى أى سنة ترك المكتب ولكنه كان فى سنة ٦٨٢ هـ لم يزل عنده حيث أنشده فى هذه السنة شعراً لأبى القاسم الحريرى[(٣)] . وقد اتجه الذهبى بعد ذلك إلى شيخه مسعود بن عبد الله الصالحى فلقنه جميع القرآن ، ثم قرأ عليه نحوا من أربعين ختمة ، وكان الشيخ مسعود إمام مسجد بالشاغور ، وكان خيراً متواضعاً براً بصبيانه لقن خلقا . وتوفى سنة ٧٢٠هـ[(٤)] . وبدأ الصبى بالحضور إلى مجالس الشيوخ ليسمع كلام بعضهم[(٥)] . ولما قدم عز الدين الفاروثى ، عالم العراق ، إلى دمشق سنة ٦٩٠ هـ ذهب الفتى وسلم عليه وحدثه[(٦)] ، مما يدلل على حبه للعلم والعلماء منذ الصغر .

---

(١) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ١١ .

(٢) المصدر السابق ، م ١ الورقة ٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ١١ ومات مؤدبه فى حدود سنة ٦٩٠ هـ .

(٤) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٧٨ .

(٥) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٥٨ .

(٦) الذهبى : معرفة القراء ، ص ٥٤٤ . وتوفى الفاروثى سنة ٦٩٤ .

ثانيا ـ بدء عنايته بطلب العلم :

بدأ الذهبي يعتنى بطلب العلم حينما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، وتوجهت عنايته إلى ناحيتين رئيستين هما : القراءات والحديث الشريف .

ا ـ القراءات :

اهتم الذهبي بقراءة القرآن الكريم ، والعناية بدراسة علم القراءات فتوجه سنة ٦٩١ هـ هو ورفقة له ، إلى شيخ القراء جمال الدين أبى إسحاق إبراهيم ابن داود العسقلانى ثم الدمشقى المعروف بالفاضلى ، فشرع عليه بالجمع الكبير[(١)]، وكان الفاضلى قد صحب الشيخ علم الدين السخاوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وهو الذى انتهت إليه رياسة الإقراء فى زمانه[(٢)]، وجمع عليه القراءات السبع، وتصدر للإقراء بتربة أم الصالح ولكنه أصيب بطرف من الفالج فكان يقرئ فى بيته، وينتهى الذهبي عليه إلى أواخر سورة القصص ، ويزداد الفالج على الشيخ فيمنع الطلبة من الدخول عليه ثم يموت سنة ٦٩٢ هـ ، وتظل قراءة الذهبي على الفاضلى ناقصة[(٣)] . ولكنه كان فى أثناء شروعه بالجمع الكبير على الفاضلى ، قد شرع فى الوقت نفسه يقرأ بالجمع الكبير على الشيخ جمال الدين أبى إسحاق إبراهيم

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٢٧ ، ومعرفة القراء ، ص ٥٦٢-٥٦٣ ابن الجوزى : غاية ، ج ٢ ص ٧١ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة ، ج ٨ ص ٧٥٨، القفطى : إنباه ، ج ٢ ص ٣١١، الحسينى : صلة التكملة ، (وفيات ٦٤٣) ، الذهبي : العبر ، ج ٥ ص ١٧٨، ابن كثير: البداية ، ج ١٣ ص ١٧ ، ابن الجزرى : غاية ، ج ١ ص ٥٦٨ .

(٣) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٢٧ ، ومعرفة القراء ، ص ٥٦٢-٥٦٣، ٥٧٦ - ، ٥٩٢ .

ابن غالى المقرئ الدمشقى « ت ٧٠٨ [١] هـ » . وقرأ ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمـــل عليه كتاب « التيسير » للدانى وكتاب « حرز الأمانى » للشاطبى على ابن جبريل المصرى نزيل دمشق [٢] . ومالبث الذهبى أن أصبح على معرفة جيدة بالقراءات وأصولها ومسائلها وهو لما يزل فتى لم يتعد العشرين من عمره ، قال فى ترجمة قاضى القضاة شهاب الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن خليل الخوبى ثم الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ . « جلست بين يديه وسألنى عن غير مسألة من القراءات فمن الله وأجبته وشهد فى إجازتى من الحاضرين وأجاز لى مروياته [٣] ، على أنه استمر فى تحصيل هذا الفن فكتب فى سنة ٦٩١ هـ « المقدمة فى التجويد » عن مؤلفها المقرئ المجود أبى عبد الله محمد بن جوهر التلعفرى المتوفى سنة ٦٩٦ [٤] هـ ، وتلا ختمة للسبعة على مجد الدين أبى بكر بن محمد المرسى نزيل دمشق المتوفى سنة ٧١٨ [٥] هـ وجمع الختمة على شيخ القراء ببعلبك موفق الدين المتوفى سنة ٦٩٥ [٦] هـ ، وقرأ بالسبع أيضا على المقرئ شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن منصور الحلبى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ ، وكان الحلبى هذا من المتصدرين بالعادلية وبالجامع الأموى [٧] . وقرأ كتاب « المبهج فى القراءات السبع [٨] » لسبط

(١) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٣٠ ، ومعرفة القراء ، ص ٥٧٦

(٢) الحسينى : ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٦

(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٣١

(٤) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٣٩

(٥) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٩٨

(٦) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٧٤

(٧) المصدر السابق ، م ٢ الورقة ٦٥ — ٦٦

(٨) عندى منه نسخة مصورة عن نسخة معهد إحياء المخطوطات (رقم ٧٥ قراءات وتجويد) وهو كتاب نفيس للغاية .

الشيخ أبى منصور الخياط البغدادى ، و « السبعة » لابن مجاهد وغيرها على شيخه أبى حفص عمر ابن القواس المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وسمع « الشاطبية » من غير واحد من القراء(١) .

وتميز الشاب فى دراسة القراءات وبرع فيها براعة جعلت شيخه شمس الدين أبا عبد الله محمد بن عبد العزيز الدمياطى ثم الدمشقى الشافعى ، وهو من المقرئين المجودين ، يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموى فى أواخر سنة ٦٩٢ هـ أو أوائل سنة ٦٩٣ هـ حينما أصابه المرض الذى توفى فيه ، وكان الذهبى قد أكمل عليه القراءات قبل ذلك(٢) ، فكان هذا أول منصب علمى يتولاه الذهبى فيما نعلم وإن لم يدم فيه أكثر من سنة واحدة(٣) .

ب ــ الحديث :

وفى الوقت نفسه كان الذهبى ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، قد مال إلى سماع الحديث واعتنى به عناية فائقة(٤) . وانطلق فى هذا العلم حتى طغى على كل تفكيره، واستغرق كل حياته بعدذلك، فسمع مالا يحصى كثرة من الكتب والأجزاء ، ولقى كثيراً من الشيوخ والشيخات، وأصيب بالشره فى سماع الحديث

(١) انظر مثلا الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٣٥ ، ٦٩

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٤٨ ، وتوفى شيخه بعد ذلك فى صفر من سنة ٦٩٣

(٣) قال الذهبى فى ترجمة محمدبن أحمد بن على شمس الدين أبى عبد الله الرضى الحنفى من معرفة القراء : « ولما سافرت إلى بعلبك ، سنة ثلاث وتسعين وتعوقت بالقراءة على الموفق ، وثب على حلقتى ، فأخذها لكونى لم أستأذن الحاكم فى الغيبة ، وهو الآن يقرئ بالجامع » ص ٦٠٠

(٤) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٩ ص ١٠٢ ، والسيوطى : طبقات الحفاظ ، الورقة ٨٤

وقراءته ورافقه ذلك طيلة حياته ، حتى كان يسمع من أناس قد لا يرضى عنهم، قال فى ترجمة علاء الدين أبى الحسن على بن مظفر الإسكندرانى ثم الدمشقى ، شيخ دار الحديث النفيسية ، المتوفى سنة ٧١٦ هـ : « ولم يكن عليه ضوء فى دينه حملنى الشره على السماع من مثله ، والله يسامحه كان يخل بالصلوات ويرمى بعظائم الأمور(١) »، وقال فى ترجمة شيخه شهاب الدين غازى بن عبد الرحمن الدمشقى المتوفى سنة ٧٠٩ هـ : « وكان ذا سيرة غير محمودة فالله يعفو عنه، كتب عنه خلق من أبناء البلد »(٢) ، وقال فى ترجمة شيخه أبى عبد الله محمد بن أحمد المقدسى المتوفى سنة ٧٠٦ هـ : « فقير مسكين . . . ورأيتهم يذمونه . . . روى لنا عن خطيب مردا جزء البطاقة(٣) »، وذكر عن شيخه محمود بن يحيى التميمى الدمشقى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ أنه كان « سيىء الحال سفيها(٤) » ، وقال عن أحد شيوخه: « لا ينبغى الرواية عنه، حكوا لى عنه مصائب(٥)»، وقال عن آخر : إنه كان « من عوام الطلبة »(٦) وقال فى ترجمة شيخه محمد بن النصير المؤذن المتوفى سنة ٧١٥ هـ : « شويخ عامى سمعنا منه ولم يكن بذاك(٧) » ، بل إنه ليذهب به حبه للحديث إلى القراءة على الصم ، فقد ذكر فى ترجمة شيخه محمود بن محمد الخرائطى الصالحى الأصم المتوفى سنة ٧١٦ هـ : « قرأت عليه بأقوى صوتى فى أذنه(٨) » .

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ١٢

(٢) المصدر نفسه ، م ٢ الورقة ٢١

(٣) المصدر نفسة ، م ٢ الورقة ٣٠

(٤) المصدر نفسه ، م ٢ الورقة ٧٧

(٥) المصدر نفسة ، م ١ الورقة ٧٢

(٦) المصدر نفسه ، م ٢ الورقة ٥٥

(٧) المصدر نفسه ، م ٢ الورقة ٦٧

(٨) المصدر نفسه ، م ٢ الورقة ٧٦

ثالثا ـ رحلاته فى طلب العلم :

كان الذهبى يتحسر على الرحلة إلى البلدان الأخرى لما لذلك من أهمية بالغة فى تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم[١]. إلا أن والده لم يشجعه على الرحلة ، بل منعه فى بعض الأحيان ، قال فى ترجمة أبى الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد ابن وريدة البغدادى الحنبلى شيخ المستنصرية «٥٩٩ـ٦٩٧[٢] هـ»: «وقد هممت بالرحلة إليه ثم تركته لمكان الوالد[٣]» ، وقال فى ترجمته من معرفة القراء الكبار : « وانفرد عن أقرانه ، وكنت أتحسر على الرحلة إليه ، وما أتجسر خوفا من الوالد فإنه كان يمنعنى[٤]» ، وقال فى ترجمة المكين الأسمر المقرىء الإسكندرانى المتوفى سنة ٦٩٢هـ : « ولما مات شيخنا الفاضلى ، فازددت تلهفا وتحسرا على لقيه ، ولم يكن الوالد يمكننى من السفر[٥]» . ولم يكن الذهبى ابناً عاقاً يخالف إرادة والده لا سيما أن آداب طلب العلم تقتضى استئذان الأبوين فى الرحلة[٦]، ووجوب

---

(١) راجع عن أهمية الرحلة : الخطيب البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، «باب الرحلة فى الحديث إلى البلاد النائية للقاء الحفاظ وتحصيل الأسانيد العالية» الورقة ١٦٨ ـ ١٦٩ (نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ٣٧١١ج ١

(٢) الدكتور ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ج ١ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٥

(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧٤

(٤) الذهبى : معرفة القراء ، ص ٥٥٦ وقال فى تاريخ الإسلام : « وكنت فى سنة أربع وتسعين وسنة خمس أتلهف على لقيه وأتحسر وما يمكننى الرحلة إليه لمكان الوالد ثم الوالدة » الورقة ٢٦٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤)

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥١ وانظر أمثلة أخرى فى معجم الشيوخ ، م ١ الورقة٥

(٦) الخطيب البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى ، الورقة ١٧٠

طاعتهما وبرهما ، وترك الرحلة مع كراهتهما ذلك وسخطهما[١] . ويبدو لنا أن الذهبي كان وحيد أبيه ، أو كان هو البارز بين أبنائه فى الأقل[٢] ، بحيث كان يخاف عليه هذا الخوف كله .

ويظهر أن والده قد سمح له بالرحلة حينما بلغ العشرين من عمره ، وذلك سنة ٦٩٣هـ[٣] . على أنه سمح له برحلات قصيرة لا يقيم فى كل منها أكثر من أربعة أشهر[٤] فى الأغلب ، ويرافقه فيها بعض من يعتمد عليهم[٥] .

ا ـ رحلاته داخل البلاد الشامية :

تشير المصادر إلى رحلات الذهبي عرضا ولكنها لا تقدم لنا عنها الكثير . على أننا استطعنا أن نتبين أن أول رحلة له ربما كانت إلى بعلبك سنة ٦٩٣هـ[٦] حيث قرأ فيها القرآن جمعاً على الموفق النصيبي المتوفى سنة ٦٩٥ هـ[٧] ، وأكثر

---

(١) الخطيب البغدادى : الجامع ، الورقة ١٧١ ـ ١٧٥

(٢) لم نقف على أخ لمحمد بن أحمد الذهبي فى جميع الكتب المطبوعة والمخطوطة التى اطلعنا عليها ، مع أن الذهبي كثير العناية بذكر أقربائه .

(٣) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٦٥

(٤) قال الذهبي فى ترجمة شرف الدين أبى الحسين يحيى بن أحمد الجذامى الإسكندرانى وكان قد بلغ السابعة والثمانين من عمره ، ووجد الذهبي بعض صعوبات وتأخير فى قراءة القراءات عليه فخاف أن يذهب وقته سدى : « وكنت قد وعدت أبى وحلفت له أنى لا أقيم فى الرحلة أكثر من أربعة أشهر ، فخفت أعقه » (معرفة القراء ، ص ٥٥٨) .

(٥) كان والده يرافقه فى رحلته إلى حلب سنة ٦٩٣ هـ وقد سمع معه فيها ، وكان رفيقه فى رحلته إلى البلاد المصرية سنة ٦٩٥ ابن أمه فى الرضاع داود بن إبراهيم بن داود ابن العطار الفقيه الشافعى ، وهو أكبر من الذهبي بثمانية أعوام (معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٤٧) .

(٦) الذهبي : معجم الشيوخ ، ج ١ الورقة ٦٥

(٧) ابن الجزرى : غاية ، ج ٢ ص ٧١ ، الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٧٤ .

عن المحدث الأديب الإمام تاج الدين أبى محمد المغربى ثم البعلبكى المتوفى سنة ٦٩٦[١] . وسوف نجده مرة أخرى فى بعلبك سنة ٧٠٧[٢] هـ ، وقد سمع فى هاتين الرحلتين على كثير من شيوخ البلد[٣] . ورحل بعد ذلك إلى حلب ، وأكثر فيها عن علاء الدين أبى سعيد سنقر بن عبد الله الأرمنى ثم الحلبى ، قال : «رحلت إليه وأكثرت عنه، ونعم الشيخ كان دينا ومروءة وعقلا وتعففا[٤]»، وسمع من جملة من شيوخها[٥] . وتشير المصادر إلى أنه قد سمع ببلدان عديدة منها: حمص[٦]، وحماة[٧] ، وطرابلس[٨]، والكرك[٩]، والمعرة[١٠]، وبصرى[١١]، ونابلس[١٢]،

---

(١) الذهبى: معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧١ ، السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٢

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٥٢

(٣) انظر مثلا الذهبى : معجم الشيوخ ، م١ الورقة ٢٤ ، ٨٣ ، ٨٨ ، م ٢ الورقة ٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨١

(٤) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٥٥ ، وذيل العبر ، ص ٣٦ ، السبكى : طبقات ج ٩ ص ١٠٢ ، الطباخ : أعلام النبلاء ، ج ٤ ص ٥٤٠

(٥) انظر مثلا : الذهبى: معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٩، السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٢

(٦) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٦٣ ، والصفدى : الوافى ، ج٢ ص ١٦٥

(٧) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٢ ، م ٢ الورقة ٦٨ ، ٨٢

(٨) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧ ، ٢٢ : ٢٩ ، م ٢ الورقة ٦ ، ٩ وذكر أنه نزل فى مدرسة القاضى شمس الدين أحمد بن أبى بكر بن منصور الإسكندرانى الفقيه قاضى طرابلس (معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٢٢) .

(٩) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٦١، م ٢ الورقة ١٦ ، ٤٢ — ٤٣ وقد سمع بها سنة ٦٩٨ من قاضى القضاة عز الدين محمد بن سلمان الحلبى .

(١٠) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٩

(١١) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٣

(١٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧٦ ، م ٢ الورقة ٧

والرملة[١]، والقدس[٢]، وتبوك[٣].

ب ـ رحلته إلى البلاد المصرية :

على أن رحلة الذهبي إلى البلاد المصرية كانت من أبرز رحلاته المبكرة، ويقول الدكتور صلاح الدين المنجد: إنه لا يعرف متى سافر الذهبي إلى مصر، ثم يقول : « ولعل سفره إلى مصر كان بعيد وفاة أبيه سنة ٦٩٧ ه وقد عاد سنة ٦٩٩ ه[٤]» . واستند فى ذلك على ما نقله ابن حجر عن مشيخة بدر الدين النابلسى الذى قال:« وأول ما ولى تصدير حلقة إقراء بجامع دمشق فى أول رواق زكريا عوضا عن شمس الدين العراقى الضرير المقرىء فى المحرم سنة ٦٩٩ ه بعد رجوعه من رحلته من مصر بقليل[٥].

وقد استطعنا ، نتيجة تتبعنا لنشاط الذهبي أن نحدد رحلته إلى البلاد المصرية وأنها كانت بين رجب وذى القعدة من سنة ٦٩٥ ه ، فقد تبين أنه ابتدأ سفرته فى رجب سنة ٦٩٥ ه متوجها إلى فلسطين ، قال فى ترجمة شيخته أم محمد سيدة بنت موسى بن عثمان المارانية المصرية المتوفاةسنة ٦٩٥ ه : « وقد رحلت إلى لقيها فماتت وأنا بفلسطين فى رجب سنة خمس وتسعين وست مائة[٦] » وقال فى ترجمتها من تاريخ الإسلام : « كنت أتلهف على لقيها ، ورحلت إلى مصر وعلى أنها باقية فدخلت فوجدتها قد ماتت من عشرة أيام...

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٤٧، والصفدى: الوافى، ج ٢ ص ١٦٥
(٢) الصفدى : الوافى ج ٢ ص ١٦٥
(٣) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٦٥
(٤) مقدمة سير أعلام النبلاء ، ج ١ ص ١٨
(٥) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٧
(٦) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٥٩

توفيت يوم الجمعة سادس رجب وأنا بوادى فحمة[١] » ، وبذلك نستنتج أنه أنه وصل إلى البلاد المصرية فى السادس عشر من رجب سنة ٦٩٥ ﻫ .

وأول ما افتتح سماعه بمصر على شيخه جمال الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبى المعروف بابن الظاهرى[٢] « ٦٢٦ – ٦٩٦ ﻫ » ، قال فى تاريخ الإسلام : « وبه افتتحت السماع فى الديار المصرية وبه اختتمت وعنده نزلت وعلى أجزائه اتكلت . وقد سمع منه علم الدين (يعنى البرزالى) أكثر من مئتى جزء[٣] » ، وقال فى ترجمته من معجم شيوخه : « ودعته فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين فقال لى : قل للجماعة يجعلونى فى حل . . .[٤] » وطبيعى أن يرجع الإمام الذهبى فى ذى القعدة من السنة لأنه كان قد وعد أباه وحلف له أنه لا يقيم فى الرحلة أكثر من أربعة أشهر نخاف أن يعقه إذا تأخر[٥] . وقد توفى ابن الظاهرى بعد ذلك فى ربيع سنة ٦٩٦[٦] ﻫ . وقد ذكر مترجمو الذهبى أنه سمع من الحافظ ابن الظاهرى[٧] فكيف يصح القول عندئذ أنه سافر بعيد ٦٩٧ ﻫ !؟ وسمع بمصر بعد ذلك من جماعة كبيرة من أشهرهم : مسند الوقت أبو المعالى أحمد

---

(١) الورقة ٢٤٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤) ولم يذكر ياقوت وادى فحمة هذا .

(٢) كان والده محمد مولى الملك الظاهر صاحب حلب ، فنسب إليه .

(٣) الورقة ٢٥٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٤) م ١ الورقة ١٨

(٥) الذهبى : معرفة القراء ، ص ٥٥٨

(٦) الذهبى : تاريخ الإسلام الورقة ٢٥٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) ، ومعجم الشيوخ م ١ الورقة ١٨ ، ابن الجزرى : تاريخ ، م ٢ الورقة ٦٠ (باريس ٦٧٣٩) .

(٧) انظر مثلا : السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٢ ، وسبط ابن حجر : رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

ابن إسحاق بن محمد الأبرقوهي[١] المتوفى سنة ٧٠١هـ[٢]، وشيخ الإسلام المجتهد قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد القشيري المتوفى سنة ٧٠٢ هـ[٣] ، والعلامة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥ هـ[٤] ، وغيرهم[٥] .

وفي أثناء وجوده بالبلاد المصرية رحل إلى الإسكندرية وكان بها في شوال من السنة ، قال في ترجمة شيخه أبي الحجاج يوسف بن الحسن التيمي القابسي ثم الإسكندراني : « وكنت في شوال هذه السنة في الإسكندرية وهو حي ، وسمعت منه التجريد[٦] » . ويظهر أنه سافر إليها مع شيخه ابن الظاهري ورفاقه

---

(١) نسبة إلى (أبرقوه) بلد قرب يزد (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص٨٥)وقد ولد بها حينما كان أبوه قاضيا عليها (الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة٥) .

(٢) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٥ وذيل العبر ، ص ١٨، السبكي: طبقات، ج ٩ ص ١٠٢ ، ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١١٠ ، ج ٣ ص٤٢٦، سبط ابن حجر : رونق الألفاظ ، (نسخة الخالدية) ، الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ص ١٥ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ج ٨ ص ١٩٨ والمنهل الصافي ، ج ١ ص ٢١٨ وغيرها .

(٣) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ ورقة ٥٥ ، وذيل العبر، ص٢١ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٨١ — ١٤٨٤ ، ابن سيد الناس : أجوبة ، الورقة ٦٥ (الإسكوريال ١١٦٠) ، الأدفوي : الطالع السعيد ، ص ٣١٧ — ٣٣٨ ، الصفدي : الوافي ، ج٤ ص ١٩٣ ، ابن حجر : رفع الإصر، الورقة ١١٢ وغيرها .

(٤) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ، ج٤ ص١٤٧٧ — ١٤٧٩ ، ابن شاكر : فوات ، ج ٢ ص ١٧ ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٤٠ ، ابن قاضي شهبة : منتقى المعجم المختص ، الورقة ١٦٢ (أوقاف) ، الصفدي : الوافي ، م ١٧ ورقة ٢٣٦ ومعجم شيوخه لخصه وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ جورج فايدا وطبع بباريس سنة ١٩٦٢ م . وفي خزانة كتبي الجزء الثالث من إحدى نسخه الخطية .

(٥) انظر مثلا : الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٢١ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٩٦ .

(٦) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٢٥

أبى الحجاج المزى وعلم الدين البرزالى وابن سيد الناس اليعمرى فى رمضان لأنهم قرأوا على صدر الدين سحنون مدة أحد عشر يوما ، وتوفى شيخهم فى الرابع من شوال سنة ٦٩٥ هـ[١] . وفى ثغر الإسكندرية مضى الذهبى إلى أسند أهلها فى القراءات، الإمام شرف الدين أبى الحسين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز ابن الصواف الجذامى الإسكندرانى المقرئ المشهور « ٦٠٩ — ٧٠٥[٢] » فأدخل عليه فوجده قد أضر وأصم ، وهو فى سبع وثمانين سنة ، فقرأ عليه جزءا ورفع صوته فسمع ثم كلمه فى أن يجمع عليه القراءات السبع فوافق ، وبدأ الذهبى بالقراءة فقرأ عليه الفاتحة وآيات من البقرة، والشيخ يرد الخلاف ويرد رواية يعقوب وغيره، ولما ذكر له الذهبى أن قصده القراءة بالسبع حسب، تخيل الشيخ منه نقص المعرفة وطلب منه أن يذهب إلى أحد تلامذته، قال الذهبى: «وزهدنى فيه أنى كنت لا أدخل عليه إلا بمشقة وأمنع، ويؤذن لى مرة، وأيضا فكنت لا أقرأ ربع حزب جمعاً، حتى ينقطع صوتى لمكان صممه » فخاف الذهبى ضياع الوقت القصير فتركه[٣] وذهب إلى الإمام المقرئ صدر الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عمـران الدكالى المعروف بسحنون « ٦١٠ — ٦٩٥هـ[٤] » وكان قد ضعف وأضر، فختم عليه بقراءتى ورش وحفص فى مدة أحد عشر يوما مع جماعة من رفاقه[٥] . وسمع بالإسكندرية

---

(١) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) الذهبى : ذيل العبر ، ص ٣٢ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٥ ص ١٨٥ — ١٨٦ ، الجزرى : غاية ، ج ٢ ص ٣٦٦ ، المقريزى : السلوك ، ج ٢ قسم ١ ص ٢١

(٣) الذهبى : طبقات القراء ، ص ٥٥٨ ، ومعجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٨٤

(٤) الذهبى ، معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧٣

(٥) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) ومعرفة القراء ص ٥٥٥

من جملة من علمائها المتميزين[١] من أبرزهم : تاج الدين أبو الحسن على بن أحمد ابن عبد المحسن الهاشمى الحسينى الواسطى الغرافى ثم الإسكندرانى « ٦٢٨ – ٧٠٤ هـ » شيخ دار الحديث النبيهية بالإسكندرية[٢] . كما رحل إلى بلبيس وسمع بها[٣] . لقد كانت هذه الرحلة قصيرة ، وكان الذهبى يجهد نفسه فى قراءة أكبر كمية ممكنة على شيوخ تلك البلاد؛ فقد ذكر مثلا أنه قرأ جميع سيرة ابن هشام على شيخه أبى المعالى الأبرقوهى فى ستة أيام فقط[٤] .

جـ – رحلته للحج وسماعه هناك :

وفى سنة ٦٩٨ هـ ، أى بعيد وفاة والده رحل الذهبى للحج ، قال فى حوادث السنة من تاريخ الإسلام: « وحج بنا الأمير شمس الدين العينتابى[٥] » ، وكان يرافقه فى حجه جماعة من أصحابه وشيوخه[٦] ، منهم شيخ دار الحديث بالمدرسة المستنصرية[٧] العالم المسند أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن المعروف بابن الخراط الحنبلى « ٦٣٨ – ٧٢٨ هـ » ، وكان ابن الخراط قد قدم دمشق فى تلك السنة

---

(١) انظر مثلا معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٢١ ، ٢٢ ، ٧٥ ، ٨٦ ، م ٢ الورقة ١٧ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٨٥

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٣ الورقة ٢ – ٣ ، وذيل العبر ، ص ٢٨ – ٣٢ ، الحسينى : ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٩٤ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٨٥ – ٨٦ ، المقريزى: السلوك ، ج ٢ قسم ١ ص ١٣ . وانظر أيضا : السبكى: طبقات ، ج ٩ ص ١٠٢

(٣) الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤

(٤) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ١٣٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٥) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٣٣٣ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٦) انظر مثلا : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧٢ ، م ٢ الورقة ١٦

(٧) الدكتور ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ج ١ ص ٣٥٤ – ٣٦٠

وجلس للوعظ بدمشق فى شهر رمضان[١]، قال الذهبى : « ورافقنا فى الحج فسمعت منه بالعلى ومعان كتاب « الفرج بعد الشدة »[٢]».وقد سمع بمكة[٣]، وعرفة[٤] ، ومنى[٥] ، والمدينة[٦] من مجموعة من الشيوخ .

(١) ذكر ذلك علم الدين البرزالى المتوفى سنة ٦٣٩ هـ (ابن رجب : الذيل ، ج ٢ ص ٣٨٥) والذهبى فى معجم شيوخه ، م ٢ الورقة ٥٠

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٥٠ والكتاب المذكور للتنوخى كما هو معروف .

(٣) السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٢

(٤) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٠

(٥) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٣ ، ٨٤

(٦) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٥٠

رابعا ــ طبيعة دراساته :

لم ينقطع الذهبي طيلة حياته عن الدراسة والسماع لا يشغله عنهما شاغل ، تدل على ذلك معجمات شيوخه لا سيما المعجم الكبير . وكانت دراسته وسماعاته متنوعة لم تقتصر على القراءات والحديث .

وقد عنى بدراسة النحو فسمع « الحاجية » فى النحو على شيخه موفق الدين أبى عبد الله محمد بن أبى العلاء النصيبى البعلبكى المتوفى سنة ٦٩٥هـ[١] هـ. ودرس على شيخ العربية وإمام أهل الأدب فى مصر آنذاك الشيخ بهاء الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن النحاس المتوفى سنة ٦٩٨ هـ[٢] . إضافة إلى سماعه لعدد كبير من مجاميع الشعر واللغة والآداب[٣] .

واهتم بالكتب التاريخية فسمع عدداً كبيراً منها على شيوخه، فى المغازى[٤] ، والسيرة[٥] ، والتاريخ العام[٦] ، ومعجمات الشيوخ والمشيخات[٧] ، وكتب التراجم الأخرى[٨] .

(١) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٧٤

(٢) المصدر نفسه ، م٢ الورقة ٣٠، وتاريخ الإسلام، الورقة ٢٨٧ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٣) انظر مثلا تاريخ الإسلام ، ج ٣ ص ٦٥ (مطبوعة) والورقة ١١٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١٥٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٤٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) ومعجم الشيوخ م ٢ الورقة ٥٠

(٤) انظر مثلا تاريخ الإسلام ، ج ٦ ص ١٣٣ (مطبوعة) .

(٥) انظر مثلا تاريخ الإسلام ، الورقة ١٣٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٦) المصدر نفسه ، مثلا الورقة ١٩٨ (حلب) .

(٧) انظر مثلا معجم الشيوخ ، م١ الورقة ١٥ ، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٦، ٥٥، ٨٠ ، م ٢ الورقة ٩، ١٠، ٥٠، ٧١، ١٠٠ ، وتاريخ الإسلام، الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ١٨٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) .

(٨) مثلا تاريخ الإسلام ، الورقة ٦٨ ، ٧٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٢) وغيرها .

إلا أن عنايته الرئيسة فى السماع كانت منصبة على الحديث؛ فقد سمع الذهبي مئات الكتب والأجزاء الحديثية طيلة حياته فى طلب العلم ، يعرف ذلك من يقرأ معجمات شيوخه وكتبه بروية وإمعان ، فضلا عن أن هـــذه الكتب والأجزاء هى ليست كل ما قرأ الذهبى على شيوخه ، فهناك العدد الهائل من الأحاديث النبوية الشريفة التى لم يورد فى معجمات شيوخه منها إلا أمثلة حسب. يضاف إلى ذلك أنه كان ربما سمع الكتاب أو الجزء على أكثر من شيخ حتى يبلغ فى بعضها عشرات المرات أو عددا كبيرا منها ، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة ؛ فقد سمع « جزء الحسن بن عرفة » وهو من الأجزاء الحديثية المشهورة أكثر من أربعـــين مرة على أكثر من أربعين شيخا[1] ، وسمع « نسخة أبى مسهر » عبد الأعلى بن مسهر المتوفى سنة ٢١٨[2] أكثر من اثنتى عشرة مرة[3] ، وسمع « جزء ابن فيل[4] » لأبى طاهر الحسن بن أحمد بن فيل البالسى على أكثر من عشرة من الشيوخ[5] .

---

(١) انظر الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٣٦، ٣٨، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٠، ٨١، ٨٦ ، م ٢ ورقة ٨، ١١، ١٣، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦، ٨٨، ٩٨ ، ١٠٠ .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية ، رقم ٢٥٥٥١ ب .

(٣) انظر الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٣٨ ، ٥٠ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٥، م٢ ورقة ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٥١ ، ٦٥ .

(٤) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ، ٢٥٥٦٨ ب .

(٥) انظر الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٦ ، ٢٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، م٢ الورقة ٣١ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٧٧ ، ٨٨ .

وأرى من الواجب أن أشير إلى أن الذهبي لم يعن بذكر مسموعاته بصورة مفصلة فى معجم شيوخه كما فعل ابن حجر مثلا فى « المعجم المفهرس » الذى رتبه أساساً على الكتب[1] ، وفى « المجمع المؤسس » الذى رتبه على الشيوخ ولكن ذكر فيه المرويات أيضاً[2] . ومع ذلك فإن المرويات لا تمثل أصلا دراسات الطالب أو العالم ، لأن الكتب المروية محدودة عموما ، بينما يستطيع الطالب أن يقرأ مايشاء من الكتب الفقهية والتاريخية والأدبية ودواوين الشعراء ونحوها وطائفة كبيرة منها لا تروى .

على أننا نستطيع القول من دراستنا لكتب الذهبي واهتماماته أنه عنى بالعلوم الدينية عموما والعلوم المساعدة لها كالنحو واللغة والأدب والشعر . كما أنه اطلع على بعض الكتب الفلسفية . ونشك أنه درس كتبا فى العلوم الصرفة لعدم اعتقاده بجدواها .

---

(١) ابن حجر : المعجم المفهرس (دار الكتب ٨٢ مصطلح الحديث) .
(٢) نسختى المصورة (عن دار الكتب ٧٥ مصطلح الحديث) .

خامسا ـ صلاته الشخصية وأثرها فى تكوينه الفكرى :

اتصل الذهبي اتصالا وثيقا بثلاثة من شيوخ ذلك العصر وهم : جمال الدين أبو الحجاج يوسف[١] بن عبد الرحمن المزى الشافعى « ٦٥٤ ـ ٧٤٢ هـ »، وتقى الدين أبو العباس أحمد[٢] بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحرانى، « ٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ » وعلم الدين أبو محمد القاسم[٣] بن محمد البرزالى « ٦٦٥ ـ ٧٣٩ هـ ، » وترافق معهم طيلة حياتهم . وكان الذهبي أصغر رفاقه سنا ، وكان أبو الحجاج المزى أكبرهم. وكان بعضهم يقرأ على بعض؛ فهم شيوخ وأقران فى الوقت نفسه.

(١) راجع الذهبي: معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٩٠، وتذكرة الحفاظ ، ج ٢ ص ١٤٩٨ ، الحسينى : الذيل على ذيل العبر ، ص ٢٢٩ ، السبكى : طبقات ، ج ٦ ص ٢٥١ (القاهرة ١٣٢٤) ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١٩١ ـ ١٩٢ ، ابن ناصرالدين: الرد الوافر، ص ١٢٨، والتبيان ، الورقة ١٦٦ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٥ ص ٢٣٣ـ ٢٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١٠ ص ٧٦ ، ابن طولون : المعزة ، ص ١٠ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٦ ص ١٣٦ ، الكتانى : فهرس ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية معروفة تناولها معظم المؤرخين الذين تناولوا عصره ومنهم الذهبي . ومن الذين كتبوا عنه مفردا ابن ناصرالدين فى « الرد الوافر » (بيروت ١٣٩٣هـ) وابن قدامة : « العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » . ومن المحدثين : محمد كرد على فى « ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية » (لم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه) ومحمد بن بهجة البيطار فى «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» (دمشق ١٩٦١) ومحمد أبو زهرة: «ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه» (القاهرة ١٩٥٢).

(٣) انظر الذهبي: معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٣٥، ذيل العبر ص ٢٠٩ ، الحسينى: ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ١٨ ـ ٢١ ، السبكى : طبقات ج ٦ ص ٢٤٦ (القاهرة ١٣٢٤) ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١٨٥ ، ابن شاكر : فوات ، ص ١١٩ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٣٢١ـ ٣٢٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٩ ص ٣١٩، ابن العماد : شذرات ، ج ٦ ص ١٢٤ .

وقد ساعد من شد أواصر هذه الرفقة اتجاههم نحو طلب الحديث منذ فترة مبكرة وميلهم إلى آراء الحنابلة ودفاعهم عن مذهبهم ، مع أن المزى والبرزالى والذهبي كانوا من الشافعية . وكان كل واحد منهم محبا للآخر ذاكرا فضله. ويذكر الذهبي جيدا أن علم الدين البرزالى هو الذى حبب إليه العناية بالحديث النبوى الشريف؛ فقال فى معجم شيوخه الكبير: « الإمام الحافظ المتقن الصادق الحجة مفيدنا ومعلمنا ورفيقنا محدث الشام مؤرخ العصر[١] » ، وقال موضع آخر « وهو الذى حبب إلى طلب الحديث فإنه رأى خطى ، فقال : خطك يشبه خط المحدثين ! فأثر قوله فى ، وسمعت منه ، وتخرجت به فى أشياء[٢] » ، وكان على غاية من الإعجاب بعلمه ولاسيما معجم شيوخه[٣] الذى خرجه لنفسه وفيه ثلاثة آلاف شيخ ، منهم ألفان بالسماع وألف بالإجازة[٤] . وكتب الذهبي عن شيخه ورفيقه المزى بأنه: «العلامة الحافظ البارع أستاذ الجماعة ...محدث الإسلام »[٥] وأنه كان «خاتمة الحفاظ وناقد الأسانيد والألفاظ وهو صاحب معضلاتنا وموضع مشكلاتنا[٦] » .

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٢٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٣) نظم الذهبي فى هذا المعجم بيتين من الشعر ، قال :

إن رمت تفتيش الخزائن كلها ... وظهور أجزاء حوت وعوالى

ونعوت أشياخ الوجود وما رووا ... طالع أو اسمع معجم البرزالى

(ابن حجر: الدرر ، ج ٣ ص ٣٢٢ ، ابن ناصر الدين: الرد الوافر ، ص ١٢٠) .

(٤) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٢٥ ، وذيل العبر ، ص ٢٠٨ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٣٢٢ ، ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ١٢٠ .

(٥) معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٧٠ وانظر تذكرة الحفاظ، ج ٤ ص ١٤٩٨-١٤٩٩ .

(٦) ابن حجر: الدرر ، ج ٥ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

أما ابن تيمية فكانت شخصيته قد اكتملت منذ أن كان الذهبي شابا في أول طلبه العلم، وكان قد أصبح مجتهدا له آراؤه الخاصة التي تقوم في أصلها على اتباع آثار السلف، وابتدأ منذ سنة ٦٩٨ هـ يدخل في خصومات عقائدية حادة مع علماء عصره من المخالفين له [١]، ويقيم الحدود بنفسه ويحلق رؤوس الصبيان، [٢]، ويحارب المشعوذين من أدعياء التصوف [٣]، ويمنع من تقديم النذور [٤]، ويدور هو وأصحابه على الخمارات والحانات ويريق الخمور [٥]، ويقاتل بعض من يعتقد فساد عقيدته [٦]، ويشتط على القضاة [٧]، بل بلغ الأمر به في إحدى المرات أن دخل السجن وأخرج رفيقه المزي منه بنفسه [٨]. وظهرت شخصيته السياسية في الحرب الغازانية سنة ٦٩٩ هـ وما بعدها لاسيما سنة ٧٠٢ هـ حيث لعب دورا كبيرا في انتصار المماليك على المغول في وقعة شقحب [٩].

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤)، الصفدي: الوافي، ج ٥ ص ٢٢، ابن كثير: البداية، ج ١٤ ص ٤، ابن حجر : الدرر، ج ١ ص ١٥٥.

(٢) ابن كثير : البداية، ج ١٤ ص ١٩.

(٣) الصفدي : الوافي، ج ٥ ص ١٨، ابن كثير : البداية، ج ١٤ ص ٣٣ وانظر فتواه في « الصوفية والفقراء » (نشرها رشيد رضا بالقاهرة ١٣٤٨ ط ٢).

(٤) ابن كثير : البداية، ج ١٤ ص ٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٤ ص ١١.

(٦) المصدر نفسه، ج ١٤ ص ١٢.

(٧) ابن حجر : الدرر، ج ١ ص ١٥٦.

(٨) السبكي : طبقات، ج ٦ ص ٢٥٤ (القاهرة ١٣٢٤)، ابن كثير : البداية، ج ١٤ ص ٣٧، ابن حجر : الدرر، ج ٥ ص ٢٣٤.

(٩) الذهبي : تاريخ الإسلام، الورقة ٣٣٤ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١٤)، الصفدي : أعيان العصر، ج ٨ الورقة ١ – ٧ (أيا صوفيا ٢٩٦٨)، ابن كثير : البداية ج ١٤ ص ٩ فما بعد.

وقد أحب الذهبي شيخه ورفيقه وأعجب به، فقال بعد أن مدحه مدحا عظيما: « وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم[١] » . ولما مات رثاه بقصيدة[٢] ، وذكر أن مصنفاته قد جاوزت الألف[٣] ، وبالغ في ذكر مساوئ من حط عليه مثل الأمير سيف الدين تنكز[٤] نائب الشام.

ولم تكن محبة رفيقيه وإعجابهما بابن تيمية بأقل من محبة الذهبي له، بل ربما كان المزي أكثرهم إعجابا ومحبة له مع أنه أكبر منه سنا[٥] .

ومع أن الذهبي قد خالف رفيقه وشيخه « في مسائل أصلية وفرعية[٦] » وأرسل إليه نصيحته الذهبية[٧] التي يقرعه ويلومه وينتقد بعض آرائه وآراء

---

(١) ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ٣٥ ، وقارن ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) ابن ناصر الدين : بديعة الزمان ، ، الورقة ١٦٥ ، والرد الوافر ، ص ٣٥–٣٦ .

(٣) ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ٣٥ ، وقارن ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١٦٠ . وقال الصفدي : « ومن الذي يأتي على مجموعها! » وذكر منها جملة كبيرة (الوافي ، ج ٥ ص ٢٣ – ٣٠) .

(٤) ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٦١ . وعاتب الذهبي تلميذه تاج الدين السبكي بسبب كلام وقع منه في ابن تيمية فاعتذر منه السبكي برسالة أرسلها إليه (ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١٦٩) .

(٥) انظر أقوال المزي في ابن تيمية في كتاب الرد الوافر (ص ١٢٨ – ١٣٠) وأقوال البرزالي في الكتاب نفسه (ص ١١٩ – ١٢٣) . وكان ابن تيمية شديد الإعجاب بالمزي، فلما باشر دار الحديث الأشرفية بعد الشريشي قال ابن تيمية : « لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه » انظر : ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٨٩ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٥ ص ٢٣٤ ، النعيمي : تنبيه ، ج ١ ص ٣٥ .

(٦) ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١٦٦ .

(٧) الذهبي : النصيحة الذهبية لابن تيمية (دمشق ١٣٤٧ هـ) .

أصحابه بها ، إلا أنه بلا ريب قد تأثر به تأثراً عظيماً ، بحيث قال تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ : «إن هذه الرفقة: المزى والذهبي والبرزالى أضر بها أبو العباس ابن تيمية إضراراً بينا ، وحملها من عظائم الأمور أمراً ليس هيناً وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم[١] .

إن هذه الصلة بين الرفقة وما اختطوه لأنفسهم فيما ارتضوه ومالوا إليه من آراء الحنابلة قد أدت فى كثير من الأحيان إلى إيذائهم والتحامل عليهم بما ليس فيهم . وقد أوذى المزى بسبب ذلك[٢]، وحرم الذهبي بسبب آرائه من تولى أكبر دار للحديث بدمشق هى دار الحديث الأشرفية[٣] التى شغرت مشيختها بعد وفاة رفيقه المزى سنة ٧٤٢ هـ . فأشار قاضى القضاة على بن عبد الكافى السبكى أن يعين الذهبي لها ، فتكلم الشافعية بأن الذهبي ليس بأشعرى ، وأن المزى ماوليها إلا بعد أن كتب بخطه وأشهد على نفسه بأنه أشعرى ، واتسع النقاش بينهم ورفض الشافعية أن يتولاها الذهبي بعد أن جمعهم

(١) السبكى : طبقات ، ج ٦ ص ٢٥٤ (القاهرة ١٣٢٤ هـ) .

(٢) من ذلك ماحدث سنة ٧٠٥ هـ حينما وقعت المناظرة بين ابن تيمية والشافعية ، فقرأ الشيخ جمال الدين المزى فصلا بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد للبخارى تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخارى ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضى الشافعى ابن صصرى ، وكان من أعداء ابن تيمية ، فأمر بسجن المزى ، ولما بلغ ابن تيمية ذلك تألم كثيرا وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه ،فغضب نائب دمشق فأعيد المزى ثم أفرج عنه . (ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٣٧ ، ابن حجر: الدرر ج ٥ ص ٢٣٤) .

(٣) منسوبة إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل الأيوبى، ابتدأ عمارتها سنة ٦٢٨ هـ وافتتحت سنة ٦٣٠ هـ وأول من وليها محدث عصره الشيخ تقى الدين ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ (انظر الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٤٣ (أيا صوفيا ٣٠١٢) ، والنعيمى : تنبيه الدارس ج ١ ص ١٩ فما بعد) .

نائب الشام ألطنبغا بالرغم من إلحاح السبكي،ولم يحسم الأمر إلا بتولية السبكي نفسه [(١)] . ثم أثرت صلة الذهبي بابن تيمية فيما اختصر [(٢)] أو ألف [(٣)] من كتب ، وفى بلورة بعض آرائه ، وحبه للحنابلة [(٤)]، وموقفه من بعض المتصوفة [(٥)] ولا سيما طائفة الأحمدية، أتباع الشيخ أحمد الرفاعي [(٦)] . وهو يذكر أن علم المنطق « نفعه قليل وضرره وبيل وما هو من علوم الإسلام [(٧)] » ، ويقـــول عن الفلسفة : « الفلسفة الإلهية ما ينظر فيها من يرجى فلاحه ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه ؛ فإن هذا العلم فى شق وما جاءت به الرسل فى شق ، ولـكن ضلال من لم يدر ما جاءت به الرسل كما ينبغي بالحـكمة أشر ممن يدرى ، واغوثاه بالله ، إذا كان الذين قد انتدبوا للرد على الفلاسفة قد حاروا ولحقتهم كسفة فما الظن بالمردود عليهم [(٨)] ؟ ! » .

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٦ ص ١٧٠ — ١٧١ (القاهرة ١٣٢٤) ، ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، الورقة ١٠٥ (أحمد الثالث ٢٨٣٦) .

(٢) من ذلك مثلا «المنتقى من منهاج الاعتدال» لشيخه ابن تيمية (وانظر الفصل الخاص بكتبه) .

(٣) من ذلك مثلا كتاب « العلو » (وانظر الفصل الخاص بكتبه) .

(٤) الذهبي : معجم الشيوخ م ١ ورقة ٤ .

(٥) قال فى ترجمة شيخه بهاء الدين أبي المحاسن عبد المحسن بن محمد المعروف بابن المديم المتوفى سنة ٧٠٤ هـ : « وكان يدخل فى ترهات الصوفية » (معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٥) .

(٦) قال فى ترجمة ثعلب بن جامع الصعيدى الأحمدى الباز دار المتوفى سنة ٧٢٥ هـ : « كان من كبار الأحمدية، وله أتباع ، ثم إنه تاب وترك تلك الرعونات »(معجم الشيوخ، م ١ الورقة ٤٠) .

(٧) الذهبي : بيان زغل العلم ، ص ٢٤ وقال فى ترجمة أحد شيوخه : « ثم دخل فى المنطق ، فالله يسلم ، ثم أقبل على شأنه » معجم الشيوخ م ١ ورقة ٦٦ — ٦٧ .

(٨) الذهبي : بيان زغل العلم ، ص ٢٥ — ٢٦ وانظر معجم الشيوخ، م٢ الورقة ٤٩ .

ثم كان لهذه الرفقة ، أعنى رفقة ابن تيمية ، أن جعلت بعض الناس يجدون فيها سببا لطعنهم فى كتاباته بسبب اعتقادهم بتحيزها[١] . وقد أثارت هـــذه المطاعن نقاشا بين علماء عصره، وعند العلماء الذين جاءوا بعده[٢] وهو ما سوف نبحثه عند كلامنا على منهجه فى تاريخ الإسلام[٣] .

ومع أن كثيراً من الانتقادات التى وجهت إلى الذهبى بسبب العقائد كان يغلب عليها طابع التحامل والتعصب[٤]. إلا أننا فى الوقت نفسه يجب أن نعترف بأن تكوينه الفكرى العام قد ارتبط ارتباطا شديداً بالحـــديث والمحدثين ونظرتهم إلى العلوم والعلماء وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية . وقد أثر ذلك ، كما سنرى ، فى منهجه التاريخى تأثيراً واضحا حينما ربطه بالحديث النبوى الشريف وعلومه فاهتم اهتماما كبيرا بالتراجم حتى صارت أساس كتابه ومحور تفكيره. ثم أثر تكوينه الفكرى هذا فى نظرته إلى الأحداث التاريخية وأسس انتقائها ونوعية اهتماماته ، كما ستراه مفصلا فى الباب الثانى من هذه الرسالة .

---

(١) السبكى: معيد النعم ، ص ٧٤، والطبقات ، ج٢ ص ١٣ – ١٥ ، ٢٢ – ٢٥، ج ٩ ص ١٠٣

(٢) السخاوى : الإعلان ، ص ٤٩٩ فما بعد، وابن عبد الهادى : معجم الشافعية، الورقة ٤٧ – ٤٨

(٣) انظر أدناه الباب الثانى تجد فيه تفصيلا مغنيا .

(٤) انظر الفصل الأخير من الباب الثانى .

سادسا ـ نشاطه العلمى ومناصبه التدريسية :

بدأت حياة الذهبى العلمية فى الإنتاج فى مطلع القرن الثامن الهجرى كما يبدو، فبدأ باختصار عدد كبير من أمهات الكتب فى شتى العلوم التى مارسها ومن أهمها التاريخ والحديث . ثم توجه بعد ذلك إلى تأليف كتابه العظيم « تاريخ الإسلام» الذى انتهى من إخراجه لأول مرة سنة ٧١٤[١] ه . وقد تولى الذهبى فى سنة ٧٠٣ ه الخطابة بمسجد كفر بطنا[٢] ، وهى قرية بغوطة دمشق[٣]، وظل مقيما بها إلى سنة ٧١٨ ه . وفى هذه القرية الهادئة ألف الذهبى خيرة كتبه ، وقد ساعده على ذلك كما يبدو تفرغه التام للتأليف .

وفى شوال سنة ٧١٨ ه توفى الشيخ كمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد ابن الشريشى الوائلى ، وكيل بيت المال ، وشيخ دار الحديث بتربة أم الصالح وغيرها[٤] ، وكانت هذه الدار من كبريات دور الحديث بدمشق آنذاك[٥] ، تولاها كمال الدين ابن الشريشى مدة ثلاث وثلاثين سنة اعتبارا من سنة ٦٨٥ه وإلى حين وفاته وكان والده قد تولاها قبله[٦] . قال ابن كثير فى حوادث سنة ٧١٨ ه: « وفى يوم الاثنين العشرين من ذى الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى المحدث الحافظ بتربة أم الصالح عوضا عن كمال الدين

(١) انظر الورقة الأخيرة من نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤

(٢) الحسينى : ذيل العبر ، ص ٢٦٩ ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٢٨

(٣) محمد كرد على : غوطة دمشق ، ص ٢٤

(٤) الذهبى : ذيل العبر ، ص ٩٩ ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٩١ ، النعيمى : تنبيه الدارس ، ج ١ ص ٣٣ ـ ٣٤

(٥) النعيمى : تنبيه ، ج ١ ص ٣١٦ ، وواقفها هو الصالح إسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر .

(٦) ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٨٨ ، ٩١ ، النعيمى : تنبيه ، ج ١ ص ٣٤

ابن الشريشي ... وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة[1] » . وقد اتخذها الذهبي سكنا له ثم مات فيها بعد ذلك .

وفي يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٢٩ هـ ولي شمس الدين الذهبي دار الحديث الظاهرية[2] بعد الشيخ شهاب الدين أحمد بن جهبل ونزل عن خطابة كفر بطنا[3] .

ولما توفي الشيخ علم الدين البرزالي ، شيخ الذهبي ورفيقه ، سنة ٧٣٩ هـ ، تولى الذهبي تدريس الحديث بالمدرسة النفيسية وإمامتها عوضا عنه ، وكتب له تلميذه صلاح الدين الصفدي توقيعا بذلك[4] .

وفي هذه السنة أيضا ، أعني سنة ٧٣٩ هـ ، كمل تعمير دار الحديث والقرآن التنكزية[5] ، وباشر الذهبي مشيخة الحديث بها[6] . وقد أخطأ محيي الدين

---

(١) ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ٨٨

(٢) أسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٧٦ هـ ، هي والمدرسة الظاهرية وهي اليوم مقر دار الكتب الظاهرية الواقعة قبالة المجمع العلمي العربي بدمشق ، انظر عنها : النعيمي : الدارس ، ج ١ ص ٣٤٨ (٣) ابن كثير : البداية ج ١٤ ص ١٤٣

(٤) الصفدي : الوافي ، ج ٢ ص ١٦٦ وتجد نص التوقيع في كتابه .

(٥) منسوبة إلى الأمير تنكز نائب الشام ، وليها سنة ٧١٢ هـ ومات معتقلا بالإسكندرية في أوائل سنة ٧٤١ هـ (الحسيني : ذيل العبر ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ٥٥ — ٦٢) قال ابن كثير في حوادث سنة ٧٣٩ هـ : « ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية (كذا والصحيح : التنكزية) وباشر مشيخة الحديث بها الشيخ الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وقرر فيها ثلاثون محدثا لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقرر للشيخ ثلاثون رطل خبز ، وقرر فيها ثلاثون نفرا يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين ، ورتب لها إمام ، وقارىء حديث ، ونواب ، ولقارىء الحديث عشرون درهما وثماني أواق خبز وجاءت في غاية الحسن ... الخ ، ج ١٤ ص ١٨٤

(٦) ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١٨٤ ، النعيمي : تنبيه ، ج ١ ص ١٢٣

عبد القادر النعيمى المتوفى سنة ٩٢٧هـ حينما جعـــل الذهبى يخلف تقى الدين ابن تيمية فى دار الحديث السكرية[١]، فترجمه فيها[٢] وكرر ذلك مع أن الذهبى لم يتول هذه الدار كما يبدو . ويظهر أن «التنكزية» تحرفت إلى «السكرية»[٣] فظن الرجل أنه تولاها، مع أنه ذكر أن الذهبى تولى دار الحديث التنكزية ونقل النصوص الدالة نفسها، قال فى دار الحديث السكرية بعد أن ترجم لشيخها تقى الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ : «ثم وليها بعده الحافظ الذهبى وهو محمد ... ثم ولى مشيخة السكرية هذه بعده الصدر المالكى ، قال الشيخ شمس الدين السيد فى ذيل العبر فى[٤] سنة تسع وأربعين وسبع مئة : « والإمام صدر الدين سليمان ابن عبدالحكم[٥] المالكى مدرس الشرابيشية وشيخ السكرية بعد الذهبى. انتهى، وقال الصلاح الصفدى فى تاريخه فى حرف السين: سليمان بن عبد الحكم... إلخ[٦] » ثم قال فى « دار القرآن والحديث التنكزية » من كتابه بعد ذكر عمارتهـــا ووقوفها : « قال السيد الحسينى فى ذيل العبر فى سنة تسع وأربعين (وسبع مئة)[٧] : والإمام صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكى شيخهم ومدرس

---

(١) تنبيه الدارس ، ج ١ ص ٧٧ – ٧٨

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٧٨ – ٧٩

(٣) علما بأنها محرفة فى النسخة المطبوعة من البداية والنهاية (ج ١٤ ص ١٨٤) وهذه النسخة كثيرة الأغلاط كما هو معروف .

(٤) زيادة منى يقتضيها السياق .

(٥) هكذا فى الأصل. وفى ذيل العبر (ص ٢٧٦) وذيل تذكرة الحفاظ (ص ١١٩): عبد الحكيم . وهو الصحيح .

(٦) النعيمى : تنبيه ، ج ١ ص ٧٧ – ٨٠

(٧) زيادة من عندى يقتضيها السياق .

الشرابيشية وشيخ التنكزية بعد الذهبي . انتهى . وقد تقدمت ترجمة الذهبي في دار الحديث السكرية . وقال الصلاح الصلاح الصفدى فى تاريخه فى حرف السين : سليمان بن عبد الحكم . . . إلخ[١] » . وهذا النص الأخير هو الصحيح وهو الذى أورده الحسينى فى ذيل العبر[٢] . إن هذا الاختلاط والتحريف بالنصوص جعل الدكتور صلاح الدين المنجد يذهب إلى القول بأن الذهبي خلف ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ فى دار الحديث السكرية وهو وهم لا أساس له[٣] .

ومن دور الحديث التى تولاها الذهبي دار الحديث الفاضلية[٤] ، التى أسسها القاضى الفاضل وزير صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٦ هـ .

وهكذا تولى الذهبي كبريات دور الحديث بدمشق فى أيامه ، ولما وصل إليه من المعرفة الواسعة فى هذا الفن . وحينما توفى سنة ٧٤٨ هـ كان يتولى مشيخة الحديث فى خمسة أماكن هى :

١ ـ مشهد عروة ، أو دار الحديث العروية ، ودرس فيها بعده شرف الدين ابن الوانى الحنفى ، نزل الذهبي له عنها فى مرض موته[٥] .

٢ ـ دار الحديث النفيسية ، وقد نزل الذهبي عنها إلى الشيخ شرف الدين

---

(١) النعيمى : تنبيه الدارس ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٢) الحسينى : ذيل ذيل العبر ص ٢٧٦ .

(٣) مقدمة سير أعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٢ والطريف أن ابن تيمية لم يكن متوليا لهذه المدرسة سنة ٧٢٨ فقد اعتقل فى ١٦ شعبان سنة ٧٢٦ وظل معتقلا بالقلعة إلى حين وفاته فى ليلة العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ (ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١٢٣ ، ١٣٥) .

(٤) النعيمى : تنبيه الدارس ، ج ١ ص ٩٤ .

(٥) ابن قاضى شهبة : الإعلام ، الورقة ٨٦ وهو منسوب إلى شرف الدين محمد ابن عروة الموصلى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ (النعيمى : تنبيه الدارس ، ج ١ ص ٨٢) .

ابن الوانى الحنفى فى مرض موته أيضا فدرس فيها فى ذى القعدة[١] .

٣ ـ دار الحديث التنكزية ، ودرس فيها بعده الإمام صدر الدين سليمان ابن عبد الحكيم المالكى كما مر بنا قبل قليل[٢] .

٤ ـ دار الحديث الفاضلية بالكلاسة ، ودَرَّس فيها بعده تلميذه تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع بن هجرس السلامى المتوفى سنة ٧٧٤هـ[٣] .

٥ ـ تربة أم الصالح ، دَرَّس فيها بعده تلميذه أبو الفدا عماد الدين ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ[٤] .

---

(١) ابن قاضى شهبة : : الإعلام ، الورقة ٨٦ .

(٢) وانظر أيضا ابن قاضى شهبة : الإعلام ، الورقة ٨٦ .

(٣) ابن قاضى شهبة : الإعلام ، الورقة ٨٦ ،والنعيمى : تنبيه ، ج ١ ص ٩٤ .

(٤) قال فى كتابه البداية والنهاية فى حوادث سنة ٧٤٨هـ : « وفى يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة حضرت تربة أم الصالح ـ رحم الله واقفها ـ عوضا عن الشيخ شمس الدين الذهبي ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة ، وكان درسا مشهودا ولله الحمد والمنة ... إلخ » ج ١٤ ص ٢٢٥ .

سابعا ـ مكانة الذهبي العلمية :

لعل خير مايصور مكانة الذهبي العلمية واتجاهاته الفكرية هو دراسة آثاره الكثيرة التي خلفها ، وتبيان قيمتها مقارنة بمثيلاتهـا ، ومدى اهتمام العلماء والدارسين بها في العصور التالية ، والمساهمة الفعلية التي قدمتها للحضارة الإسلامية.

وسيرة الذهبي العلمية ، استنادا إلى آثاره ، ذات وجوه متعـددة يستبينها الباحث الفاحص من نوعية تلك الآثار .

وأول مايلاحظ الدارس هذا العدد الضخم من الكتب التي اختصرها والتي تربي على خمسين كتابا ، معظمها من الكتب الكبيرة التي اكتسبت أهمية عظيمة عند الدارسين ، والتي تعد من بين أحسن الكتب التي وضعت في عصرها وأكثرها أصالة ، مما يدل على استيعاب الذهبي لمؤلفات السابقين ، ومعرفته بالجيد الأصيل منها ، وتمتعه بقابلية ممتازة على الانتقاء .

ومما يثير الانتباه أن مختصرات الذهبي لم تكن اختصارات عادية يغلب عليها الجمود والنقـل ، بل إن المطلع عليها الدارس لها بروية وإمعان يجد فيها إضافات كثيرة ، وتعليقـات نفيسة ، واستدراكات بارعة ، وتصحيحات وتصويبات لمؤلف الأصل إذا شعر بوهمه أو غلطه ، ومقارنات تدل على معرفته وتبحره في فن الكتاب المختصر ؛ فهو اختصار مع سد نقص وتحقيق ونقد وتعليق وتدقيق ، وهو أمر لايتأتى إلا للباحثين البارعين الذى أوتوا بسطة في العـلم ومعرفة في فنونه .

والذهبي حين يضيف إلى الكتاب المختصر يشعر بضرورة ذلك لسد نقص يعتري ذلك الكتاب . فحينما اختصر ـ مثلا ـ كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » لعز الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ زاده من عدة تواريخ منها :

« تاريخ الصحابة الذين نزلوا حمص » لأبى القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، و « مسند » الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، و « مسند » بقى بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، و « طبقات » ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، و« تاريخ دمشق» لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ، ومن كتابات ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤[1] هـ . وقال سبط ابن حجر عند كلامه على اختصار الذهبى لمعجم شيوخ الأئمة النبل لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ : « زاده فوائد ومحاسن »[2] .

ويجد الباحث فى مختصرات الذهبى تعليقات نفيسة ، من ذلك — مثلا — ما عمله فى كتاب « الكاشف » الذى اختصره من « تهذيب الكمال » لأبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ ، فعلى الرغم من محافظة الذهبى على روح النص الأصلى ، فقد بث فيه من روحه ونشر فيه من علمه ما جعله يكاد يكون مؤلفا من تآليفه مخالفا للأصل المختصر منه فى كثير من الأمور ، وآية ذلك أنه علق على آراء بعض أئمة الجرح والتعديل فيه تعديلا أو إبطالا ، كما حقق كثيرا من التراجم وزادها تدقيقا لا نجده فى الأصل . فضلا عن بيان رأيه فى كثير من الرواة على أسس من دراساته الواسعة وخبرته العميقة بعلم الحديث النبوى الشريف مما حدا بتاج الدين السبكى أن يصف هذا المختصر بأنه « كتاب نفيس »[3] .

وتظهر براعة الذهبى فى النقد والتحقيق فى كثير من هذه المختصرات ، فمن ذلك — مثلا — ما ظهر فى مختصره لكتاب « المستدرك على الصحيحين » لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ الذى قصد فيه مؤلفه أن يورد

---

(١) انظر أدناه قائمة المختصرات فى مؤلفات الذهبى و « تجريد أسماء الصحابة » .

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٣) طبقات الشافعية ، ج ٩ ص ١٠٤ .

أحاديث على شرط البخارى ومسلم مما لم يذكراه فى صحيحيهما ، حيث يتبين لنا من مطالعة المختصر وتعليقات الذهبى عليه وتخريجاته ونقده أنه لم يصحح من أحاديث الكتاب سوى النصف ، وبين أن نصف النصف الآخر يصح سنده وإن كان فيه علة ، أما الربع الأخير فهو أحاديث مناكير وواهيات لا تصح ، بل إن فى بعضها أحاديث موضوعة[١] . وهذا يعنى أن الذهبى قد أعاد دراسة جميع أحاديث المستدرك مجددا ونقدها فخرج بهذه النتيجة .

وغالباً ما يقوم الذهبى بتخريج الأحاديث الواردة فى الكتب التى يقوم باختصارها ، فغالب التخريج فى كتاب « تلخيص العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » الذى لخصه من كتاب « العلل » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ هو من كلام الذهبى[٢] . ولما اختصر الذهبى كتاب « السنن الكبرى » للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٨هـ تكلم على أسانيد الكتاب بنفائس تدل على تبحره بهذا الفن ، ووضع رموزا على الحديث لمن خرجه من أصحاب الصحيحين والسنن الأربع ، وخرج الأحاديث التى لم ترد فى هذه الكتب الستة .

وكثيرا ما كان الذهبى يخرج تراجم الكتب التى يختصرها فى علم الرجال ، من ذلك — مثلا — ما عمله فى اختصاره لتاريخ ابن الدبيثى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ حيث زاد فى كثير من تراجمه ولا سيما الرجال الذين أخذوا عن صاحب الترجمة ، وهو ما أغفله ابن الدبيثى فى تاريخه[٣] . كما تظهر مقارنات دقيقة بالكتب والتواريخ

(١) انظر أدناه « تلخيص المستدرك » فى كلامنا على مؤلفات الذهبى .

(٢) الذهبى : تلخيص العلل ، ورقة ٨٥ (نسخة الأزهر رقم ٢٩٠ حديث) .

(٣) انظر المختصر المحتاج، مثلا ج ١ ص ١٨ ، ٢٠، ٢١، ٢٥ ، ٢٦، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٨، ١٧٩، ١٩٩.. إلخ

التى من بابته كتاريخ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ ه الذى ذيل به على تاريخ الخطيب المتوفى سنة ٤٦٣ ه[١] ، ووفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١[٢] ه ، والتكملة لوفيات النقلة لزكى الدين المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦[٣] وغيرها . أو من كتب الشعر ككتاب « الخريدة » للعماد الأصبهانى القرشى المتوفى سنة ٥٩٦[٤] ه . أو من كتابات كبار العلماء الذين أخذوا عن المترجم له ، مثل زكى الدين البرزالى المتوفى سنة ٦٣٦[٥] ه ، ونخر الدين ابن البخارى المتوفى سنة ٦٩٠ ه وصاحب «المشيخة» المشهورة[٦] ، وشهاب الدين أحمد بن إسحاق الأبرقوهى المتوفى سنة ٧٠١ ه[٧] ، وضياء الدين المقدسى المتوفى سنة ٦٤٣ ه[٨] وغيرهم كثير أو من خطوط العلماء نحو قوله : « قرأت بخط ابن قدامة »[٩] . فضلا عما أضاف هو من الأسانيد التى قرأها على شيوخه مما يتصل بتلك التراجم ، وهى إضافة أصيلة للترجمة ، فهو حينما يقول مثلا : « وروى لنا عنه بمصر أبو المعالى

(١) انظر المختصر المحتاج ، مثلا ج ١ ص ٢١ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠١ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ . . . إلخ .

(٢) المصدر السابق ، مثلا ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٥ .

(٤) المختصر ، ج ١ ص ٢٢٥ .

(٥) المختصر ، مثلا ج ٢ ص ٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ، مثلا ج ٢ ص ٦٣ .

(٧) المختصر ، مثلا ج ٢ ص ٣٦ .

(٨) المصدر نفسه ، مثلا ج ٢ ص ٣٦ ، ٦٢ .

(٩) المصدر نفسه ، مثلا ج ١ ص ٦٥ .

الأبرقوهى[١] » أو« روى لنا عنه أبو العباس ابن الظاهرى وأبو الحسين اليونينى وعلى بن عبد الدائم ومحمد بن يوسف الإربلى . . . إلخ[٢] » فمعنى ذلك أن هؤلاء الشيوخ قد أخذوا عن صاحب الترجمة[٣] .

ومن إضافاته إلى تلك المختصرات أيضاً تواريخ وفيات المترجمين الذين لم يذكر صاحب الكتاب الأصلى وفياتهم ، فنحن نعلم – مثلا – أن ابن الدبيثى لم يذكر وفاة أحد ممن ذكرهم فى تاريخه ممن تأخرت وفاته عن سنة ٦٢١ ﻫ وهى السنة التى حدث ابن الدبيثى فيها بتاريخه والتى تمثل آخر إخراج له[٤]، فى حين أن وفيات بعضهم قد تأخرت إلى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، فاستخرج الذهبى وفياتهم وذكرها ليكون اختصاره أكمل ولتكون معلومات الكتاب أتم[٥] . يضاف إلى ذلك أنه يروى بعض الأحاديث الواردة فى هذه المختصرات بسنده إذا وجد مجالا لذلك[٦] .

وأعاد الذهبى تنظيم بعض الكتب التى اختصرها ، ففيما اختصر كتاب « الكنى » لأبى أحمد الحاكم المتوفى سنة ٣٧٨ ﻫ أعاد ترتيبه على حروف المعجم

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢١

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٣ .

(٣) انظر مزيدا من الأمثلة ، المختصر ، مثلا ج ١ ص ٧٦ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ .

(٤) انظر كتابنا : تاريخ بغداد لابن الدبيثى ، منهجه ، موارده ، أهميته ، ص ٤ (بغداد ١٩٧٤) .

(٥) انظر المختصر المحتاج إليه ، مثلا ج ١ ص ٧٦ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ . . . إلخ . ونجد أيضا ذكرا لوفيات من يرد اسمه عرضا فى بعض الأحيان ج ١ ص ١٠٣

(٦) المختصر المحتاج إليه ج ١ ص ٤٩ ، ٦٥

بعد أن أضاف إليه أشياء أخرى مما ليس فيه [١] . كما رتب « المجرد من تهذيب الكمال » على عشر طبقات ورتب كل طبقة على حروف المعجم ، فى حين كان كتاب « تهذيب الكمال » للمزى مرتبا على حروف المعجم [٢] .

وقد حفظنا من سيرة الذهبى أنه عنى بالقراءات ودرسها على كبار شيوخ عصره من المقرئين المشهورين حتى أصبح « الأستاذ الثقة الكبير [٣] » فيها . وذكر ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ ﻫ أنه كان « إماما فى القراءات [٤] » . لكننا نلاحظ فى الوقت نفسه أنه لم يتخرج عليه فى القراءات سوى عدد قليل جداً [٥] . ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أنه عنى بهذه الناحية فى مطلع حياته العلمية ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الحديث والتاريخ وغيرهما . ولم نعرف من آثاره فى هذا الفن غير كتاب « التلويحات فى علم القراءات [٦] » وكتاب « معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار [٧] » الذى هو إلى كتب التراجم أقرب منه إلى القراءات وإن كانت محتوياته غالبا ما تتعلق بموضوع القراءات . وقد

---

(١) انظر مقدمة نسخة فيض الله رقم ١٥٣١ من الكتاب .

(٢) انظر أدناه كلامنا على كتاب « المجرد من تهذيب الكمال » .

(٣) ابن الجزرى : غاية ، ج ٢ ص ٧١

(٤) الرد الوافر ، ص ٣١

(٥) ابن الجزرى : غاية ، ج ٢ ص ٧١ ، قال : « ولم أعلم أحدا قرأ عليه القراءات كاملا ، بل شيخنا الشهاب أحمد بن إبراهيم المنبجى الطحان قرأ عليه القرآن جميعه بقراءة أبى عمرو والبقرة جمعا . وروى عنه الحروف إبراهيم ابن أحمد الشامى ومحمد بن أحمد ابن اللبان وجماعة . وسمع منه الشاطبية يحيى بن أبى بكر البونى وحدث بها عنه فى اليمن » .

(٦) انظر أدناه كلامنا على آثار الذهبى (القراءات) .

(٧) انظر أدناه كلامنا على مؤلفات الذهبى فى الرجال .

شهد له ابن الجزرى بالإحسان فيه[١] ، لذلك سلخه بأجمعه فى كتابه « غاية النهاية » كما نص على ذلك فى المقدمة[٢] ووصفه شمس الدين السخاوى بأنه « كتاب حافل[٣] » . ومع كل ذلك فإن هذا الوجه من حياة الذهبى العلمية هو أضعف الوجوه وأقلها آثاراً .

على أن مكانة الذهبى العلمية وبراعته تظهران فى أحسن الوجوه إشراقا وأكثرها تألقا عند دراستنا له محدثا يعنى بهذا الفن ، فقد مهر الذهبى فى علم الحديث وجمع فيه الكتب الكثيرة «حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفا[٤] ». وقد رأينا إقباله العظيم عليه وشرهه لسماعه وذاك العدد الضخم من الشيوخ الذين حوتهم معجمات شيوخه الثلاثة والكتب والأجزاء والمجاميع الكثيرة التى قرأها على الشيوخ أكثر من مرة . وقد فتحت له هذه المعرفة الواسعة آفاقا عظيمة فى هذا الفن فاختصر عدداً كبيراً من الكتب وألف عدداً أكبر يستبينه الباحث عند إلتمائه نظرة على قائمة مؤلفاته فى هذا المجال . كما ألف فى مصطلح الحديث كتباً ، وخرج التخاريج الكثيرة من الأربعينات ،والثلاثينات ، والعوالى ، والأجزاء ، ومعجمات الشيوخ ، والمشيخات ،وغيرها مما فصلنا القول فيه عند كلامنا على آثاره .

ومع أن الذهبى قد عاش فى عصر غلب عليه الجمود والنقل والتلخيص ، فإنه قد تخلَّص من كثير من ذلك بفضل سعة دراساته وفطنته ، قال تلميذه صلاح الدين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ : «لم أجد عنده جمود المحدثين

(١) غاية ، ج ٢ ص ٧١
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣
(٣) الإعلان ، ص ٥٦٤
(٤) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦

ولا كودنة[١] النقلة بل هو فقيه النظر له دربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات . وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام إسناد أو طعن في رواته، وهذا لم أر غيره يراعى هذه الفائدة فيما يورده »[٢] .

إن هذه البراعة في علم الحديث والتمكن منه ذاك التمكن ، جعلت الذهبي ينطلق بعد ذلك يجرح ، ويعدل ، ويفرع ، ويصحح ، ويعلل،ويستدرك على كبار العلماء[٣]، « فدخل في كل باب من أبوابه » على حد تعبير تلميذه تاج الدين السبكي[٤] ، حتى أطلق عليه معاصروه « محدث العصر[٥] » . وبلغ اعتراف حافظ عصره الإمام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ بفضل الذهبي وبراعته إلى درجة أنه شرب ماء زمزم سائلا الله أن يصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ وفطنته[٦] .

---

(١) الكودنة : البلادة .

(٢) الوافي ، ج ٢ ص ١٦٣

(٣) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٥ .

(٤) الطبقات الوسطى (ترجمة الذهبي من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٤).

(٥) السبكي : الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٠ ، العيني : عقد الجمان ، ورقة ٣٧ (أحمد الثالث رقم ٢٩١١) .

(٦) استنادا إلى حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ماء زمزم لما شرب له » وقد ذكر ذلك تلميذه السخاوي في الإعلان (ص ٤٧٢) . وقديما شرب ابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ ماء زمزم وطلب علما نافعا (الذهبي : تذكرة ، ج ٢ ص ٧٢١) . وقال الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ : « شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف » (الذهبي : تذكرة ، ج ٣ ص ١٠٤٤) . وألف شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ رسالة في « التزام مالا يلزم فيماورد في ماء زمزم » منها نسخة في خزانة كتب جستربتي في دبلن ضمن مجموع برقم ٣٣١٧.

ومفهوم التاريخ عند الذهبي يتصل اتصالا وثيقا بالحديث النبوى وعلومه ، ويظهر ذلك من كتب الرجال التى يطلق الذهبي عليها اسم « التاريخ » . وقد أصبح واضحا أن الغاية الرئيسة من العناية بالرجال تأتى لضبط الرواة أولا[١] ، وهو ما يظهر فى معظم مقدمات كتبه فى هذا الفن ، وهو مفهوم ساد عند المحدثين المؤرخين لاسيما فى ذلك العصر[٢] .

وعلى علم الرجال ، وعلى آثار الذهبي فيه ، قامت شهرته الواسعة باعتباره مؤرخا ، كما نرى . وقد خلف الذهبي فى هذا الفن عددا ضخما من الآثار ابتدأها باختصار أمهات الكتب المؤلفة فيه ، كالتواريخ المحلية مثل « تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، والذيول عليه لابن السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ، وابن الدبيثى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ وابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . ومنها أيضاً « تاريخ دمشق » لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ، و «تاريخ مصر» لابن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ هـ ، و « تاريخ نيسابور » لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، و «تاريخ خوارزم» لابن أرسلان الخوارزمى المتوفى سنة ٥٦٨ هـ . ومن كتب الوفيات : « التكملة لوفيات النقلة » لزكى الدين المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وصلته للحسينى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ . ومن كتب

(١) انظر كتابنا: « أثر الحديث فى نشأة التاريخ عند المسلمين » . بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٦٦ م ، وبحثنا : « مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين» المنشور فى مجلة الأقلام البغدادية ، السنة الاولى ، العدد الثالث ١٩٦٥ م .

(٢) حينما شعر الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ أن من بين مستدركاته على الذهبي فى كتابه « المشتبه » أسماء لشعراء وفرسان فى الجاهلية وما أشبه ممن ليست لهم رواية حديثية، اعتذر عن ذلك بقوله : « فإن غالب من ذكرت يأتى ذكره فى كتب المغازى والسير والمبتدأ والأنساب والتواريخ والأخبار ولا يستغنى طالب الحديث عن ضبط مايرد فى ذلك من الأسماء ولو لم يكن لهم رواية » . تبصير المنتبه ، ج ٤ ص ١٥١٣ .

الأنساب : كتاب « الأنساب » لأبى سعد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ ﻫ . ومن كتب الصحابة كتاب « أسد الغابة » لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ ﻫ . ومن كتب رجال الصحاح والسنن مثل كتاب « تهذيب الكمال فى معرفة الرجال » لأبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ﻫ ، و «المعجم المشتمل على أسماء شيوخ الأئمة النبل » لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ ﻫ وغيرها[١] . فكانت هذه المختصرات المادة الرئيسة التى كونت شخصيته العلمية ومعرفته بالعصور السابقة . أما تراجم المعاصرين فيعد الذهبى من بين أحسن الذين كتبوا فيهم ، وقد أدرك أهمية هذا الأمر فكان كتابه « المعجم المختص بالمحدثين » خير دليل على ذلك ، ولاعبرة بعد ذلك بمن انتقده لتناوله التاريخ المعاصر كابن الوردى[٢] ، لأن هذا هو التاريخ الأكثر أهمية وخطرا ، وهو الذى يعطى المؤرخ أهميته البالغة بين المؤرخين ويميزه عن غيره .

لقد أنتجت هذه المعرفة الرجالية الواسعة مؤلفات كثيرة لعل من أهمها كتابه العظيم « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » الذى هو إلى كتب الرجال أقرب منه إلى التاريخ بمفهومه الحديث كما سيأتى بيانه فى فصول قادمة ، ثم ذلك العدد الضخم من المؤلفات التى سوف نفصل القول فيها فى فصل آت .

ولعل مما يميز الذهبى عن غيره من بعض مؤلفى كتب الرجال أنه لم يقتصر فى تأليفه على عصر معين ، أو فئة معينة ، أو تنظيم معين ، بل تناولت مؤلفاته رجال الإسلام من أول ظهوره حتى عصره ، بله المعاصرين له . وهو فى كتابته للترجمة فنان تراجمى ملىء بفن التراجم يجد الباحث فيها دقة متناهية فى التعبير وحبكا

---

(١) انظر أدناه كلامنا على « المختصرات » من الفصل الآتى .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ص ٣٤٩

المترجمة تشد القارئ إليها مع تعـــدد الموارد وانتقاء لأفضلها ، وإبداء لآرائه الشخصية فيها[١] .

وقد عانى الذهبي كتابة « السيرة » وهو فن خاص له مميزاته التى تجعـــله يختلف عن كتابة « الترجمة » المجردة ، فكتب فى سير الخلفاء الراشدين ، وأئمة الفقه ، والحديث ، وغيرهم[٢] .

ومعرفة الذهبي الواسعة فى الرجال دفعت تاج الدين السبكى الذى انتقده فى بعض المواضع إلى القول : « إنه كان شيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال ، وكأنما جمعت الأمة فى صعيـــــد واحد فنظرها ثم أخذ يعبر عنها إخبار من حضرها[٣] » . وقد ازداد شأنه بعد عصره بحيث اعتبر هو والمزى مؤرخى القرن الثامن اللذين لا ينافسهما أحد[٤] ، وعده الإمام السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ رأس طبقة ذكر فيها القطب الحلبى المتوفى سنة ٧٣٥ هـ وابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ وشمس الدين المقدسى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ وتقى الدين السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وعلم الدين البرزالى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ وشهاب الدين النابلسى المتوفى سنة ٧٥٨[٥] هـ وهم من أعلام الحفاظ المحدثين المؤرخين ، وذكر أن المحدثين فى عصره عيال فى الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة أحدهم الذهبى[٦] .

---

(١) انظر الباب الثانى من هـــذا البحث عند كلامنا على منهج الذهبي فى تاريخ الإسلام .

(٢) انظر أدناه كلامنا على « السير » من آثار الذهبي فى الفصل القادم .

(٣) السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠١

(٤) السخاوى : الإعلام ، ص ٢٠٤

(٥) السيوطى : طبقات الحفاظ ، ورقة ٨٥ فما بعد (نسخة الإسكندرية) .

(٦) المصدر نفسه ، ورقة ٨٦

ومع أن براعة الذهبي التاريخية أكثر ما ظهرت فى الرجال فإنه قد درس التاريخ السياسى ، واختصر عددا من المؤلفات الرئيسة فيه مثل تاريخ أبى شامة المتوفى سنة ٦٦٥ ﻫ وتاريخ أبى الفــدا المتوفى سنة ٧٣٢ ﻫ وغيرها ، وأفاد من معظم التواريخ المعروفة فى عصره ودرسها كسيرة ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ﻫ وتواريخ : الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ﻫ وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ﻫ وابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ وغيرها مما يطول تعداده [١] . وقد ظهرت هذه الكتابات فى تواريخه المرتبة على الحوادث والوفيات مثل « تاريخ الإسلام » و « العبر » و « دول الإسلام » وغيرها . ونستبين من نطاق كتاباته هذه أنه كان مؤرخا جوال الذهنية استطاع استيعاب عصور التاريخ الإسلامى من أول ظهوره حتى زمانه الذى كتب فيه مؤلفاته ، وهى فترة تزيد على السبعة قرون ، فألف فى كل هذه العصور بعد أن درسها دراسة عميقة قامت على دعامتين رئيستين هما : الرواية الشفوية والكتب . وهذا أمر لم يتأت لكثير من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه. وحينما كتب الذهبي كتابه «تذكرة الحفاظ» ورتبه على الطبقات تكلم فى نهاية أكثرها على الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى الوقت الذى تناولته فأجمل الأوضاع العامة بفقرات قليلة دلت على سعة أفقه التاريخى وقدرته الفائقة على تصوير حقبة كاملة من الزمن وعلى امتــداد العالم الإسلامى المترامى الأطراف بعبارة وجيزة . وهذا أمر لا يتأتى إلا لمن استوعب العصر ودرسه دراسة عميقة بحيث حصل له مثل هذا التصور والفهم العام [٢] .

---

(١) انظر أدناه كلامنا على نهج الذهبي فى الموارد .

(٢) انظر مثلا الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٧٠ ، ١٥٨ – ١٦٠ ، ٢٤٤ ، ٣٢٨ ج ٢ ص ٥٣٠ ، ٦٢٧ – ٦٢٨ ، ج ٤ ص ١٢٦٦ ، ١٤٨٥

ثم إن هذه المعرفة الرجالية الواسعة مع ما أوتى من ذكاء وإدراك واسعين جعلت منه ناقدا رجاليا ماهرا ، تدل على ذلك مؤلفاته فى النقد وأصوله والتى من أبرزها كتابه العظيم « ميزان الاعتدال فى نقــــد الرجال » الذى اعتبره معاصروه[١] ومن جاء بعدهم[٢] من أحسن كتبه وأجلها . وقد تناوله عدد كبير من الحفاظ والعلماء والمعنيين بالنقــــد استدراكا وتعقيبا وتلخيصا بحيث قال شمس الدين السخاوى : « وعول عليه من جاء بعده[٣] » .

وللذهبى التفاتات بارعة فى أصول النقد ؛ فقد ألف رسالة فى « ذكر من يؤتمن قوله فى الجرح والتعديل » تكلم فيها على أصول النقد وطبقات النقاد وكيفية أخذ أقوالهم[٤] . وأورد فى مقدمة « الميزان » عبارات الجرح والتعديل من أعلى مراتبها إلى أدناها وبين مدلولاتها فى النقد[٥] . وهو فى كتبه يشرح بعض هذه الأصول ، من ذلك مثلا ماذكره فى ترجمة أبان بن تغلب الكوفى ، قال : « شيعى جلد ، لكنه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته . وقد وثقه أحمد بن حنبل ، وابن معين ، وأبو حاتم ، وأورده ابن عدى ، وقال : كان غاليا فى التشيع . وقال السعدى : زائغ مجاهر . فلقائل أن يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والإتقان ؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟ وجوابه أن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف ، فهذا كثير فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلو رد حديث هؤلاء

---

(١) السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٤ ، الحسينى : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥
(٢) ابن حجر : لسان الميزان ، ج ١ ص ٤
(٣) الإعلان ، ص ٥٨٧ وانظر أدناه كلامنا على الميزان فى الفصل الآتى .
(٤) نسخة أيا صوفيا رقم ٢٩٥٣
(٥) ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٣ — ٤

لذهب جملة من الآثار النبوية ، وهذه مفسدة بينة . ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة ... ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلا ، بل قد يعتقد علياً أفضل منهما [١] » . وقال فى ترجمة أبى نعيم أحمد ابن عبد الله الأصبهانى : « أحد الأعلام صدوق ، تكلم فيه بلاحجة ، ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه فى ابن منده بهوى، قال الخطيب : «رأيت لأبى نعيم أشياء يتساهل فيها ، منها أنه يطلق فى الإجازة أخبرنا ولا يبين . قلت (يعنى الذهبى) : هذا مذهب رآه أبو نعيم وغيره ، وهو ضرب من التدليس . وكلام ابن منده فى أبى نعيم فظيع ، لا أحب حكايته ، ولا أقبل قول كل منهما فى الآخر ، لا أعلم لهما ذنبا أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها . . . قلت : كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يعبأ به ، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أولمذهب أولحسد، ماينجو منه إلا من عصم الله، وماعلمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك ، سوى الأنبياء والصديقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم [٢] ».

ولم يكن الذهبى ليصدر اتباعا لآراء الآخرين فى النقد فهو يخالفهم فى بعض الأحيان حين لا يجد لآرائهم من سند قوى يؤيدها ؛ فمن ذلك ـ مثلا ـ ما جاء فى ترجمة زيد بن وهب الجهنى ، أحد التابعين ، وهو الذى تكلم فيه أبو يعقوب النسوى فى تاريخه وذكر أن فى حديثه خللا كبيراً ، فقال :

(١) ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٥ — ٦ وانظر أمثلة أخرى فى معجم الشيوخ م ١ الورقة ٢٥٦ ،م ٢ الورقة ٧٢، وتاريخ الإسلام، الورقة ٩٣(أحمد الثالث ٩/٢٩١٧).

(٢) نفسه ، ج١ ص ١١١وانظر تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٣٤(أيا صوفيا ٣٠٠٨).

« ولا عبرة بكلام الفسوى[١] » وأورد فى « ميزان الاعتدال » مآخذ الفسوى عليه ورد عليها ثم قال : « فهذا الذى استنكره الفسوى من حديثه ما سُبق إليه ، ولو فتحنا هـــذه الوساوس علينا لرددنا كثيراً من السنن الثابتة بالوهم الفاسد[٢] » والميزان ملئ بمثل هذه النقدات لا مجال لتكثير الأمثلة منها .

ولم يقتصر نقد الذهبي على الرجال حسب ، بل تعدى ذلك إلى نقد الموارد التى يطالعها أو يختصرها أو يأخذ منها ، وهو ما يعرف اليوم بنقد المصادر؛ من ذلك مثلا نقده لكتاب « الضعفاء » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ الذى اختصره وذيل عليه ، فقال فى ترجمة أبان بن يزيد العطار : « قد أورده أيضاً العلامة ابن الجوزى فى الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثقه . وهذا من عيوب كتابه يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق »[٣] . وقال فى ترجمة حفص بن بغيل من الميزان : « قال ابن القطان : لا يعرف له حال ولا يعرف . قلت : لم أذكر هذا النوع فى كتابى ؛ هذا فإن ابن القطان يتكلم فى كل من لم يقل فيه إمام عاصر ذاك الرجل أو أخذ عمن عاصره مما يدل على عدالته . وهذا شيء كثير ، ففى الصحيحين من هــذا النمط خلق كثير مستورون ، ما ضعفهم أحـــد ولا هم بمجاهيل[٤] » . وانتقد الذهبي كتاب « الضعفاء » لأبى جعفر محمد بن عمرو العقيلى المتوفى سنة ٣٢٢ ﻫ لإيراده بعض الثقـــات ومنهم حافظ عصره علىّ

---

(١) الذهبي : تذكرة ، ج ١ ص ٦٧

(٢) الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج ٢ ص ١٠٧ وانظر : تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٦ . وقد تكلم فى هذه المسألة ابن حجر فى اللسان فراجعه هناك تجد فائدة .

(٤) ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٥٥٦ .

ابن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ فقال في ترجمة ابن المديني من الميزان : « ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء فبئس ما صنع » ورد عليه حينما نقـل قول عبد الله ابن أحمد بن حنبل : « كان أبي حدثنا عنه ، ثم أمسك عن اسمه . . . ثم ترك حديثه » ، بقوله : « بل حديثه عنه في مسنده » وهذا رد مفحم من الذهبي ، بل قال بعد ذلك : « وهـذا أبو عبد الله البخاري ـ وناهيك به ـ قد شحن صحيحه بحديث ابن المديني[١] » . ولا يقتصر الذهبي في نقد الكتب على إيراد مساوئها ، بل كثيرا ما يذكر محاسنها ومميزاتها ؛ فقد سبق أن قال إن كتاب العقيلي مفيد[٢] ، وقال عن كتاب « الكامل » لابن عدي المتوفى سنة ٣٦٥ هـ إنه « أكمل الكتب وأجلها في ذلك[٣] » ، وقال في ترجمة الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ : « وإذا شئت أن تتبين براعة هذا الإمام الفرد فطالع العلل له فإنك تندهش ويطول تعجبك[٤] » .

ونحن نعلم أيضاً أن الذهبي قد عاني النقد في تآليف خاصة رد بها على كتب معينة ، فقد ألف كتابا في الرد على ابن القطان المتوفى سنة ٦٢٨ هـ[٥] . كما ألف كتاب « من تـكلم فيه وهو موثق » رد به على جملة من كتب الضعفاء[٦] .

وبسبب هذا الذي قدمنا ذكره من براعة الذهبي في النقد والتمـكن منه ، فقد أصبح « شيخ الجرح والتعديـل » كما ذكر تاج الدين السبكي[٧] . وقال

(١) ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢ .

(٤) تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ص ٩٩٣ — ٩٩٤ .

(٥) الذهبي : الرد على ابن القطان ، (نسخة الظاهرية ، مجموع رقم ٧٠) .

(٦) انظر أدناه كلامنا على هذا الكتاب في آثار الذهبي ـ الفصل الآتي .

(٧) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠١ .

ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ : « ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمجرحين . . . وكان آية فى نقد الرجال ، عمدة فى الجرح والتعديل[1] »، وقال شمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢هـ: «وهو من أهل الاستقراء التام فى نقد الرجال[2] »، فأصبحت أقوال الذهبى فيمن يترجم لهم تعتبر عند النقاد والمؤرخين الذين جاءوا بعده أقصى حدود الاعتبار ، وظهرت بصورة جلية فى المؤلفات التى كتبت بعد عصره ، ولا سيما فى مؤلفات مؤرخ القرن التاسع وحافظه ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ[3].

ويطالعنا عند قراءة كتب الذهبى العديد من الأمثلة التى تدل على قوته فى البحث والاستدلال ، ومناقشة آراء الغير بروح علمى يعتمد الدليل والإقناع ، من ذلك ـ مثلا ـ مناقشته لمن اتهم الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان البستى التميمى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ بالزندقة لقوله : « إن النبوة هى العلم والعمل » وما تبع ذلك من كتابة الخليفة أمرا بقتله لهذا السبب ، قال الذهبى : « وهذا أيضا له محمل حسن ولم يرد حصر المبتدأ بالخبر ، ومثله : الحج عرفة . فمعلوم أن الرجل لا يصير حاجا بمجرد الوقوف بعرفة، وإنما ذكر مهمّ الحج ،ومهمّ النبوة؛ إذ أكمل صفات النبى العلم والعمل ، ولا يمكن أحد نبيا إلا أن يكون عالما عاملا . نعم ، النبوة موهبة من الله تعالى لمن اصطفاه من أولى العلم والعمل لا حيلة للبشر فى اكتسابها أبداً ، وبها يتولد العلم النافع الصالح ، ولا ريب أن إطلاق ما نقل عن أبى حاتم لا يسوغ ، وذلك نفس فلسفى[4] » . ومن الأمثلة الطريفة أيضا مناقشته لمسألة

---

(١) الرد الوافر ، ص ٣١ . (٢) الإعلان ، ص ٧٢٢ .

(٣) انظر مثلا كتابه : « لسان الميزان » .

(٤) الذهبى : تذكرة ، ج ٣ ص ٩٢١ ـ ٩٢٢ وراجع تاريخ الإسلام ، ورقة ١٦ ـ ١٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) وانظر أيضا ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ففيه تفصيل أكثر فى هذه المسألة .

معرفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكتابة ، فقال فى ترجمة الحافظ العلامة أبى الوليد سليمان بن خلف الباجى المتوفى سنة ٤٧٤ هـ : « ولما تكلم أبو الوليد فى حديث الكتابة يوم الحديبية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه ، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر ابن الصائغ وكفره بإجازة الكتْب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النبي الأمى وأنه تكذيب بالقرآن ، فتكلم فى ذلك من لم يفهم الكلام حتى أطلقوا عليه الفتنة وقبّحوا عند العامة ما أتى به خطباؤهم فى الجمع وقال شاعرهم :

برئت ممن شرى دنيـــا بآخرة　　وقال : إن رسول الله قد كتبا

وصنف أبو الوليد رسالة بين فيها أن ذلك غير قادح فى المعجزة فرجع بها جماعة . قلت : ما كل من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أميا لأنه لا يسمى كاتباً . وجماعة من الملوك قـد أدمنوا فى كتابة العلامة وهم أميون ، والحكم للغلبة لا للصورة النادرة ، فقد قال عليه السلام : « إنا أمة أمية » أى أى أكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة ، وقال تعالى : « هـو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم[1] » وقال فى موضع آخر معقبا على هـذه المسألة أيضاً : « قلت : وما المانع من جواز تعلم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسير الكتابة بعد أن كان أميا لا يدرى ما الكتابة ، فلعله لكثرة ما أملى على كتاب الوحى وكتاب السنن والكتب إلى الملوك عرف من الخط وفهمه وكتب الكلمة والكلمتين كما كتب اسمه الشريف يوم الحديبية محمد بن عبد الله ، وليست كتابته لهذا القدر اليسير ما يخرجه من كونه أميا ككثير من الملوك أميين ويكتبون العلامة »[2] . ومثل هذا كثير فى كتب الذهبى .

---

(١) الذهبى : تذكرة ، ج ٣ ص ١١٨١ – ١١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٧٤٢ .

وقد حفظنا من سيرة الذهبي أنه كان حنبلي العقيدة قد أثرت فيه البيئة الدمشقية وصحبته لشيخ الإسلام ابن تيمية . ومع أن الذهبي لم يكن متحمسا للخوض فى مضايق العقائد ويعتبر السكوت فيها أولى وأسلم[١]، لكنه فى الوقت نفسه أبدى آراءه فى كثير من المواضع ، وألف فيها . وقد اعتبر « الاعتزال بدعة[٢] » وهاجم الفلاسفة اليونانيين هجوما عنيفا[٣] . وكان على غاية من الإعجاب بأعمال السلف وإنجازاتهم[٤] ، واهتم اهتماما كبيراً بذكر أخبار العلماء فى المحنة التى أصيبوا بها حينما أعلن المأمون رأيه وألزم الناس القول بخلق القرآن ، وبين مواقفهم الجريئة من هذا الأمر[٥] .

لقد اختصر الذهبي عدداً من الكتب المهمة فى العقائد منها ـ مثلاـ كتاب « البعث والنشور » وكتاب « القدر » اللذان للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وكتاب « الفاروق فى الصفات » لشيخ الإسلام الأنصارى المتوفى سنة ٤٨١ هـ وكتاب «منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» لرفيقه وشيخه تقى الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

وخلف الذهبي عددا من الآثار فى هذا العلم منها كتاب « الكبائر وبيان المحارم » وكتاب « الأربعين فى صفات رب العالمين » وكتاب « العرش »

---

(١) تذكرة ، ج ٢ ص ٦٠٠ ، ج ٤ ص ١٤٩٩

(٢) انظر مثلا تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ص ١١٢٢

(٣) أهل المئة فصاعدا ، ص ١١٥

(٤) تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ص ٦٢٧ — ٦٢٨

(٥) انظر مثلا تذكرة ، ج١ ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٦١ ، ٥٨٩ . ج ٢ ص ٧٣٠ ، ٧٣٣ ، ٧٤٧ . . . الخ .

و« كتاب مسألة الوعيد» وغيرها . ولعل من أشهرها كتابه المعروف« العلو للعلي الغفار » الذى يعد أوسع هذه الكتب وأكثرها شهرة[١] .

بحث الذهبي العقائد على طريقة السلف من أهل الحديث ، فكانت المادة الرئيسة التى تكون هذه الكتب والأدلة المستعملة فيها من الأحاديث النبوية الشريفة . وقد انتقد الذهبي من قبل مخالفيه على تأليفه لبعض هذه الكتب واعتقاده مثل هذه العقائد، قال الشيخ محمد زاهد الكوثري عن كتاب« العلو » : « ولو لم يؤلفه لكان أحسن له فى دينه وسمعته لأن فيه مآخذ كثيرة ، وقد شهر عن الذهبي أنه كان شافعي الفروع حنبلي المعتقد[٢] » .

ولم يشتهر الذهبي بوصفه فقيها أو عالما بالفقه مع أنه درسه على أعلام العصر آنذاك مثل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني وبرهان الدين الفزاري وكمال الدين ابن قاضي شهبة وغيرهم[٣] . وقد ألف فى أصوله ، وعني باختصار كتاب« المحلى » لابن حزم[٤] ، وهو من كبار الكتب الفقهية ، وألف عددا من الكتب والأجزاء التى تناولت موضوعات فقهية ، وكانت له فيه خواطر وآراء ونقدات جاءت فى ثنايا كتبه ، من ذلك مثلا كلامه فى مسألة الطلاق ومناقشته لابن تيمية[٥] . وهو كغيره من علماء الحنابلة يعتبر القرآن والحديث هما أساس الفقه ، ويظهر مفهوم الفقه عند الذهبي واضحا فى بيتين من الشعر له ذكرهما غير واحد ممن ترجم له وهما :

---

(١) انظر أدناه كلامنا على آثار الذهبي .

(٢) ذيل تذكر الحفاظ ، ص ٣٤٨ هامش ٢

(٣) انظر أعلاه كلامنا على سيرته وورونق الألفاظ لسبط ابن حجر ، ورقة ١٨٠

(٤) وهو كتاب« المستحلى فى اختصار المحلى » وانظر أدناه كلامنا على آثار الذهبي.

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ص ٧١٣ — ٧١٥

الفقـــــه قال الله قال رسوله إن صح والإجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة بين النبي وبين رأى فقيـــــه[(١)]

وهذا الذى قدمناه لا يعنى أن الذهبى لم يكن عارفا بالفقه ، لـكنه كان عزوفا عنه لانشغاله بالحديث وروايته الذى هو الأصل الثانى للفقه ، قال ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ : « له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات قائما بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف[(٢)] » .

ولغة الذهبى فى كتبه لغة جيدة قياسيا بالعصر الذى عاش فيه ، ويكفى أننا قلما وجدنا له لحنـــا فى كتبه . وهو باعتباره محدثا كبيرا وناقدا ماهرا دقيق فى تعابيره ، لما لذلك من أهمية فى وضع الـكلمة المناسبة أو العبارة فى موضعها الملائم لاسيما فى تحبير التراجم ، فضلا عن أسلوبه السلس الممتع لمن أدمن قراءة مثل هذه الـكتب .

وقد عنى الذهبى فى مطلع حياته العلمية برواية الشعـــــر وأورد طائفة من الأشعار عن شيوخه[(٣)] . وذكرت لنا مصادر ترجمته بعضاً من نظمه فى المدح[(٤)] ،

---

(١) ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ٣١ . الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر مثلا معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٣ ، ٧ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٩ . م ٢ ورقة ١ – ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٦ – ٩٩ .

(٤) من بين الذين مدحهم الذهبى ووصل إلينا شعره فيهم : إسحاق بن أبى بكر ابن إبراهيم الأسدى الحلبى الحنفى النحاس المتوفى سنة ٧١٠ هـ (معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٣٤) وتقى الدين السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وولده التاج المتوفى سنة ٧٧١ هـ (طبقات السبكى ، ج ٩ ص ١٠٦ ، والسيوطى : طبقات الحفاظ ، ورقة ٨٦) ومعجم البرزالى (ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ١٢٠) .

والرثاء[١] . وله شعر تعليمي ، فقد علمنا أنه نظم أسماء المدلسين بقصيدة أوردها السبكي في طبقاته[٢] ، كما نظم أسماء الخلفاء بقصيدة أخرى[٣] . وكان كثير الاعتناء بالشعراء تدل على ذلك تراجمهم الواسعة في كتابه « تاريخ الإسلام » والنماذج الشعرية الكثيرة التي أوردها وعنايته الفائقة بتتبع دواوين الشعراء بحيث قال في ترجمة أبي الحسن محمد بن المظفر البغدادي الخرقي في وفيات سنة ٤٥٥ هـ « ولا يكاد يوجد ديوانه[٤] » .

كان للذهبي خط متقن قد أعجب به علم الدين البرزالي منذ أن بدأ الذهبي يطلب العلم[٥] . وقد وصل إلينا الكثير من كتبه وكتب غيره مكتوبا بخطه ، وهو وإن لم يكن جميلا مراعيا لأصول الخطاطين والكتاب، لكنه يمتاز بالدقة والإتقان لا سيما للذي يدمن عليه .

وعرف الذهبي بزهده وورعه وديانته المتينة ، وقد رأينا عند دراستنا لمجمل سيرته أنه كان يأنس إلى الاجتماع بمشاهير الفقراء والصوفية من ذوي الديانة والتمسك بالآثار ، قال تلميذه تقي الدين ابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ : « كان خيراً صالحا متواضعا حسن الخلق حلو المحاضرة ، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة. له ورد بالليل وعنده مروءة وعصبية وكرم[٦] »

---

(١) من ذلك قصيدته في رثاء رفيقه وشيخه ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ (ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ٣٥ — ٣٦ والتبيان ، ورقة ١٦٥) .

(٢) ج ٩ ص ١٠٧ — ١٠٩ .

(٣) تاريخ الإسلام ، ورقة ١٧٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) .

(٤) السخاوي : الإعلان ، ص ٥٤٧ .

(٥) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٢٥ ، ابن حجر : الدرر، ج٣ ص٣٢٣.

(٦) سبط ابن حجر : رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

وقال الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ : « مع ما كان عليه من الزهد التام والإيثار العام والسبق إلى الخيرات والرغبة بما هو آت[١] » ويكفي الذهبي أنه أفنى حياته في دراسة حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتدريسه .

لقد أصبحت كتب الذهبي متداولة في عصره والعصور التالية له،واعتبرت من أعظم الموارد التي استقى منها الكتّاب الذين جاءوا بعده ، قال ابن حجر: « ورغب الناس في تواليفه ورحلوا إليه بسببها وتداولوها قراءة ، ونسخا ، وسماعا[٢] » وقال تلميذه الحسيني : « وقد سار بجملة منها الركبان في أقطار البلدان[٣] » وحسبنا أن نلقي نظرة عجلى على المستدركات والتلخيصات والذيول التي عُملت على كتبه لندرك أهميتها البالغة[٤].

وكان الذهبي مدرسة قائمة بذاتها خرّجت العديد من الحفاظ والعلماء. وقد أتاحت له معرفته العظيمة الواسعة بالحديث وعلومه والتاريخ وفنونه مكانة مرموقة بين أساتيذ العصر ، فأمَّه طلبة العلم من كل حدب وصوب . ونحن نعلم أن الذهبي تولى مناصب تدريسية كثيرة نعرف منها مشيخة الحديث في تربة أم الصالح ، ودار الحديث الظاهرية، والمدرسة النفيسية، ودار الحديث التنكزية، ودار الحديث الفاضلية ، ودار الحديث العروية . وقد أتاحت له هذه المناصب أن يدرس عليه عدد كبير من الطلبة يفوق الحصر ، قال تلميذه الحسيني : « وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق[٥] » وقال ابن قاضي شهبة الأسدي : « سمع منه

(١) عقود الجمان (نسخة مكتبة فاتح رقم ٤٤٣٥) .
(٢) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٧ .
(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٦ .
(٤) وانظر كلامنا على أهمية تاريخ الإسلام ، أعلاه .
(٥) ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٦ .

السبكى والبرزالى والعلائى وابن كثير وابن رافع وابن رجب وخلائق من مشايخه ونظرائه . . . وتخرج به حفاظ[١] » . وإن كتب القرن الثامن لتزخر بعثات من تلاميذ الذهبى النجب لم نجد فى إيرادهم كثير فائدة فى مثل هذا البحث .

ونرى من المفيد أن نقتطف فى نهاية هذا الفصل آراء العلماء فيه لما لذلك من أهمية فى تقويمه ، وكنا نقلنا فى أثناء هذا البحث بعضاً منها ، فقد وصفه رفيقه وشيخه علم الدين البرزالى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ فى معجم شيوخه ـ والذهبى مازال فى مطلع حياته العلمية ـ بقوله : « رجل فاضل ، صحيح الذهن . اشتغل ورحل ، وكتب الكثير . وله تصانيف واختصارات مفيدة . وله معرفة بشيوخ القراءات[٢] » . وقال تلميذه صلاح الدين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ : « الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى . حافظ لا يجارى ولافظ لا يبارى ، أتقن الحديث ورجاله ، ونظر علله وأحواله ، وعرّف تراجم الناس ، وأزال الإبهام فى تواريخهم والإلباس . ذهن يتوقد ذكاؤه ، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه . جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل فى التأليف . . . اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة النقلة »[٣] .

وعلى الرغم من مخالفة تاج الدين السبكى لشيخه الذهبى فى بعض المسائل

(١) الإعلام ، م ١ ورقة ٩٠ (نسخة باريس ١٣٩٨) .

(٢) سبط ابن حجر : رونق الألفاظ ، ورقة ١٨٠ .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣ .

ورده عليه ، فإنه قال فى حقه : « شيخنا وأستاذنا ، الإمام الحافظ . . . محدث العصر . اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ ، بينهم عموم وخصوص : المزى والبرزالى والذهبى والشيخ الإمام الوالد ، لا خامس لهؤلاء فى عصرهم . . . وأما أستاذنا أبو عبد الله فبصر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظاً ،وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال فى كل سبيل . . . وهو الذى خرجنا فى هذه الصناعة ، وأدخلنا فى عداد الجماعة[١] » وقال أيضاً : « وسمع منه الجمع الكثير . وما زال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه ، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه ، وضربت باسمه الأمثال وسار اسمه مسير لقبه الشمس إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر ، ولا يدبر إذا أقبلت الليالى . وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد»[٢] ووصفه تلميذه الحسينى المتوفى سنة ٧٦٥هـ بأنه «الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين قـــدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده[٣] » وقال فى موضع آخر : « وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين[٤] » . وقال تلميذه عماد الدين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ : « الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين . . . وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه[٥] » . وحينما قدم العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلى الأصل الأطرابلسى[٦] إلى دمشق سنة ٧٣٤ هـ ودرس على الذهبى فى تلك السنة قال فيه :

---

(١) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٠ — ١٠١ (٢) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ١٠٣

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٤ (٤) المصدر نفسه ص ٣٦

(٥) البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ٢٢٥

(٦) توفى سنة ٧٧٤ هـ وقد ترجمه ابن حجر فى الدرر ، ج ٤ ص ٣٠٦ — ٣٠٧

مازلت بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قط إلا ملت من طرب
وليس من عجب أن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب[١]

ووصفه الحافظ ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ بأنه « الحافظ الهمام مفيد الشام ومؤرخ الإسلام[٢] ». وقال ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ « قرأت بخط البدر النابلسى فى مشيخته : كان علامة زمانه فى الرجال وأحوالهم حديد الفهم ثاقب الذهن وشهرته تغنى عن الإطناب فيه[٣] ». وقال بدر الدين العينى المتوفى سنة ٨٥٥ هـ : « الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المؤرخ شيخ المحدثين[٤] ». وذكره سبط ابن حجر المتوفى سنة ٨٩٩ هـ فى رونق الألفاظ وبالغ فى الإطناب فيه ، وقال : « الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ الوقت الذى صار هذا اللقب علما عليه . . . فلله دره من إمام محدث ... فكم دخل فى جميع الفنون وخرج وصحح وعدل وجرح وأتقن هذه الصناعة . . . فهو الإمام سيد الحفاظ إمام المحدثين قدوة الناقدين » . وقال فى موضع آخر : « وكتب بخطه كثيراً من الأجزاء والكتب وحصل الأصول وانتقى على جماعة من شيوخه... وعنى بهذا الفن أعظم عناية وبرع فيه وخدمه الليل والنهار[٥] » .

(١) ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص ٣١ – ٣٢
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١
(٣) الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٧
(٤) عقد الجمان ، ورقة ٣٧ (نسخة أحمد الثالث ٢٩١١) .
(٥) الورقة ١٨٠

ثامنا ـ وفاته وأولاده :

أضر الذهبي فى أخريات سنى حياته ، قبل موته بأربع سنين أو أكثر ، بماء نزل فى عينيه ، فكان يتأذى ويغضب إذا قيل له : لو قدحت هذا لرجع إليك بصرك ، ويقول: ليس هذا بماء ، وأنا أعرف بنفسى، لأننى مازال بصرى ينقص قليلا قليلا إلى أن تكامل عدمه[١] . وتوفى بتربة أم الصالح ليلة الاثنين ثالث ذى القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨ هـ ودفن بمقابر باب الصغير ، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء كان من بينهم تاج الدين السبكى[٢] . وقد رثاه غير واحد من تلامذته منهم الصلاح الصفدى[٣] والتاج السبكى[٤] وغيرهما .

وترك الذهبي ثلاثة من أولاده عرفوا بالعلم هم :

١ ـ ابنته أمة العزيز ، وقد أجاز لها غير واحد باستدعاء والدها منهم : شيخ المستنصرية رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله البغدادى المتوفى سنة ٧٠٧[٥] . ويظهر أنها تزوجت فى حياة والدها وخلفت ولداً اسمه عبدالقادر

---

(١) الصفدى : نكت الهميان ، ص٢٤٢ ، ابن دقماق : ترجمان الزمان ، الورقة ٩٩

(٢) السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ وقد زاره والده تقى الدين السبكى قبل المغرب وسأله عن حاله . الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٥٦ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٢ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٧ وغيرهم ، ممن ترجم له .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٥

(٤) طبقات ، ج ٩ ص ١٠٩ ـ ١١١ وهى طويلة أورد بعضها ، وابن قاضى شهبة: الإعلام ، م ١ ورقة ٩٠

(٥) الذهبي : منتقى المعجم المختص ، الورقة ٣٩ (باريس ٢٠٧٦) ومعجم الشيوخ م ٢ ورقة ٤٦ ، وانظر أيضاً م ١ ورقة ٧٨

سمع مع جده من أحمد بن محمد المقدسى المتوفى سنة ٧٣٧ [١] هـ ، وأجاز له جده رواية كتابه تاريخ الإسلام [٢] .

٢ ـ ابنه أبو الدرداء عبدالله ، ولد سنة ٧٠٨هـ وأسمعه أبوه من خلق كثير، وحدث ومات فى ذى الحجة سنة ٧٥٤ [٣] .

٣ ـ ابنه شهاب الدين أبو هريرة عبد الرحمن ، ولد سنة ٧١٥ هـ وسمع مع والده أجزاء حديثية كثيرة [٤] ، وسمع من عيسى المطعم الدلال المتوفى سنة ٧١٩هـ ، وخرج له أبوه أربعين حديثـا عن نحو المئة نفس ، وحدث منذ سنة ٧٤٠هـ وتأخرت وفاته إلى ربيع الآخر سنة ٧٩٩ [٥] هـ وخلف ولدا اسمه محمد ، سمع مع جده [٦] ، وأجاز له جده رواية كتابه تاريخ الإسلام [٧] .

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ١٧ .

(٢) راجع طرة المجلد الحادى والعشرين من « تاريخ الإسلام » الذى بخط الذهبي (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٣) ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٤) انظر مثلا : معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٣٨ ، ٦٩ – ٧٠ ، ٧٤ – ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٥ ، م ٢ الورقة ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٣ .

(٥) ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ٤٤٩ ، والتونسى : دستور الإعلام بمعارف الأعلام ، الورقة ١١٦ (نسخة ولى الدين جار الله ١٦٠٥ – ٦٩٧) .

(٦) معجم الشيوخ ، م ١ ورقة ٤٤ .

(٧) انظر طرة المجلد الحادى والعشرين (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

الفصل الثاني

آثار الذهبي

مدخل :

لقد عنيت فى هذا الفصل بذكر الآثار التى خلفها الذهبى ، سواء كانت تآليف أم مختصرات وتخاريج . وقد قسمت المؤلفات حسب موضوعاتها ، ورتبت الكتب الواردة فى كل موضوع من هذه الموضوعات على حروف المعجم . أما المختصرات والتخاريج فاكتفيت بسردها مرتبة على حروف المعجم من غير تقسيم لها .

وقد اجتهدت أن أتبع منهجا واحدا فى تناول كل كتاب يمكن تلخيصه بما يأتى :

١ ــ الإشارة إلى من ذكره من المؤلفين السابقين .

٢ ــ التنبيه فيما إذا كان الكتاب موجودا : مخطوطا أومطبوعا،واجتهدت أن أطلع عليه ، وأشرت إلى الطابعة أو المخطوطة التى وقفت عليها . أما بعض النسخ الخطية التى لم أتمكن من الوقوف عليها ، وهى قليلة ، فقد أشرت إلى ذلك ونبهت عليه .

٣ ــ حاولت أن أقدم وصفا مختصرا لنوعيــة الكتاب ومجاله وموضوعه

وترتيبه بعبارة وجيزة مركزة مستندا إلى دراستى للكتاب . وعنيت بتبيان أهمية الكتاب فتتبعت من اختصره أو ذيل عليه . أما المختصرات فقد حاولت أن أقارن المختصر بالأصل جهد الطاقة بغية تبيان عمل المؤلف وجهوده فى الاختصار وطبيعة تلك الجهود .

٤ ـ لم أعن باستقصاء طبعات الكتب ولا نسخها فى جميع خزائن الكتب لكنى أشرت إلى المهم منها .

أولا ـ القراءات :

١ ـ التلويحات فى علم القراءات :

ذكر ابن تغرى بردى [١] وسبط ابن حجر [٢] وابن العماد [٣] أن الذهبى ألف مختصرا فى القراءات : وذكر بروكلمان نسخة من كتاب « التلويحات فى علم القراءات » [٤] ؛ فلعله هو المختصر المذكور ، ولم أستطع الوقوف عليه . ولا نعرف للذهبى غير هذا الكتاب فى هذا الفن [٥] .

---

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٤) تاريخ التراث العربى ، الملحق ج ٢ ص ٤٧ (بالألمانية) .

(٥) باعتبار أن كتاب « معرفة القراء الكبار » هو إلى كتب التراجم أقرب .

ثانيا : الحديث :

٢ ـ الأربعون[١] البلدانية[٢] :

ذكرها سبط ابن حجر[٣] ، وأشار إليها السيوطى[٤] ، وقال الذهبى فى مقدمة « الأربعين البلدانية » التى خرجها من المعجم الصغير للإمام أبى القاسم الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ : « . . . إننى قد كنت سمعت البلدانية للحافظ السلفى والأربعين البلدانيـــة للحافظ ابن عساكر ، ورأيت الأربعين ليوسف ابن أحمد الشيرازى . . . . . وشرعت فى أربعين بلدية لم تتكمل لى . . . »[٥] .

٣ ـ الثلاثون البلدانية :

وهى على غرار الأربعين البلدانية التى ذكرناها قبل قليل ، ذكرها الصفدى فى نكت الهميان وذكر أنه كتبها بخطه وقرأها على المؤلف[٦] وذكرها ابن حجر أيضا[٧] . وهى غير الثلاثين المخرجة من معجم الطبرانى[٨] .

---

(١) إن الغاية من كتب « الأربعينات » أن يجمع المحدث أربعين حديثا فى موضوع معين أو أسانيد معينة أو بلدان معينة . . إلخ انظر تفاصيل ذلك فى كتابنا : المنذرى ، ص ١٧٦ فما بعد (النجف ١٩٦٨) .

(٢) وهى أن يجمع المحدث أربعين حديثا عن أربعين شيخا فى أربعين مدينة فالتنظم فيها على البلدان أساسا .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٤) الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، ص ١١٥ (بغداد ١٩٥٠) .

(٥) نسخة الخزانة التيمورية ، رقم ٤٣٨ حديث . وقد وصلت إلينا نسخة من هذه « الأربعين البلدانية » (بانكيبور ٥ / ٢ / ٤٦٢) .

(٦) نكت الهميان ، ص ٢٤٢

(٧) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٨) انظر التخاريج أدناه .

٤ ـ طرق حديث : « من كنت مولاه فعلى مولاه » :

أثيرت مسألة هذا الحديث كثيراً فى تفضيل الإمام على ـ رضى الله عنه ـ قال الذهبى فى ترجمة أبى عبد الله الحاكم النيسابورى «ت ٤٠٥ هـ» من تذكرة الحفاظ : « وأما حديث من كنت مولاه ، فله طرق جيدة ، وقد أفردت ذلك [١] » .

٥ ـ الكلام على حديث الطير :

وحديث الطير معروف فى التاريخ ، فيذكر أنه كان عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ طير ، فقال « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى هذا الطير » فجاء على ـ رضى الله عنه ـ فأكل معه ، وقد أخرجه الترمذى فى سننه عن أنس ابن مالك [٢] . وأثار هذا الحديث كثيرا من الدراسات لاسيما بعد تصحيح الحاكم له وإخراجه فى مستدركه على الصحيحين ، قال السبكى : « وحكى شيخنا الذهبى أن الحاكم سئل عن حديث الطير ، فقال : لا يصح ، ولو صح لما كان أحد أفضل من على بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال شيخنا : وهذه الحكاية سندها صحيح ، فما باله أخرج حديث الطير فى المستدرك؟ ، ثم قال : فلعله تغير رأيه . قلت : وكلام شيخنا حق ، وإدخاله حديث الطير فى « المستدرك » مستدرك » [٣] . وقال الذهبى فى ترجمة أبى عبد الله الحاكم من تذكرة الحفاظ : « ثم تغير رأى الحاكم وأخرج حديث الطير فى مستدركه ، ولا ريب أن فى المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة ، بل فيه أحاديث

---

(١) ج ٣ ص ١٠٤٣ .

(٢) انظر سنن النسائى بشرح ابن العربى ، ج ١٣ ص ٧٠

(٣) الطبقات ، ج ٤ ص ١٦٨ – ١٦٩ .

موضوعة شانَ المستدرك بإخراجها فيه . وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل[١] » .

٦ ـ المستدرك على مستدرك الحاكم :

ذكره ابن تغرى بردى[٢] ، ونقل حاجى خليفة عند كلامه على « المستدرك » لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ ﻫ قول سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى المتوفى سنه ٨٠٥ ﻫ فيه : « وفيه ضعيف، وموضوع أيضا ، وقد بين ذلك الحافظ الذهبي، وجمع منه جزءاً من الموضوعات يقارب مائة حديث[٣] » . وقد وصلت إلينا قطعة منه[٤] .

ثالثا : مصطلح الحديث وآدابه :

٧ ـ كتاب الزيادة المضطربة :

ذكره ابن تغرى بردى[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] ، وموضوعه عنوانه ، وهو أن يأتى الراوى بلفظ ينفرد به عن رواية الثقات فى متن الحديث، فتكون هذه زيادة مضطربة[٨] .

---

(١) تذكرة ، ج ٣ ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٣ . وقول الذهبي أن للحديث أصلا يدفع عنه « الوضع » فالذهبي لا يعتقد بأنه موضوع ، ولكنه غير صحيح .

(٢) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٣) كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١٦٧٢ وراجع كلامنا على « تلخيص المستدرك » للذهبي فى « المختصرات » .

(٤) فى دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم (٦٢ مجاميع) وهى قطعة من أوله .

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ (٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٧) شذرات ، ج ٦ ص ١٥ (٨) السيوطى: تدريب الراوى ، ص ١٥٦ فما بعد .

٨ ـ طرق أحاديث النزول :

ذكره ابن تغرى بردى[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣] .

٩ ـ العذب السلسل فى الحديث المسلسل[٤] :

ذكره حاجى خليفة[٥] والبغدادى[٦] وهو فى الحديث المسلسل بالأولية ، قال ابن حجر فى ترجمة عبد الرحمن بن محمد ، أسد الدين الدمشقى (٧٤٦ ـ ٨٢٥ هـ) : « وسمع المسلسل بالأولية من الذهبى بسنده الذى جمعه فى جـــزء معروف[٧] » .

---

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٤) التسلسل من نعوت الأسانيد ، وهو عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة ، كأن يكون التسلسل فى صيغ التحمل نحو: « سمعت فلانا ، قال : سمعت فلانا » إلى آخر الإسناد ، أو أن يكون أول حديث سمعه جميع رجال السند من شيخ معين من شيوخهم ، وهو « الحديث المسلسل بالأولية » أو نوعية الرواة ، كأن يكونوا كلهم قضاة مثلا . . . إلخ (انظر ابن الصلاح : علوم الحديث ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، ابن الشلبى : إتحاف الرواة بمسلسل القضاة) ، وذكر ابن طولون الصالحى فى كتابه « الأربعون المسلسلات » أربعين نوعا من أنواع التسلسل (نسخة الخزانة التيمورية رقم ٥٤٢ حديث) .

(٥) كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١١٣٠

(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٧) المجمع المؤسس ، الورقة ٨٨ ، وانظر عن الحديث المسلسل بالأولية مشيخة أبى الفتح ابن صالح : بغية الطالب الفالح ، تخريج ابن فهد الهاشمى المكى ، الورقة ٢ ـ ٥ من نسخة البلدية بالإسكندرية (رقم ١٨٠٥ د) وهو مما نرويه عن شيخنا العالم الحاج صبحى السامرائى ـ حفظه الله تعالى ـ .

١٠ ـ منية الطالب لأعز المطالب :

ذكره حاجى خليفة[١] والبغدادى[٢] ، ولا نعرف له نسخة .

١١ ـ الموقظة فى علم مصطلح الحديث :

وهى رسالة صغيرة فى علم المصطلح . وقد غلط كارل بروكلمان حينما حاول أن يبين أن الكتاب قد يكون فى وفيات المحدثين[٣] . وقد وصل الكتاب إلينا مخطوطا[٤] .

رابعا : العقائد :

١٢ ـ أحاديث الصفات :

ذكره ابن تغرى بردى[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] ، ولا نعرف منه نسخة .

١٣ ـ الأربعين فى صفات رب العالمين :

وهى أربعون حديثا فى صفات الخالق ـ عز وجل ـ وقد تكلم الذهبى على

---

(١) كشف ، ج٢ عمود ١٨٨٦

(٢) إيضاح المكنون ، ج ٢ عمود ٥٩٦ (وهو من مستدركاته على حاجى خليفة مع أنه ذكره) ، هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٥

(٣) تاريخ التراث العربى ، ج ٢ ص ٥٩ (بالألمانية) .

(٤) وقفنا على نسخة منها بدار الكتب الوطنية فى باريس تحمل الرقم (٤٥٧٧ عربيات) . وفى دار الكتب الظاهرية نسخة ناقصة منها ضمن مجموع برقم (٨٨ عام) بين الورقتين ٦٩ ـ ٧٩ ، ويقع النقص بين الورقتين ٧٠ ـ ٧١

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ (٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٧) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

الأحاديث وخرجها . ذكرها سبط ابن حجر[١] ، ووقفنا على قسم منها[٢] .

١٤ ـ جزء فى الشفاعة :

ذكره ابن تغرى بردى[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥] . ولا نعرف اليوم له نسخة .

١٥ ـ جزءان فى صفة النار :

ذكره ابن تغرى بردى[٦] وسبط ابن حجر[٧] وابن العماد[٨] ولا نعرف اليوم له نسخة .

١٦ ـ الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية :

وهى رسالة بعث بها الذهبى إلى شيخه ورفيقه أبى العباس ابن تيمية الحرانى « ت ٧٢٨ هـ » ينصحه فيها ويعاتبه فى بعض تصرفاته . وهى رسالة مفيدة فى تبيان عقيدة الذهبى . وقد ذكرها شمس الدين السخاوى فى الإعلان فقال : « وقد رأيت له عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيمية ، هى لدفع نسبته لمزيد تعصبه ، مفيدة »[٩] وذهب بعضهم إلى القول بأنها مزورة ، ولا عبرة بذلك[١٠] .

---

(١) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٢) بدار الكتب الظاهرية بدمشق الجزء الأول منها ، وهى نسخة جيدة نقلت من نسخة بخط المؤلف وقوبلت عليها . وانظر الألبانى : فهرس مخطوطات الظاهرية ، ص ٢٨٠

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ (٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٥) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٦) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ (٧) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٨) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ (٩) الإعلان ، ص ٥٠٤

(١٠) منها نسخة فى دار الكتب المصرية بخط تقى الدين ابن قاضى شهبة الأسدى المتوفى سنة ٨٥١ هـ (رقم ١٨٨٢٣ب) ومنها نسخة بدار الكتب الظاهرية (برقم ١٣٤٧) . =

١٧ ـ الروع والأوجال فى نبأ المسيح الدجال :

ويعرف بـ « نبأ الدجال » و « أخبـــار الدجال » . ذكره الصفدى[١] والسبكى[٢] والزركشى[٣] وابن تغرى بردى[٤] وسبط ابن حجر[٥] وابن العماد[٦] وحاجى خليفة[٧] والبغدادى[٨] . وذكر الصفدى أنه فى مجلد . وقال تاج الدين السبكى فى الطبقات الوسطى : « وهو حسن قرأته عليه » .

١٨ ـ كتاب رؤية البارى :

ذكره ابن تغرى بردى[٩] وابن العماد[١٠] . ولم يصل إلينا .

= وقد نشرها حسام الدين القدسى بدمشق سنة ١٣٤٧هـ مع كتاب « بيان زغل العلم ». وذهب السيد زكريا على يوسف إلى القول بأن الرسالة مزورة ، وادعى أنه اتصل بالدكتور محمد رشاد سالم (هاتفيا) وأن الأخير ماوجد لها أصلا (انظر مقدمة المهذب فى اختصار السنن ، ج١ ص ٤ ـ ٧ ، وكتب (محققا) الكتاب (مقدمة) فى آخر الجزء الأول من الكتاب المذكور تكلما على هذه المسألة ، وحاصل كلامهما أنه من كلام العوام ليس فيه غير الشتائم .

(١) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ونكت الهميان ٢٤٣ .

(٢) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٥ ، والطبقات الوسطى (فى ترجمة الذهبى منها) .

(٣) عقود الجمان ، الورقة ٧٩ .

(٤) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٥) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٦) شذرات ، ، ج ٦ ص ١٥ .

(٧) كشف الظنون ، ج ١ عمود ٩٣٣ .

(٨) هدية العارفين ، ج ٢ ص ١٥٤ .

(٩) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(١٠) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

١٩ ـ كتاب العرش :

ذكره ابن تغرى بردى [١] وسبط ابن حجر [٢] وابن العماد [٣] وحاجى خليفة [٤] والبغدادى [٥] . وذكر بروكلمان أن من كتاب « العرش » نسخة فى رامبور وأخرى فى آصف باشا ، وتساءل فيما إذا كان هو كتاب « العلو للعلى الغفار » الآتى ذكره [٦] . ولما كنت لم أستطع الوقوف على هاتين النسختين فلا يمكننى التثبت من ذلك ، ولكن سبط ابن حجر ذكر كتاب « العرش » هذا وذكر كتاب « العـــلو » فى موضع آخر مما يدل على اختلافهما . وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق قسم من «رسالة فى أن الله على العرش» [٧] . ولدى مطالعتها تبين أنها غير كتاب « العلو » ، فلعلها هى كتاب العرش ؟ .

٢٠ ـ العلو للعلى الغفار :

وصلت من الكتاب نسخ عديدة ، وطبع غير مرة [٨] . ويعد من أوسع كتب الذهبى فى العقائد وأكثرها أهمية . وقد ذكر الذهبى فى مقدمته أنه كان قد جمع بعض الأحاديث فى مسألة العلو سنة ٦٩٨ هـ وفاته كلام على بعضها فأراد أن يستوعب الموضوع فألف هذا الكتاب .

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٤) كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١٤٣٨ .

(٥) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤ .

(٦) تاريخ التراث العربى ، الملحق ج ١ ص ٤٧ (بالألمانية) .

(٧) ضمن مجموع برقم (٤٧ مجاميع) .

(٨) رأيت نسخة منه فى مكتبة الأوقاف (رقم ٦٥٨٠) ومن طبعاته طبعة مصر سنة ١٣٣٢ هـ .

أورد الذهبي أولا الآيات القرآنية الدالة على علو الله تعالى واستوائه على العرش ، ثم أورد الأحاديث النبوية الشريفة المؤيدة لذلك وبين طرقها وتكلم على أسانيدها ، وعنى بعد ذلك بإيراد أقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فى هذا الموضوع . وكانت غايته من تأليف هذا الكتاب إثبات عقيدته فى الصفات وعدم قبول التأويل ، والإيمان بما ثبت من نعوت الله تعالى كالإيمان بذاته المقدسة ، باعتبار أن الصفات تابعة للموصوف ، فيعقل وجود البارى ويميز ذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن يعقل الماهية ، فكذلك القول فى صفاته : يجب الإيمان بها وبوجودها من غير الخوض فيها أو تشبيهها بصفات خلقه ، فالصفات والاستواء عند الذهبي معلومة وكيفيتها مجهولة ، والسؤال عنها بدعة . وقد نقل الذهبي عن جملة كبيرة من الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع والتى لم يصل إلينا إلا أقلها، وهنا تكمن أهمية الكتاب الكبيرة .

٢١ ـ كتاب الكبائر :

ذكره الصفدى [١] وابن شاكر [٢] والزركشى [٣] وابن تغرى بردى [٤] وسبط ابن حجر [٥] والبغدادى [٦] . ومن الكتاب نسخ متعددة [٧] ، وهو مطبوع [٨] .

---

(١) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣ .

(٢) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ . (٣) عقود الجمان ، الورقة ٧٩ .

(٤) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ . (٥) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٧) من ذلك نسخة في سوهاج (رقم ١٤١ تصوف) وأخرى بدار الكتب المصرية (رقم ١٩٥٣ تصوف) .

(٨) منها طبعة القاهرة ١٣٥٦ هـ (وهى فى ٢٤٠ صفحة) .

تناول الذهبي فيه سبعين نوعا من الكبائر التي يجب على المسلم اجتنابها كالشرك بالله، وقتل النفس، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، والإفطار فى رمضان، وعقوق الوالدين ونحوها. وأورد فى كل كبيرة منها الآيات القرآنية المحرمة لها والأحاديث النبوية المانعة منها وبعض الحكايات المؤيدة له. وقد جرى فيه على طريقة كتاب «الترغيب والترهيب»، فتساهل فى إيراد الأحاديث غير الصحيحة إلى جانب الأحاديث الصحيحة، باعتبار أن ذلك لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا. ويصح أن يوضع مع كتب الرقائق أو الفقه أيضاً.

٢٢ ـ كتاب ما بعد الموت:

ذكره الصفدى [١] وابن شاكر الكتبى [٢] وذكرا أنه فى مجلد. وسماه ابن تغرى بردى [٣] وسبط ابن حجر [٤] وابن العماد [٥] والبغدادى [٦] «كتاب الموت وما بعده» وهو اليوم فى عداد المفقودات.

٢٣ ـ كتاب مسألة دوام النار:

ذكره ابن تغرى بردى [٧] وسبط ابن حجر [٨] وابن العماد [٩]، ولا يعرف منه نسخة.

---

(١) الوافى، ج ٢ ص ١٦٤، ونكت الهميان، ص ٢٤٣.

(٢) عيون التواريخ، الورقة ٨٧.

(٣) المنهل الصافى، الورقة ٧٠.

(٤) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٥) شذرات، ج ٦ ص ١٥٦.

(٦) هدية العارفين، ج ٢ عمود ١٥٤.

(٧) المنهل الصافى، الورقة ٧١

(٨) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠

(٩) شذرات، ج ٦ ص ١٥٦

٢٤ ـ كتاب مسألة الغيبة :

ذكره ابن تغرى بردى [١] وابن العماد [٢] ، وقال سبط ابن حجر : إنه فى جزء [٣] . ولا نعرف عنه شيئا اليوم .

٢٥ ـ كتاب مسألة الوعيد :

ذكره سبط ابن حجر [٤] ، ولا نعرف له نسخة اليوم .

خامسا ـ أصول الفقه :

٢٦ ـ كتاب مسألة الاجتهاد :

ذكره سبط ابن حجر [٥] ، ولا نعرف منه نسخة .

٢٧ ـ كتاب مسألة خبر الواحد :

ذكره سبط ابن حجر [٦] ، وهو فى عداد المفقودات أيضاً .

سادسا ـ الفقه :

٢٨ ـ تحريم أدبار النساء :

ذكره الذهبى فى ترجمة أبى عبد الرحمن النسائى عند كلامه على رأيه فى إتيان النساء من أدبارهن ، فقال : « قال ابن الذهبى : ثبت نهى المصطفى

---

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٢) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ وتصحف فيه إلى « الغيب » .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) المصدر نفسه .

(٥) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٦) المصدر نفسه .

ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ عن أدبار النساء ، ولى فيه مصنف »[١].وذكره الصفدى[٢] والـكتبى[٣] والزركشى[٤] وابن تعرى بردى[٥] والبغدادى[٦] وذكروا أنه فى جزءين .

٢٩ ـ تشبيه الخسيس بأهل الخميس :

ذكره البغدادى[٧]، ووقفنا على نسخة منه[٨]. وقد حذر الذهبى فيه المسلمين من التشبه بأهل الـكتاب فى الأعياد التى يقيمونها .

٣٠ ـ جزء فى الخضاب :

ذكره سبط ابن حجر[٩]. وهو فى عداد المفقودات .

٣١ ـ جزء فى صلاة التسبيح :

ذكره ابن تغرى بردى[١٠] وسبط ابن حجر[١١] وابن العماد[١٢] ، وهو مفقود أيضاً .

---

(١) تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ص ٦٩٩

(٢) نـكت الهميان ، ص ٢٤٣ ، والوافى ، ج ٢ ص ١٦٤

(٣) فوات الوفيات ، ج ٢ ص ١٨٣ ، وعيون التوارخ ، الورقة ٨٦

(٤) عقود الجمان ، الورقة ٧٩

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٧) إيضاح المـكنون ، ج١ عمود ٢٨٩، وهدية العارفين، ج ٢ عمود ١٥٤ ويظهر أنه وقف على نسخة منه بدليل نقله عنه .

(٨) بدار الـكتب المصرية .

(٩) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(١٠) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(١١) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(١٢) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

٣٢ ـ جزء فى القهقهة :

ذكره سبط ابن حجر[١]. ولعله رد على من يقول : إن القهقهة فى الصلاة تبطل الصلاة والوضوء كالحنفية ، إذ أن الحنابـــلة والشافعية لا يرون ذلك ولا يعتبرون القهقهة حدثاً ، وهو موضوع تناولته كتب الفقه .

٣٣ ـ حقوق الجار :

وهى مجموعة أحاديث فى الوصية بالجار وبعض حقوقه الفقهية، وقد وقفنا على نسخة منه بخط سبط ابن حجر[٢] .

٣٤ ـ كتاب فضائل الحج وأفعاله :

ذكره ابن تغرى بردى[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥] ، وهو فى عداد المفقودات .

٣٥ ـ كتاب اللباس :

ذكره ابن تغرى بردى[٦] وسبط ابن حجر[٧] وابن العماد[٨]،وهو مفقود الآن أيضاً .

---

(١) رونق الألفاظ الورقة ١٨٠

(٢) عندى منه نسخة مصورة عن نسخة كوبرلى باستانبول (رقم ١٥٨٤ / ٣) كتبها سبط ابن حجر بخطه سنة ٨٦٤ هـ .

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٥) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٦) المنهل الصافى ، الورقة ٧١

(٧) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٨) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

٣٦ ـ كتاب مسألة السماع :

ذكره ابن تغرى بردى[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣] . وذكروا أنه فى « جزء » . وسيأتى أن الذهبى اختصر كتاب « الإمتاع » للأدفوى بكتاب سماه « الرخصة فى الغناء والطرب بشرطه » وأنه اختصر كتاب الرد على ابن طاهر المقدسى لسيف الدين ابن المجد[٤] ، فلعل هذا الكتاب هو خلاصة دراسته للموضوع ؟

٣٧ ـ كتاب الوتر :

ذكره حاجى خليفة وقال : إنه فى مجلد[٥] ، وذكره البغدادى[٦] أيضاً . وهو فى عداد المفقودات .

سابعا ـ الرقائق :

٣٨ ـ جزء فى محبة الصالحين :

ذكره سبط ابن حجر[٧] ، وهو فى عداد المفقودات .

٣٩ ـ كتاب دعاء المكروب :

ذكره ابن تغرى بردى[٨] وسبط ابن حجر[٩] وابن العماد[١٠] ، وهو مفقود أيضاً .

---

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠
(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١
(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦
(٤) انظر أدناه كلامنا على المختصرات .
(٥) كشف ، ج ٢ عمود ١٤٦٨ – ١٤٦٩
(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤
(٧) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠
(٨) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .
(٩) رونق ، الورقة ١٨٠ .
(١٠) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

٤٠ ـ كتاب ذكر الولدان[1] :

ذكره سبط ابن حجر[2] . وهو مفقود أيضا .

٤١ ـ التعزية الحسنة بالأعزة :

ذكره حاجي خليفة[3] . وسماه البغدادى : « التعزية الحسنة بالآخرة[4] » ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

٤٢ ـ كشف الكربة عند فقد الأحبة[5] :

ذكره حاجي خليفة وقال: إنه فى كراستين[6] . وذكره البغدادى أيضا[7] .

ثامنا ـ التاريخ والتراجم :

٤٣ ـ أخبار السد :

ذكره الصفدى[8] وابن شاكر الكتبي[9] . وهو فى أخبار السد الذى بناه ذو القرنين والذى ورد ذكره فى القرآن الكريم[10] .

(١) إن العنوان يوحى بأنه يتصل بصفات الجنة ، وإن كان من المحتمل أنه قصد أولاد المحدثين الرواة .

(٢) رونق ، الورقة ١٨٠ .

(٣) كشف ، ج ١ عمود ٤٢٢ .

(٤) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤ .

(٥) إن موضوع هذا الكتاب ، كما يدل عنوانه ، يشبه موضوع كتاب « التعزية الحسنة بالأعزة » الذى قدمنا ذكره .

(٦) كشف ، ج ٢ عمود ١٤٩٤ .

(٧) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤ .

(٨) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ونكت الهميان ، ص ٢٤٣ .

(٩) فوات الوفيات ، ج ٢ ص ١٨٣ ، وعيون التواريخ ، الورقة ٨٦ .

(١٠) راجع سورة الكهف/ الآية ٩٣ فما بعد، وانظر التفاصيل فى كتاب التفسير =

٤٤ – أخبار قضاة دمشق :

ذكره الصفدى[(١)] وحاجى خليفة[(٢)] والبغدادى[(٣)] .

٤٥ ـ أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخ أو بعد تاريخ سماع :

ألفه الذهبى سنة ٧١٧ هـ ، وأورد فيه أسماء الرواة الذين عمروا بحيث ظلوا ثمانين سنة أو أكثر بعد وفاة شيوخهم أو سماعهم منهم للدلالة على علو إسنادهم. وقد اقتنيت نسخة مصورة منه[(٤)] .

٤٦ ـ الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام :

ذكره السبكى[(٥)] وابن حجر[(٦)] وسبطه[(٧)] وابن تغـــــرى بردى[(٨)] والسخاوى[(٩)] وابن العماد[(١٠)] ، واقتنيت نسخة مصورة منه[(١١)]. وقد تناول فيه المؤلف وفيات المشهورين من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠ هـ واعتمد فيه

= وفى معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٥٣ ـ ٥٨ ، وتناول الذهبى شيئا من أخباره فى « تاريخ الإسلام » ج ٢ ص ٤٦ ـ ٤٩ (مطبوعة) .

(١) الوافى ، ج ١ ص ٥٣ .

(٢) كشف الظنون ، ج ١ عمود ٢٩ .

(٣) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٤) عن نسخة مكتبة أيا صوفيا (رقم ٢٩٥٣) .

(٥) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٤

(٦) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٤٢٦

(٧) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٨) المنهل الصافى ، الورقة ٦٩

(٩) الإعلان ، ص ٦٧٥

(١٠) عن نسخة المكتبة الأحمدية بحلب (رقم ٣٢٨) وهى فى (١١٥) ورقة .

(١١) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٥

على تاريخ الإسلام. ونقل ابن تغرى بردى منه كثيرا فى كتابه «النجوم الزاهرة» فتارة يذكر اسمه وتارة أخرى ينقل منه بلا إشارة ، على أنه اعتمده اعتمادا كليا فى نهاية كل سنة عند ذكر المتوفين فيها .

٤٧ ـ الإعلام بوفيات الأعلام :

ذكره السبكى[١] وابن تغرى بردى[٢] وسبط ابن حجر[٣] وابن العماد[٤] وحاجى خليفة[٥] والبغدادى[٦]. وذكر السخاوى أنه يسمى «درة التاريخ»[٧] وقد وقفنا على بعض نسخه[٨] .

والمعروف أنه مختصر لكتابه « الإشارة » الذى قدمنا ذكره ، لكننا وجدنا نسخة الظاهرية تبدأ بذكر مشاهير المتوفين من السنة الأولى للهجرة وتنتهى بسنة ٧٠٠ هـ . ويبدو لنا أن الذهبى كتبه قبل هذا التاريخ بكثير ، وأنه كان يزيد فيه كلما تقدمت السنون على غرار كثير من كتبه الأخرى ، تدل على

(١) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٤

(٢) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٥

(٥) كشف الظنون ، ج ١ عمود ١٢٧

(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٧) الإعلان ، ص ٦٧٥

(٨) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية (١١٧ مجموع) فى ٣٦ ورقة . وكنت قد انتسخت لنفسى معظم الوفيات المتأخرة عند رحلتى إلى بلاد الشام سنة ١٣٨٥ هـ ثم اقتنيت نسخة مصورة منها (وفى خزانة الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة عن هذه النسخة ضمن مجموع برقم ١٥) . ورأينا نسخة منه فى مكتبة رئيس الكتاب باستانبول (ضمن مجموع برقم ١١٦٢ يبدأ فيه من الورقة ٥٠) . وذكر أن فى صنعاء نسخة منه لم أقف عليها (انظر مجلة معهد إحياء المخطوطات العربية ، م ١ ج ٢ ص ١٩٩) .

ذلك طبقة السماع التى على طرة نسخة دار الكتب الظاهرية والتى بخط الذهبى وهى مؤرخة فى سنة ٧٣٥ هـ حيث جاء فيها : « سمع الكتاب علىّ من لفظى كاتبه الأمير الفاضل ناصر الدين أبو الفوارس محمد بن طولوبغا السيفى والقاضى الإمام شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزريرانى والإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلمان ابن الشرجانى فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمئة، وكتب محمد بن أحمد بن عثمان ـ عفا الله عنه ـ وصح بالمدرسة الصدرية »، فضلا عن ذكرنا لأصل النسخة .

ومع ذلك فإننا نعلم أن الذهبى قد ذيل على كتابه الإشارة[١]، فهل يكون قد اختصر الأصل وذيله ؟ . وقد ذكر الذهبى فى أول الكتاب تواريخ بعض الغزوات والفتوح المشهورة مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وتبوك ، واليمامة ، واليرموك ، والقادسية . . . إلخ .

٤٨ ـ الأمصار ذوات الآثار :

هو جزء أفرده الذهبى فى ذكر أشهر الأمصار ومن نسب إليها من العلماء أو عاش فيها ، وتكلم فيه على ظهور العناية بالعلم فى كل قطر أو مدينة تناولها وما آلت إليه على مدى العصور ، ثم تناول أوضاع العلم فيها على زمانه . ولم يعن بترتيب أسماء البلدان على حروف المعجم ، ولا اهتم بتسلسلها أو موقعها الجغرافى، فقد بدأ بالمدينة ثم مكة ، وبيت المقدس ، ودمشق ، ومصر ، والإسكندرية ، وبغداد ، وحمص ، والكوفة . . . إلخ . وقد أورد شمس الدين السخاوى قسما كبيرا منه فى كتابه « الإعلان »[٢] . وعلق عليه ، وقال فى نهايته « قلت :

---

(١) انظر أدناه « ذيل الإشارة » .

(٢) كان فرانتس روزنتال قد حذف هذا القسم من الإعلان ولم يترجمه أو يعلق عليه =

وهذا الفصل كله جزء أفرده الذهبي ، وصدر بالأمصار ذوات الآثار وهو مفتقر لقليل تذييل سوى ما ألحقته فى أثنائه ، إما مميزا ، أو مدرجا »[١] .

٤٩ ـ أهل المئة فصاعداً :

ذكره سبط ابن حجر وسماه « كتاب أهل المئة عام »[٢] ، وأشار إليه السخاوى فى « الإعلان بالتوبيخ » عند كلامه على من ألف فى المعمرين ، فقال: « أو على المعمرين فى الجاهلية وصدر الإسلام وهم غير واحد من الإخباريين ، أو فى الإسلام كالذهبي فى كراسة ، وشيخنا »[٣] . وقد حققت هذا الكتاب ونشرته سنة ١٩٧٣م[٤] .

= حينما حقق الكتاب وترجمه إلى الانكليزية باعتباره كتابا مستقلا للذهبي أقحمه السخاوى في كتابه ، إلا أن الدكتور صالح أحمد العلي أعاده إلى موضعه . (ص ٦٥٩ – ٦٦٨) .

(١) الإعلان ص ٦٦٨ (٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٣) الإعلان ، ص ٦٠٩ ، وقوله « وشيخنا » يعنى الإمام ابن حجر العسقلانى .

(٤) مجلة المورد البغدادية ، المجلد الثانى العدد الرابع ، بغداد ١٩٧٣ (ص ١٠٧–١٤٣) وقد نشرتها على نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ١١٦ مجاميع) وهى نسخة كتبها شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطى عن نسخة المؤلف سنة ٧٤٠ هـ بالمدرسة العادلية . وفى تلك الأثناء عثر صديقنا المحقق المصرى الأستاذ محمود الطناحى على نسخة أخرى فى السعودية وكتب إلى يخبرها برسالته المؤرخة فى ٢٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٤ هـ ووصفها بقوله : « ونسختى هذه ـ أيها الأخ العزيز ـ عثرت عليها مختبئة ضمن مجموعة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة ، وأزكى السلام ، وهى بقلم نسخى جيد ، كتبها سالم بن حسن البعلى الشافعي وفرغ منها سنة أربعين وسبع مئة (٧٤٠) عن نسخة بخط الذهبي المؤلف ، وفى آخرها قراءة من الناسخ المذكور ، على المؤلف ، فى سنة النسخ المذكورة ، وكتب الذهبي بخطه صحة القراءة » . ثم تفضل فصور لى نسخة منها عند رحلتى إلى مصر فى نهاية سنة ١٣٩٤ هـ وعند دراستها تبين أن النسختين قد نسختا عن أصل واحد ، وهى لذلك لا تضيف إلى نسخة الظاهرية شيئا لكنها توثقها توثيقا أكيداً .

تناول الذهبي في هذا الكتاب من عمر من الأنبياء ومن عاصرهم في العصور الأولى ذكراً نتفا يسيرة من ذلك ، ثم ذكر بعض من جاز المائة من الصحابة – رضى الله عنهم – وذكر بعض معمرى المشركين ، وذكر بعد ذلك التابعين الدين لحقوا زمن الجاهلية ثم غيرهم من معمرى التابعين ، وتكلم على المعمرين من أهل القرن الثالث ، واستمر بعد ذلك من غير أن يضع عنوانا لموضوعاته ، بل رتب التراجم على الوفيات ، وأورد بعض شيوخه المعمرين . وقد أوضح السبب الذى دعاه إلى تأليف هذا الكتاب في مقدمته له فقال :
« وهذا مؤلف في من حضرنى ذكره من المعمرين الذين جاوزوا المئة أو كملوها من هذه الأمة ، حدانى على جمعه إنكار بعض الناس أن يكون أحد من هذه الأمة يتعدى المئة ، ولا شبهة لهم إلا الحديث المشهور عن ابن عمر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « أرأيتم ليلتكم هذه فإنه ليس من نفس منفوسة يأتى عليها مئة سنة » حديث صحيح رواه مسلم . وهذا حق فما أتى على أحد ممن كان حيا وقت مقالته بعد ذلك مئة سنة . . . فقال المخالف : فإذا كان – صلى الله عليه وسلم – أخبر أن بعد المئة لاتبقى عين تطرف وكذلك يكون القرن الذى يليه . وهذا لاينهض فإن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يقله ولاهو داخل في عموم نصه[1] » .

٥٠ – كتاب البيان عن اسم ابن فلان :

ذكره سبط ابن حجر[2] . ويبدو أن موضوع الكتاب في الرجال المشهورين بـ « ابن فلان » نحو قولهم « ابن معين » و « ابن ماجة » ونحوها ، وكأن المؤلف أورد ذلك وذكر أسماءهم الصريحة .

---

(١) انظر مقدمتنا للكتاب المذكور ص ١١١ – ١١٢

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

٥١ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام :

وهو أعظم كتب الذهبي وأوسعها ، وسنتكلم عليه تفصيلا فى القسم الثانى من هذا البحث .

٥٢ ـ التاريخ الممتع :

ذكره ابن تغرى بردى[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣] وذكروا أنه فى ستة أسفار . وأشار إليه الذهبي غير مرة فى « تذكرة الحفاظ » وأحال إليه بعض التراجم من الرجال الذين لم يترجم لهم فى التذكرة[٤] ، ممن هم أقل مرتبة. وهذا يدلك على أن الكتاب فى التراجم .

٥٣ ـ تذكرة الحافظ[٥] :

ذكره الصفدى[٦] والسبكى[٧] وابن حجر[٨] وابن دقماق[٩] وغيرهم ممن ترجم الذهبي . ومن الكتاب نسخ عديدة فى أنحاء العالم ، وقد طبع غير مرة[١٠] .

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ (٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٥

(٤) انظر مثلا : ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٣٦١ ، ٣٨٨

(٥) انظر عن شروط الحافظ : الخطيب البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى ، الورقة ١٥٠ ففيه تفصيل طريف (نسخة الإسكندرية رقم ٣٧١١ ج) .

(٦) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ونكت الهميان ، ص ٢٤٣

(٧) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٤ .

(٨) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٩) ترجمان الزمان ، الورقة ٩٩ (أحمد الثالث ٢٩٢٧) .

(١٠) منها طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، وهى الطبعة الثالثة لهذه الدائرة بعناية العلامة المرحوم عبد الرحمن المعلمى اليمانى المكى فى أربعة مجلدات ، وهى أصح الطبعات (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨) .

رتب الذهبي كتابه على الطبقات[١]، فجعله في إحدى وعشرين طبقة ابتدأ فيه بالصحابة ، وهم الطبقة الأولى ، وانتهى به إلى زمانه وآخر من فيه ترجمة شيخه أبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فبلغ مجموع تراجم الكتاب (١١٧٦) ترجمة . يضاف إلى ذلك أنه ذكر في نهاية كثير من التراجم ، من توفى من المشهورين في سنة وفاة المترجم له ، لاسيما في الطبقات المتوسطة والأخيرة . وفي نهاية كثير من الطبقات أوجز الذهبي بعبارة قصيرة الأوضاع السياسية والعلمية للعالم الإسلامي في الفترة التي تناولتها تلك الطبقة .

ولم يقصد الذهبي استيعاب جميع « الحفاظ » في هذا الكتاب ، فاعتذر عن ذلك في غير موضع من كتابه ، فقال في نهاية الطبقة الثانية : « ولعل فيمن تركناهم من هو أجل وأعلم »[٢]، وقال في نهاية الطبقة الخامسة : « وإنما اقتصرت على إيراد هذا النيف والسبعين إماما طلبا للتخفيف[٣] » ، وقال في نهاية الطبقة السابعة : « وهم عدد كثير اقتصرت منهم على الأعلام » [٤] ، وأحال القارئ على تاريخه الكبير ، تاريخ الإسلام[٥] ، ومعجمه المختص[٦] لمن أراد تفصيلا ، إذ أوضح أنه إنما اقتصر على نبذ من أخبارهم في هذا الكتاب[٧] .

لقد احتلت « تذكرة الحفاظ » أهمية كبيرة في التاريخ العلمي عند المسلمين،

---

(١) لذلك سمي كتابه «طبقات الحفاظ» كما في معظم الكتب التي ترجمت له، وانظر أيضا مقدمة طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص ١ .

(٢) ج ١ ص ٧٠

(٣) ج ١ ص ٢٤٤ .

(٤) ج ١ ص ٣٢٩ ، وانظر أيضا : ج ٢ ص ٥٢٩ — ٥٣٠ ، ٦٢٨، ج٤ ص ١٥٠٠

(٥) انظر مثلا ، ج ٢ ص ٦٢٧ ، ج ٤ ص ١٤٦٦ .

(٦) انظر مثلا ، ج ٤ ص ١٥٠٠ .

(٧) ج ١ ص ١٦٠ .

فقد ذيل عليها تلميذه الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمـــد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ[١] ، فذكر الطبقات : من الثانية والعشرين إلى الرابعة والعشرين ، وجملة مازاده على شيخه اثنتان وعشرون ترجمة[٢] . ثم جاء الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمـــد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٧١ هـ[٣] ، فاستدرك اثنتي عشرة ترجمة على الذهبي[٤] ، وثماني تراجم على الحسيني[٥]، ثم ذيل من الطبقة الخامسة والعشرين إلى الطبقة السابعة والعشرين وألحق بهـــا طبقة صغيرة ، فكان مجموع ما أضافه اثنتين وثلاثين ترجمة[٦] . وقد رتب ولده نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ[٧] ، الأصل والذيول على حروف المعجم[٨]. وعمل محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ابن فهد المتوفى سنة ٩٥٤ هـ ذيلا على كتاب والد جده « لحظ الألحاظ » سماه : « تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ »[٩] .

---

(١) ابن ناصر الدين : التبيان ، الورقة ١٦٨ ، ابن حجر : الدرر ،ج٢ص١٨٠، قال : « وقرأت بخطه ذيلا على طبقات الحفاظ للذهبي » ، ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص ١٥٠ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، الورقة ٨٧ — ٨٨ .

(٢) حققها محمد زاهد الكوثري ونشرها بدمشق سنة ١٣٤٧ .

(٣) انظر مقدمة ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٢ والشوكاني : البدر الطالع ، ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٤) واحدة في الطبقة (١٥) وست تراجم في الطبقة (٢٠) وخمس تراجم في الطبقة (٢١) .

(٥) واحدة في الطبقة (٢٢) وخمس في الطبقة (٢٣) وترجمتان في الطبقة (٢٤).

(٦) حققه الكوثري ونشره مع ذيل الحسيني بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

(٧) السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٦ ص١٢٦،والشوكاني:البدر الطالع ج١ص٢٩٦

(٨) السخاوي : الإعلان ، ص ٥٦٥ .

(٩) راجع آخر لحظ الألحاظ ، ص ٣٨٣، وابن شيخ العيدروس : النور السافر ، ص ٢٤١ .

واختصر الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ تذكرة الحفاظ للذهبى وذيول الحسينى وابن فهد، واستدرك على الحسينى ست تراجم[١]، وترجمتين على ابن فهد وزاد فى بعض التراجم كترجمة الذهبى مثلا[٢].

والتقط الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ من التذكرة من ليس فى «تهذيب الكمال» لأبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ، وذيل عليه بكراسة فيها (٢٨) ترجمة. وذكر السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ أن له زيادات أيضا[٣].

وقام عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكى الحنبلى كاتب الذهبى المتوفى سنة ٧٨٦ هـ[٤] بنظم وفيات الحفاظ الواردة تراجمهم فى التذكرة بحروف الجمل وسماه «الإعلام فى وفيات الأعلام»[٥]. كما نظم

---

(١) منها خمس تراجم في الطبقة الثانية والعشرين، وترجمة واحدة فى الطبقة الرابعة والعشرين.

(٢) اعتمدت نسخة مضبوطة منه فى مكتبة البلدية بالإسكندرية (برقم ٨٣٢ب) فى ٩٠ ورقة. وكان الكتاب قد طبع فى أوربا سنة ١٨٣٣ م، ثم أعاد تحقيقه السيد على محمد عمر، ونشرته مكتبة وهبة في القاهرة سنة ١٩٧٣ م وطبع بمطبعة الاستقلال الكبرى.

(٣) الإعلان، ص ٥٦٥

(٤) ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ١٦٦ – ١٦٧، ابن حجر: الدرر، ج ١ ص ٤٠٤، ابن ناصر الدين: التبيان، الورقة ١٧٠، ابن العماد: شذرات، ج٦ ص ٢٨٧.

(٥) اقتنيت نسخة مصورة عن نسخة أياصوفيا ذات الرقم ٢٩٦١(٢) كان معهد إحياء المخطوطات العربية قد صورها وهى عنده برقم ٥١ تاريخ، وهى فى ٤٨ ورقة، وتاريخ نسخها سنة ٧٧٧ هـ. وشاهدت نسخة أخرى منه محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٩٢ تاريخ فى ٩٣ ص كتبت سنة ٧٥٩ هـ.

الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ تذكرة الحفاظ بمنظومة سماها « بديعة البيان فى وفيات الأعيان »[١]. وشرحها فى مجلد نفيس سماه : « التبيان لبديعة البيان »[٢]. وجملة ما زاده على الذهبي ست وعشرون ترجمة .

٥٤ ـ تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق :

وهى رسالة صغيرة فى الرجال الذين روى عنهم محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١ هـ وصاحب « السيرة » المشهورة[٣] .

٥٥ ـ تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخارى :

وموضوعه يدل على محتواه ، فقد ترجم للرجال الذين انفرد بهم مسلم ولم يخرج لهم البخارى فذكر لهم تراجم مختصرة . وقد وقفت على نسخة منه[٤] .

٥٦ ـ كتاب تقييد المهمل :

ذكره سبط ابن حجر[٥] . وهو مفقود .

٥٧ ـ كتاب التلويح بمن سبق ولحق :

ذكره ابن تغرى بردى[٦] وسبط ابن حجر[٧] وابن العماد[٨] . وهو مفقود.

---

(١) انظر نسخة جامع الزيتونة بتونس (رقم ١٦٧٣) .

(٢) فى خزانة العالم الفاضل الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة منها فى ١٧٨ ورقة ، أعارنيها مدة ، وقد نقلنا منها كثيرا فى هوامش هذا الكتاب .

(٣) نشره فشر فى ليدن سنة ١٨٩٠ وفى مجلة جمعية المستشرقين الألمان سنة ١٨٩٥ ، ص ٤٣٢ فما بعد .

(٤) فى خزانة كتب لاله لى باستانبول (رقم ٢٠٨٩) وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧٣١ هـ .

(٥) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٦) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٧) رونق ، الورقة ١٨٠ .

(٨) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

٥٨ ـ جزء أربعة تعاصروا :

ذكره سبط ابن حجر [١] . وهو مفقود .

٥٩ ـ دول الإسلام :

ذكره معظم الذين ترجموا للذهبي ، وطبع في الهند [٢] ومصر [٣] .

وقد اعتمد فيه على «تاريخ الإسلام» ، ويسمى في بعض الأحيان « التاريخ الصغير » ، ووصل به إلى سنة ٧٠٠ هـ ، ثم ذيل عليه إلى سنة ٧٤٠ هـ [٤] ، وقد أسقط فيه كثيرا من الأعلام الواردين في تاريخه الكبير « تاريخ الإسلام » فضلا عن اختصار الترجمة والعناية بالحوادث الرئيسة فيه .

وممن ذيل على « دول الإسلام » الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ابتدأه من سنة ٧٤١ هـ ووصل به إلى سنة ٨٩٥ هـ وسماه : « وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام » ذكره في كتابه « الإعلان »، فقال : « ولي على الدول وجيز الكلام [٥] » اقتنيت منه نسخة مصورة [٦] . قال في مقدمتـــه : « فهذا ذيل تام على دول الإسلام لشيخ الحفاظ والمؤرخين

---

(١) رونق ، الورقة ١٨٠ .

(٢) حيدر آباد ١٣٣٧ هـ في جزءين .

(٣) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٤ هـ بتحقيق السيدين فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم .

(٤) انظر أدناه كلامنا على « ذيل دول الإسلام » .

(٥) ص ٦٧٥ ، وذكر حاجي خليفة أنه وصل فيه إلى سنة ٩٠١ هـ وأنـــه سماه « الذيل التام بدول الإسلام » كشف ، ج ١ عمود ٧٦٢، ٨٢٩ ، فلعل السخاوي زاده فيما بعد إلى قريب وفاته ؟ .

(٦) عن نسخة كوبرلي (رقم ١١٨٩) وهي نسخة كتبت في حياة المؤلف وعليها خطه في مواضع متعددة ، تقع في (٢٢٨) ورقة .

أبى عبد الله الذهبى ، أوحد المعدلين والمجرحين جمعته امتثالا لإشارة ... » وبين أنه سار فيه على طريقة الذهبى فى الاختصار وذكر الوفيات بعد الحوادث ، وقد ترجم فيه لمؤلف الأصل فى وفيات سنة ٧٤٨ هـ[١] .

٦٠ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين :

ذكره السبكى[٢] وسبط ابن حجر[٣] والسخاوى[٤] . وقد تناول فيه مؤلفه تراجم الرجال الكذابين والوضاعين ، والمتروكين الهالكين ، والضعفاء من المحدثين والناقلين ، والكثيرى الوهم من الصادقين ، والثقات الذين فيهم شىء من اللين ، أو من لينهم من الحفاظ ، فضلا عن خلق من المجهولين . وبذلك أورد الذهبى فى كتابه هذا جميع من تكلم فيه حتى وإن كان حافظا ثقة ، وهو المنهج الذى سلكه ابن عدى فى كتابه « الكامل » . ورتبه على حروف المعجم ليسهل تناوله .

وهذا الكتاب هو غير كتاب « المغنى فى الضعفاء والمتروكين[٥] » ، يظهر ذلك من المعاينة والمقارنة وتطبيق المنهج فى التراجم ، فضلا عن معرفة العلماء بذلك ، قال تاج الدين السبكى بعد أن ذكر كتابى الذهبى فى الضعفاء وهما « الميزان » و« المغنى » : و« كتاباً ثالثا فى ذلك »[٦] وصرح بذلك أيضاً السخاوى فى « الإعلان » فقال : « كما أن للذهبى فى الضعفاء مختصراً سماه

(١) الورقة ٧ من نسختى المصورة .
(٢) طبقات الشافعية ، ج ٩ ص ١٠٤
(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠
(٤) ص ٥٨٧
(٥) انظر أدناه .
(٦) طبقات الشافعية ، ج ٩ ص ١٠٤

المغنى وآخر سماه الضعفاء والمتروكين وذيل عليه[١] » وقد وقفنا عليه[٢] .

٦١ ـ ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان :

وهو فى كنى المشهورين وقفنا على نسخة منه[٣] . وللذهبى أيضا « المرتجل فى الكنى » ، ولا أدرى فيما إذا كان هو هذا الكتاب أم غيره حيث لم أستطع الاطلاع على « المرتجل »[٤] .

٦٢ ـ ذكر من يؤتمن قوله فى الجرح والتعديل :

وهى رسالة وقفنا على نسخة منها فى خزانة كتب أيا صوفيا باستانبول[٥] .

---

(١) الإعلان ، ص ٥٨٧

(٢) منه نسخة جيدة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث ، الورقة ١٤٥ ـ ٢٢٧ ، ويتضح من دراستها أن الملزمة الأول ناقصة ، لكنها موجودة فى الدار نفسها ضمن مجموع برقم ٧٥٣٩ عام . وحصلت سنة ١٩٧٤م على نسخة مصورة من « ديوان الضعفاء » عن نسخة أحمد الثالث باستانبول ذات الرقم ١/٣٠٥٣ كتب عليها بخط متأخر أنها كتاب « المغنى فى الضعفاء » ، وهو وهم ؛ إذ تبين أنها نسخة من « ديوان الضعفاء » لعدة أسباب من أهمها :

١ ـ تصريح المؤلف فى مقدمة الكتاب بعنوانه حيث قال: « أما بعد ، فهذا ديوان أسماء الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين . . . إلخ » .

٢ ـ تمتاز مقدمة هذه النسخة بقصرها ، وهى تختلف عن مقدمة كتاب «المغنى».

٣ ـ رتب الذهبى كتاب المغنى حسب حروف المعجم من غير نظر لأى اعتبار آخر فابتدأ كتابه بمن اسمه أبان ثم إبراهيم . . . إلخ فى حين بدأ بالأحمدين فى هذا الكتاب.

٤ ـ ومن المقارنة والمعاينة تبين أن كتاب « المغنى » أكثر تفصيلا قياسا على «ديوان الضعفاء » .

(٣) فى مكتبة جستربتى بدبلن ضمن مجموع برقم (٣٤٥٨) وهو فى (١٨) ورقة. وقد نقلت هذه النسخة عن نسخة المؤلف سنة ٨١٣ هـ كما جاء فى آخرها .

(٤) انظر أدناه كلامنا عليه .

(٥) (رقم ٢٩٥٣) .

وقد نقل شمس الدين السخاوى قسما منها من غير إشارة لها[١] .

وقد قسم الذهبي المتكلمين فى الرجال إلى ثلاثة أقسام من حيث الاستيعاب:

١ ـ قسم تكلموا فى سائر الرواة مثل يحي بن معين وأبى حاتم الرازى .

٢ ـ وقسم آخر تكلموا فى كثير من الرواة مثل مالك وشعبة بن الحجاج.

٣ ـ وقسم ثالث تكلموا فى قليل منهم مثل ابن عيينة والشافعى .

ثم قسمهم بعد ذلك إلى ثلاث طوائف من حيث تشددهم وتساهلهم فى الجرح والتعديل :

١ ـ الطائفة الأولى ، متشددة فى التوثيق تجرح الراوى نتيجة الغلطتين والثلاث ، مثل يحي بن سعيد القطان ، وابن معين .

٢ ـ والطائفة الثانية معتدلة مثل الإمام أحمد والدارقطنى وابن عدى .

٣ ـ والثالثة متساهلة مثل الترمذى وأبى عبد الله الحاكم .

٦٣ ـ ذيل الإشارة إلى وفيات الأعيان :

ذكره السخاوى[٢] . ومن الطبيعى أن يذيل الذهبى على هذا الكتاب لأن أصله يقف عند سنة ٧٠٠ هـ كما مر بنا .

٦٤ ـ ذيل دول الإسلام :

قد علمنا أن الذهبي وقف فى دول الإسلام عند سنة ٧٠٠ هـ باعتباره مختصرا من تاريخه الكبير ، تاريخ الإسلام ، فذيل عليه إلى سنة ٧٤٠ هـ . على أن المطبوع من « دول الإسلام » فى حيدر آباد بالهند يشمل الأصل والذيل[٣] ،

---

(١) الإعلان ، ص ٧٢١ ـ ٧٢٣ .

(٢) الإعلان ، ص ٦٧٥ .

(٣) حيدر آباد سنة ١٣٣٧ هـ .

وهو مالم ينتبه إليه ناشرو الكتاب ، بله طبعة القاهرة[١] فيها إلى سنة ٧٤٤هـ. ولعل هذه السنوات الأربع زيادات من بعض النساخ أو غيرهم . وقد مر بنا أن السخاوى أكمل الذيل ابتداء من سنة ٧٤١[٢] هـ مما يدل على وقوف الذهبى فى الذيل عند سنة ٧٤٠ هـ . وقد أشار إليه السخاوى فى الإعلان[٣] .

٦٥ ـ ذيل سير أعلام النبلاء :

ذكره حاجى خليفة[٤] ، وعده ابن حجر من بين مصادره الرئيسة فى الدرر الكامنة[٥] . ولما كان سير أعلام النبلاء فى ثلاثة عشر مجلدا ، فيظهر أن المجلد الرابع عشر الذى ورد ذكره فى نص وقفية سير أعلام النبلاء على خزانة كتب المدرسة المحمودية بالقاهرة[٦] هو الذيل . ويبدأ الذيل من سنة ٧٠٠ هـ تقريبا ولعله يصل إلى سنة ٧٤٠ هـ تقريبا .

وقد استدرك عليه الحافظ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢[٧] هـ، وذيله إلى عصره بكتاب سماه : « تعريف ذوى العلاء لمن لم يذكره الذهبى من النبلاء »[٨] .

(١) القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
(٢) نسخة كوبرلى رقم (١١٨٩) وانظر أعلاه كلامنا على « دول الإسلام » .
(٣) ص ٦٧٥ .
(٤) كشف الظنون ، ج٢ عمود ١٠١٥ .
(٥) ج ١ ص ٤ .
(٦) انظر طرة المجلد الثالث عشر من نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٠ .
(٧) السخاوى : الإعلان ، ص ٦٧٥ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١٠١٥ .
(٨) انظر نسخة برلين (رقم ٩٨٣٧) .

٦٦ ـ ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين :

ذكره السخاوى فى الإعلان[١] ، ورأينا نسختين منه[٢] .

وقد استدرك المؤلف فى هذا « الذيل » ما فاته فى « ديوان الضعفاء » ، ورتبه على ترتيب الأصل نفسه ، وجاء فى أوله : « قال الشيخ الإمام العلامة الحافظ . . . الذهبى : هذا ذيل على كتابى ديوان الضعفاء التقطته من عدة تواليف ، وهذا شىء لا سبيل إلى استيعابه وإنما هو بحسب ما عرفت أو اطلعت عليه ، وإن لم يكن للإنسان ذوق النقاد وبصر الحُفّاظ وإلا فإنه يضعف الحديث القوى ويصحح الحديث الواهى مع أن أئمة هذا الشأن تختلف اجتهاداتهم وتتقارب معارفهم وأذواقهم لكن يقل ذلك وفيهم يندر ، والله الهادى » . ومع أنه رتبه على حروف المعجم كما ذكرنا إلا أنه بدأ بالأحمدين من حرف الألف وبالمحمدين من حرف الميم ، تكريما لاسم النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

٦٧ ـ ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزى :

سوف يأتى أن الذهبى اختصر كتاب الضعفاء لابن الجوزى وعلق عليه بفوائد ، وقال الذهبى فى مقدمة الميزان : « وصنف أبو الفرج ابن الجوزى كتاباً كبيراً فى ذلك كنت اختصرته أولا ثم ذيلت عليه ذيلا بعد ذيل[٣] » .

---

(١) الإعلان ، ص ٥٨٧

(٢) ولهما مصورتان فى خزانة كتبى ، الأولى : عن دار الكتب الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث ، الورقة ٢٢٧ - ٢٣٩) وهى نسخة قوبلت على الأصل المنتسخ منه . والثانية : فى نهاية نسخة أحمد الثالث (رقم ٣٠٥٣/١) والتى كتب فى طرتها أنها كتاب « المغنى فى الضعفاء » وقد تكلمنا على خطأ هذا العنوان عند تعليقنا على كتاب «ديوان الضعفاء » قبل قليل فراجعه .

(٣) ميزان الاعتدال ، ج ١ ص ٢

وقال شمس الدين السخاوى بعد ذكر اختصار الذهبى لكتاب الضعفاء لابن الجوزى : « بل وذيل عليه فى تصنيفين جمع معظمهما فى ميزانه »[(١)] .

ومن هنا يتبين لنا أن الذهبى عمل ذيلا على كتاب الضعفاء لابن الجوزى ، ثم عمل :

٦٨ ـ الذيل على ذيل الضعفاء لابن الجوزى .

٦٩ ـ ذيل العبر فى خبر من عبر :

أشار إليه النعيمى فى « تنبيه الدارس »[(٢)] ، وابن طولون فى « القلائد الجوهرية »[(٣)] ، وإن كان كل من النعيمى ، وابن طولون فى « قضاة دمشق » يطلقان اسم « العبر » ، وهو الأصل ، على « الذيل » أيضاً ، وكذلك ابن العماد الحنبلى ، وهو ممن سلخ هذا الكتاب فى شذراته ، بله تعقيبه عند سنة ٧٠٠ هـ بقوله : « وبهذه السنة ختم الذهبى كتابيه العبر والدول »[(٤)] . وهذا من باب التجوز لا غير[(٥)] . وقد أشار الذهبى، كما نقل النعيمى ، إلى أنه كتب هذا الذيل فى سنة ٧٤٤ هـ . وقد نهج المؤلف فى «ذيل العبر» منهجه فى الأصل ، وانتهى به إلى سنة ٧٤٠ هـ[(٦)] .

---

(١) الإعلان ، ص ٥٨٧

(٢) ج ٢ ص ١٩٤

(٣) ج ١ ص ١٩٤

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ ص ١٢٤

(٥) انظر مقدمة ذيل العبر ، ص ٧

(٦) ومن «الذيل» نسخة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحمل الرقم (٣٥٠ تاريخ) وأخرى فى مكتبة جامعة ييل بالولايات المتحدة (برقم ١٢٦٤) . وعلى هاتين النسختين حققه صديقنا العلامة المرحوم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب المصرى =

٧٠ ـ الرد على ابن القطان[١] :

ألف ابن القطان كتاب «بيان الوهم والإيهام الواقعين فى كتاب الأحكام» انتقد به كتاب «الأحكام الشرعية الكبرى» لأبى محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدى الإشبيلي المعروف بابن الخراط المتوفى سنة ٥٨١ هـ[٢] . وقد وقع ابن القطان نفسه بأوهام كثيرة فى رده ، قال الذهبى كما وجدت بخطه من تاريخ الإسلام: « طالعت جميع كتابه الوهم والإيهام الذى عمله ... يدل على تبحره فى فنون الحديث وسيلان ذهنه ، ولكنه تعنت وتكلم فى حال رجال فما أنصف[٣] » . وقال ابن ناصر الدين فى « التبيان » بعد أن ذكر كتابه : « ولابن القطان فيه وهم كثير نبه عليه أبو عبد الله الذهبى فى منتقى منه كبير »[٤] .

وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب «الرد على ابن القطان» للذهبى،

= (المتوفى بالقاهرة فجاءة فى عصر آخر يوم من سنة ١٣٩٤ هـ ، وأنا معه فى القاهرة) ونشر فى سلسلة التراث العربى بالكويت مع ذيل الحسينى على ذيل العبر (بدون تاريخ) وهى نشرة متقنة ؛ فقد كان المحقق عديم النظير فى فن المخطوطات ـ رحمه الله تعالى .

(١) أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى الحميرى الفاسى القرطبى الأصل، أقام بمراكش عند بنى عبد المؤمن ونال عندهم دنيا عريضة ، وكان رأس العلماء بها ، توفى سنة ٦٢٨ هـ (ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص٢٩٨ ، الذهبى : تاريخ الإسلام الورقة ٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، ابن ناصر الدين : التبيان ، الورقة ١٥٢ ، ابن العماد: شذرات ، ج ٥ ص ١٢٨

(٢) ابن شاكر : فوات ، ج ١ ص ٢٤٨ ، الغبرينى : عنوان الدراية ، ص ٢٠ ، ابن ناصر الدين : التبيان ، الورقة ١٤٧ . ومن كتابه « الأحكام » نسخة مصورة عند الحاج صبحى السامرائى .

(٣) الورقة ٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .   (٤) الورقة ١٥٢

ذكره الألبانى فى الفهرس[١] ووقفت على نسخة مصورة منه[٢]، وعند دراستها ظهر لنا ما يأتى :

١ ـ إن الذهبى قد اختصر كتاب « الوهم والإيهام » لابن القطان أولا ثم نبه على أغلاطه ورد عليها ثانيا ، ودلالةذلك بما جاء فى أول نسخة دار الكتب الظاهرية : « قال الشيخ الإمام أبو عبد الله الذهبى ـ رحمه الله ـ فى كتاب « مختصر كتاب الوهم والإيهام » لابن القطان ... »[٣] .

٢ ـ إن الذهبى ربما أفرد الرد فى كتاب خاص رتبه حسب الأحاديث أولا ورد عليه ، ثم رتبه ثانية حسب ترتيب المصنف[٤] .

٣ ـ إن نسخة الظاهرية ما هى إلا مختصر رد الذهبى على ابن القطان قام أحدهم باختصارها ، ودلالة ذلك فى مقدمة النسخة التى تظهر فيها ذاتية الملخِّص واضحة ، فضلا عما جاء فى آخر النسخة من قول الذهبى : « فرغنا من ترتيب ما وجدناه فى الكتاب بالترتيب الصناعى[٥] ، يقى علينا أن نذكر جميع مامر ذكره فى الأبواب ذكرا مختصرا مرتبا على نسق المؤلف ليسهل كشفه . (قال الملخِّص)[٦] : « فسردْ ذلك فى خمس وثلاثين ورقة »[٧] وهذه الأوراق الخمس والثلاثون

---

(١) ص ٢٨٢

(٢) هى النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة كتب شيخنا العالم الفاضل الحاج صبحى السامرائى عن نسخة دار الكتب الظاهرية (مجموع رقم ٧٠) ، وهى فى (١٢) ورقة.

(٣) الرد على ابن القطان ، الورقة ١٥

(٤) الورقة ٢٦ ، وهى آخر نسخة الظاهرية .

(٥) يعنى على الأحاديث .

(٦) مابين القوسين إضافة منى لتوضيح النص .

(٧) انظر آخر نسخة الظاهرية ، الورقة ٢٦

غير موجودة فى النسخة. ونقول الآن: إذا كان الترتيب المختصر، وهو ما أريد به التسهيل، فى (٣٥) ورقة فكيف يصح بعد ذلك ترتيب الرد الأصلى فى (١٢) ورقة فقط؟ تأمل ذلك!

ويعد رد الذهبى على ابن القطان، فى رأينا، مثالا نفيسا فى النقد الحديثى.

٧١ ـ كتاب الزلازل :

ذكره ابن تغرى بردى[(١)] وسبط ابن حجر[(٢)] وابن العماد[(٣)]. وذكر السخاوى كتاب «الزلازل والفتن» من بين الكتب المؤلفة فى التاريخ على الحوادث ولم يشر إلى مؤلفه، فهل هو الذى للذهبى[(٤)]؟

٧٢ ـ سير أعلام النبلاء :

سماه صلاح الدين الصفدى وابن دقماق «تاريخ النبلاء[(٥)]»، وابن شاكر الكتبى «تاريخ العلماء النبلاء»[(٦)]، وتاج الدين السبكى «كتاب النبلاء»[(٧)] وسبط ابن حجر «أعيان النبلاء»[(٨)]. وسماه كل من الحسينى، وابن ناصر الدين، وابن حجر، والسخاوى «سير النبلاء»[(٩)]. وقد اعتمدنا العنوان

---

(١) المنهل الصافى، الورقة ٧٠

(٢) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠

(٣) شذرات، ج ٦ ص ١٥

(٤) الإعلان، ص ٦٦٩

(٥) الوافى، ج ٢ ص ١٦٣، وابن دقماق، ترجمان الزمان، الورقة ٩٨

(٦) فوات الوفيات، ج ٢ ص ١٨٣، وعيون التواريخ، الورقة ٨٦

(٧) طبقات، ج ٩ ص ١٠٤

(٨) رونق الألفاظ، الورقة ١٨٠.

(٩) الحسينى: الذيل ص ٢٦٨، ابن ناصر الدين: الرد الوافر، ص ٣١، ابن حجر: الدرر، ج ٣ ص ٤٢٦، السخاوى: الإعلان، ص ٦٧٤.

أعلاه ، وهو الذى جاء فى طرة نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٠ المنقولة عن نسخة المؤلف(١) .

رتب الذهبى هذا الكتاب على الطبقات، فجعله من بداية الإسلام حتى سنة ٧٠٠ هـ تقريبا فى خمس وثلاثين طبقة ، تكون فى ثلاثة عشر مجلداً ضخما . ثم ذيل الذهبى عليه بمجلد هو المجلد الرابع عشر(٢) . وأفرد المجلدين : الأول والثانى للسيرة النبوية الشريفة والخلفاء الراشدين ؛ وبدأ المجلد الثالث بالعشرة المبشرين بالجنة ثم كبار الصحابة ، فالتابعين . . . . . . وهلم جرا . والكتاب ليس مجرد اختصار لتاريخ الإسلام ، فقد ضمنه كثيرا من الروايات الجديدة التى

(١) لم يعرف بروكامان هذه النسخة ولا غيرها من النسخ وهى :

أ ـ نسخة أحمد الثالث هذه ، وهى برقم (٢٩١٠ / ١) وتتكون من ثلاثة عشر مجلدا ضخما فقد منها المجلدان الأول والثانى ، وهى أول نسخة نسخت من نسخة المؤلف وذلك فى السنوات ٧٣٩ ـ ٧٤٣ هـ وكانت موقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة . ويتكون كل مجلد من (٢٩٠) ورقة تقريبا، ويبلغ مجموع أوراقها (٣١٧٠) ورقة ، وهى نسخة نفيسة جدا .

ب ـ نسخة ثانية فى مكتبة أحمد الثالث أيضا (رقم ٢٩١٠ / ٢) ، وفيها المجلدات : الثانى والثالث والخامس والسادس والسابع والتاسع والعاشر والحادى عشر وتقسيمها يختلف عن تقسيم النسخة السابقة حيث يبدأ المجلد الثانى منها عند بداية المجلد الثالث من النسخة السابقة ، وهى نسخة غير دقيقة كتبت سنة ١٠٠٢ هـ .

جـ ـ نسخة فى اليمن ، بمكتبة الإمام يحيى ، وهى نسخة ناقصة ومتأخرة كتبت سنة ١٠٦٦ هـ .

وفى سنة ١٩٥٦ م بدأت جامعة الدول العربية بنشره فظهرت منه ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم باعتناء الدكتور صلاح الدين المنجد ، لكنها توقفت عن نشره . وقد علمت فى أثناء رحلتى إلى القاهرة فى أواخر سنة ١٣٩٤ هـ أن الجامعة كانت قد وزعت مجلدات منه تصل إلى المجلد الثامن على بعض المعنيين بالتراث العربى وأنها عازمة على نشره .

(٢) انظر أعلاه كلامنا على « ذيل سير أعلام النبلاء » .

لم يوردها فى « تاريخ الإسلام » وتوسع فى بعض التراجم ، على أنه لم يضف تراجم جديدة إليه .

٧٣ ـ طبقات الشيوخ :

ذكره الذهبي فى « تذكرة الحفاظ » ، فقال فى ترجمة على بن حمشاذ النيسابورى العدل : « متقن رحّال ، ذكرناه فى طبقات الشيوخ ، ولو نقل إلى هنا لساغ فإن له مسندا فى ثلاث مئة جزء أو أكثر . توفى فى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة »[١] . ويظهر من استقراء هذا النص أن طبقات الشيوخ اشتمل على المحدثين الذين هم دون الحفاظ مرتبة .

٧٤ ـ العباب فى التاريخ[٢] :

ذكره ابن تغرى بردى[٣] ولا نعرف عنه شيئا[٤] .

---

(١) ج ٣ ص ٨٧٦ لكنه كان ذكره قبل هذا فى ج ٣ ص ٨٥٥ ـ ٨٥٦ وكأن المؤلف اقتصر أولا على ذكره هنا ثم عاد فألحق ترجمة وافية له فى موضعها من الطبقة وبقى ماهنا على حاله .

(٢) يظهر أن الذهبي أضاف إلى «العباب» عبارة : « فى التاريخ »لتمييزه عن غيره من الكتب التى تحمل العنوان نفسه ، من ذلك مثلا كتاب «العباب» فى اللغة للإمام الصاغانى المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (انظر حاجى خليفة : كشف ، ج ٢ عمود ١١٢٢) .

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٤) ذكر الأستاذ خير الدين الزركلى فى الأعلام (ج ٦ ص ٢٢٢) أن من هذا الكتاب نسخة خطية ، ولم يعين مكانها على خطته فى كتابه ، وما أظنه أصاب فى ذلك فما عرفنا مثل هذا ، والله أعلم .

٧٥ ـ العبر فى خبر من عبر :

ذكره الصفدى[١] والسبكى[٢] وابن حجر[٣] وسبطه[٤] وغيرهم . ومن الكتاب نسخ عديدة[٥] وطبع فى الكويت[٦] باسم « العبر فى خبر من غبر » ـ بالغين المعجمة ـ وهو وهم[٧] .

ويعرف هذا التاريخ بالتاريخ الأوسط[٨] . وقد لخصه مؤلفه من كتابه الكبير « تاريخ الإسلام » سنة ٧١٥ هـ كما يبدو[٩] . ومع ذلك فقد نجد أحيانا من الحوادث والوفيات التى تناولها مما ليس مذكوراً فى « تاريخ الإسلام » وهو أمر يدل على أن الذهبى استدرك فيه بعض الاستدراكات على «تاريخ الإسلام » .

(١) نكت الهميان ، ص ٢٤٣ ، والوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) طبقات ، ج ٩ ص ١٠٤ .
(٣) الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٥) من ذلك نسخة المكتبة الأهلية بباريس ذات الرقم (١٥٨٤) ونسخة المتحفة البريطانية (رقم ٦٤٢٨) ونسخة ولى الدين (رقم ٣٤٤٩) وكوبرلى (رقم ١٠٤٨) باستانبول .

(٦) حقق المرحوم فؤاد سيد الجزءين الثانى والثالث وحقق الدكتور المنجد الأجزاء الباقية .

(٧) لأن « عبر » مصدره العبور على المشهور ، قال ابن منظور فى « عبر » من اللسان : « ويقال : عبر فلان إذا مات فهو عابر ، كأنه عبر سبيل الحياة ، وعبر القوم أى ماتوا ؛ قال الشاعر :

فإن نعبر فإن لنا لمـات   وإن نغبر فنحن على نذور

يقول : إن متنا فلنا أقران وإن بقينا فنحن ننتظر ما لابد منه ، كأن لنا فى إتيانه نذرا » . ومن هنا يتبين أن الغبور هو البقاء ، فضلا عن أن « عبر » أكثر جناسا من « غبر » بالغين المعجمة .

(٨) السبكى : طبقات ج ٩ ص ١٠٤ .

(٩) انظر مقدمة الدكتور المنجد للجزء الأول ص (ب) من المقدمة .

وقد احتل هذا التاريخ مكانا بارزا بين كتب الذهبي فوصفه السبكي بأنه « حسن جدًّا »[(١)]. وقد سلخه كل من النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ في كتابه « تنبيه الدارس » وابن العماد المتـــوفى سنة ١٠٨٩ هـ في كتابه « شذرات الذهب » . واختصره تقي الدين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفى سنة ٨٥١هـ[(٢)].

واشتهرت الذيول على كتاب « العبر » في تاريخ التأليف التاريخي عند المسلمين ، فقد ذيل على ذيل الذهبي على العبر[(٣)] تلميذه شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ[(٤)] ابتدأ به من سنة ٧٤١ هـ ووصل به إلى سنة ٧٦٤ هـ أي قبل وفاته بسنة واحـــدة ، وسار على منهجه في ذكر الحوادث والوفيات ، لـكنه نظّم السنة الواحدة حسب أشهرها في بعض الأحيان[(٥)]. ثم ذيل على ذيل الحسيني شمس الدين أبو العباس محمد بن موسى بن محمد اللخمي المصري الشامي المعروف بابن سند المتوفى سنة ٧٩٢ هـ . وكان ابن سند قد قرأ على الذهبي، وذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين، وهو آخر المذكورين فيه وفاة ، قال ابن حجر : « وقد ذيل على العبر للذهبي بعد ذيل الحسيني، رأيته بخطه ، وذيل فيه إلى قرب الثمانين فقط »[(٦)] . وممن ذيل على ذيل العبر للذهبي

---

(١) السبكي : طبقات ، ج ٩ ص ١٠٤ . (٢) منه نسخة في المتحفة البريطانية .

(٣) انظر أعلاه كلامنا على « ذيل العبر » .

(٤) انظر ابن حجر: الدرر ، ج ٤ ص ١٧٩ — ١٨٠ ، ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص١٠٥ ، ابن كثير: البداية ، ج١٤ ص٣٠٧ ، النعيمي: تنبيه الدارس ، ج١ ص٥٨ .

(٥) نشره صديقنا المرحوم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب مع ذيل العبر للذهبي في الكويت (بدون تاريخ) .

(٦) الدرر ، ج ٥ ص ٤٠ وانظر حاجي خليفة : كشف ، ج ٢ عمود ١١٢٤ . ولـكن ابن سند افتتح كتابه من أول سنة ٧٦٣ هـ فلعله لم يقف على ذيل الحسيني كاملا (انظر مقدمة ذيل أبي زرعة العراقي — نسخة دار الكتب رقم ١٩٩٩ د) .

أيضاً الحافظ أبو الفضـــل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان المعروف بالعراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ[١] ، قال ابن فهد المكي : « وذيل على ذيل العـــبر للذهبي من سنة إحدى وأربعين إلى سنة ثـــلاث وستين[٢] » يعني وسبع مئة .

ثم جاء ولده ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ فذيل على تذييل والده وابتدأ به من سنة ٧٦٢ هـ ووصل به إلى سنة ٧٨٦هـ[٣] .

وذيل الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني على ذيل الحسيني ، وابتدأ به من سنة ٧٦٣ هـ فكتب هذه السنة وبعض التي تليها[٤] .

٧٦ ـ عنوان السير في ذكر الصحابة :

ذكره حاجي خليفة[٥] ولا ندري فيما إذا كان هو « تجريد أسماء الصحابة » الذي اختصره من « أسد الغابة » لابن الأثير الجزري المتـــوفى سنة ٦٣٠ هـ

---

(١) الجزري: غاية ، ج١ ص٣٨٢ ، السخاوي: الضوء ، ج٤ ص١٧١ ، ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص ٢٢٠ فما بعد ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، الورقة ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) لحظ الألحاظ ، ص ٢٣١ .

(٣) ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص ٢٣١ ، ٢٨٧ . ومن « ذيل » ولي الدين أبي زرعة العراقي نسخة بدار الكتب المصرية (رقم ١٩٩٩د) ونسخة حديثة أخرى نسخت عنها (رقم ٥٦١٥ تاريخ) جاء في أوله : « هذا تاريخ متوسط ابتداؤه سنة مولدي ، وهو ذيل على تاريخ والدي ـ أبقاه الله تعالى ـ الذي ذيل على ذيل العبر للحافظ أبي عبد الله الذهبي ـ رحمه الله ـ فأقول . . . » . وقد ظن بعضهم أن هذا التاريخ يبدأ من سنة ٧٦٣ هـ ، وهو وهم . (انظر أيضا الورقة ١٤ ، ٣٤٩) (دار الكتب ٥٦١٥ تاريخ) وللنسخة الأخيرة صورة في المجمع العلمي العراقي ، وعندي نسخة مصورة أيضا.

(٤) جاء في طرة ذيل أبي زرعة العراقي : « ثم إن الإمام شهاب الدين ابن حجر : ذيل على الحسيني أيضا فكتب سنة ٦٣ وبعض التي تليها كما وقعت على ذلك بخطه في آخر النسخة التي من العبر وهي عند قريبه الإمام نجم الدين ـ نفع الله به ـ » .

(٥) كشف الظنون ، ج ١ عمود ١١٧٥

لعدم وقوفنا على نسخة منه أو وصف له وإن كنا نستبعد ذلك لسببين : أولهما أن حاجى خليفة لم يشر إلى ذلك إطلاقا كما لم يشر أحد ممن ذكر « التجريد » إلى هذا الاسم ، وثانيهما أنه ذكر « التجريد » فى موضع آخر غير هذا الموضع[١]. وقد نقل السيد الزبيدى فى مادة (حول) من « تاج العروس » عن « معجم الصحابة » للذهبى ، ويظهر أنه كان يمتلك نسخة منه[٢] ، فلعله هو ؟

٧٧ ـ القبان (فى أصحاب التقى ابن تيمية) :

ذكره السخاوى[٣] .

٧٨ ـ المجرد فى أسماء رجال كتب سنن الإمام أبى عبد الله بن ماجة سوى من أخرج له منهم فى أحد الصحيحين :

وقفنا على نسخة منه بخط المؤلف[٤] . وقد جعلهم الذهبى فى ثمانى طبقات وهم : طبقة الصحابة[٥] ، وطبقة زمن الأعمش وابن عون[٦] ، وطبقة الزهرى وأيوب[٧] ، وطبقة ابن المسيب ومسروق[٨] ، وطبقة الحسن وعطاء[٩] ، وطبقة

(١) كشف الظنون ، ج ١ عمود ٣٥١ . وانظر أدناه كلامنا على « التجريد » فى القسم الخاص بالمختصرات من مؤلفات الذهبى .

(٢) الزبيدى : تاج العروس ، ج ٧ ص ٢٩٧ (ط . الكويت) .

(٣) الإعلان ، ص ٦٧٥

(٤) بدار الكتب الظاهرية (رقم ٥٣١ حديث) وهى فى عشرين ورقة . ومن هذه النسخة مصورة عند الحاج صبحى السامرائى .

(٥) الورقة ١ ـ ٦

(٦) الورقة ٦ ـ ٨

(٧) الورقة ٨ ـ ١٢

(٨) للورقة ١٢ ـ ١٣

(٩) الورقة ١٣ ـ ١٤

عفان وعبد الرزاق [١] ، وطبقة على بن المدينى وأحمـــد بن حنبل [٢] ، وطبقة البخارى ومن تبقى [٣] . ورمز فوق الأسماء بالحمرة للـكتب الستـــة برموزهم السائرة . ويلاحظ أن هذه الطبقات غير مرتبة زمنيا .

٧٩ ـ المرتجل فى الـكنى :

ذكر بروكلمان نسخة منه فى خزنة (لى) الإنـكليزى [٤] لم أقف عليها . ولا أدرى علاقته بكتاب «ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان» الذى مر ذكره.

٨٠ ـ المشتبه فى الرجال : أسمائهم وأنسابهم :

ذكره الصفدى [٥] وابن دقماق [٦] وحاجى خليفة [٧] وغيرهم . وفى خزائن الـكتب العالمية غير نسخة منه [٨] ، وهو مطبوع [٩] .

وقد ألفه الذهبى سنة ٧٢٣هـ [١٠] . وهو كتاب فى معرفة مايشتبه ويتصحف

---

(١) الورقة ١٤ ـ ١٥ (٢) الورقة ١٥ ـ ١٦ (٣) الورقة ١٦ ـ ٢٠

(٤) تاريخ التراث العربى ، ج ٢ ص ٥٩ (بالألمانية) .

(٥) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونـكت الهميان ، ص ٢٤٢

(٦) ترجمان الزمان ، الورقة ٩٩

(٧) كشف الظنون : ج ٢ عمود ١٦٣٧ ، ١٦٩١

(٨) منه ثلاث نسخ فى استانبول: فى أحمد الثالث (رقم ٣٠٢٨) ، وكوبرلى (رقم ٣٨٦) ، وجار الله (رقم ٤٣٩)، ونسخة بمكتبة الاسكوريال بأسبانيا (برقم ١٧٨١) ونسخة بجامع القرويين بفاس (رقم ٦٢٩) ، ونسخة فى دار الـكتب الظاهرية بدمشق (برقم ٣٦٩ حديث) ، وأخرى بمكتبة عارف حكمت بالمدينة (رقم ١٨٨ مجاميع) .

(٩) حققه المستشرق الهولندى (دى يونغ) ونشره فى ليدن سنة ١٨٦٣ م فى ٦١٢ صفحة . ثم أعادت طبعه مكتبة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦٢ م بعناية السيد على محمد البجاوى فى جزأين معتمدا نسخة أحمد الثالث مع توافر نسخ غيرها .

(١٠) انظر مقدمة ابن ناصر الدين لـكتاب توضيح المشتبه (سوهاج) .

من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب مما اتفق وضعا واختلف نطقا ، وهى من المسائل المهمة فى تاريخ التدوين العربى عموما وتاريخ علم الرجال خصوصا ، لأن أسماء الرجال شىء لا يدخله القياس، وليس هناك شىء قبله يدل عليه ولا شىء بعده يدل عليه فليس له إلا التقييد والضبط [(١)] .

رتب الذهبى كتابه على حروف المعجم وجعل لكل حرف بابا ، واعتمد فيه أمهات الكتاب المؤلفة فى هذا الفن مثل كتاب « المؤتلف والمختلف » لعبد الغنى بن سعيد الأزدى المتوفى سنة ٤٠٩ هـ وكتاب « الإكمال » للأمير ابن ماكولا المتوفى سنة ٤٧٥ هـ و « إكمال الإكمال » لمعين الدين ابن نقطة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ و « تكملة إكمال الإكمال » لابن الصابونى المتوفى سنة ٦٨٠ هـ و « الذيل على إكمال » ابن نقطة لمنصور بن سليم الإسكندرانى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ ومن كلام شيخه أبى العلاء محمود بن أبى بكر الفرضى الحنفى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ وغيرهم . فضلا عما وقع له وتنبه إليه جراء دراساته وممارسته لعلم الرجال . ولما كان موضوع الكتاب على غاية من الاتساع فإن مؤلفه بالغ فى اختصاره واعتمد القلم فى ضبط المشتبه إلا فيما يصعب ويشكل فكان يقيده بالحروف ، وهو نادر. وكان الذهبى يعلم جيدا صعوبة الاعتماد على ضبط القلم فنبه إلى ذلك بقوله : « فأتقن — يا أخى — نسختك ، واعتمد على الشكل والنقط ، ولابد ، وإلا لم تصنع شيئا [(٢)] »..

وقد احتل كتاب « المشتبه » للذهبى مكانا مرموقا عند المعنيين بعلم الرجال والمؤلفين فيه ، فطالعه العلامة ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ وضبط لنفسه

---

(١) راجع مقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثى ، م ١ ص ٦٤

(٢) المشتبه ، ص ٢ (ط . البجاوى) .

نسخة نفيسة منـــه [١] ، ثم ألف كتابه العظيم « توضيح المشتبه » [٢] قيد فيه الأسماء والأنساب والـكنى والألقاب بالحروف لإيمانه أن القلم لا يمكن الاعتماد عليه فى مثل هذه الأمور . وأوضح بعض ما أهمله الذهبى ، وشرح بعض مختصراته ، واستدرك عليه استدراكات نفيسة تدل على علم جم ومعرفة متقنة بهذا الفن .

ولما كان الحافظ ابن حجر العسقلانى من المعجبين بمؤلفات الذهبى والمهتمين بها فقد قرأ هذا الـكتاب ثم علقه ، لـكنه وجد فيه إعوازا من ثلاثة أوجه :

أحدها ، وهو أهمها ، تحقيق ضبطه ، لأنه أحال فى ذلك على ضبط القلم .

ثانيها : إجحافه فى الاختصار ، بحيث إنه يعمـــد إلى الاسمين المشتبهين إذا كثرا فيقول فى كل منهما : فلان وفلان وفلان وغيرهم ، وهذا لا يروى الغلة ولا يشفى العلة بل يبقى اللبس على المستفيد كما هو ، وكان ينبغى أن يستوعب أقلهما .

ثالثها : ما فاته من التراجم المستقلة التى لم يتضمنها كتابه مع كونها فى أصل ابن ماكولا وذيل ابن نقطة اللذين لخصهما [٣] .

ولـكل هـــذه الأسباب عمد الحافظ ابن حجر إلى تأليف كتابه « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه [٤] » استدرك فيه ذاك الإعواز الذى ذكره معتمداً على نسخة بخط المؤلف ، وعلى الأصول التى نقل الذهبى منها ، وعلى غيرها ممـا لم يطلع عليه .

---

(١) هى نسخة أحمد الثالث باستانبول ذات الرقم (٣٠٢٨)

(٢) هو من مراجعنا العظيمة فى ضبط الأسماء ولدينا منه نسختان إحداها ناقصة وهى مصورة عن مكتبة سوهاج بمصر ، والثانية مصورة عن دار الـكتب الظاهرية بدمشق .

(٣) انظر مقدمة التبصير ، ج ١ ص ١

(٤) نشرته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بالقاهرة بعناية على محمد البجاوى سنة ١٩٦٧ م .

وحاول تلميذ الذهبي تقى الدين محمد بن رافع السلامى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ أن يستدرك على كتاب شيخه فى المشتبه فعمل جزءا جعله كالذيل عليه ، نشره الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد ببـيروت سنة ١٩٧٤ على نسختين من استانبول[١]، وذكر أنه قابل التبصير بذيل ابن رافع فتبين له أن ابن حجر لم يطلع عليه مدللا بذلك على نفاسة الكتاب[٢]. وغلط فى ذلك غلطا كبيرا لأن ابن حجر قد اطلع عليه ونص على ذلك تصريحا فى آخر التبصير فقال: « وقد ذيل عليه الحافظ تقى الدين ابن رافع تلميذه فى هذا المختصر جزءا قدر عشرة أوراق غالبه لا يُرَد عليه ، لأنه إما أن يكون قد ذكره أو يكون لايشتبه إلا على بعد[٣] » فتأمل ذلك !

٨١ ـ معجم الشيوخ الكبير[٤] :

٨٢ ـ معجم الشيوخ الأوسط :

٨٣ ـ المعجم الصغير (اللطيف) :

٨٤ ـ المعجم المختص بمحدثى العصر :

ذكره الذهبي فى آخر تذكرة الحفاظ ، فقال: « وقد كنت ألفت معجما لى يختص بمن طلب هذا الشأن[٥] من شيوخى ورفاقى ، فاستوعبت من له أدنى عمل

(١) بيروت : دار الكتاب الجديد . وعنوان الكتاب « ذيل مشتبه النسبة للذهبي » ويقع في ٥٥ صفحة مع المقدمة والفهارس العامة .

(٢) ابن رافع : ذيل مشتبه النسبة ، ص ٥ من المقدمة .

(٣) ابن حجر : تبصير المنتبه ج ٤ ص ١٥١٢ – ١٥١٣ .

(٤) راجع عن المعجم الكبير والأوسط والصغير كلامنا على تحليل موارد البحث فى مقدمة هذا الكتاب .

(٥) يعنى الحديث النبوى الشريف .

وبينت أحوالهم »[١] . وقال ابن حجر : « فذكر فيه غالب الطلبة من أهل ذلك العصر وعاش الكثير منهم بعده إلى نحو أربعين سنة»[٢] . وذكره السبكى[٣] وابن تغرى بردى[٤] وابن العماد[٥] . وتحرف فى الإعلان للسخاوى[٦]،وكشف الظنون[٧] وفهرس الأوقاف[٨] إلى « المختصر » وهو وهم جد ظاهر .

وهذا الكتاب ليس معجما لشيوخ الذهبى ، بل هو معجم مختص بطلبة العلم فى عصره ، فقد ذكر الذهبى فيه حتى صغار الطلبة آنذاك . وقد أشار السخاوى إلى مثل هذا فقال عند كلامه على تواريخ المحدثين : « وللذهبى المعجم المختص بهم »[٩] . وقد أفاد منه ابن حجر فى الدرر الكامنة ، بل سلخه بحيث نجده ينقل عنه فى معظم التراجم . والظاهر أنه كان كتابا ضخما . وقد وصل إلينا انتقاء منه لتقى الدين ابن قاضى شهبة الأسدى المتوفى سنة ٨٥١ هـ[١٠] .

(١) تذكرة ، ج ٤ ص ١٥٠٠ .

(٢) الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦ – ٤٢٧ . وآخر المذكورين فيه هو ابن سند المتوفى سنة ٧٩٢ هـ .

(٣) طبقات ، ج ٩ ص ١٠٥ وهو فيه « المختص لمحدثى العصر » .

(٤) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٥) شذرات ج ٦ ص ١٥٦ .

(٦) السخاوى : الإعلان ، ص ٦٠٦ .

(٧) حاجى خليفة : كشف ، ج ٢ عمود ١٦٢٥ .

(٨) الجبورى : فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة ، ج ٤ ص ٢٧٠ ، ٤٥٧ ، ٥٨٣ .

(٩) الإعلان ، ص ٥٦٥ .

(١٠) وهـو المعروف بـ « منتقى المعجم المختص » . رأيت منه نسخة فى المكتبة الوطنية بباريس عند رحلتى إليها سنة ١٩٦٥ م وهى برقم (٢٠٧٦ عربيات) . وفى سنة ١٩٦٦م عثرت على نسخة نفيسة فى خزانة كتب الأوقاف ببغداد ضمن مجموع يحمل=

٨٥ _ كتاب معرفة آل منده :

بنو منده الأصبهانيون العبديون[(١)] من أعلام الحفاظ فى الدنيا، اشتهر منهم غير واحد فى تاريخ الثقافة الإسلامية ، لذلك ألف الذهبى كتابا خاصا بهم ، ذكره سبط ابن حجر[(٢)] ، وقال الذهبى فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده المتوفى سنة ٣٩٥ هـ : « واستوفينا ذكر أبى عبد الله فى كتاب آل منده[(٣)] » .

٨٦ _ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار :

ذكره الصلاح الصفدى ، وقال : « تناولته منه وأجازنى روايته وكتبته عليه » وذكر أربعة أبيات شعر فى تقريظه[(٤)] . كما ذكره السبكى[(٥)] ،

=رقم (٢٨٤١) وهى بخط المنتقى ابن قاضى شهبة، وهو آخر المجلد الأول، وفيها اضطراب من التجليد . وهذه النسخة من اكتشافنا لم يعرفها أحد قبلنا من المفهرسين والمترددين على مكتبة الأوقاف . وكان المرحوم الأستاذ أسعد طاس قد سماه فى كتابه « الكشاف » «جزء فى الطبقات» وظن غلطا أنه مختصر لكتاب العبر للذهبى ، ولم ينتبه إلى أن العبر مرتب على السنين ، وهذا المعجم مرتب على حروف المعجم (انظر كتابنا : المنذرى ، ص ٣٠٥ _ ٣٠٦ ، وراجع تعليقنا على هذه النسخة فى كتاب التكملة ، م ٨ ص ١٧٦٧ من الطبعة الماجستيرية) فلما نشر صديقنا الفاضل الأستاذ عبد الله الجبورى فهرس مكتبة الأوقاف ، ذكر هذا « المنتقى » ونسبه لابن قاضى شهبة من غير إشارة إلى أننا أول من عرف ذلك ، مع أننى وضعت خطى على نسخة « الكشاف » التى بالأوقاف ، وما كان عليه أن يتجوز مثل هذا التجوز ، ثم تراه ذكر اسم الكتاب مغلوطا ، وتاريخ وفاة ابن قاضى شهبة مغلوطا أيضا ، فتأمل !

(١) نسبة إلى ولائهم لعبد القيس . (٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٣) تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ص ١٠٣٥

(٤) الوافى ، ج ١ ص ٥٣ ، ج ٢ ص ١٦٣ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٢

(٥) الطبقات ج ٩ ص ١٠٤

وابن دقماق[(١)] ، وابن حجر[(٢)] ، وسبطه[(٣)] ، وابن الجزرى[(٤)] ، والسخاوى[(٥)] ، وغيرهم . ومن الكتاب نسخ متعددة فى خزائن الكتب العالمية[(٦)] . وقد طبع بأخرة[(٧)] .

رتب الذهبى هذا الكتاب على الطبقات فجعله فى سبع عشرة طبقة[(٨)] حسب اللقيا ، فكانت الطبقة الأولى فى الصحابة الذين عرضوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم سبعة أنفس ، ثم تسلسل فى الطبقات . أما محتويات التراجم فهى تتعلق بالقراءة فى الأغلب الأعم ، لم تعن كثيرا بالأمور الأخرى ، وهو أمر طبيعى لأن هذا هو موضوع الكتاب ، وقد أشار الذهبى إلى ذلك فى نهاية الطبقة الأولى بقوله : « واختصرت أخبارهم ، فلو سقتها كلها لبلغت خمسين كراسا »[(٩)] .

---

(١) ترجمان الزمان ، ورقة ٩٩

(٢) الدرر ، ج ٣ ص ٤٢٦

(٣) رونق الألفاظ ، ورقة ١٨٠

(٤) غاية النهاية ج ٢ ص ٧١

(٥) الإعلان ، ص ٥٦٤

(٦) منها نسخة فى برلين (رقم ٣١٤٠) وأخرى بالمكتبة الوطنية بباريس رقم (٢٠٨٤) وثالثة فى مكتبة كوبرلى باستانبول (رقم ١١٦). ومنه أيضاً نسخة خزائنية نفيسة بقلم نسخى نفيس كتبت فى القرن الثامن وبآخرها خط مصنف الكتاب الحافظ الذهبى بصحة قراءة الكتاب عليه ، وهى فى ٢٨٨ ورقة ، وهذه النسخة محفوظة فى الخزانة العامة بالرباط برقم ١١٩ ق . وقد صورت لخزانة كتبى نسخة منها .

(٧) نشرته دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٩م باعتناء سيد جاد الحق، وهى نشرة رديئة جدا يكثر فيها التصحيف والتحريف والسقوطات، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(٨) تصحفت الطبقة السابعة عشرة إلى الطبقة الثامنة عشرة فى المطبوعة .

(٩) معرفة القراء ، ص ٣٩

لقى كتاب الذهبى فى القراء تقديرا كبيرا عند أهل العناية بهذا الفن من فنون علم الرجال ، فذكر ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ أنه أحسن فيه[١] ، ولذلك سلخه بأجمعه فى كتابه « غاية النهاية » كما صرح بذلك فى مقدمة كتابه حينما قال : « وأتيت فيـــه على جميع ما فى كتابى الحافظين أبى عمرو الدانى وأبى عبد الله الذهبى - رحمهما الله -[٢] » وذكر شمس الدين السخاوى : أنه كتاب حافل[٣] .

وقد ذيل عليه تاج الدين أحمد بن عبد القادر ابن مكتوم فى جزء فيه عشرون ترجمة رتبهم حسب الوفيات[٤] . وقام الحافظ عز الدين عبد العزيز ابن الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المكى الهاشمى المتوفى سنة ٩٢٠هـ بترتيب معرفة القراء للذهبى على حروف المعجم ، قال السخاوى : « ورتب الذهبى على المعجم العزى (كذا) بن فهد ، بتمية بيتهم ، وجمال الحرم »[٥] ولم أعرف جمال الحرم هذا ، ويبدو من نص السخاوى أنه ممن رتب طبقات الذهبى على حروف المعجم. وعلق روزنتال على قول السخاوى بأن جمال الحرم قد يكون هو عبد العزيز ابن عمر ، وهو استنتاج غير صحيح لأن عبد العزيز بن عمر هو العز بن فهد الذى ذكره السخاوى فى النص السابق ، وقد ترجم له فى الضـــوء اللامع[٦] كما ترجم له الغزى[٧] وابن العماد الحنبلى[٨] وذكروا له كتاب « ترتيب طبقات القراء » .

---

(١) غاية النهاية ، ج ٢ ص ٧١ (٢) غاية النهاية ، ج ١ ص ٣

(٣) الإعلان ، ص ٥٦٤

(٤) طبع فى آخر معرفة القراء ، ص ٦٠٤ فما بعد .

(٥) الإعلان ، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ (٦) ج ٤ ص ٢٢٤

(٧) الكواكب السائرة ، ج ١ ص ٢٣٨ (٨) شذرات الذهب ، ج ٨ ص ١٠٠

وذكر حاجى خليفة أن الشريف أبا المحاسن محمد بن على الحسينى المتوفى سنة ٧٦٥ قد ذيل على معرفة القراء للذهبى [(١)] . وأظن ذلك من أوهام حاجى خليفة ، فالذى حفظناه من سيرة الحسينى أنه لم يؤلف ذيلا على معرفة القراء ، ولعله خلط بين « طبقات القراء » وهو الاسم الذى اشتهر به « معرفة القراء » وبين كتاب « طبقات الحفاظ » وهو الاسم الذى عرفت به « تذكرة الحفاظ » فوقع فى هذا الوهم ؟ !

٨٧ — المعين فى طبقات المحدثين :

عندى منه نسخة مصورة [(٢)] . وقد جاء فى أولها : « فهذه مقدمة فى ذكر أسماء حملة الآثار النبوية تبصر الطالب النبيه وتذكر المحدث المفيد، يقبح بالطلبة أن يجهلوهم . وليس هذا الكتاب بالمستوعب للكبار بل لمن سار ذكره فى الأوطان والأعصار » . ورتب الذهبى كتابه هذا على الطبقات وابتدأ أولا بذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم الخلفاء الراشدين وبقية العشرة المبشرة بالجنة [(٣)] ، ثم باقى أعلام الصحابة مرتبين على حروف المعجم [(٤)] . وذكر بعد ذلك أكابر التابعين وجعلهم طبقة [(٥)] ، ثم ذكر الطبقة الثانية منهم [(٦)] ، والثالثة

---

(١) كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١١٠٥

(٢) تقع هذه النسخة فى (٥٥) ورقة ، صورتها عن النسخة الخطية المحفوظة فى مكتبة فيض الله باستانبول (رقم ١٥٢٨) . وكان بروكلمان قد ذكرها فى ملحق كتابه (تاريخ التراث العربى ، ج ٢ ص ٤٧) وتساءل فيما إذا كان الكتاب هو كتاب « المغنى فى الضعفاء » وهى مساءلة غير موفقة .

(٣) الورقة ١

(٤) الورقة ٣ — ٥

(٥) الورقة ٥ — ٦

(٦) الورقة ٦ — ٧

وهى طبقة الزهرى [١] . . . إلخ . والكتاب مختصر جدا يكاد أن يقتصر على الأسماء . وأحال فى نهاية الكتاب على كتابه الكبير «تاريخ الإسلام» فقال : « وأخبار المذكورين فى هذا الكتاب مدونة فى تاريخى الكبير وفى غيره فمن رام ذلك فليطلبه [٢] » .

٨٨ ـ المغنى فى الضعفاء :

ذكره الصفدى [٣] ، والسبكى [٤] ، والزركشى [٥] ، وسبط ابن حجر [٦] ، والسخاوى [٧] وسماه حاجى [٨] خليفة والبغدادى [٩] : « المغنى فى الضعفاء وبعض الثقات » ، وهو مطبوع [١٠] . وقد توهم ابن تغرى بردى حينما ذكر أنه مختصر لكتاب « الميزان [١١] » ، فإننا نعلم أنه ألفه قبل الميزان [١٢] فكيف يصح أن يكون مختصراً له ؟ [وعلق عليه بفوائد تدل على معرفته التامة بهـــذا العلم ، ونشرته دار المعارف بحلب سنة ١٩٧١ .]

---

(١) الورقة ٧ فما بعد . (٢) الورقة ٥٥

(٣) الوافى ج ٢ ص ١٦٤ ونكت ، ص ٢٤٣

(٤) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٤

(٥) عقود الجمان ، الورقة ٧٩ ، وهو فيه « المكتفى فى الضعفاء » ولعله سبق قلم من الناسخ .

(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ (٧) الإعلان ، ص ٥٨٧

(٨) كشف ، ج ٢ عمود ١٧٥٠

(٩) هدية العارفين ج ٢ عمود ١٥٥

(١٠) حققه الدكتور نورالدين عتر تحقيقا علميا، وعلق عليه بفوائد تدل على معرفته التامة بهذا العلم ، ونشرته دار المعارف بحلب سنة ١٩٧١ م .

(١١) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ وتابعه ابن العماد فى الشذرات ، ج ٦ ص ١٥٥

(١٢) كما صرح الذهبي فى مقدمة الميزان حينما قال : « ألفته بعد كتابى المغنى » .

وموضوع الكتاب هو موضوع « ديوان الضعفاء » الذى تكلمنا عليه قبل قليل ، لكنه امتاز بسلوك طريق الإيجاز فى الكلام على الرواة وتحرير أقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم ، وأبان رأيه فى كثير منهم مؤيداً أو مخالفا ، ويجد الباحث فى تعقيبات الذهبى الموجزة فوائد جمة يحتاج فى تحصيلها إلى كثير جهد فى مراجعة عدد كبير من الكتب فى هذا الفن ، فضلا عن فقداننا لعدد كبير منها ، لذلك حظى الكتاب بعناية العلماء وثنائهم حتى جعله الحافظ جلال الدين السيوطى مثالا لكتاب : « صغير الحجم نافع جداً من جهة أنه يحكم على كل رجل بالأصح فيه بكلمة واحدة[١] » .

٨٩ ـ المقدمة ذات النقاط فى الألقاب :

وهو فى الألقاب كما يدل عليه عنوانه[٢] .

٩٠ ـ من تكلم فيه وهو موثق :

هكذا ذكر عنوانه صلاح الدين الصفدى ، وذكر أنه كتبه بخطه وقرأه على مؤلفه[٣] ، ولذلك اعتمدنا هذا العنوان . وذكره السخاوى فى الإعلان وسماه : « معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد »[٤] . وأورد تاج الدين السبكى قسما من هذا الكتاب فى طبقاته الكبرى للشافعية ، ولم يذكر عنوانه، لكننا عرفناه بالمقارنة ، فقال فى أوله : « ويعجبنى من كلام شيخنا أبى عبد الله

(١) تطريب الراوى ، ص ٥١٩

(٢) منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة بخط الحافظ جلال الدين السيوطى (رقم ٤٤٢٣ ج) .

(٣) نكت الهميان ، ص ٢٤٢

(٤) الإعلان ، ص ٥٨٧ – ٥٨٨

الحافظ فصل ذكره بعد تصنيف كتاب الميزان وأنا مورد بعضه . . . »[١] .

وفى سنة ١٩٠٦ نشره عبد المجيد زكريا باسم : « رسالة فى الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم » مع مجموعة رسائل أخرى .

وقد ألفه الذهبى بعد تأليفه لكتابه « ميزان الاعتدال » كما ذكر هو فى مقدمته والسبكى فى الطبقات ، وذكر فى أوله أنه كتب فى « الميزان » عدداً كبيراً من الثقات الذين احتج بهم البخارى ومسلم أو غيرهما لكون الرجل قد ذُكر فى مصنفات الجرح السابقة ، وأنه ما أوردهم فى « الميزان » لضعف فيهم عنده بل ليعرف ذلك. وبين فى هذه الرسالة الجرح المعتبر والجرح المردود وضرب لذلك أمثلة من الثقات المتكلم فيهم بما لا يجرحهم .

٩١ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال :

ذكر هذا الكتاب معظم الذين ترجموا للذهبى ، وقد طبع أكثر من مرة[٢] واعتبر هذا الكتاب من أحسن كتب الذهبى وأجلها[٣] وأجمعها وأكثرها استيعابا فى النقد ، قال المؤلف فى مقدمته : « . . . فهـذا كتاب جليل مبسوط فى إيضاح نقلة العلم النبوى وحملة الآثار ، ألفته بعد المغنى وطولت

(١) طبقات الشافعية ، ج ٩ ص ١١١ – ١١٥

(٢) آخرها طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة١٩٦٣م بعناية البجاوى. وقد عثرت بعثة معهد إحياء المخطوطات إلى المغرب سنة ١٩٧٥ على نسخة من «الميزان» بخط المؤلف فى الخزانة العامة بالرباط برقم ١٢٩ ق تقع فى ٢٥٠ ورقة . وفى آخر النسخة قراءتان على المؤلف ، الأولى سنة ٧٤٣ والثانية سنة ٧٤٥ ، وفى حواشى النسخة إضافات وإلحاقات كثيرة بخط المؤلف أيضاً .

(٣) السبكى ، طبقات ، ج ٩ ص ١٠٤ ، الحسينى : ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٣٥

العبارة ، وفيه أسماء عدة من الرواة زائدا على من فى المغنى ، زدت معظمهم من الكتاب « الحافل »[(١)] المذيل على الكامل لابن عدى »[(٢)] .

ويمثل كتاب الميزان قمة معلومات الذهبى فى النقد ، جرحا وتعديلا، وهو الذى أكسبه شهرة عظيمة فى هذا العلم ، فقد اعتمد فيه معظم المصنفات التى سبقته فى الضعفاء ، أو التى جمعت بين الضعفاء والثقات ، والتى ألفها كبار النقاد أمثال يحيى بن سعيد القطان [(٣)] وتلامذته : يحيى بن معين [(٤)] ، وعلى بن المدينى [(٥)] ،

---

(١) كتاب « الحافل فى تكملة الكامل » للشيخ أبى العباس أحمد بن محمد بن مفرج البنانى الإشبيلى المعروف بابن الرومية المتوفى سنة ٦٢٧ هـ .

صوابه النباتي

(٢) كتاب « الكامل فى ضعفاء الرجال »، ويسمى أيضا « الكامل فى معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث » ، من الكتب المشهورة جدا فى الضعفاء . وقد تأثر الذهبى به كثيرا . ومن الكتاب نسخ كثيرة ، وقد رأينا نسخة نفيسة منه فى مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٤٣ ، وفى خزانة العالم الأستاذ الحاج صبحى نسخة مصورة عن نسخة أحمد الثالث المذكورة وأخرى عن الظاهرية .

(٣) توفى سنة ١٩٨ هـ ولم يعرف له تأليف ، لكن أقواله فى كتب تلامذته فمن بعدهم كثيرة (ابن حجر ، تهذيب ، ج ١١ ص ٢١٦) .

(٤) توفى سنة ٢٣٣ هـ ، وقد رأيت له فى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى : كتاب « التاريخ والعلل » رواية عباس الدورى عنه (عن الظاهرية ، مجموع رقم ١١٢) وهو يذكر فيه الرجل ثم يورد الجرح وبعض أحاديثه المعلولة . وكتاب « معرفة الرجال » رواية أحمد بن محمد بن محرز (عن الظاهرية ، مجموع رقم ١) . و« جزء فيه تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم » نسخة نفيسة كتبت سنة ٦٨٢ هـ مصورة عن مكتبة الشيخ سليمان بن بسام فى عنيزة ، وهو غير مفهرس في مخطوطات الجامعة العربية . وكتاب « سؤالات مرثد ابن طهمان ليحيى بن معين » (عن أحمد الثالث ٦٢٤ / ١٠) . وكتاب « سؤالات ابن إسحاق إبراهيم بن عبدالله ابن الجنيد الختلى لابن معين » (عن أحمد الثالث ٦٢٤/٤). وكتاب « سؤالات عثمان بن طالوت لابن معين » (عن أحمد الثالث ٦٢٤) .

(٥) توفى سنة ٢٣٤ هـ وطبع كتابه «علل الحديث ومعرفة الرجال» على النسخة =

وأحمد بن حنبل[١] ، وعمـــرو بن على الفلاس[٢] ، وأبو خيثمة[٣] . ثم تلامذة هؤلاء كأبى زرعة[٤] ، وأبى حاتم[٥] ، والبخارى[٦] ،

= المخطوطة فى أحمد الثالث (رقم ٦٢٤ / ٢٥) باسم « العلل » باعتناء محمد مصطفى الأعظمى (بيروت ١٣٩٢ هـ) .

(١) توفى سنة ٢٤١ هـ . وله كتاب « العلل ومعرفة الرجال » ، طبع مجلد منه بأنقرة سنة ١٩٦٣ م .

(٢) توفى سنة ٢٤٩ هـ وله كتاب فى « الضعفاء » وآخر فى « التاريخ » ولم يصلا إلينا (العمرى : بحوث ، ص ٩٠ ، ١٠٤) وانظر مقدمة تاريخ الإسلام حيث عد الذهبى كتابه فى التاريخ من بين مصادره الرئيسة .

(٣) أبو خيثمة زهير بن حرب المتوفى سنة ٢٣٤ هـ . ولم يصل إلينا كتابه . وقد اشتهر كتاب ولده « التاريخ الكبير » الذى وصف بأنه كثير الفوائد (السخاوى : الإعلان ، ص ٥٨٨) . رأيت المجلد الثالث منه عند الحاج صبحى السامرائى (مصور عن القرويين) .

(٤) عبيد الله بن عبد الكريم ، أبو زرعة الرازى المتوفى سنة ٢٦٤ هـ ، ونجد أقواله فى كتاب أبى عثمان سعيدبن عمرو البرذعى الحافظ المتوفى سنة ٢٩٣ هـ « الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث » نسخة معهد المخطوطات المصورة (رقم ٧١٩ تاريخ) .

(٥) أبو حاتم محمد بن إدريس الرازى المتوفى سنة ٢٧٧ هـ وأكثر ما نجد أقواله فى الجرح والتعديل فى كتاب ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة ٣٢٧ هـ «الجرح والتعديل» وهو من الكتب المطبوعة المشهورة . وقد سأله البرذعى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ عـــن الرجال وثبت أقواله فى كتابه «الضعفاء» (مصورة معهد المخطوطات رقم ٧١٩تاريخ) .

(٦) الإمام المتوفى سنة ٢٥٦ هـ كما هو مشهور . وله كتاب « الضعفاء الكبير » و « الضعفاء الصغير » ومن الكتاب الأول نسخة فى باتنه ذكرها بروكلمان (الترجمة العربية ، ج ٣ ص ١٧٩) . أما الكتاب الثانى فقد طبع ، ومنها طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد (بدون تاريخ) . أما كتاباه : التاريخ الكبير ، والتاريخ الصغير فمطبوعان مشهوران .

ومسلم[١] ، وأبى إسحاق الجوزجانى السعدى[٢] . ومن بعدهم : مثل النسائى[٣] ، وابن خزيمة[٤] ، والدولابى[٥] ، والعقيلى[٦] ، وابن حبان[٧] . ثم كتاب

---

(١) صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٦١ هـ . وله كتاب « رواة الاعتبار » و « الكنى والأسماء » وغيرهما (انظر سزكين : تاريخ التراث العربى، ج١ ص٣٦٩، والعمرى : بحوث ، ص ١٠٤) . ورأيت نسخة من الكنى والأسماء مصورة عند الحاج صبحى (عن الظاهرية ، مجموع رقم ١). وللإمام مسلم كتاب « التمييز » اطلعت على قطعة مصورة منه فى خزانة الحاج صبحى (عن الظاهرية ، مجموع رقم ١١).

(٢) توفى سنة ٢٥٩ هـ . وذكر الذهبى له كتاب « الضعفاء » (تذكرة ، ج ٢ ص ٥٤٩) وقد اطلعت على كتابه « الشجرة فى أحوال الرجال » . والظاهر أن هذا هو كتابه فى « الضعفاء » الذى ذكره الذهبى وغيره فليس فيه غير الضعفاء (الظاهرية ٢٤٩) وهى قطعة فيها القسم الأخير من الكتاب وتقع فى (٢٤) ورقة .

(٣) صاحب السنن المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وكتابه الصغير « الضعفاء والمتروكين » طبع بحيدر آباد مع كتاب « الضعفاء الصغير » للبخارى . ثم أعيد طبع الكتابين فى حلب بعناية محمود إبراهيم زايد ونشرته دار الوعى بها (حلب ١٩٧٥) .

(٤) إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ٣١١هـ ، ولم يصل إلينا كتابه .

(٥) أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصارى الدولابى المتوفى سنة ٣١٠ هـ على الصحيح . ولم يصل إلينا كتابه فى الضعفاء . وطبع كتابه « الكنى والأسماء » بحيدر آباد سنة ١٣٢٣ هـ .

(٦) أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، ومن كتابه « الضعفاء » نسخة بدار الكتب الظاهرية (رقم ٣٦٢ حديث) وقد صور معهد المخطوطات نسخة منه (رقم ٧١٨ تاريخ) . ورأيت ثلاث نسخ مصورة عند الحاج صبحى عن: الظاهرية وبرلين وجستربتى .

(٧) محمد بن أحمد بن حبان البستى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ وكتابه فى الضعفاء هو « معرفة المجروحين من المحدثين » منه نسخة مصورة فى معهد إحياء المخطوطات عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٥٩٨ ب (٤٩٦ تاريخ) . وقد بدأت دائرة المعارف العثمانية بطبعه سنة ١٩٧٠ فظهر منه مجلدان .

«الكامل» لابن عدي وهو أجل الكتب وأكملها ، وكتاب «الجرح والتعديل» لمحمد بن أبي حاتم الرازي[١] ، وكتاب « الضعفاء » للدارقطني[٢] ، و « الضعفاء »[٣] للحاكم النيسابوري وغيرها . ونحن نعلم أيضاً أن الذهبي اختصر جملة من الكتب المتعلقة بهذا الموضوع ، وانتقى من كتب أخرى ، وذيل على الضعفاء لابن الجوزي بذيلين ، وألف ديوان الضعفاء والمتروكين ، وذيل عليه بتصنيف مستقل ، ثم ألف كتاب « المغني في الضعفاء » فضلا عن كتابه « تاريخ الإسلام » فكان « الميزان » محصلة كل هذه المؤلفات ، وكل تلك الخبرة الواسعة في هذا المجال من المعرفة الرجالية .

رتب الذهبي الميزان على حروف المعجم في الأسماء والآباء ليقرب تناوله ، ثم ذكر بعد ذلك الكنى ، ومن عرف بأبيه ، والأنساب ، ومجاهيل الاسم ، والنسوة المجهولات ، وكنى النسوة ، وفيمن لم تسم بل تذكر بكلمة والدة فلان.

وقد أعجب الذهبي الإعجاب كله بكتاب «الكامل» لابن عدي الجرجاني

---

(١) توفي سنة ٣٢٧ وكتابه « الجرح والتعديل » مشهور جدا .

(٢) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥ هـ ، وكتابه هو « الضعفاء والمتروكين » منه نسخة في خزانة أيا صوفيا (رقم ٣٤٠٥ / ٤) وتوهم سزكين فنسب كتاب الذهبي في الضعفاء الذي في الظاهرية برقـــم (٣٦٩) إلى الدارقطني (تاريخ التراث ، ج ١ ص ٥١١) ، بينما لاتوجد منه في الظاهرية إلا قطعة صغيرة في (١٢) ورقة (مجموع رقم ١٢٤) منها مصورة عند الحاج صبحي وهي في خزانته (ضمن مجموع برقم ٧) .

(٣) توفي سنة ٤٠٥ ولا أعرف كتابه في الضعفاء . ولكني رأيت قطعة نفيسة من « سؤالات أهل بغداد للحاكم في الرجال » مصورة في خزانة الحاج صبحي السامرائي (عن أحمد الثالث ، مجموع ٦٢٤) وهي برواية علي بن مسعود السجزي ، وهي كتاب نفيس .

المتوفى سنة ٣٦٥هـ ، ولذلك سار على خطته فأورد فى الكتاب كل من تكلم فيه ولو كان ثقة أو كان من الأئمة المتبوعين فى الفروع إذ أنه يذكر مثل هذا النوع لإنصافهم ومايضرهم ذلك ، لكنه فى الوقت نفسه التزم أن لا يذكر أحدا من الصحابة[١].

ونتيجة لذلك احتوى الميزان على عشر طوائف من الرجال هم[٢] :

١ ـ الكذابون الوضاعون المتعمدون .

٢ ـ الكذابون فى أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا .

٣ ـ المتهمون بالوضع أو بالتزوير .

٤ ـ الكذابوا فى لهجتهم لا فى الحديث النبوى .

٥ ـ المتروكون الهلكى الذين كثر خطؤهم وترك حديثهم ولم يعتمد على رواياتهم .

٦ ـ الحفاظ الذين فى دينهم رقة ، وفى عدالتهم وهن .

٧ ـ المحدثون الضعفاء من قبل حفظهم ، فلهم غلط وأوهام ، ولم يترك حديثهم ، بل يقبل ما رووه فى الشواهد والاعتبار بهم لا فى الأصول والحلال والحرام .

٨ ـ المحدثون الصادقون أو الشيوخ المستورون الذين فيهم لين ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين .

٩ ـ خلق كثير من المجهولين ممن ينص أبو حاتم الرازي على أنه مجهول ،

---

(١) انظر مقدمة الميزان، ج١ ص١ ومقدمة لسان الميزان لابن حجر ، والسخاوى : الإعلان ، ص ٥٨٦ ، وقارن مقدمة كتاب « الكامل » لابن عدى ، وهى مما حققه شيخنا الحاج صبحى السامرائى فى مجلد (مخطوط) .

(٢) استنتجنا هذه الطوائف العشر من مقدمة الذهبى لكتاب الميزان ومن قراءتنا للكتاب .

أو يقول غيره : لايعرف أو فيه جهالة أو يجهل ، أو نحو ذلك من العبارات التى تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق ، إذ المجهول غير محتج به .

١٠ ـ الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة ، أو الثقات الذين تكلم فيهم من لايلتفت إلى كلامه فى ذلك الثقة ، لكونه تعنت فيه وخالف جمهور النقاد .

ونظرا لأهمية الكتاب العظيمة فقد تناوله جملة من الحفاظ والعلماء المعنيين بنقد الرجال استدراكا وتعقيبا وتلخيصا بحيث قال السخاوى : « وعول عليه من جاء بعده »[١] .

أ ـ فقد علق عليه تلميذه شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على بن الحسن الحسينى ، قال ابن حجر فى الدرر : « وله تعليق على الميزان بين فيه كثيرا من الأوهام واستدرك عليه عدة أسماء وقفت على قدر يسير منه ، قد احترقت أطرافه لما دخلت دمشق سنة ست وثلاثين (يعنى وثمان مئة)[٢] » .

ب ـ وألف تلميذه الحافظ المؤرخ عماد الدين ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ كتاب « التكميل فى الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » جمع فيه بين « تهذيب الكمال » لأبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢هـ و « ميزان الاعتدال » للذهبى مع زيادات وتحرير عليهما فى الجرح والتعديل . وقد شاهدت نسخة منه فى دار الكتب المصرية ونقلت منها بعض الفوائد[٣] .

ج ـ وذيل على الميزان الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦هـ ، قال السخاوى فى الإعلان : « وذيل عليه الزين العراقى

---

(١) الإعلان ، ص ٥٨٧

(٢) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ١٨٠ .

(٣) (رقم ٢٤٢٢٧ ب) وهى فى مجلدين ، وانظر أيضاً السخاوى : الإعلان ، ص ٥٨٩ .

فى مجــلد[١] » وقال ابن فهد : « وذيل على الميزان ثم لم يبيضه » [٢] . وذكر ابن حجر أنه وقف عليه فرأى أن الـكثير منهم من رجال « تهذيب الـكمال » لأبى الحجاج المزى[٣] .

د ـ وذيل على الميزان أيضاً الحافظ برهان الدين إبراهيم بن محمــد الحلبى المعروف بسبط ابن العجمى المتوفى سنة ٨٤١ هـ[٤] ، بل ألف كتابا سماه « نقد النقصان فى معيار الميزان » فى مجلد[٥] .

هـ ـ واهتم الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ بكتاب الميزان فألف « تحرير الميزان » [٦] و « لسان الميزان » . وكتابه الأخير من الـكتب المشهورة المطبوعة المتداولة . وقد ذكر ابن حجر فى مقدمة اللسان أن الحفاظ ألفوا فى أسماء المجروحين كتبا كثيرة كل منهم على مبلغ علمه ومقدار ما وصل إليه اجتهاده ثم قال : « ومن أجمع ما وقفت عليه فى ذلك كتاب « الميزان » الذى ألفه الحافظ أبو عبد الله الذهبى ، وقد كنت أردت نَسخه على وجهه فطال علىّ فرأيت أن أحذف منه أسماء من أخرج له الأئمة الستة فى كتبهم أو بعضهم، فلما ظهر لى ذلك استخرت الله وكتبت منه ما ليس فى تهذيب الـكمال » [٧] .

---

(١) ص ٥٨٧ .

(٢) لحظ الألحاظ ، ص ٢٣١ .

(٣) كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١٩١٧ – ١٩١٨ .

(٤) انظر بروكلمان : تاريخ التراث العربى ، ج ٢ ص ٦٧ (بالألمانية) .

(٥) انظر ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ ، الشوكانى : البدر الطالع، ج ١ ص ٢٨ ، الطباخ : أعلام النبلاء ، ج ٥ ص ٢٠٥ .

(٦) السخاوى : الإعلان ، ص ٥٨٧ .

(٧) ابن حجر : لسان الميزان ، ج ١ ص ٤ (ط . الهند) .

وذكر السخاوى أنه حققه عليه ، وقال : « ولى عليه بعض زوائد »[١] .

و ـ وجمع جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ « زوائد اللسان على الميزان »[٢] .

٩٢ ـ هالة البدر فى عدد أهل بدر :

ذكره الصفدى[٣] وابن شاكر الكتبى[٤] وابن تغرى بردى[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] والبغدادى[٨] . وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق قطعة فيها هذا الموضوع ، من المرجح أنها هذا الكتاب[٩] .

(١) الإعلان ، ص ٥٨٧ .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١٩١٧ – ١٩١٨ .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٣ .

(٤) عين التواريخ ، الورقة ٨٧ .

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٧) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٨) إيضاح المكنون ، ج ٢ عمود ٧١٦ ، وهدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٥ .

(٩) ضمن مجموع برقم (٤٧) وهى بين الورقتين ١٣٥ – ١٤٨ والورقتين ١٦٦– ١٧٣ . وقد ذهب أول الكتاب ، والنسخة مغلوطة الترتيب محترقة من طرفها الأسفل ورجح المرحوم الأستاذ يوسف العش أنها لعلم الدين البرزالى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (فهرس المخطوطات ، ص ٤٦ – ٤٧) . ولما اطلعنا عليه رجحنا أنه للذهبي؛ فقد نقل فى الورقة (١٦٧) عن شيخه المزى ، فضلا عن أن مترجمى البرزالى لم يذكروا له مثل هذا الكتاب . وتتكون النسخة من فصول ذكر المؤلف فيها : من شهد بدرا من غير خلاف ، ثم تسمية من شهدها وذكر الاختلاف فيهم ، وشهداء بدر من قريش والأنصار ورتب كل ذلك على حروف المعجم ، وتكلم على عدة البدريين ، والأحاديث الواردة فى فضل بدر .

تاسعا ـ السير والتراجم المفردة :

إضاءة :

ألف الذهبي مجموعة من السير للرجال البارزين فى تاريخ الإسلام مثل الخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة وغيرهم . وقد أدى استلال بعض النساخ لتراجم معينة من « تاريخ الإسلام » و « سير أعلام النبــــلاء » وغيرهما إلى ظهور بعض الصعوبات فى فرز السير والتراجم المفردة أصلا عن تلك التراجم المستلة والتى لم يقصد الذهبي أن تكون كتبا مستقلة[1] . قال الصلاح الصفدى : « وله فى تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الأئمة الأربعة ومن جرى مجراهم ، ولكنه أدخل الكل فى تاريخ النبلاء »[2] . وقول الصفدى هذا لا يعنى أن الذهبي أدخل التراجم والسير المستقلة بأكملها فى « سير أعلام النبلاء » ، لكنه قد يكون أدخل مختصراتها مستدلين بما يأتى :ـ

١ ـ ذكر الذهبي لكثير من هذه السير ونصه على إفرادها فى كتبه الأخرى، فضلا عن ذكر مؤلفى التراجم لكثير منها أيضا .

٢ ـ وجود عناوين مستقلة لبعض هذه السير مثــــل الخلفاء الراشدين ، وعبد الله بن المبارك ، وشعبة بن الحجاج وغيرهم .

٣ ـ ظهور السماعات على أصل النسخ المفردة ، فحينما نشر الأستاذ سعيد الأفغانى ترجمة ابن حزم للذهبي اعتبرها مأخوذة من سير أعلام النبلاء مع أن الكتاب قرئ على الذهبي وفى آخره سماعان: أحدهما بخطه كتب بدمشق سنة ٧٣٤هـ

---

(١) من ذلك مثلا ترجمة الحلاج من كتاب العبر ، منها نسخة فى المكتبة الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع برقم ١٢) وترجمة الشيخ رسلان من تاريخ الإسلام ، منها نسخة فى المكتبة الظاهرية (ضمن مجموع برقم ٢٠) .

(٢) الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ونكت الهميان ، ص ٢٤٣

والثانى كتبه بدمشق أيضا ابن جماعة سنة ٧٤٠ هـ[(١)] .

٤ ـ ولما كان « سير أعـــلام النبلاء » لم يزل موجوداً بنسخه الخطية التى ذكرناها آنفا واطلعنا عليها ، فقد قمنا بمقارنة ما بقى من هذه التراجم والسير بما هو موجود فى سير أعلام النبلاء فتبين لنا أن فيها اختلافا واضحا وأن المادة التى احتوتها هذه التراجم والسير فى بعض الأحيان أكثر بكثير مما هى فى سير أعلام النبلاء .

وعلى هـــذا فقد اقتصرنا هنا على ذكر ما ثبت لدينا إفراده بنص الذهبى عليه ، أو بنص أحد المترجمين له ، أو لوجوده بين أيدينا . وهذا يعنى أن هذا الذى نذكره هو ليس كل ما كتب الذهبى ، فهو لم يعن دائماً بذكر السيرالمفردة التى كتبها فى أثناء ترجمته لهم فى كتبه التى وصلت إلينا ومنها كتاب «تاريخ الإسلام » فمع أن الصفدى مثلا قد ذكر أنه أفرد الأئمة الأربعة بتراجم خاصة لـكنه لم يذكر فى أثناء ترجمته لهم غير ترجمتى أبى حنيفة ومالك .

٩٣ ـ أخبار أبى مسلم الخراسانى :

ذكره الصفدى[(٢)] ، وابن شاكر الـكتبى[(٣)] ، والبغدادى[(٤)] .

٩٤ ـ أخبار أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ :

قال الذهبى فى ترجمتها من تذكرة الحفاظ : « وقد أفردت أخبارها فى

---

(١) انظر نص السماعين اللذين نشرها الأستاذ الأفغانى فى نهاية الرسالة (مجـلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، م ١٦ ج ١٠ ص ٤٤٩) .
(٢) الوافى : ج ٢ ص ١٦٢ ، ونـكت ، ص ٢٤٣
(٣) فوات الوفيات ، ج ٢ ص ١٨٣ ، وعيون التواريخ ، الورقة ٨٧
(٤) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

فى مصنف[١] » . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ونشر الأستاذ سعيد الأفغانى ترجمتها من سير أعلام النبلاء[٢] .

٩٥ ـ التبيان فى مناقب عثمان ـ رضى الله عنه ـ :

ذكره الصفدى[٣] ، وابن شاكر الكتبى[٤] ، والبغدادى[٥] ، وقال الذهبى فى ترجمته من تذكرة الحفاظ : « وقد أفردت سيرته فى مصنف[٦] » .

٩٦ ـ ترجمة ابن عقدة الكوفى[٧] :

ذكر الذهبى أنه أفرد ترجمته فى جزء[٨] ، ولعل الذى دفعه إلى ذلك ماأثير حول الرجل من جدال فى ثقته وعدالته ، وقد دافع عنه الذهبى ، وهو كثير الاعتماد عليه فى كتبه .

٩٧ ـ ترجمة أبى حنيفة :

ذكرها السخاوى[٩] . وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام : « وأخبار أبى حنيفة

(١) تذكرة ، ج ١ ص ٢٩

(٢) دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٤٥

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٩٤ ، ونكت ٢٤٣

(٤) فوات ، ج ٢ ص ١٨٣ ، وعيون التواريخ ، الورقة ٨٦

(٥) إيضاح المكنون ، ج ١ عمود ٢٢٤ ، وهدية العارفين ، ج ٢ ص ١٥٤

(٦) تذكرة ، ج ١ ص ٩

(٧) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى ٢٤٩ ـ ٣٣٢ هـ . انظر الخطيب : تاريخ بغداد ، ج ٥ ص ١٤ ـ ٢٣ ، النجاشى : الرجال ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، الطوسى : الفهرست ، ص ٢٨ ، العاملى : أعيان الشيعة ، ج ٩ ص ٤٢٨ ، الذهبى : تذكرة ، ج ٣ ص ٨٣٩ فما بعد ، وانظر : سزكين : تاريخ التراث العربى ، ج ١ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦

(٨) تذكرة ، ج ٣ ص ٨٤١

(٩) الجواهر والدرر ، ص ٧٣١

ـ رضى الله عنه ـ ومناقبه لا يحتملها هـذا التاريخ فإنى قد أفردت أخباره فى جزءين[١] » وذكر مثل هذا فى تذكرة الحفاظ[٢]. وقد وصلت إلينا هـذه الترجمة ونشرها محمد زاهد الكوثرى[٣].

٩٨ ـ ترجمة أبى يوسف القاضى :

ذكرها الذهبى فى تاريخ الإسلام[٤] وتذكرة الحفاظ[٥] والسخاوى فى الجواهر والدرر[٦]. ونشرها محمد زاهد الكوثرى.

٩٩ ـ ترجمة أحمد بن حنبل :

ذكرها الصفدى[٧].

١٠٠ ـ ترجمة الخضر :

ذكرها سبط ابن حجر[٨].

---

(١) تاريخ الإسلام : ج ٦ ص ١٤٢

(٢) تذكرة ، ج ١ ص ١٦٩

(٣) مع ترجمتى أبى يوسف ومحمد بن الحسن فى القاهرة (بدون تاريخ) باسم « مناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن » .

(٤) الورقة ١٦٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٥) ج ١ ص ٢٩٣ .

(٦) ص ٧٣١ ، وانظر كلامنا على ترجمة أبى حنيفة .

(٧) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٣ .

(٨) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

١٠١ ـ ترجمة السلفي[(١)] :

ذكرها سبط ابن حجر[(٢)] ، والسخاوى[(٣)] .

١٠٢ ـ ترجمة الشافعي :

ذكرها الصفدى[(٤)] .

١٠٣ ـ ترجمة الشيخ الموفق[(٥)] :

ذكرها السخاوى[(٦)] .

١٠٤ ـ ترجمة مالك بن أنس :

قال الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ : « قد كنت أفردت ترجمة مالك في جزء وطولتها في تاريخي الكبير »[(٧)] وذكر السخاوى في الجواهر والدرر

(١) أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى الأصبهانى المحدث المشهور المتوفى سنة ٥٧٦ هـ (ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ١٩١ ، وسبط ابن الجوزى : مرآة ، مختصر ٨ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، النواوى : طبقات الشافعية ، الورقة ٤٢ ؛ الدمياطى : المستفاد الورقة ٢١ ، ابن منظور : مختار ذيل السمعانى ، الورقة ٩٩ ـ ١٠٠ ، الذهبي : العبر ، ج ٤ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٦ ورقة ٦٣٠ ٦٣٢ ـ وغيرها) .

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٣) الجواهر والدرر ، ص ٧٣٩ .

(٤) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٣ .

(٥) هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٢٠هـ وصاحب الكتب المشهورة المطبوعة المتداولة، ومن أشهرها كتاب «المغنى» و« المقنع » وغيرها، وترجمته مشهورة جدا. انظر مصادر ترجمته فى كتاب المنذرى : التكملة لوفيات النقلة (وفيات سنة ٦٢٠) وتعليقنا عليها .

(٦) الجواهر والدرر ، ص٧٣٢، وانظر مقدمة المغنى ص ٤ (ط . المنار ١٣٤١هـ).

(٧) تذكرة ، ج ١ ص ٢١٢

أن الذهبي من بين الذين ألفوا فى مناقب مالك بن أنس [١]. وذكر الذهبي فى موضع آخر أنها فى جزء ضخم [٢].

١٠٥ ـ ترجمة محمد بن الحسن الشيبانى :

ذكر الذهبي فى ترجمة أبى يوسف من التذكرة أنه أفرده فى جزء [٣]، وقال فى ترجمته من تاريخ الإسلام : « وقد أفردت له ترجمــة حسنة فى جزء » [٤]. وذكرها أيضاً السخاوى فى الجواهر والدرر [٥]. ونشرها الشيخ محمــد زاهد الكوثرى [٦].

١٠٦ ـ توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق :

وهو فى مناقب الخليفة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ذكر الذهبي أنه أفرد سيرته فى مجـــلد وسط [٧]. وذكره الصفدى [٨]، وابن شاكر [٩]، والبغدادى [١٠].

١٠٧ ـ الدرة اليتيمية فى سيرة التيمية :

وهو فى آل تيمية . ذكره البغدادى [١١].

---

(١) الجواهر والدرر ، ص ٧٣٢

(٢) تاريخ الإسلام ، ورقة ٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٣) تذكرة ، ج ١ ص ٢٩٣ (٤) الورقة ١٢٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٥) الجواهر والدرر ، ص ٧٣١ (٦) راجع كلامنا على ترجمة أبى حنيفة .

(٧) تذكرة ، ج ١ ص ٢

(٨) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٣

(٩) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦

(١٠) إيضاح المكنون ، ج ١ ص ٣٤٠ وهدية ، ج ٢ عمود ١٥٤

(١١) إيضاح المكنون ، ج ١ ص ٤٦٢ ، وهدية ، ج ٢ عمود ١٥٤

١٠٨ ـ سيرة الحلاج :

وهو من كتب الذهبى الغريبة لأنه لم يكن من الذين يعتقدون بالحلاج ومبادئه . ولعله اهتم به لشهرته ولشدة خطورة سيرته وما قام به واعتقد فيه ودعا إليه على حياة المسلمين الدينية وعقائدهم . ذكر هذه السيرة ابن تغرى بردى [١] وسبط ابن حجر [٢] ، وابن العماد [٣] ، والبغدادى [٤] ، وأشار هو فى ترجمته من تاريخ الإسلام إلى أنه أفردها فى جزء [٥] .

١٠٩ ـ سيرة أبى القاسم الطبرانى [٦] :

• ذكرها الذهبى فى مقدمة الأربعين البلدية التى خرجها من «المعجم الصغير» لأبى القاسم الطبرانى ، فقال : « وقد أفردت سيرته وذكرت أنه مات فى سنة ستين وثلاث مئة . . . إلخ » [٧] .

---

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٤) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٥) الورقة ١٥ (حلب ١٢٢٠ / ١) .

(٦) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى ـ نسبة إلى طبرية ـ المحدث المشهور وصاحب المعجمات المشهورة : الكبير والأوسط والصغير . ولد سنة ٢٦٠ وتوفى سنة ٣٦٠ هـ انظر : ابن خلكان : وفيات ، ج ٢ ص ٤٠٧ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٠ ـ ٤١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والعبر ج ٢ ص ٣١٥ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٩١٢ وغيرها .

(٧) نسخة الخزانة التيمورية (رقم ٤٣٨ حديث) الورقة ١

١١٠ ـ سيرة سعيد بن المسيب[1] :

ذكرها الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ[2] .

١١١ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز :

ذكرها السخاوي[3] .

١١٢ ـ السيرة النبوية :

نحن نعلم أن الذهبي ذكر سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أول تاريخ الإسلام فأصبحت كالكتاب ، لكن شمس الدين السخاوي ذكر هذه السيرة ، أعني التي في تاريخ الإسلام ، ثم ذكر بعد ذلك جماعة ممن أفردها في كتاب مستقل وذكر الذهبي من بينهم وقال السخاوي : إنها في مجلد . وهذا النص يقتضي أن يكون الذهبي قد ألف كتاباً مستقلا في السيرة النبوية[4] . فضلا عن أن الذهبي سمح للنساخ أن يفردوا السيرة ويستلوها من تاريخه[5] . ونعتقد أن السيرة التي أفردها الذهبي كانت تشمل المغازي والترجمة النبوية . ومهما يكن من أمر فما أظن هذه السيرة أكثر من إفراد للمادة المتعلقة بها من « تاريخ الإسلام » .

١١٣ ـ فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

ذكره الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ ، فقال : « ومناقب هـــذا

(١) أحد الفقهاء السبعة المشهورين ، توفي سنة ٩٤ هـ .

(٢) تذكرة ، ج ١ ص ٥٦

(٣) الإعلان ، ص ٥٤٨ والجواهر والدرر ، ص ٧٣١

(٤) الإعلان ، ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩

(٥) الورقة ٩٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) .

الإمام جمة أفردتها فى مجلدة وسميته بفتح المطالب فى مناقب على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ [١] » . وقال الصفدى بعد أن ذكره : « وقرأته عليه من أوله إلى آخره [٢] » وذكره ابن شاكر [٣] والبغدادى أيضاً [٤] .

١١٤ ـ قض نهارك بأخبار ابن المبارك :

وهو فى ترجمة المحدث الحافظ أبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك « ١١٨ـ ١٨١ هـ » ذكره الصفدى [٥] وابن شاكر الكتبى [٦] والبغدادى [٧] .

١١٥ ـ مناقب البخارى :

قال الذهبى فى ترجمته من تذكرة الحفاظ : « قد أفردت مناقب هذا الإمام فى جزء ضخم فيها العجب [٨] » وقال فى تاريخ الإسلام بعد أن ترجم له ترجمة طويلة جدا [٩] « ومناقب أبى عبد الله ـ رضى الله عنه ـ ـ كثيرة وقد أفردتها فى مصنف وفيها زيادات كثيرة هناك [١٠] » وذكره السخاوى أيضا [١١] . وفى دار الكتب المصرية نسخة منه [١٢] .

(١) تذكرة ، ج١ ص١٠ . (٢) الوافى ، ج٢ ص١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٣ . (٣) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ .

(٤) هدية العارفين ، ج٢ عمود ١٥٤ ، وإيضاح المكنون ، ج ٢ عمود ١٧٣ .

(٥) الوافى ، ج٢ ص١٦٤ ، ونكت ، ص٢٤٣ .

(٦) عيون التواريخ ، الورقة ٨٧ .

(٧) هدية العارفين ، ج٢ عمود ١٥٤ . وقد ترجم له الذهبى ترجمة مفصلة فى تاريخ الإسلام (الورقة ٨٩ ـ ١٠١ أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٨) تذكرة ، ج ٢ ص ٥٥٦

(٩) الورقة ٢٥٧ ـ ٢٦٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(١٠) الورقة ٢٦٩ من النسخة المذكورة . (١١) الجواهر والدرر ، ص ٧٣٥ .

(١٢) فى خزانة كتب (طلعت) الملحقة بدار الكتب المصرية (ضمن مجموع برقم ٩٦٥) .

١١٦ ـ نعم السمر فى سيرة عمر ـ رضى الله عنه ـ :

أورد الذهبى كثيراً من مناقب عمر بن الخطاب وأخباره فى تذكرة الحفاظ ثم قال : « فيا أخى إن أحببت أن تعرف هذا الإمام حق المعرفة فعليك بكتابى « نعم السمر فى سيرة عمر » فإنه فارق فيصل بين المسلم والرافضى ، وذكره الصفدى[١] والبغدادى[٢] أيضا[٣] .

١١٧ ـ نفض الجعبة فى أخبار شعبة :

ذكره ابن شاكر الكتبى[٤] ، والصفدى[٥] ، والبغدادى[٦] . وهو فى ترجمة أبى بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى المحدث المشهور «٨٢ ـ ١٦٠هـ».

١١٨ ـ سيرة لنفسه :

قال السخاوى فى الجواهر والدرر عند الكلام على من ألف فى السير المفردة: « وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، جمعها لنفسه »[٧] .

---

(١) تذكرة ، ج١ ص٦ .
(٣) الوافى ، ج٢ ص١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص٢٤٣ .
(٤) إيضاح المكنون ، ج ٢ عمود ٦٦١ ، وهدية ، ج٢ عمود ١٥٥ .
(٧) عيون التواريخ ، الورقة ٨٧ .
(٥) نكت ، ص٢٤٣ والوافى ج٢ ص ١٦٤ وجاء فيه « نفض » مصحف .
(٦) إيضاح المكنون ، ج٢ عمود ٦٧٣ ، وهدية ، ج ٢ عمود ١٥٥ .
(٧) ص ٧٤٦ .

عاشرا ـ المنوعات :

١١٩ ـ بيان زغل العلم والطلب :

رسالة نشرها حسام الدين القدسي [١] . وجاء عنـــوانها فى نسخة برلين : « رسالة فيما يذم ويعاب فى كل طائفة » [٢] .

وقد تناول الذهبي فيها العـــلوم المعروفة ورأيه فيها وأوضاع المهتمين بها فى زمانه وهى : القراءة والتجويد ، والحديث ، والفقه والفقهاء : المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة ، والنحو ، واللغة ، والتفسير ، وأصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ، والحكمة ، والفرائض ، والإنشاء ، والشعر ، والحساب ، والشروط ، والوعظ . وتحتل هذه الرسالة ، على صغرها ، أهمية بالغة فى تصوير الحالة العلمية فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى ، وقد نقـــل منها السخاوى أشياء تتعلق بابن تيمية والحنابلة ، وعلم أصول الدين [٣] .

١٢٠ ـ التمسك بالسنن :

ذكره ابن تغرى بردى [٤] وسبط ابن حجر [٥] وابن العماد [٦] . ولا نعرف منه نسخة .

---

(١) دمشق ١٣٤٧ وعلق عليها الشيخ محمد زاهد الكوثرى الحنفى .

(٢) (رقم ٥٥٧٠) .

(٣) الإعلان ص ٥٠٤ ـ ٥٠٦ وقارن بيان زغل العلم ، ص ١٧ – ١٨ ، ٢١–٢٨ وراجع مقالة المرحوم أحمد تيمور باشا فى مجـــلة المجمع العلمى العربى بدمشق م ٣ ص ٣٦٥ .

(٤) رونق ، الورقة ١٨٠ . (٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٦) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

١٢١ ـ جزء فى فضل آية الكرسى :

ذكره ابن تغرى بردى وسبط ابن حجر وابن العماد [(١)] ، وهو مفقود .

١٢٢ ـ الطب النبوى :

وهو فى الطب المعتمد على الأحاديث النبوية الشريفة ، وقد طبع غير مرة [(٢)] . وينسب أيضا لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ ﻫ [(٣)] . وقد ألف جماعة من المحدثين فى « الطب النبوى » ، والظاهر أن كل واحد منهم كان يزيد على الكتاب شيئا أو يهذب منه فينسب إليه [(٤)] .

١٢٣ ـ كسر وثن رتن :

كان رتن الهندى شيخا دجالا ظهر بعد سنة ٦٠٠ ﻫ وادعى التعمير وصحبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٣٢ ﻫ من تاريخ الإسلام ، وقال : « وقد أفردت جزءا فيه أخبار هذا الضال وسميته : « كسر وثن رتن » [(٥)] . وذكر مثل ذلك فى « ميزان الاعتدال » [(٦)] . وقد وقف

---

(١) انظر الهوامش الثلاثة السابقة .

(٢) طبع بمصر عدة طبعات ابتداء من سنة ١٨٧٠ م وترجم إلى الفرنسية قبل ذلك سنة ١٨٦٠ م .

(٣) حاجى خليفة : كشف ، ج٢ عمود ١٠٩٥ .

(٤) ألف فيه مثلا أبو نعيم الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ ﻫ ، وأبو العباس جعفر ابن محمد المستغفرى المتوفى سنة ٤٣٢ ﻫ (انظر حاجى خليفة : كشف ج ٢ عمود ١٠٩٥) والضياء المقدسى المتوفى سنة ٦٤٣ ﻫ (ابن حجر : المجمع المؤسس ، الورقة ١٣٧) وفصل فى هذا الأمر الدكتور سامى خلف حمارنة فى : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الطب والصيدلة ، ص ٥٠٦ ـ ٥١٣ (دمشق ١٩٦٩) .

(٥) الورقة ١٢٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٦) ميزان الاعتدال ، ج٢ ص٤٥ .

ابن حجر العسقلانى على الجزء الذى جمعه الذهبى فى أحواله بخطه ، وأورد منه مقتطفات فى نحو ست صفحات[١] . وكان مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى صاحب « القـاموس » (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ) يحط على الذهبى كثيرا بسبب هذا الكتاب ، قال ابن حجر فى المجمع المؤسس: « وأخبرنى لفظاً أنه دخل بلدة رتن الهندى ورأى فى قريته خلقا كثيرا يخبرون خبره ويثبتوه أمره . ورأيت الشيخ قد أصغى إليهم وصدق مالديهم . وكان يشـدد النكير على قول الذهبى أنه لا وجود له فى الخارج ويقول : كيف ساغ له الجزم بما لا علم له به ووجود هذا الرجل لا ينكره إلا من لم تبلغه أخباره على وجهها . قلت[٢] : والذهبى ماجزم بذلك ، بل ردد . وعبارته فى كسر وثن رتن معروفة ، وكذلك فى الميزان ، وهو معذور لأنا معشر أهل الحديث نقطع بكذب من ادعى الصحبة بعد أبى الطفيل عامر بن واثلة ـ والله الهادى إلى الصواب ـ متمسكين بالحديث المتواتر عنه صلى الله عليه وسلم ـ أنه على رأس مئة سنة من حين مقاله لا يبقى على وجـه الأرض ممن هو إذ ذاك عليها أحد[٣] ، فدخل فى العموم رتن على تقدير أن لو كان موجوداً حينئذ ـ والله تعالى أعلم ـ[٤] »

١٢٤ ـ مفاخرة المشمش والتوت :

لم يذكره أحد ممن ترجم للذهبى . وذكر بروكلمان نسخة منه ببرلين[٥] .

---

(١) ابن حجر : لسان ، ج٢ ص ٤٥٠–٤٥٥ . (٢) القول للحافظ ابن حجر .

(٣) راجع عن هذا الحديث مقدمة الذهبى لكتاب « أهل المئة فصاعدا » .

(٤) المجمع المؤسس ، الورقة ١٦٠ – ١٦١ (من نسختى المصورة) .

(٥) (رقم ٨٥٩٢) تاريخ التراث العربى ، ج٢ ص٥٩ (بالألمانية) وراجع المجلد السابع ص ٥٥٤ من فهرس ألفرت .

وفى مكتبة باش أعيان بالبصرة رسالة فى « مفاخرة المشمش والتوت » لم يذكر مؤلفها[١] وهى ضمن رسائل من عصره . وموضوع هذه الرسالة قطعة أدبية على طريقة المحاكاة بين الأشجار ، ويمتاز أسلوبها بالصنعة البيانية والعناية البلاغية ، فإذا صح أنه للذهبى، فهو من كتبه الغريبة لما نعرف من عدم اهتمامه بمثل هذه الموضوعات .

أحد عشر ـ المختصرات والمنتقيات[٢] :

١٢٥ ـ أحاديث مختارة من الموضوعات من الأباطيل للجورقانى :

رأيت نسخة منه[٣] . وقد اختار الذهبى بعض الأحاديث من كتاب

(١) منها نسخة مصورة فى المجمع العلمى العراقى وهى فى أربع أوراق ، تقع بين الورقتين ١٧ ـ ٢٠ .

(٢) لقد وجدنا من الصعوبة التفريق بين المختصرات وبين الانتقاءات أو الانتخابات فإن طبيعة اختصارات الذهبى تقوم أساسا على الانتقاء فى كثير من الأحيان (انظر مثلا كلامنا على المختصر المحتاج إليه) ، ومن ثم فإننا نجد بعض الكتب التى أطلق عليها الذهبى لفظ « منتقى » هى مختصرات صرفة (انظر مثلا كلامنا على كتاب : المنتقى من منهاج الاعتدال) فضلا عن اختلاف المؤرخين في تحديد عمل الذهبى فيما إذا كان انتقاء أم اختصارا (انظر أدناه قول حاجى خليفة عن كتاب : المنتقى من تاريخ خوارزم) لذلك اعتبرنا الانتقاءات أو المنتخبات من ضمن المختصرات .

(٣) ضمن مجموع بالمكتبة الأزهرية برقم (٢٩٠ حديث) ومنها نسخة مصورة فى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى ، وهى فى إحدى عشرة ورقة . وفى دار الكتب الظاهرية مختارات من كتاب « الأباطيل » للجورقانى (ضمن مجموع برقم ٥٤٨٥ عام) لم أطلع عليها لعلها للذهبى أيضا .

«الأباطيل[١]» لأبي عبدالله الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجورقاني[٢] المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ، وخرجها وتكلم عليها .

---

(١) نسبه الألباني لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني المتوفى سنة ٢٥٩ هـ وتابعه في ذلك سزكين في كتابه « تاريخ التراث العربي ، م١٠ ص ٣٥٢» وهو وهم منهما .

(٢) ترجم له ابن الأثير في اللباب (ج ١ ص ٢٥٠) مستدركا على أبي سعد السمعاني في « الجورقاني » من الأنساب (ج ٣ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥) . وذكره ياقوت في معجم البلدان (ج ٢ ص ١٥١) ، والذهبي في تاريخ الإسلام (الورقة ٢٩٧ أياء وفيا ١٠ ٣٠١٠) وتذكرة الحفاظ (ج ٤ ص ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩) ، وذكره ابن نقطة في إكمال الإكمال (الورقة ١٠٩ من نسخة الظاهرية) وغيرهم . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : «مصنف كتاب الأباطيل ، وهو محتو على أحاديث موضوعة وواهية طالعته واستفدت منه مع أوهام فيه ، وقد بين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها » (ج ٤ ص ١٣٠٨) .
أما نسبته « الجورقاني » فقد قيدها ابن نقطة وابن الأثير بالحروف ـ بالراء المهملة ـ وهكذا وجدتها مقيدة أيضا بخط الذهبي في تاريخ الإسلام . أما وجودها مقيدة بالزاي في تذكرة الحفاظ (ج ٤ ص ١٣٠٨) فهو من التصحيف لاريب لكن ياقوتا الحموي ضبطها بالزاي حيث ذكرها بين « جوزفلق » و « جوزق » من معجم البلدان (ج ٢ ص ١٥١) ونسبه ابن نقطة والذهبي إلى « جورقان » قرية من همذان ، بينما نسبه ياقوت وابن الأثير إلى قبيلة من الأكراد . وتكلم العلامة المرحوم عبد الرحمن المعلمي اليماني على هذه المسألة كلاما جيدا عند تعليقه على « الجورقاني » من الأنساب (ج ٣ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥) ورجح ضبطه بالراء المهملة ، وهو المرجح عندنا أيضا لأنه كتب بالإجازة إلى ابن شافع الجيلي ، قال ابن شافع في تاريخه كما نقل معين الدين ابن نقطة في إكمال الإكمال : « بلغتنا وفاته لما خرج من بغداد ووصل خبره في يوم الأربعاء سادس عشر رجب من سنة ثلاث وأربعين ، وأنه أدركه أجله بالطريق . . . أجاز لي » وكان ابن نقطة قال قبل ذلك إن « جورقان قرية من نواحي همذان » (الورقة ١٠٩ ظاهرية) .

١٢٦ ـ بلبل الروض :

ذكره سبط ابن حجر[(١)] ، وذكر أنه اختصره من كتاب « الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام » تأليف عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بالسهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ[(٢)] . وكتاب « الروض الأنف[(٣)] » من الكتب النفيسة التي عنيت بشرح السيرة النبوية ، قال ابن القفطي : « وتصنيفه في شرح سيرة ابن هشام يدل على فضله ونبله وعظمته وسعة علمه[(٤)] » وقال الصفدي : « وهو كتاب جليل جود فيه ما شاء[(٥)] » ، لذلك قام الذهبي باختصاره ، كما اختصره غيره أيضاً[(٦)] .

١٢٧ ـ تجريد أسماء الصحابة :

اختصر فيه كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة[(٧)] » لعز الدين ابن

---

(١) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٢) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٥٤ ، ابن القفطي : إنباه ، ج ٢ ص ١٦٢ ، ابن خلكان : وفيات ، ج ٣ ص ١٤٣ ، ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٤٤٨ ، الذهبي : العبر ، ج ٤ ص ٢٤٤ وتذكرة ، ج ٤ ص ١٣٤٨ ، الصفدي : نكت ، ص ١٨٧ ، المقري : نفح الطيب ، ج ٢ ص ١٠٢ ، ابن الجزري : غاية ، ج ١ ص ٣٧١ ، ابن كثير : البداية ج ١٢ ص ٣١٨ ، ابن فرحون : الديباج ، ص ١٥٠ ، ابن العماد : شذرات ج ٤ ص ٢٧١ ، التجيبي : زاد المسافر ، ص ٩٦ وغيرها .

(٣) طبع كتاب « الروض الأنف » بالمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤ م وبهامشه السيرة النبوية لابن هشام ، في جزءين .

(٤) إنباه الرواة ، ج ٢ ص ١٦٢ (٥) نكت الهميان ، ص ١٨٧

(٦) ممن اختصره أيضاً عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة الكناني المتوفى سنة ٨١٩ هـ وسماه « نور الروض » وعليه حاشية لقاضي القضاة يحيى المناوي المتوفى سنة ٨٧١ هـ (حاجي خليفة : كشف ، ج ١ عمود ٩١٧ ـ ٩١٨) .

(٧) طبع غير مرة ، منها طبعة في خمسة أجزاء في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٠ هـ .

الأثير الجزرى المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ذكره السبكى[١] وابن تغرى بردى[٢] وسبط ابن حجر[٣] والسخاوى[٤] وحاجى خليفة[٥] وغيرهم .

ومن الكتاب نسخ متعددة فى خزائن الكتب العالمية[٦] وهو مطبوع[٧]

وقد بين الذهبى أن الدوافع لهذا الاختصار قد جاءت من كون كتاب « أسد الغابة » لابن الأثير كتابا نفيسا مستقصيا . وذكر أنه جرده وزاده من « تاريخ الصحابة الذين نزلوا حمص » لأبى القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ و « تاريخ دمشق » لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ و « مسند » الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، و« مسند » بقى بن مخلد المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، و « طبقات » ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ولا سيما النساء ، ومن كتابات ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ . ووضع إشارات لهذه المصادر على عادته ومن استدراكاته البارعة وإضافاته النفيسة أنه علَّم لمن ذكر غلطاً ولمن لاتصح صحبته وإن لم يستوعب ذلك . وقد جاء عنوانه فى بعض النسخ« الإصابة فى تجريد أسماء الصحابة »[٨] .

---

(١) الطبقات ج ٩ ص ١٠٤ (٢) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ (٤) الإعلان ، ص ٥٤٢

(٥) كشف الظنون ج ١ عمود ٣٥١

(٦) منها نسخة فى المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٠١٣ وثانية فى المتحف البريطانى برقم ٣٥٦ وثالثة فى مكتبة حكيم أوغلو باستانبول برقم ٣٤٤ ورابعة فى مكتبة السليمانية باستانبول أيضا برقم ١٩٤

(٧) طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٥ هـ فى ٨٢٨ صفحة ، ثم طبع الجزء الأول منه فى بومباى بالهند سنة ١٩٦٩ م طبعة غير جيدة .

(٨) كما فى نسختى باريس والمتحف البريطانى المذكورتين فى الهامش السابق . ومما تجدر الإشارة إليه أن الذهبى قد ألف كتابا فى الصحابة باسم « عنوان السير فى ذكر الصحابة » انظر كتب التاريخ والتراجم .

١٢٨ ـ تذهيب تهذيب الكمال فى معرفة الرجال :

ذكره الصفدى [١] والسبكى [٢] والزركشى [٣] وابن تغرى بردى [٤] وسبط ابن حجر [٥] والسخاوى [٦] وابن العماد [٧] وحاجى خليفة [٨] والبغدادى [٩] .

وكتاب « تهذيب الكمال » لأبى الحجاج يوسف ابن الزكى المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ وهو شيخ الذهبى ورفيقه ، هذب فيه كتاب « الكمال » للحافظ عبد الغنى المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ وهو من أنفس الكتب المؤلفة فى علم رجال الحديث [١١] .

---

(١) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣
(٢) الطبقات الكبرى ، ج ٩ ص ١٠٤
(٣) عقود الجمان ، الورقة ٧٩
(٤) عقد الجمان ، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١) .
(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧١
(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠
(٧) الإعلان ، ص ٦٠٠
(٨) كشف ، ج ٢ عمود ١٥١٠
(٩) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٥
(١٠) هدية ، ج ٢ ص ١٥٤
(١١) رتب عبد الغنى المقدسى كتابه على الطبقات وجعله فى رواة الكتب الستة ، لكنه لم يستقص ولا توسع فى التراجم (عندى منه نسخة مصورة فى أربعة مجلدات عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥ مصطلح الحديث) فجاء أبو الحجاج المزى فزاده قرابة ألف وسبعمئة ترجمة وتوسع فى التراجم بحيث استقصى الرواة ، وأعاد ترتيبه على حروف المعجم المشرقية وسماه « تهذيب الكمال » مع أنه أوسع من الأصل كثيرا جدا . وفى خزانة كتبي غير نسخة مصورة منه ، منها نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية =

وقد حافظ الذهبي في « التذهيب » على ترتيب الأصل وهو على حروف المعجم ، لكنه أضاف إليه إضافات نفيسة ، تبيناها من مقارنة الأصل بالمختصر؛

=(رقم ٢٥ مصطلح الحديث) وهي في اثني عشر مجلدا يزيد عدد أوراقها على أربعة آلاف ورقة من القطع الكبير ، قرئت على المؤلف سنة ٧٣١ هـ . ووقفنا على نسخة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول في اثنين وعشرين مجلدا (يقع المجلد في أزيد من مئتي ورقة) (برقم ٢٨٤٨ / ١ – ٢٨٤٨ / ٢٢) كانت لقاضي القضاة موفق الدين أبي محمد عبدالله الحنبلي ، كتبت في حياة المؤلف وقوبلت على النسخة التي بخطه من سنة ٧٠٦ هـ إلى سنة ٧١٥ هـ وهي بخط محمد بن إبراهيم بن غنائم ابن المهندس . وينقص هذه النسخة المجلدات ، العاشر والحادي عشر والتاسع عشر . وفي مكتبة أحمد الثالث نسخة أخرى فيها المجلدات : الأول والثاني والخامس والسادس (رقم ٢٨٤٨ ب) . وهناك نسخة في الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية تحمل الرقم (١٦٨١ تاريخ) تتكون من ستة مجلدات ، على خمسة منها خط المؤلف (منها نسخة مصورة عند الحاج صبحي السامرائي) وعثرت بعثة معهد إحياء المخطوطات إلى اليمن على المجلد الأول من نسخة نقلت عن نسخة المؤلف سنة ٧١٢ هـ وهو في (٣٩٣) ورقة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، دلني عليها صديقي العالم محمود الطناحي المصري فصورتها لخزانة كتبي . ومن الكتاب نسخ أخرى (انظر فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ قسم ٣ ص ١٢٠) . وقد أكمل « التهذيب » تلميذ المزي الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج المتوفى سنة ٧٦٢ هـ بكتابه « إكمال تهذيب الكمال » (الأزهر ١٥ مصطلح الحديث) . وأضاف إلى « التهذيب » تلميذ المزي ، شمس الدين الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥ هـ من له رواية في مسند الإمام أحمد من غير المذكورين فيه وسماه « الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال » (انظر النسخة المصورة في معهد إحياء المخطوطات برقم ٩٠٥ تاريخ) . وقد اختصر (التهذيب) ابن بردس البعلي المتوفى سنة ٧٨٦ هـ بكتابه « بغية الأريب في اختصار التهذيب » وذلك سنة ٧٧٩ هـ (الأزهر ، رواق المغاربة ٨٩٤) ومن أشهر المختصرات كتاب « تهذيب التهذيب » لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . (وانظر عن الاستدراكات على التهذيب والمختصرات منه كشف الظنون ج ٢ عمود ١٥١٠ – ١٥١١) .

فقد علق على كثير من تراجم الأصل من حيث الرواية وضبط الأسماء والوفيات، وبعض أقوال العلماء فى المترجمين . وقد وصل الكتاب إلينا[١] .

وقام صفى الدين أحمد بن عبد الله بن أبى الخير بن عبد العليم الخزرجى الأنصارى سنة ٩٢٣ ه بتلخيصه بكتابه المعروف « خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال »[٢] ، وقيد بعض الأسماء بالحروف ، وزاده من بعض الكتب الأخرى .

١٢٩ ـ ترتيب الموضوعات لابن الجوزى :

كتاب « الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » لأبى الفرج عبد الرحمن ابن على البغدادى المعروف بابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ه[٣] من الكتب

---

(١) فى خزانة كتبى نسخة مصورة منه ، عن نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول ذات الأرقام (٢٨٤٩/٢ ، ٢٨٤٩/٣ ، ٢٨٤٩/٤) كتبت فى حياة المؤلف سنة ٧٤٥ ه وعلى هامشها تصحيحات بخطه . ووقفت على نسخة أخرى منه بدار الكتب المصرية كتبت سنة ٧٣١ ه فيها المجلدات من الأول إلى الثالث التى تنتهى إلى حرف العين (رقم ٦٢ مصطلح الحديث) ووقفنا فى الدار المذكورة على بعض أجزاء متفرقة منه تحمل الرقم (٨٨ مصطلح الحديث) . وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلدان الثالث والرابع من نسخة تتكون من أربعة مجلدات كتبت سنة ٧٦٢ ه (رقم ٢٨٢ ، ٣٨٣ تاريخ) . ورأينا سنة ١٩٧٥ م المجلد الأول منه فى مكتبة أسعد أفندى باستانبول (رقم ٢٩٢) ورأينا مجلداً منه ضمن كتب الطب فى المكتبة المذكورة لم يكتب اسم مؤلفه (رقم ٢٤٦١) وهناك نسخ أخرى لم نقف عليها ذكرها بروكلمان .

(٢) طبع سنة ١٣٠١ ه بالقاهرة ثم طبع بعد ذلك سنة ١٣٢٣ ه .

(٣) انظر : ابن نقطة : التقييد ، الورقة ١٤١ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٧١، ابن الدبيثى : ذيل ، الورقة ١٢٢ ـ ١٢٣ (باريس ٥٩٢٢) ، وراجع المنذرى : التكملة م ٢ ص ٢٩١ ـ ٢٩٣ بهامشها .

الواسعة فى الأحاديث الموضوعة ، تكلم فى مقدمته على ذم الكذب ، وعلى حديث « من كذب على » وتناول موضوع نقد الرجال ثم أورد الأحاديث التى اعتقد أنها موضوعة[١] .

وقد وقفت على نسخة من « ترتيب الموضوعات » للذهبى[٢] ، ويظهر منه أن الذهبى قد رتب كتاب ابن الجوزى ونقحه وهذبه وخفف من طول أسانيده، واختصر بعض المتون الطوال وبعض القول فى الرجال[٣] ، واعترض الذهبى عليه فى غير موضع لإيراده أحاديث كثيرة حكم بوضعها وهى ليست بموضوعة بل هى ضعيفة وبعضها حسنة أو صحيحة حيث ورد بعضها فى « مسند » الإمام أحمد بن حنبل[٤] والسنن الأربعة وغيرها .

---

(١) طبع كتاب الموضوعات لابن الجوزى فى مصر سنة ١٣٨٦هـ فى ثلاثة مجلدات. وقال معين الدين ابن نقطة عند كلامه على كتاب الموضوعات (وهو الأباطيل) لأبى عبد الله الحسين بن إبراهيم الجورقانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ : « وقال لى نصر ابن أبى الفرج الحصرى بمكة : إن أبا الفرج بن الجوزى لما صنف كتاب الموضوعات إنما أخذه من كتابه ، يعنى الجورقانى . . . » (إكمال الإكمال ، الورقة ١٠٩ ظاهرية) .

(٢) ضمن مجموع فى المكتبة الأزهرية يحمل الرقم (٢٩٠ حديث) وهو فيه بين الورقتين ٨٦ — ١٧٥ . ومنه نسخة مصورة فى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى. وقد صور معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة المكتبة الأزهرية وهى عنده برقم ١٤٥ (وقد جاء فى فهرس المعهد ج ١ ص ٦٧ — ٦٨ أن رقمها ١٤٣، وهو وهم) .

(٣) انظر الورقة ١٧٥ من نسخة الأزهر .

(٤) راجع ابن حجر : القول المسدد فى الذب عن المسند للإمام أحمد . (حيدر آباد ١٣٨٦ هـ) ففيه فوائد (من فوائد الحاج صبحى السامرائى) ، ومقدمة الشيخ أحمد شاكر للمسند .

١٣٠ـ تلخيص العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية لابن الجوزى :

وقفت على نسخة منه [١] . وذكر فيه الذهبى أن ابن الجوزى ألف كتابه هذا [٢] بعد كتاب « الموضوعات » فأتى فيه بموضوعات وقليل من الأحاديث الحسان [٣] . والظاهر أن الذهبى لم يلتزم بعبارة المؤلف بل غالب التخريج من كلامه [٤] .

١٣١ـ تنقيح كتاب التحقيق فى أحاديث التعليق [٥] لابن الجوزى :

ذكره الصفدى [٦] والزركشى [٧] . وقد وقفت على نسخة من « تنقيح »

---

(١) فى المكتبة الأزهرية ضمن مجموع برقم (٢٩٠ حديث) وهو فيه بين الورقتين (١ – ٨٥) ومنه نسخة مصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ١٥٩ حديث (وفى الفهرس ج ١ ص ٦٩ برقم ١٥٧ خطأ) وفى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة من التلخيص عن النسخة الأزهرية .

(٢) وقد وقفنا على نسخة مصورة من كتاب ابن الجوزى عن نسخة آصف باشا ذات الرقم (١١٦) .

(٣) راجع الورقة ٣ من نسخة الأزهر (٢٩٠ حديث) .

(٤) انظر الورقة ٨٥ من النسخة السابقة .

(٥) رأيت نسختين من كتاب « التحقيق » لابن الجوزى فى خزانة كتب شيخنا الحاج صبحى السامرائى : أولاها عن نسخة دار الكتب المصرية (رقم ٢ فقه حنبلى) والثانية عن الظاهرية (رقم ٣٠٠ حديث) والكتاب فى الأحاديث المعلقة بمسائل الخلاف فى الفقه ، ولا علاقة له بالأحاديث المعلقة ، وهى التى حذف من مبتدأ إسنادها واحد فأكثر (انظر عن الأحاديث المعلقة كتاب أبى زرعة العراقى : التقييد والإيضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح ، ص ٣٢ (القاهرة ١٩٦٩) وابن جماعة : المنهل الروى فى علم الحديث النبوى : الورقة ١٠ (مصورة الحاج صبحى) .

(٦) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣ .

(٧) عقود الجمان ، الورقة ٧٩ .

الذهبي [١] ، تكلم فيها الذهبي على كثير من الأحاديث ورواتها ورد على ابن الجوزي كثيرا من أوهامه في اعتبار درجات الأحاديث .

١٣٢ — تهذيب تاريخ علم الدين البرزالي :

ألف علم الدين القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ تاريخا ذيل به على تاريخ أبي شامة فابتدأه من سنة مولده ، وهي سنة ٦٦٥ هـ وسماه « المقتفى لتاريخ أبي شامة » وصل به إلى سنة ٧٣٨ هـ [٢] ، ولعله هو الذي يسمى بكتاب « الوفيات » [٣] ، قال صلاح الدين الصفدي عند كلامه على تاريخ البرزالي :

---

(١) مخزونة في مكتبة فيض الله باستانبول (رقم ٢٩٦) وقد صورها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ١٧٠ الحديث والمصطلح وليس ١٦٨ كما جاء في فهرسته ، ج ١ ص ٧٠) . وهي نسخة نفيسة كتبها المؤلف بخطه سنة ٧٢٩ هـ وتقع في (١٨٧) ورقة ، وقرأها الصلاح الصفدي على مؤلفها بمنزله سنة ٧٣٥ هـ كما يدل على ذلك توقيع الصفدي . ونجد عليها توقيع العلامة على بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ . ومما تجدر الإشارة إليه أن لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ كتاب « تنقيح التحقيق لابن الجوزي » ، وقفنا على المجلد الثاني منه بدار الكتب الظاهرية (رقم ٣٠١ حديث) وهو في ٥١٤ صفحة . ووقفنا في خزانة الحاج صبحي السامرائي على مصورة لهذا المجلد ، وعلى قطعة من المجلد الأول من نسخة الظاهرية رقم (٥٨١ تفسير) .

(٢) في خزانة كتبي نسخة مصورة تتكون من مجلدين فيهما من سنة ٦٦٥ هـ إلى سنة ٧٢٠ هـ وهما في (٦٢٩) ورقة . وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧٢١ هـ وقوبلت على المؤلف وعليها خطه في التاريخ المذكور . ولعل البرزالي زاد هذا التاريخ إلى قبيل وفاته فوصل به إلى سنة ٧٣٨ هـ كما ذكر ابن رافع في « الوفيات » . وكما نقل منه ابن الجزري تصريحا في تاريخه . ونسختي المذكورة مصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول ذات الرقم ٢٩٥١ .

(٣) انظر ابن رافع السلامي : الوفيات ، مقدمة نسخة دار الكتب (١٢٦ م =

« وقد هذبه الشيخ شمس الدين الذهبي وزاده أشياء من عنده »[(١)] . وقد نقل من « تهذيب » الذهبي هذا ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوى « ت ٧٧٢ » فى كتابه « طبقات الشافعية » فقال فى ترجمة عز الدين إسماعيل ابن هبة الله بن على بن الضيعة الحميرى الأسنائى : « ناب فى الحكم ... ثم عاد إلى الديار المصرية عند هجوم غازان ملك التتار إلى أوائل الشام وذلك سنة سبع مئة فمات بها فى تلك السنة ، قاله البرزالى فى وفياته التى هذبها الذهبى »[(٢)] . ونقل منها فى غير هذا الموضع[(٣)] .

= تاريخ) وكتابنا : المنذرى ، ص ٢١٧-٢١٨ وبحثنا : كتب الوفيات ، ص ٢٤٧-٢٤٨ . وقد ذيل عليه ابن رافع فى كتابه « الوفيات » ووجد أن البرزالى لم يبيض السنتين الأخيرتين منه فابتدأ وفياته من سنة ٧٣٧ هـ ، قال فى مقدمته : « أما بعد ، فإنى لما رأيت تاريخ الحافظ أبى محمد القاسم بن محمد البرزالى انتهى فيه إلى آخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة مبيضا أردت أن أذيل عليه . ثم رأيت فى المسودات سنتين فكتبت منها ما تيسر مع الذى جمعته ، وعلى الله التكلان وهو المستعان » . وكان تاريخ البرزالى من أعظم مصادر ابن كثير فى البداية . وقد سلخ ابن الجزرى « ت ٧٣٩ هـ » معظم تراجمه ووضعها فى كتابه مصرحا بذلك ؛ فكان يقول فى وفيات كل سنة « ما أكتبه (وذكر) فيكون من فوائد الحافظ علم الدين البرزالى - فسح الله فى مدته . . . حتى لا يضيع تعبه » انظر مثلا الورقة ٦٩، ١٠١ نسخة دار الكتب المصرية . إن عناية البرزالى بالوفيات هى التى جعلت بعض المؤرخين يطلقون عليه اسم « الوفيات » بحيث توهم البعض فظن أن له كتابين أحدهما فى « التاريخ » والآخر فى «الوفيات» كما وقع لصاحب كتاب «الأعلام» (ج٦ ص١٧) وغيره . (انظر أيضاً : الإعلان ، ص ٧٠٢ وعيون التواريخ لابن شاكر . الورقة ٣٨ (كيمبرج ٢٩٢٣) .

(١) الوافى، ج ١ ص ٥١ .

(٢) الورقة ٣٠ (الظاهرية ٥٦ تاريخ) ونقل نصا آخر فى الورقة نفسها .

(٣) انظر مثلا ، الورقة ٥٠ ، ٩٦ من النسخة أعلاه .

١٣٣ ـ ذكر الجهر بالبسملة مختصرا :

اختصره من تصنيف فى هذا الموضوع للحافظ أبى بكر أحمد بن على ابن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ ه [١] . وقفنا على نسخة منه [٢] .

١٣٤ ـ الرخصة فى الغناء والطرب بشرطه :

ذكره سبط ابن حجر [٣] وذكر أنه اختصر فيه كتاب « السماع » [٤] تأليف كمال الدين أبى الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ ه [٥] . وذكر ابن تغرى بردى [٦] وابن العماد [٧] أن الذهبى اختصر كتاب « جواز السماع » للأدفوى ولم يذكرا العنوان ، وهو هذا بلا ريب .

---

(١) سمعت المحدثة ست الكتبة نعمة بنت على بن يحيى ابن الطراح المدير المتوفاة سنة ٦٠٤ ه كتاب « الجهر بالبسملة » للخطيب عن جدها عن الخطيب ، وقد شاهده القوصى مع جملة من مصنفات الخطيب فى ثبتها (الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٢ أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٥٥

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) هو الكتاب المعروف بـ « الإمتاع بأحكام السماع » وقفت على نسخة منه فى خزانة المكتبة الأزهرية بمصر برقم (٤٦٢) ٧٠٥٨ أدب أباظة فى ١٢٦ ورقة كتبت سنة ١٠٨٢ ه .

(٥) انظر ترجمته فى : السبكى : طبقات ، ج ٩ ص ٤٠٧ ، الإسنوى : طبقات ، ج ١ ص ١٧٠ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ٧٢ ــ ٧٣ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٦ ص ١٥٣ والمقدمة التى كتبها الأستاذ سعد محمد حسن لكتابه النفيس « الطالع السعيد » فى طبعته الجديدة .

(٦) المنهل الصافى ، الورقة ٧١

(٧) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

وكان كتاب الأدفوى من الكتب المهمة فى موضوعه[1] لذلك قام الذهبى باختصاره ، وقد تكلم على بعض أحاديث الكتاب كما ظهر من النسخة التى وقفنا عليها منه[2] .

١٣٥ ـ الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة :

قال الذهبى فى مقدمته : « هذا مختصر نافع فى رجال الكتب الستة : الصحيحين والسنن الأربعة[3] ، مقتضب من « تهذيب الكمال » لشيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى ، اقتصرت فيه على ذكر من له رواية فى الكتب ، دون باقى تلك التواليف التى فى التهذيب[4] ، ودون من ذكر للتمييز أو كرر للتنبيه »[5] .

وجاء فى آخر نسخة الخزانة التيمورية (رقم ١٩٣٥ تاريخ) وهى بخط الذهبى ، أنه فرغ من اختصاره بعد العصر من يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٢٠ هـ[6] .

---

(١) دفعت هذه الأهمية أبا حامد محمد بن يوسف المقدسى المتوفى سنة ٨٨٨ هـ (السخاوى : الضوء ، ج ٧ ص ٢٣٤ ، ابن إياس : بدائع ، ج٢ ص ٢١٧) إلى تلخيص هذا الكتاب بكتابه « تشنيف الأسماع بأحكام السماع » منه نسخة فى مكتبة البلدية بالإسكندرية (برقم ٢٠٥٥ / ٢ د) فى ١٩ ورقة .

(٢) الظاهرية رقم ٧١٥٩ وهى فى (٥٤) ورقة .

(٣) يعنى صحيحى البخارى ومسلم ، وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

(٤) انظر عن هذه التواليف مقدمة تهذيب الكمال م١ الورقة ٣ ـ ٤ (دار الكتب ٢٥ مصطلح) .

(٥) انظر مقدمة كتاب الكاشف (ج ١ ص ٤٩ ط . القاهرة ١٩٧٢) .

(٦) وكتب الذهبي هذه النسخة بخطه سنة ٧٢٩ هـ كما جاء في آخرها .

ذكره الصفدى[١] والسبكى[٢] والزركشى[٣] والعينى[٤] وسبط ابن حجر[٥] والسخاوى[٦] . وقد مر بنا أن الإمام الذهبى اختصر « تهذيب الكمال » لأبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فى كتاب « تذهيب تهذيب الكمال » وذكر الصفدى[٧] والسبكى[٨] وابن تغرى بردى[٩] وابن العماد[١٠] أن الذهبى اختصر كتاب « الكاشف » من التذهيب ، وهو وهم منهم ، حيث صرح الذهبى فى مقدمته أنه اختصره من الأصل ، أعنى من « تهذيب الكمال » ، فضلا عن أن كتاب « الكاشف » اقتصر على رجال الكتب الستة فى حين كان التذهيب كأصله قد شمل رجال الكتب الستة وغيرها من التواليف .

احتل كتاب « الكاشف » للذهبى مكانا مرموقا بين كتبه على الرغم من أنه جاء فى عُشر الكتاب الأصلى[١١] ، بحيث قال فيه التاج السبكى: إنه « مجلد نفيس »[١٢] . ولا ريب أن هذه النفاسة التى ذكرها السبكى لم تجئ من عمل الذهبى كمختصر لكتاب « التهذيب » حسب ؛ فإنه على الرغم من محافظته على

(١) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣

(٢) الطبقات ، ح ٩ ص ١٠٤

(٣) عقود الجمان ، الورقة ٧٩

(٤) عقد الجمان ، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١) .

(٥) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٦) الإعلان ، ص ٦٠٠ . وقد طبع فى القاهرة سنة ١٩٧٢ فى ثلاثة مجلدات .

(٧) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤

(٨) طبقات ، ج ٩ ص ١٠٤

(٩) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(١٠) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٥

(١١) انظر آخر نسخة التيمورية (١٩٣٥ تاريخ) .

(١٢) طبقات ، ج ٩ ص ١٠٤

روح النص الأصلى قد بث فيه من روحه ونشر فيه من علمه ماجعله يكاد يكون مؤلفا من تآليفه ، مخالفا للأصل المختصر منه فى كثير من الأمور ، فمن ذلك أنه علق على آراء بعض أئمة الجرح والتعديل فيه ، تعديلا أو إبطالا ، كما حقق كثيرا من التراجم وزادها تدقيقا لا نجده عنـــد المزى ، فضلا عن بيان رأيه فى كثير من الرواة على أساس من دراساته الواسعة وخبرته العميقة بعلم الحديث النبوى ، كما أن إقرار الذهبى لما جاء فيه ، وموافقته لما اشتمل عليه من أخبار تتصل بالمترجَمين يعد توثيقا عظيما لهذه الأخبار بعد أن عرفنا الأهمية التى يحتلها الذهبى فى هذا المجال .

ونتيجة لأهمية كتاب «الـكاشف» أيضا ذيل عليه واحد من كبار العلماء هو أبوزُرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة٨٢٦هـ . وقد ذكر تقى الدين ابن فهد هذا « الذيل »[١] . ورأيت نسخة منه[٢] .

كما أن لإبراهيم بن محمـــد بن خليل الطرابلسى ثم الحلبى المعروف بسبط العجمى المتوفى سنة ٨٤١ هـ حواش عليه[٣] . واعتمد على « الـكاشف » كثيرا

---

(١) لحظ الألحاظ ، ص ٢٨٧ ، وانظر أيضاً : حاجى خليفة : كشف ، م ٢ عمود ١٥١١ ، ١٣٦٨

(٢) مصورة فى خزانة كتب شيخنا الحاج صبحى السامرائى عن مكتبة فيض الله باستانبول (رقم ١٤٥٤) وهى فى (١٤٢) ورقة . وقد أضاف العراقى فى هذا الذيل بقية التراجم التى ذكرها المزى فى « التهذيب » ، والتى لم يذكرها الذهبى لأنه اقتصر على رجال الـكتب الستة ، كما أضاف رجال مسند الإمام أحمد وزيادات ولده عبد الله عليه. وهذا فى رأينا تجوز من العراقى ــ رحمه الله ــ ، لأن الذهبى اقتصر على ذكر من له رواية فى الـكتب الستة فقط وأسقط متعمدا تراجم الذين لهم رواية فى تواليف أصحاب الـكتب الستة الأخرى ممن ذكرهم المزى فى «التهذيب» وإلا فإنه ذكر الجميع فى كتابه «تذهيب التهذيب » فما الفرق بينه وبين الـكاشف عندئذ ؟ تأمل ذلك !

(٣) ابن فهد : لحظ الألحاظ ، ص ٣١٤ .

شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ حينما ألف كتابه في « أسماء الرجال »[١] . وذكر ابن حجر في مقدمة (تهذيب التهذيب) أن الهمم قصرت عن تحصيل الأصل « فاقتصرت بعض الناس على الكشف من الكاشف الذي اختصره منه الحافظ أبو عبد الله الذهبي »[٢] ، مما يدل على أهميته البالغة .

١٣٦ ـ المجرد من تهذيب الكمال :

ذكره السبكي[٣] وسبط ابن حجر[٤] وحاجي خليفة[٥] والبغدادي[٦] .

وقد جرده من كتاب « تهذيب الكمال » لكنه اقتصر على رجال الكتب الستة : الصحيحين والسنن الأربعة، ورتبه على عشر طبقات أولا ثم رتب رجال كل طبقة على حروف المعجم ثانيا[٧] .

(١) الطيبي : أسماء الرجال ، الورقة ٤٧ (ظاهرية ٦١٦٤) .

(٢) ج ١ ص ٣ .

(٣) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٥ وسماه « المجرد في أسماء رجال الكتب الستة » .

(٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ . (٥) كشف الظنون ، م ٢ عمود ١٥٩٣ .

(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤ .

(٧) من الكتاب نسخة بخزانة كتب الفاتيكان (برقم ١٠٣٢) ، وكانت منه نسخة ببرلين تحمل الرقم (٩٩٣٨) . وعثرت على نسخة أخرى منه في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول برقم (٥٢٣) في (١٠٢) ورقة ينقص من أولها بعض الأوراق ، وأول مافيها : أبو معقل الأنصاري الأسدي ، وآخره آخر طبقة البخاري وباقي شيوخ الأمة. وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧١٧ هـ ، وفي حواشيها تعليقات واستدراكات كثيرة ، وقوبلت على نسخة الإمام الذهبي في التاريخ المذكور ، وصور معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية هذه النسخة وضمها إلى خزانته برقم (٥٧٦ تاريخ) لكنهم لم يعرفوا اسم الكتاب فذكروا أنه في « أسماء رجال تهذيب الكمال للمزي » ولاعرفوا مؤلفه لذهاب الورقات الأولى منه، فاقتضى لذلك التنبيه (انظر فؤاد سيد: فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ قسم ٢ ص ١٠) .

١٣٧ ـ مختصر إنباه الرواة على أنباه النحاة لابن القفطى :

ذكره شمس الدين السخاوى عند كلامه على كتاب « إنباه الرواة » [١] . للصاحب جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى المعروف بابن القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ [٢] ، فقال : « واختصره الذهبى » [٣] .

وذكر بروكلمان من مختصر الذهبى نسخة فى ليدن [٤] ، لم أستطع الوقوف عليها .

١٣٨ ـ مختصر الأنساب لأبى سعد السمعانى :

ذكره الذهبى فى مقدمته لتاريخ الإسلام [٥] وأشار إليه سبط ابن حجر فى رونق الألفاظ [٦] . ولا نعرف اليوم له نسخة .

---

(١) نشرته دار الكتب المصرية فى أربعة أجزاء بتحقيق أبى الفضل إبراهيم ابتداء من سنة ١٩٥٠ م .

(٢) انظر ترجمته فى : ياقوت : إرشاد ، ج ٥ ص ٤٧٧ ـ ٤٩٤ ، ابن العبرى : تاريخ ، ص ٤٧٦ ، الحسينى : صلة التكملة (وفيات ٦٤٦ كوبرلى ١١٠١) ، الذهبى : العبر ، ج ٥ ص ١٩١ ، الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، اليافعى : مرآة الجنان ، ج ٤ ص ١١٦ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٥ ص ٢٣٦ .

(٣) الإعلان ص ٥٦٦ .

(٤) تاريخ التراث العربى ، الملحق ، ١ ص ٣٩٧ (بالألمانية) . ومما تجدر الإشارة إليه أن أحمد بن مكتوم القيسى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ قام بتلخيص كتاب القفطى هذا أيضا فى كتاب «تلخيص أخبار النحويين المذكورين فى كتاب الإنباه» منه نسخة بخطه محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٦٩ تاريخ تيمور) بها نقص يسير من آخرها وبأثنائها خروم .

(٥) ج ١ ص ١٦ (مطبوعة) .

(٦) الورقة ١٨٠ .

وكتاب « الأنساب »[١] . لأبى سعد عبد الكريم بن محمد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ من أنفس الكتب المؤلفة فى بابه ، لذلك اعتنى به العلماء الذين جاءوا بعده تلخيصا واستدراكا ونقلا منه[٢] .

١٣٩ ـ مختصر كتاب البعث والنشوز للبيهقى[٣] :

ذكره ابن تغرى بردى[٤] وسبط ابن حجر[٥] وابن العماد[٦] . ولم أقف على نسخة منه .

---

(١) من الكتاب نسخ عديدة ، وقد لفق المستشرق داود مرغليوث نسخة نشرها على طبع الحجر فى سلسلة تذكار جب سنة ١٩١٢ م . ثم باشرت دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد نشره بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى المكى فأخرج منه ستة أجزاء ، وتوفى ـ رحمه الله ـ قبل إتمامه .

(٢) انظر مقدمة الشيخ عبد الرحمان المعلمى لكتاب الأنساب . ومن أشهر هذه المختصرات المستدركات كتاب « اللباب فى تهذيب الأنساب » لعز الدين أبى الحسن على ابن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وقد نشره حسام الدين القدسى سنة ١٣٥٧ ـ ١٣٦٩ فى ثلاثة أجزاء ..

(٣) أبو بكر أحمـــد بن الحسين بن على البيهقى النيسابورى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وصاحب التواليف الكثيرة (السمعانى : الأنساب ، الورقة ١٠١ ، ابن الجـــوزى : المنتظم ج٨ ص٢٤٢ ، ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ص٢٦٥ ، ابن الأثير : اللباب ج١ ص١٦٥ ، الذهبى : تاريخ الإســـلام ، الورقة ١٩٠ (أحمد الثالث ١١/٢٩١٧) والعبر ، ج٣ ص ٣٤٢ ، ابن كثير : البداية ج ١٢ ص ٩٤ ، ابن العماد شذرات ، ج٣ ص ٣٠٤ وغيرها .

(٤) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ .

(٥) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٦) شذرات ، ج٦ ص ١٥٦ .

١٤٠ ـ مختصر تاريخ بغداد[١] للخطيب البغدادى[٢] :

ذكره الصفدى[٣] وابن شاكر الكتبى[٤] وذكرا أنه فى مجلدين ، وأشار إليه السخاوى عند كلامه على تواريخ بغداد[٥] . كما ذكر ابن تغرى بردى[٦] . وابن العماد[٧] أن الذهبى اختصر تاريخ الخطيب .

١٤١ ـ مختصر تاريخ دمشق[٨] لابن عساكر[٩] :

ذكره الصفدى[١٠] وابن شاكر الكتبى[١١] وابن تغرى بردى[١٢]

---

(١) طبع بمصر سنة ١٩٣١ م فى ١٤ مجلدا، تناول فى قسم من المجلد الأول خطط مدينة بغداد ، ثم ترجم بعد ذلك لأهلها مرتبا تراجمه حسب حروف المعجم ومخصصا للنساء القسم الأخير من كتابه . وأورد فيه كل من عاش ببغداد أو وردها من البارزين فى ناحية من نواحى الحياة إلى قريب وفاته .

(٢) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ . انظر كتابنا: تواريخ بغداد، ص٦ فما بعد. وللأخ الزميل العالم الفاضل الدكتور أكرم العمرى رسالة فى موارد تاريخه ، وهى دراسة نفيسة طبعت أخيراً بدمشق .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ٢٤٣ .

(٤) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ . (٥) الإعلان ، ص ٦٢٣ .

(٦) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ . (٧) شذرات ج ٦ ص ١٥٦ .

(٨) شهرة الكتاب أعظم من أن تذكر ، وقد رأيت منه نسختين بدار الكتب الظاهرية بدمشق تكاد إحداها تكون كاملة ، ونقلنا منها فوائد جمة ، وقد وصفهما المرحوم الدكتور يوسف العش فى « فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية » التاريخ وملحقاته ص ١٠٩ فما بعد .

(٩) أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المتوفى سنة ٥٧١ هـ (انظر : ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٦١ ، وسبط ابن الجوزى : مرآة ، مختصر ج ٨ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، الذهبى : العبر ، ج ٤ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، ابن كثير: البداية ج ١٢ ص ٢٩٤ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٦ الورقة ٥٨٨ ـ ٥٩٠ (مصورة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ) وغيرها . (١٠) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣

(١١) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ (١٢) المنهل الصافى ، الورقة ٧١

والسخاوى[١] وابن العماد[٢] وذكروا أنه فى عشرة مجلدات ، وقد رآه السخاوى بخط الذهبى .

١٤٢ ـ مختصر تاريخ مصر لابن يونس :

ألف أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفى المتوفى سنة ٣٤٧[٣] هـ تاريخين : أحدهما كبير فى « أخبار مصر ورجالها »[٤] ، والثانى صغير فى « ذكر الغرباء الواردين على مصر »[٥] .

ويبدو أن تاريخ ابن يونس الكبير هو الأكثر شهرة ، وهو الذى يشير إليه كثير من المؤرخين فى ترجمته . وذكر الذهبى فى مقدمته لتاريخ الإسلام أنه اختصر « تاريخ مصر » لابن يونس[٦] . وقال فى ترجمة ابن يونس من تذكرة الحفاظ « أبو سعيد ابن يونس . . . صاحب تاريخ مصر . . . اختصرت تاريخه وعلقت منه أحاديث »[٧] .

---

(١) الإعلان ، ص ٦٣١ (٢) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٣) انظر ترجمته واخباره فى :

ابن خلكان : وفيات ، ج ٣ ص ١٣٧ - ١٣٨ ، والذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) وتذكرة ، ج ٣ ص ٨٩٨ ، والعبر ، ج ٢ ص ٢٧٦ ، ابن شاكر : فوات ، ج ١ ص ٥٢٦ ، السخاوى : الإعلان ، ص ٥٩٢ ، ٦٤٥ وراجع الهامش رقم ٨٠ من الصفحة المذكورة ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ١٤٧

(٤) ويعرف بـ « تاريخ مصر » أو « تاريخ المصريين » وهو من مصادر الذهبى الكبيرة فى تاريخ الإسلام ، وقد ذيله أبو القاسم يحيى بن على الحضرمى المعروف بابن الطحان المتوفى سنة ٤١٦ هـ بكتابه « الذيل على تاريخ مصر » من الجزء الأول منه نسخة بدار الكتب الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع برقم ١١٦) وعند شيخنا العالم الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة منه. (٥) ويعرف بـ «تاريخ الغرباء» أو «التاريخ الصغير» .

(٦) ج ١ ص ١٦ (مطبوعة) . (٧) تذكرة ، ج ٣ ص ٨٩٨ .

١٤٣ ـ مختصر تاريخ نيسابور[1] لأبي عبد الله الحاكم[2] :

ذكره الصفدي[3] وابن شاكر الكتبي[4] والسبكي[5] والزركشي[6] وابن تغري بردي[7] وسبط ابن حجر[8] وابن العماد[9] وحاجي خليفة[10] ولم نقف على نسخة منه . ونحن نعرف من أحد مختصرات تاريخ نيسابور للحاكم[11] أنه ابتدأ بذكر خراسان وما ورد من أحاديث وأخبار في مدحها، ثم ذكر من نزلها من الصحابة ثم التابعين . . . الخ فجعله على ست طبقات . وقد ذكر الصفدي والزركشي أن مختصر الذهبي في مجلد .

---

(١) فقد هذا الكتاب الجليل مع أن حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ قد اطلع عليه كما يبدو (كشف ج ١ عمود ٣٠٨) وقال السبكي في ترجمة الحاكم من الطبقات : « وهو عندي أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها » (ج ٤ ص ١٥٥) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى سنة ٤٠٥ هـ وهو مشهور جدا .

(٣) نكت ، ص ١٤٣ ، والوافي ، ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ .

(٥) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٧ .

(٦) عقد الجمان ، الورقة ٧٩ .

(٧) المنهل الصافي ، الورقة ٧١ .

(٨) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .

(٩) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(١٠) كشف ، ج ١ عمود ٣٠٨ .

(١١) « مختصر تاريخ نيسابور » لأحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري . وقد نشره الدكتور بهمن كريمي في طهران (سنة ١٣٣٩ هجرية شمسية) وهي نشرة رديئة جدا . وفي خزانة كتبي نسخة مصورة من هذا المختصر ، صورتها من مكتبة بروسة بتركيا وهي أحسن من المطبوعة . وقد أعاد نشر المخطوطة الأستاذ ريجارد فراي الأميركي بالتصوير مع مختصرات من السياق لعبد الغافر الفارسي.

١٤٤ ـ مختصر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف لأبى الحجاج المزى :

ذكره الصفدى[١] وابن شاكر الكتبى[٢] والسبكى[٣] والزركشى[٤] وابن تغرى بردى[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] وحاجى خليفة[٨] .

و« تحفة الأشراف » من كتب المزى النفيسة . قضى فيه مؤلفه ستا وعشرين سنة فى عمل متواصل[٩] ، وهو فى أطراف[١٠] أحاديث الكتب الستة مضافا إليها تآليف أصحاب الكتب الستة الأخرى[١١] . ويبلغ مجموع أحاديثه (١٩٥٩٥) حديثا مقسمة على نحو من ألف وخمس مئة مُسْنَد وثمانية آلاف ترجمة[١٢] . وذكر الزركشى أن الذهبى اختصره فى مجلدين[١٣] ، ولم يصل إلينا فيما أعلم .

---

(١) الوافى ، ج ٣ ص ١٦٤ ، ونكت ، ٢٤٣ .

(٢) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ .

(٣) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٥ .

(٤) عقود الجمان ، الورقة ٧٩ .

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ .

(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٧) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٨) كشف ، ج ١ عمود ١١٧ .

(٩) ابتدأ المزى بتأليفه سنة ٦٩٦ هـ وانتهى منه سنة ٧٢٢ (انظر : تحفة الأشراف ج ١ ص ٦) .

(١٠) الأطراف : هى ذكر حديث الصحابى مفردا مثل أهل المسانيد ، إلا أن مؤلفى الأطراف يذكرون طرفا من الحديث فى الغالب ، خلافا لأصحاب المسانيد فإنهم يذكرون الحديث بتمامه . وتذكر كتب الأطراف جميع طرق الحديث فى الكتب التى وضعت لها فيسهل بذلك معرفة الحديث والبحث عن أسانيده ، ولذلك فهى تعوض عن جميع الكتب التى وضعت من أجلها .

(١١) تحفة الأشراف ، ج ١ ص ٣ ـ ٤

(١٢) بدأ بطبع تحفة الأشراف بتحقيق عبد الصمد شرف الدين وظهر منه الجزء الأول فى بمباى بالهند سنة ١٩٦٥ وتم طبع خمسة أجزاء منه .

(١٣) عقود الجمان ، الورقة ٧٩

١٤٥ ـ مختصر تقويم البلدان[١] لأبى الفدا[٢] :

ذكره الصفدى[٣] وابن شاكر الكتبى[٤] وذكر كل من ابن تغرى بردى[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] والبغدادى[٨] « كتاب تقويم البلدان » من بين تآليف الذهبى، وما أظنهم قصدوا غير هذا المختصر ؟

١٤٦ ـ مختصر التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار[١٠] :

ذكره الذهبى[١١] فى ترجمته فقال: « كمَّل الصلة البشكوالية بكتاب فى ثلاثة أسفار اختصرته فى مجلد » . ولم يصل إلينا .

(١) طبع فى باريس سنة ١٨٤٠م وترجمه المستشرق الفرنسى «رينو» إلى الفرنسية .

(٢) أبو الفدا إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (السبكى: طبقات، ج ٩ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٧، ابن الوردى : تتمة : ج ٢ ص ٢٩٧ ، الإسنوى : طبقات ، ج ١ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ، الدوادارى : كنز الدرر ، ج ٩ ص ٣٦٤ (القاهرة ١٩٦٠) ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١٥٨ ، ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٣٩٦) وغيرها .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣ .

(٤) عيون التواريخ ، الورقة ٨٧

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧١

(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٧) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٨) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤

(٩) طبع الجزءان الأول والثانى فى مدريد سنة ١٨٨٦م ، وطبع الثالث فى الجزائر سنة ١٩١٩ م بعنوان تكملة الصلة ثم طبع بالقاهرة (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) وقد ذيل به مؤلفه على كتاب «الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم» لأبى القاسم ابن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨ هـ الذى كان قد ذيل به على كتاب « تاريخ علماء الأندلس » لأبى الوليد ابن الفرضى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

(١٠) هو أبو عبد الله محمد بن عبدالله القضاعى البلنسى المتوفى سنة ٦٥٨ هـ (انظر مقدمة كتابه : إعتاب الكتاب ، تحقيق الأستاذ صالح الأشتر ، دمشق ١٩٦١) .

(١١) تاريخ الإسلام ، الورقة ١٨٥ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

١٤٧ ـ مختصر التكملة لوفيات النقلة[١] للمنذرى[٢] :

ذكره ابن تغرى بردى[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥] . ويبدو لى أن الذهبي اختصر كتاب التكملة ، من نسخة محيي الدين ابن سراقة الشاطبى المتوفى سنة ٦٦٢ هـ ؛ فقد وجدت خط الذهبي على المجلدة الثانية من كتاب التكملة المحفوظ فى مكتبة البلدية بالإسكندرية (رقم ١٩٨٢ د) ونصه : « نظره وعلق منه العبد محمد بن أحمد ابن الذهبي »[٦] .

١٤٨ ـ مختصر كتاب جامع بيان العلم وفضله[٧] لابن عبد البر :[٨]

ذكره ابن تغرى بردى[٩] وسبط ابن حجر[١٠] وابن العماد[١١] . ولا أعلم بوجود نسخة منه .

(١) حققته سنة ١٩٦٧ م فى سبعة مجلدات ، طبع منها ستة حتى الآن والمجلدات الباقيات تحت الطبع . وقد نلت به رتبة الماجستير من جامعة بغداد .

(٢) زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المنذرى المصرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ (انظر كتابنا : المنذرى وكتابه التكملة ـ النجف ١٩٦٨) .

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ . (٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٥) شذرات ، ج٦ ص١٥٦ .

(٦) راجع التفاصيل فى كتابنا : المنذرى ص ٢٩١ ومقدمتنا لكتاب التكملة ج١ ص٣٢ (النجف ١٩٦٩) .

(٧) طبع ، ومنه طبعة فى جزءين نشرتها المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (بدون تاريخ) .

(٨) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى المالكى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (الضبى : بغية ، ص ٤٧٤ ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ص ٤٠٧ ، ابن فرحون: الديباج ، ص ٣٥٧ ، ابن خلكان : وفيات ، ج ٨ ص٦٦ ـ ٧٢، الذهبي : تذكرة ، ج ٣ ص ١١٢٨، والعبر ، ج ٣ ص٢٥٥ ، ابن خاقان :مطمح ، ص ٦١) .

(٩) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ . (١٠) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(١١) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

١٤٩ ـ مختصر كتاب الجهاد[١] لبهاء الدين ابن عساكر[٢] :

ذكره الصفدى[٣] وابن شاكر الكتبى[٤] ولم نقف على نسخة منه .

١٥٠ ـ مختصر ذيل تاريخ بغداد لابن السمعانى :

ألف أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ذيلا[٥] على تاريخ بغداد للخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

ويبدو أنه كان بحجم تاريخ الخطيب أو أقل قليلا[٦] . وذكر سبط ابن

---

(١) ذكر الذهبي أن بهاء الدين ابن عساكر ألف كتابا فى الجهاد (تذكرة ، ج ٤ ص ١٣٦٨) وأظنه فى عداد المفقودات .

(٢) الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠هـ (ابن أبي الدم: التاريخ المظفرى ، الورقة ٢٣٠، المنذرى: التكملة ، م ٣ ص ٦ ، أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ٤٧ ، ابن الساعى: الجامع ج ٩ ص ١٢٨ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ الورقة ٩٣ – ٩٤، وتذكرة ، ج ٤ ص ١٣٦٨ ، والعبر ، ج ٤ ص ٣١٤ ، ودول الإسلام ، ج ٤ ص ٨٠ ، والسبكى : طبقات ، ج ٥ ص ١٤٨ (القاهرة ١٣٢٤) ، ابن كثير : البداية ج ١٣ ص ٣٨ ، ابن الملقن : العقد المذهب ، الورقة ١٦٣ ، الفاسى : ذيل التقييد ، الورقة ٢٥٠) .

(٣) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت ، ص ٢٤٣ .

(٤) عيون التواريخ ، الورقة ٨٧

(٥) لا نعرف اليوم عن هذا التاريخ شيئا سوى ما اختاره البندارى المتوفى سنة ٦٤٣هـ منه فى « تاريخ بغداد » (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٦١٥٢ عربيات)، وابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ (منه نسخة مصورة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى وأخرى فى خزانة كتبى ، وهو ليس كاختيار البندارى ، بل هو اختيار واختصار) ، وكان عند تاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ من هذا الذيل نسختان (انظر الطبقات، ج ٦ ص ١٢٩) .

(٦) انظر كتابنا : تواريخ بغداد ، ص ٨ (بغداد ١٩٧٤) ، وقد وصف السخاوى كتاب الخطيب بأنه فى « عشر مجلدات » ثم وصف كتاب السمعانى بأنه فى « عشر مجلدات فأقل » (الإعلان ، ص ٦٢٢) .

حجر أن الذهبي اختصره[١] وأشار هو إليه في مقدمة تاريخ الإسلام[٢] . وقد تقدم أن الذهبي اختصر كتاب الخطيب ، وسيأتي ذكر المختصر الذي عمله الذهبي على ذيل ذيل ابن السمعاني ، لابن الدبيثي وهو المعروف بالمختصر المحتاج إليه .

١٥١ ـ مختصر الرد على ابن طاهر لابن المجد :

هكذا ذكره سبط ابن حجر[٣] . وقد تبين لنا بعد البحث والتتبع أن أبا الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧ هـ[٤] قد ألف كتابا في « السماع » حاول فيه تبيان جواز السماع بكافة أنواعه ، واستدل على ذلك بالأدلة العقلية والنقلية[٥] ، وهي مسألة ناقشها العلماء المسلمون على مدى عصورهم[٦] . فألف سيف الدين أبو العباس أحمد ابن المجد عيسى بن عبد الله المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ[٧] كتابا في الرد على أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، قال الذهبي في ترجمة ابن المجد من تذكرة الحفاظ :

---

(١) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ (٢) ج ١ ص ١٦ (مطبوعة) .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ص ١٧٧ ، ابن خلكان : وفيات ، ج ٤ ص ٢٨٧ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١٠) ، وتذكرة ، ج ٤ ص ١٢٤٢ ، وميزان ، ج ٣ ص ٥٨٧ ، والعبر ، ج ٤ ص ١٤ ، الصفدي : الوافي ، ج ٣ ص ١٦٦ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٤ ص ١٨ ، العيني : عقد الجمان ، ج ١٥ ، الورقة ٦٨٤-٦٨٦ (مصورة القاهرة ١٥٨٤ تاريخ) .

(٥) ابن القيسراني : كتاب السماع . تحقيق أبي الوفا المراغي (القاهرة ١٩٧٠) .

(٦) انظر : الغزالي : إحيـاء علوم الدين ، ج ٢ ص ٢٦٧ ، القرطبي : تفسير ، ج ١٤ ص ٥٤ فما بعد .

(٧) الحسيني : صلة التكملة ، وفيات ٦٤٣ (كوبرلي ١١٠١) ، الذهبي : تذكرة ، ج ٤ ص ١٤٤٦ ، والعبر ، ج ٥ ص ١٧٤ ، ابن رجب : الذيل ، ج ٢ ص ٢٤١ ، ابن ناصر الدين : التبيان ، الورقة ١٥٥ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٥ ص ٢١٧ .

« ألف السيف رحمه الله تعالى مجلداً كبيراً فى الرد على الحافظ محمد بن طاهر المقدسى لإباحته للسماع وفى أماكن من كتاب ابن طاهر فى «صفة أهل التصوف» وقد اختصرت هذا الكتاب على مقدار الربع ، وانتفعت كثيراً بتعاليق الحافظ سيف الدين »[١] . ونقل زين الدين ابن رجب قول الذهبى هذا[٢] .

١٥٢ ـ مختصر كتاب الروضتين وذيله لأبى شامة :

ذكر الذهبى فى مقدمته لتاريخ الإسلام هذا الكلام على موارده أنه اختصر « تاريخ » أبى شامة[٣] . وقال سبط ابن حجر : « واختصر تاريخ أبى شامة[٤] » . ونحن نعلم أن شهاب الدين أبا القاسم عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسى الدمشقى المعروف بأبى شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ[٥] قد ألف كتابين فى التاريخ هما : « كتاب الروضتين فى أخبار الدلتين : النورية والصلاحية[٦] »

(١) تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ص ١٤٤٧

(٢) الذيل ، ج ٢ ص ٢٤١ قلت : ومن « تعاليق سيف الدين ابن قدامة » قطع فى المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ١٠٤ (فى الورقة ١ ـ ٥٦) إلا أن هذه التعاليق لاعلاقة لها بموضوع جواز السماع ، فهى ملتقطات فى بعض تراجم المقادسة ونتف من الأخبار والأحاديث .

(٣) ج ١ ص ١٦ (مطبوعة) .

(٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٥) الذهبى : تاريخ الإسلام ، (وفيات ٦٦٥ أيا صوفيا ٣٠١٣) ، وتذكرة ، ج ٤ ص ١٤٦٠ ، والعبر ، ج ٥ ص ٢٨٠ ، ابن كثير : البداية ، ج ١٣ ص ٢٥٠ ، ابن الجزرى : غاية ، ج ١ ص ٣٦٥ ، النعيمى : تنبيه ، ج ١ ص ٢٣ ، السبكى : الطبقات ، ج ٨ ص ١٦٥ ، اليونينى : ذيل ، ج ٢ ص ٣٦٧ ، اليافعى ، مرآة ، ج ٤ ص ١٦٤ ، ابن شاكر : فوات ، ج ١ ص ٥٢٧ ـ ٥٢٩ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٥٦٢ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٥ ص ٣١٨ .

(٦) طبع فى القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ .

و « كتاب ذيل الروضتين[1] » ولا ندرى فيما إذا كان الذهبى قد اختصر الكتابين ، أم أنه اقتصر على الأصل ؟ وإن كنا نرجح الأول لاشتهار تاريخ أبى شامة وشمول الكتابين ، أعنى الأصل والذيل ، ولإكثار الذهبى من النقل عن الاثنين من غير تمييز بحيث كان يطلق على نقوله عن أبى شامة لفظ « تاريخ » .

١٥٣ ـ مختصر كتاب الزهد للبيهقى[2] :

ذكره ابن تغرى بردى[3] وسبط ابن حجر[4] وابن العماد[5] . ولم نقف على مختصر الذهبى . ويعرف كتاب البيهقى بكتاب « الزهد الكبير » .

وقد ذكر بروكلمان أنه توجد نسخة منه فى مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة[6] . ووقفنا بأخرة على نسخة مصورة منه[7] .

---

(١) طبع فى القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ وسماه ناشره تجوزا « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » مع أن الكتاب فى الحوادث والوفيات ؟ .

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى النيسابورى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وقد مر التعريف به .

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧١ .

(٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٥) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٦) تاريخ التراث العربى ، ج١ ص١٦١٩ (بالألمانية) وانظر أيضاً مجلة جمعية المستشرقين الألمان ، م ٩٠ ص١١٣ .

(٧) فى خزانة شيخنا الحاج صبحى السامرائى ، صورت عن عارف حكمت ، وكان معهد المخطوطات قد صور نسخة منها لكنها لم تظهر فى فهارسه (من فوائد الحاج صبحى) .

١٥٤ ـ مختصر كتاب سلاح المؤمن لابن الإمام :

ذكره ابن حجر[١] وسبطه[٢] وابن تغـرى بردى[٣] وابن العماد[٤] وحاجى خليفة[٥] والبغدادى[٦] . وكتاب « سلاح المؤمن فى الأدعية المأثورة » لتقى الدين أبى الفتح محمد بن محمـد بن على بن همام المصرى الشافعى المعروف بابن الإمام المتوفى سنة ٧٤٥هـ[٧] قال فيه ابن الجزرى أنه « لم يؤلف مثله »[٨] وقد بوبه مؤلفه على واحد وعشرين بابا[٩] ، وقال ابن حجر : « اشتهر سلاح المؤمن فى حياة مصنفه ، ورأيت الذهبى قد ظفر به واختصره بخطه فى سنة نيف وثلاثين »[١٠] . واختصره غير الذهبى أيضا[١١] . ولم نقف على مختصر الذهبى .

---

(١) الدرر الكامنة ، ج٤ ص٣٢٤ .

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٤) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٥) كشف ، ج٢ عمود ٩٩٥ .

(٦) هدية العارفين ، ج ٢ عمود ١٥٤ .

الإسنوى : طبقات ، ج٢ ص١٤٦ ، ابن الجزرى: غاية ، ج٢ ص٢٤٥ ، ابن حجر: الدرر ، ج٤ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، ابن تغرى بردى: النجوم ، ج ١٠ ص١٤٦ ، ابن العماد شذرات ، ج٦ ص ١٤٤ .

(٨) غاية النهاية ، ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٩) نسخة السليمانية باستانبول (رقم ٢١٩) .

(١٠) الدرر ، ج٤ ص ٣٢٤ .

(١١) منهم شهاب الدين العريانى (ابن حجر : الدرر ، ج ٤ ص ٣٢٤ ، قال : (ورأيته بخطه وهو اختصار معتبر مستوف لمقاصده) ، وكمال الدين أحمد بن عمر ابن أحمد النشائى المتوفى سنة ٧٥٨ هـ (السبكى : الطبقات ، ج٩ ص١٩) .

١٥٥ ـ مختصر صلة التكملة لوفيات النقلة للحسيني :

ذكر ابن تغرى بردى وسبط ابن حجر وابن العماد أن الذهبي اختصر : « وفيات الشريف النسابة »[١] . وأخطأ أستاذنا العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد حينما ظن أن أصل الكتاب ، أعنى الوفيات ، لمحمد بن أسعد الجوانى الشريف العلوى النسابة المشهور المتوفى سنة ٥٨٨ هـ[٢] ، فالذى حفظناه عن أهل التواريخ أن الجوانى لم يؤلف كتابا فى « الوفيات » ولا عرف له اشتغال واسع بهذا الفن[٣] . والذى نعرفه أن هذا الكتاب لشريف آخر هو : عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسينى الحلبى ثم المصرى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ[٤] ، وقد ذيل به على كتاب « التكملة لوفيات النقلة » لشيخه أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وسماه « صلة التكملة لوفيات النقلة » ابتدأه من سنة ٦٤١ هـ[٥] ووقف به عند سنة ٧٦٤ هـ[٦] . وقال الذهبي فى ترجمته من تاريخ الإسلام فى وفيات سنة ٦٩٥ : « وله وفيات

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ ، سبط ابن حجر : رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ ، وشذرات ، ج٦ ص١٥٦ .

(٢) انظر مقدمة المختصر المحتاج إليه ، ج١ ص١٥ .

(٣) انظر تآليف الجوانى وأخباره فى : العماد الأصبهانى : خريدة ، القسم المصرى ج١ ص١١٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ص١٣٧ ، القفطى : المحمدون ، الورقة ٥١ ، المنذرى : التكملة ، م ١ ص ٣٢٥ ، ابن الصابونى : تكملة ، ص ١٠٠ العسجد المسبوك المنسوب للخزرجى ، الورقة ٩٧ ، ابن حجر : لسان ، ج ٥ ص ٧٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٦ ص١١٩ ، الزبيدى : التاج ، ج٩ ص ١٦٩ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٤٣ (أيا صوفيا ٣٠١٤) ، ابن الجزرى : التاريخ ، م٢ الورقة ٤٧ .

(٥) مع أن كتاب « التكملة » لا يقف إلا فى أثناء سنة ٦٤٢ هـ (انظر المجلد الثامن من الطبعة الماجستيرية بتحقيقنا) .

(٦) حاجى خليفة : سلم الوصول ، الورقة ١٣٠ (نسخة دار الكتب رقم ٥٢) .

ذيل بها على شيخه المنذرى إلى سنة أربع وسبعين وست مئة ، هذا الذى اتصل بنا ولعله ذيّل إلى حين وفاته ولم نره »[١] .

١٥٦ ـ مختصر الضعفاء لابن الجوزى :

قال الذهبى فى مقدمة كتابه « ميزان الاعتدال » عند الكلام على الكتب المؤلفة فى الضعفاء : « وصنف أبو الفرج ابن الجوزى كتابا كبيرا فى ذلك كنت اختصرته أولا »[٢] . وقال السخاوى فى الكتب المؤلفة فى الضعفاء : « وابن الجوزى ، واختصره الذهبى »[٣] .

١٥٧ ـ مختصر كتاب الفاروق فى الصفات لشيخ الإسلام الأنصارى[٤] :

ذكره ابن تغرى بردى[٥] وسبط ابن حجر[٦] وابن العماد[٧] ، وذكروا

(١) الورقة ٢٤٣ (أيا صوفيا ٣٠١٤) . وفى خزانة كتبى نسخة مصورة عن النسخة الفريدة المحفوظة فى مكتبة كوبرلى باستانبول (رقم ١١٠١) وهى مسودة المؤلف التى بخطه وعليها طبقة سماع على المؤلف مؤرخة فى سنة ٦٨٥ هـ وتوهم الدكتور لطفى عبد البديع حينما ظن أن النسخة ناقصة تقف عند سنة ٦٦٠ هـ لاضطراب أوراقها فهى كاملة إلى سنة ٦٧٤ هـ (فهرس المخطوطات ، ج٢ قسم١ ص١٦٣) .

(٢) ميزان الاعتدال ، ج١ ص٢ .

(٣) الإعلان ، ص ٥٨٧ . وقد أطلعنى العالم الفاضل الحاج صبحى السامرائى على ثلاث نسخ مصورة من كتاب « الضعفاء » لابن الجوزى فى خزانة كتبه ، عن المكتبة السعيدية فى الهند ، ومكتبة أحمد الثالث باستانبول ، ودار الكتب الظاهرية بدمشق .

(٤) هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن على الأنصارى الهروى المتوفى سنة ٤٨١ هـ . كان من كبار علماء الحنابلة بخراسان فى عصره ، وقد كتب محمد سعيد عبد المجيد الأفغانى رسالة دكتوراه عن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى » لم يوفه حقه فيها (القاهرة ، بدون تاريخ) . وكتابه « الفاروق فى الصفات » ذكره الذهبى (تذكرة ، ج ٣ ص ١١٨٤) وابن رجب (الذيل ، ج ١ ص ٥١) وابن ناصر الدين (التبيان ، الورقة ١٣٢) ، وغيرهم ، ولعله شرح لكتابه « الأربعون فى دلائل التوحيد » الذى رأينا نسخة مصورة صغيرة منه فى معهد إحياء المخطوطات (رقم ٤٣ حديث) .

(٥) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٧) شذارت ، ج ٦ ص ١٥٦

أنه هذبه . ولم نقف على نسخة من الأصل ولا المختصر .

١٥٨ ـ مختصر كتاب القدر للبيهقى[١] :

ذكره الصفدى[٢] وابن تغرى بردى[٣] وسبط ابن حجر[٤] وابن العماد[٥] وذكروا أنه فى ثلاثة أجزاء ، وقال ابن شاكر الكتبى : إنه فى مجلد[٦] . ولا نعرف اليوم نسخة منه ولا من أصله .

١٥٩ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبى عبد الله محمد بن سعيد ابن محمد بن الدبيثى :

ذيّل ابن الدبيثى[٧] فى تاريخه على « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » لأبى سعد السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . وعلى هذا الأساس كان يجب أن يكون عنوان الكتاب حتى ينطبق على نطاقه ونحواه « ذيل ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » . على أن الذى جاء فى أقدم النسخ الخطية التى كتبت فى حياة المؤلف هو « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » ويصح هذا العنوان تجوزا ، وهو الذى اشتهر عند المؤرخين من بعده . وقد سار ابن الدبيثى على خطة أبى سعد السمعانى

---

(١) توفى سنة ٤٥٨ وقد مر ذكره .

(٢) الوافى ، ج ٢ ص ١٦٤ ، ونكت الهميان ، ص ٢٤٣

(٣) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٤) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

(٥) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٦) عيون التواريخ ، الورقة ٨٧

(٧) توفى سنة ٦٣٧ هـ . انظر تفاصيل سيرته فى بحثنا : ابن الدبيثى ، المجلة التاريخية العدد ٣ بغداد ١٩٧٤ ، ص ١١ – ٢٥

ومن قبله الخطيب البغدادى فى نطاق التراجم و نوعيتها ووصل به إلى زمانه لكن نشرته الأخيرة تقف عند سنة ٦٢١ هـ [١] .

وقد أخذ شمس الدين الذهبي تاريخ ابن الدبيثى ولخصه فى نصفه تقريبا وذلك سنة ٧٠٤ هـ [٢] . وبقيت النسخة التى بخط الذهبي إلى يومنا هذا وهى محفوظة بدار الكتب المصرية [٣] .

وقد حافظ الذهبي فى اختصاره على شخصية المؤلف الأصلى ـ لكنه لم يذكر جميع التراجم بل انتقى منها ما تهوى إليه نفسه ، ولاسيما المحدثين فهو قد يترك شاعرا مشهورا أو كاتبا قديرا ولا يترك محدثا مغمورا [٤] . على أنه خرّج كثيرا من تراجمه وأضاف إليها لاسيما تلاميذ المترجَم . وقد أشار إلى ذلك بخطه على طرة المختصر ، فقال بعد ذكر عنوان الكتاب « وفيه زيادة فوائد فى التراجم له ولشيوخ آخرين » [٥] . وكتب الذهبى أغلب هذه التخريجات فى هامش النسخة ،

---

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : تاريخ بغداد لابن الدبيثى ، منهجه ، موارده ، أهميته . (بغداد ١٩٧٤ م) . وقد حققناه وعلقنا عليه وتبنت وزارة الإعلام العراقية نشره بنفقاتها فظهرت المجلد الأول منه سنة ١٩٧٤ م فى سلسلة إحياء التراث (رقم ٣٦) .

(٢) انظر الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، الورقة ١٣٢ (نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٢٤ تاريخ) .

(٣) رقم ٣٢٤ تاريخ وهى فى ١٣٢ ورقة . وقد صور المجمع العلمى العراقى نسخة مكبرة منه وضمها إلى خزانة كتبه ، وعلى هذه النسخة المكبرة حقق المرحوم الدكتور مصطفى جواد الكتاب فظهر الجزء الأول سنة ١٩٥١ ، ثم الجزء الثانى سنة ١٩٦٣ ، وما زال الجزء الثالث وهو الأخير لم يطبع بعد مع أن محققه قد أتمه قبل وفاته . وقد عهد المجمع أخيراً إلى عضوه العامل الدكتور ناجى معروف بالإشراف على طبعه لنشره . وهناك نسخة منه فى جامع الزيتونة بتونس لم يعرفها الدكتور مصطفى جواد (رقم ٥٠٣٨) وهى فى (٢٨٧) ورقة .

(٤) انظر مقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثى (م ١ ص ٥٥ من المقدمة) .

(٥) نسخة دار الكتب المصرية ، رقم ٣٢٤ تاريخ .

وقد أدخلها المحقق فى صلب الكتاب عند طبعه[١] .

١٦٠ ـ مختصر المدخل إلى كتاب السنن للبيهقى[٢] :

ذكره سبط ابن حجر[٣] ولا نعرف شيئا عن مختصر الذهبى[٤] .

١٦١ ـ مختصر كتاب المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم :

ذكره الصفدى[٥] والسبكى[٦] والزركشى والعينى[٨] وحاجى خليفة[٩] .

وقد حاول الحاكم فى مستدركه هذا أن يورد أحاديث على شرط البخارى ومسلم مما لم يذكراه فى صحيحيهما ، وأثار كتابه هذا نقاشا طويلا بين المحدثين امتد فترات طويلة تناولت صحة الأحاديث الواردة فيه ، لوجود عدد كبير منها ليست على شرط الصحة ، بل فيه أحاديث موضوعة[١٠] ، حتى قال الذهبى : « وليته لم يصنف المستدرك فإنه غض من فضائله بسوء تصرفه[١١] » .

---

(١) انظر مثلا ، ج ١ ص ٨ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ . . . إلخ .

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وقد مر .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٤) أما كتاب « المدخل إلى كتاب السنن » للبيهقى فقد أخبرنى شيخنا الحاج صبحى السامرائى فيما كتب إلىّ أن معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية قد صور نسخة منه عن نسخة مخزونة فى مكتبة الجمعية الآسيوية فى كلكتا .

(٥) الوافى ، ج٢ ص١٦٤ .

(٦) الطبقات ، ج ٩ ص١٠٥ ونقل منه فى ج٤ ص١٦٧ .

(٧) عقود الجمان ، الورقة ٧٩

(٨) عقد الجمان ، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١) .

(٩) كشف الظنون ، ج٢ عمود ١٦٧٢ .

(١٠) انظر تفاصيل ذلك فى ترجمة الحاكم من طبقات السبكى ، ج٤ ص١٦١–١٧١ ، وتذكرة الحفاظ ، ج٣ ص١٠٤٢ فما بعد وغيرهما .

(١١) تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ص ١٠٤٢ .

وطبع كتاب « المستدرك » وبهامشه مختصر الذهبي[١]، وبانت فيه براعة الذهبي في النقد وطول باعه في علم الحديث، ومن مطالعة تعليقاته وتخريجاته ونقداته يتبين أن الذهبي قد صحح نحو نصف أحاديث المستدرك وبين أن نصف النصف الآخر يصح سنده وإن كان فيه علة، أما الربع الأخير فهي مناكير وواهيات لا تصح، بل وفي بعضها موضوعات[٢].

١٦٢ ـ مختصر كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب[٣] للمراكشي[٤]:

ذكره الذهبي في ترجمة ابن تومرت المتوفى سنة ٥٢٤هـ من «تاريخ الإسلام» فقال: « ونقل عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي في كتاب المعجب الذي اختصرته أن ابن تومرت رحل إلى بغداد . . . »[٥].

١٦٣ ـ مختصر مناقب سفيان الثوري لابن الجوزي:

ذكره الذهبي في ترجمة أبي عبد الله سفيان الثوري من تذكرة الحفاظ فقال: « قلت: مناقب هذا الإمام في مجلد لابن الجوزي وقد اختصرته[٦] ».

ولا نعرف اليوم منه نسخة.

---

(١) طبع في مكتبة ومطابع النهضة الحديثة (الرياض، بدون تاريخ).

(٢) وقد جمع الذهبي هذه الموضوعات في تصنيف مستقل كما ذكرنا.

(٣) طبع، ومنها طبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م.

(٤) محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧ هـ (انظر مقدمة كتاب المعجب، والزركلي: الأعلام، ج ٤ ص ٢٣٦).

(٥) الورقة ١٦٢ (أيا صوفيا ٣٠١٠) وقارن الورقة ٢٦١ من نسخة حلب ١٢٢٠/٢

(٦) تذكرة، ج ١ ص ٢٠٦

١٦٤ ـ مختصر وفيات الأعيان[١] لابن خلكان[٢] :

ذكره الذهبى فى مقدمة تاريخ الإسلام[٣] .

١٦٥ ـ مختصر كتاب الوهم والإيهام الواقعين فى كتاب الأحكام لابن القطان[٤] :

١٦٦ ـ المستحلَى فى اختصار المحلَّى لابن حزم :

كتاب « المحلى[٥] » فى الفقه لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، عالم الأندلس فى عصره وأحد أئمة الإسلام المشهورين[٦] . وذكر الصفدى[٧] وابن شاكر[٨] والسبكى[٩] والزركشى[١٠]

(١) عنوان الكتاب الكامل هو « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان » وقد طبع مرات عديدة فى إيران وأوربا ومصر وبيروت وترجم إلى اللغة الإنكليزية ، وآخر طبعاته وأدقها هى طبعة المحقق الدكتور إحسان عباس .

(٢) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨٠هـ . انظر المقدمة التى كتبها له الدكتور إحسان عباس فى الجزء السابع من طبعته .

(٣) ج ١ ص ١٦ (مطبوعة) .

(٤) انظر أعلاه كلامنا على كتاب « الرد على ابن القطان » .

(٥) طبع كتاب المحلى فى أحد عشر مجلدا .

(٦) انظر ياقوت : إرشاد ، ج ٥ ص ٨٦ ، ابن حجر : لسان ، ج ٤ ص ١٩٨ وللذهبى رسالة فى سيرته نشرها الأستاذ سعيد الأفغانى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (م ١٦ ج ٩ ، ١٠) .

(٧) نكت الهميان ، ص ٢٤٣ ، والوافى ، ج ٢ ص ١٦٤

(٨) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦

(٩) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٥

(١٠) عقود الجمان ، الورقة ٧٩

وابن تغرى بردى[١] وسبط ابن حجر[٢] وابن العماد[٣] وحاجى خليفة[٤] والبغدادى[٥] أن الذهبي اختصره فى كتاب من ثلاثة أسفاره سماه «المستحلى». ونظرا لأهمية الكتاب فقد عنى به عدد من العلماء فاختصروه أيضا[٦]. ولا نعرف منه اليوم نسخة.

١٦٧ ـ معرفة التابعين من الثقات لابن حبان :

يعد كتاب « الثقات »[٧] لأبى حاتم محمد بن حبان التميمى البستى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ[٨] من أبرز الكتب المؤلفة فى « الثقات » . وقد رتبه مؤلفه على الطبقات وتناول فيه الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ورتب كل طبقة على حروف المعجم ، فقام الذهبي بتلخيص التابعين من كتابه ، وقد وقفت على

(١) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ . (٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠ .
(٣) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦ . (٤) كشف ، ج ٢ عمود ١٦١٧ .
(٥) هدية العارفين ، ج ٢ ص ١٥٥ .
(٦) منهم محيي الدين محمد بن على المعروف بابن العربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ وسماه « المعلى فى مختصر المحلى » ، وأبو حيان محمد بن محمد الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ وسماه : « الأنور الأجلى فى اختصار المحلى » . (انظر الصفدى : نكت ، ٢٨٣ ، ابن شاكر : فوات ، ج ٢ ص ٥٦١ ، أبا حيان : البحر المحيط ، ج ٢ ص ٣٤ والدكتورة الحديثى : أبو حيان ، ص ٢٤٠ – ٢٤١) .
(٧) رأيت منه مجلدا فى مكتبة أحمد الثالث رقم (٢٩٩٥) وهو قسم من المجلد الأول. وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلدان الثانى والثالث (رقم ٧١٠ ، ٧١١ تاريخ) والمجلد الثانى ينقص من أوله شيئا يسيرا حيث يبدأ بحرف الباء ، أما الثالث فكامل. وقد طبع الجزء الأول منه بحيدر آباد . وقد اعتمد الذهبي على كتاب ابن حبان اعتمادا عظيما فى كتابه : تاريخ الإسلام .
(٨) انظر الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ١٦ – ١٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) ابن حجر : لسان ، ج ٥ ص ١١٢ – ١١٥ وغيرها .

نسخة كاملة منه بخط المؤلف[1] ، قال فى أولها : « معرفة التابعين من الثقات لابن حبان ، وهو تلخيص من المجلد الثالث[2] من تاريخه ، فإذا كان الرجل معروفا كتبت اسمه مجردا وإذا كان ليس بالمشهور علقت قول المؤلف فيه » .

وقد حافظ الذهبى على ترتيب المؤلف وكتب تواريخ الوفيات بالأرقام وعلق على بعض التراجم . وقد اعتبر الذهبى ابن حبان من المتساهلين فى الجرح والتعديل[3] ، فابن حبان يعتبر جميع التابعين المذكورين فى كتابه صدوقين يحتج بهم ، فإذا وجد خبر منكر عن أحد الشيوخ من الذين ذكرهم فإن ذلك لا يتعدى خمسة أسباب هى :

١ ـ أن يكون فوق الشيخ المذكور فى هذا الكتاب شيخ ضعيف سوى الصحابة .

٢ ـ أن يكون دونه شيخ واه .

٣ أن يكون الخبر مرسلا لا تلزمنا به الحجة .

٤ ـ أو يكون منقطعا لا تقوم بمثله الحجة .

٥ ـ أو يكون فى الإسناد شيخ مدلس[4] .

وقد أخذ الذهبى عليه بعد تلخيص كتابه :

---

(١) لعل الذهبى استعمل نسخة تتكون من أكثر من ثلاثة مجلدات ، وإلا فإنه المجلد الثانى من نسخة الظاهرية هو الذى تضمن التابعين .

(٢) فى خزانة كتبى ، وهى مصورة عن نسخة الإسكوريال (رقم ١٦٨٩) وهى فى ٤٩ ورقة .

(٣) ذكر ذلك فى رسالته « من يؤتمن قوله فى الجرح والتعديل » وكما جاء فى فتح المغيث للسخاوى ، ص ٤٨٢ (ط . الهند) .

(٤) انظر الورقة ٢٧٦ (ظاهرية ٧١٠ تاريخ) .

١ ـ عدم الاستيعاب ، فقد فاته خلق من التابعين ، وذكر الذهبى أنهم مذكورون فى تهذيب الكمال لشيخه المزى .

٢ ـ إنه ذكر فى كتابه جماعة ذكرهم ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل لم يمسوا بجرح ، ثم قال : « نعم ، الذين ذكرهم كثير منهم لم يوثقوا أو كثير منهم لم يرو عن الواحد منهم غير واحد ، وهم على قسمين(١) : قسم روى عنه ثقة معروف بالتحرى فى الأخذ ، وقسم منهم دون ذلك يروون عن كل ضرب . وقسم منهم ثالث ضعفاء لا يُعرف ذلك التابعى إلا من جهتهم ، فالتابعى مجهول والراوى عنه واه فأنى يكون ذلك صدوقا أو مقبول الرواية ! ؟(٢) » .

١٦٨ ـ المقتضب من تهذيب الكمال للمزى :

قال شمس الدين السخاوى : « وللذهبى أسمـــاء من أخرج لهم أصحاب الكتب الستة فى تواليفهم سواها ممن لم يذكرهم فى الكاشف »(٣) . وقال البغدادى : « المقتضب من تهذيب الكمال للمزى »(٤) . فالذى يفهم من نص السخاوى أن الذهبى اختصر كتابا آخر من «تهذيب الكمال» للمزى، خاصاً بأسماء رجال مؤلفات أصحاب الكتب الستة الأخرى . ومعنى هذا أيضا أنه لم يتناول رجال الكتب الستة ، لذلك فهو لا علاقة له بكتابى « الكاشف » و « المجرد من تهذيب الكمال » اللذين مر ذكرهما .

(١) كان عليه أن يقول : ثلاثة أقسام .
(٢) راجع الورقة ٤٩ (نسختى المصورة) .
(٣) الإعلان ، ص ٦٠١ .
(٤) هدية العارفين ، ج ٢ ص ١٥٤ .

١٦٩ ـ المقتنى فى سرد الكنى :

ذكره الصفدى وسماه فى نكت الهميان «المقتنى فى الكنى»[١] . وفى الوافى «المقتنى من الكنى»[٢] ، وسماه سبط ابن حجر « المقتنى فى سرد الكنى »[٣] . اختصره الذهبى من كتاب « الكنى » لأبى أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابورى الكرابيسى المعروف بالحاكم الكبير المتوفى سنة ٣٧٨ هـ[٤]. وكتاب « الكنى » لأبى أحمد الحاكم فى أربعة عشر سفرا[٥] ، لكنه يصعب الكشف منه لعدم مراعاته ترتيب الكنى على المعجم ، لذلك قام الذهبى بعد اختصاره بترتيبه وزاده أشياء أخرى مما ليس فيه[٦] ، وفرغ من ذلك سنة ٧٣٧ هـ[٧] .

١٧٠ ـ المنتخب من تاريخ ابن النجار :

قال سبط ابن حجر : « وانتخب كثيرا من تاريخ ابن النجار فى مجلد»[٨] وتاريخ محب الدين أبى عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ هو « التاريخ المجدَّد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام

---

(١) ص ٢٤٣ . (٢) ج ٢ ص ١٦٤ .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) الذهبى : تذكرة ، ج ٣ ص ٩٧٦ ـ ٩٧٨ ، الصفدى : نكت ، ص ٢٧٠ ، والوافى : ج ١ ص ١١٥ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٣ ص ٩٣ .

(٥) رأينا منه نسخة خطية ناقصة فى خزانة كتب الأزهر وعند الحاج صبحى السامرائى مصورة منه ، وقد وصفه فى كتابه : الكمال فى تاريخ علم الرجال (مخطوط) .

(٦) انظر مقدمة نسخة فيض الله رقم ١٥٣١ . ومما تجدر الإشارة إليه أنه أضاف إليه فى آخره جزءا فى كنى النساء .

(٧) رأينا من كتاب « المقتنى » للذهبى نسخة فى المكتبة الأحمدية بحلب (برقم ٣٢٨) وأخرى فى مكتبة فيض الله باستانبول (رقم ١٥٣١) وثالثة فى مكتبة الأوقاف ببغداد (برقم ١ / ٩٧٢ مجاميع) . (وانظر حاجى خليفة : كشف، ج ٢ عمود ١٤٥٣).

(٨) ابن حجر : رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

ومن وردها من علماء الأنام » وهو تاريخ حافل يقع فى ثلاث مئة جزء حديثى ذيل به على تاريخ الخطيب البغدادى المتوفى سنة٤٦٣هـ ووصل به إلى زمانه[١].

١٧١ ـ منتقى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب[٢] لابن عبد البر :

ذكره الذهبي فى أثنـاء ترجمة أبى رفاعة العدوى من الطبقة الرابعة من « تاريخ الإسلام » ، فقـال : « أخباره فى الطبقات[٣] ، علقتها فى منتقى الاستيعاب[٤] » .

١٧٢ ـ المنتقى من تاريخ أبى الفدا[٥] :

قال السخاوى: « للمؤيد صاحب حماة تاريخ انتقى منه الذهبي[٦] » قلت: وتاريخ أبى الفدا يعرف بـ « المختصر فى أخبار البشر[٧] » أورد فيه شيئا من التواريخ القديمة ثم تناول التاريخ الإسلامى حسب السنين معتمداً ابن الأثير حتى سنة ٦٢٨ هـ وانتهى فيه إلى سنة ٧٢١ هـ.والأقسام الأخيرة منه هى الأكثر أهمية . ولم يصل إلينا انتقاء الذهبي .

---

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : تواريخ بغداد ، ص ١٢ فما بعد . وقد أتى الزمان على هذا السفر النفيس فلم يصل إلينا اليوم منه غير مجلدين: المجلد العاشر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والحادى عشر بدار الكتب الوطنية فى باريس ، وهما من أصل نسخة أظنها تتكون من خمسة عشر مجلدا ، وفى خزانة كتبي نسختان مصورتان لهذين الجزءين . وبقى من هذا الكتاب أيضا مجيليد انتقاه شهاب الدين الدمياطى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ سماه « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » منه نسخة بخطه .

(٢) كتاب الاستيعاب من المصنفات الجليلة فى الصحابة ، وقد طبع ، ومنها طبعة البجاوى فى أربعة مجلدات بالقاهرة (بدون تاريخ) .

(٣) لعله يريد طبقات ابن سعد (ج ٧ ص ٤٨ ـ ٤٩ ط . ليدن) .

(٤) ج ٢ ص ٢٥٤ (مطبوعة) .

(٥) الملك المؤيد أبو الفدا إسماعيل بن على الأيوبى صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ وقد مر ذكره .

(٦) الإعلان ، ص ٦٧٤

(٧) طبع أكثر من مرة منها طبعة استانبول سنة ١٢٨٦ هـ .

١٧٣ ـ المنتقى من تاريخ خوارزم لابن أرسلان الخوارزمى[١] :

نقل منه تقى الدين الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ فى « العقد الثمين » فقال فى ترجمة محمد بن أحمد بن أبى سعيد المكى المتوفى سنة ٥٣ هـ : « نقلت هذه الترجمة هكذا من خط الحافظ الذهبى ، فيما انتقاه المجلد الأول من تاريخ خوارزم للحافظ الرحّال محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى ، وذكر (الذهبى) أنه نحو من ثمانى مجلدات كبار[٢] » ، وذكره السخاوى عند كلامه على التواريخ المحلية فقال : « خوارزم ـ للإمام الحافظ أبى محمد محمود بن محمد بن عباس ابن أرسلان الخوارزمى صاحب كتاب « الكافى » فى الفقه عصرى أبى القاسم ابن عساكر وهو نحو ثمانى مجلدات ، انتقى منه الحافظ الذهبى[٣] » وذكر حاجى خليفة أن الذهبى اختصره[٤] . ولا نعلم فيما إذا كان انتقاء الذهبى من المجلد الأول منه كما ذكر تقى الدين الفاسى ، أم أنه انتقى من جميع الكتاب ؟ مع أن عبارة حاجى خليفة تفيد اختصاره لجميع الكتاب .

١٧٤ ـ المنتقى من مسند[٥] أبى عوانة[٦] :

سمعه ابن حجر على تقى الدين الصالحى المتوفى سنة ٨٠٣ هـ ، وقال : « وهو جزء كبير يشتمل على مئتين وثلاثين حديثا[٧] » .

(١) توفى سنة ٥٦٨ (انظر هامش الإعلان ، ص ٦٣٠) .
(٢) العقد الثمين ، ج ١ ص ٢٩٢ (٣) الإعلان ، ص ٦٣٠
(٤) كشف الظنون ، ج ١ عمود ٢٩٣
(٥) هو المسند المخرج على صحيح مسلم وملحق به إضافات ، وقد طبع فى حيدرآباد سنة ١٩٤٣ م باسم « مسند أبى عوانة » .
(٦) أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابورى ثم الأسفراييني الشافعى المتوفى سنة ٣١٦ هـ (الذهبى : تذكرة ، ج ٣ ص ٧٧٩ ـ ٧٨٠) .
(٧) المجمع المؤسس ، الورقة ٧٥ (نسختى) .

١٧٥ ـ المنتقى من مسند[1] عبد بن حميد[2] :

سمعه ابن حجر على أبى بكر بن إبراهيم ابن العز محمد ابن قدامة المقدسى المعروف بالفرائضى المتوفى سنة ٨٠٣ هـ فقال : « جزء فيه منتقى من مسند عبد بن حميد ، انتقاء الذهبى بسماعه على الحجّار[3] » .

١٧٦ ـ المنتقى من معجم يوسف بن خليل الدمشقى[4] :

جمع ابن خليل لنفسه معجما عن أزيد من خمس مئة شيخ ، قال الذهبى : « سمعته من ابن الظاهرى[5] » ، ونقل عنه كثيرا من تراجم أهل بغداد[6]

(١) لم يصل إلينا « مسند » عبد بن حميد ، لكننى رأيت انتخابات منه لأبى طاهر السلفى مصورة فى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى . وذكر سزكين مجموعة من المختارات منه (تاريخ التراث العربى ، ج١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤) . فلعل من بينها منتقى الذهبى هذا ؟ .

(٢) أبو محمد عبد بن حميد الكسى المتوفى سنة ٢٤٩ (الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٣٤ ، ابن حجر : تهذيب ، ج٦ ص٤٥٥ ـ ٤٥٧ وغيرهما) .

(٣) المجمع المؤسس ، الورقة ٤٩ (نسختى) . والحجار شيخ الذهبى ، هو أحمد ابن أبى طالب الديرمقرنى الصالحى شيخ الرواة ومسند عصره وأعظم رواة الجامع الصحيح للبخارى فى عصره على الإطلاق ، وكان من المعمرين ، ولد فى حدود سنة ٦٣٤ هـ وتوفى سنة ٧٣٠ هـ (الذهبى : أهل المئة ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ وتعليقنا عليها) .

(٤) الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقى نزيل حلب المتوفى سنة ٦٤٨ هـ كان أحد كبار المحدثين الحنابلة . وقد اشتهر برحلاته إلى بغداد ومصر وأصبهان ، وتفرد بأشياء كثيرة (الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٩١ ـ ٩٢ أيا صوفيا ٣٠١٣ ، ابن رجب : الذيل ، ج ٢ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، وابن العماد : شذرات ، ج٥ ص ٢٤٣) .

(٥) تاريخ الإسلام ، الورقة ٩١ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

(٦) انظر مثلا تاريخ الإسلام ، الورقة ٤ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١٥٣ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

والموصل[١] وأصبهان[٢] ودمشق[٣] ومصر[٤] ، وانتقى منه جزءا سمعه الحافظ ابن حجر العسقلانى « ت ٨٥٢ هـ » على حفيد الذهبى ، محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن عثمان (٧٣٢ ـ ٨٠٣ هـ[٥]) وعلى سبطه عبــــد القادر ابن محمد بن على بن عمر بن نصر الله بن عبد الله الدمشقى (٧٢٩ ـ ٨٠٣ هـ) ، فقال ذاكرا مسموعاته « وجزءا فيه منتقى من معجم يوسف بن خليل انتقاء الذهبى بسماعه على جده الذهبى المنتقِى المذكور ، قال : أخبرنا أبو العباس ابن الظاهرى ، قال : أخبرنا ابن خليل[٦] » .

١٧٧ ـ المنتقى من معجمى[٧] الطــبرانى الأوسط[٨] والــكبير[٩] ومن مسند المقلِّين لدعلج[١٠] :

رأيت قطعة منه فى الظاهرية[١١] ، وهى مجموعة أحاديث انتقاها الذهبى

(١) المصدر نفسه ، الورقة ١٠ ، ١٨ .

(٢) المصدر نفسه ، الورقة ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه ، الورقة ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٣٠ . . . إلخ . (٤) المصدر نفسه ، الورقة ٨ ، ١١ ، ٦٩ ، ١٢٨ .

(٥) المجمع المؤسس ، الورقة ١٥٥ (نسختى) .

(٦) المصدر نفسه ، الورقة ٩٩ (نسختى) .

(٧) فهرس الألبانى : معجم ، ولا يستقيم المعنى بها . (ص ٢٨٤) .

(٨) تناول الطبرانى فى معجمه الأوسط غرائب شيوخه . وقد رأيت القسم الأخير منه فى كوبرلى (رقم ٤٥٤) وقد صوره معهد إحياء المخطوطات ، ويقع فى ٣٣٣ ورقة وفى خزانة الحاج صبحى السامرائى نسخة منه .

(٩) وهو معجم خاص بأسماء الصحابة ، ونسخه كثيرة ، رأينا منه نسخة أحمــد الثالث (رقم ٤٦٥) . وفى خزانة الحاج صبحى السامرائى نسخة منه .

(١٠) دعلج بن أحمد بن دعلج ، أبو محمد السجزى الأصل البغدادى المتوفى سنة ٣٥١ هـ انظر : الخطيب : تاريخ بغداد ، ج ٨ ص ٣٨٧ ـ ٣٩٢ ، ابن الجــوزى : المنتظم ، ج ٧ ص ١٠ ـ ١٤ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢ ـ ٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(١١) وهى قطعة صغيرة فى سبع أوراق (تقع ضمن مجموع برقم ٧١) . وفى خزانة =

من هذه الـكتب الثلاثة وتـكلم عليها وعلى رواتها .

١٧٨ ـ المنتقى من معرفة الصحابة لابن منده :

عنى أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده العبدى الأصبهانى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ[١] بالصحابة فألف : « معرفة الصحابة[٢] » و « جزء فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين[٣] » . وقد انتقى الذهبى من كتاب « معرفة الصحابة » مجيليداً فى جزءين ، سمعه الحافظ ابن حجر على ابنه أبى هريرة عبـــد الرحمان ابن الذهبى ، فقـــال ذاكرا مسموعاته على أبى هريرة : « ومنتقى الذهبى من معرفة الصحابة ، فى جزءين ، سمعها على أبى القـــاسم ابن عساكر بإجازته من محمود بن إبراهيم بن منده ، قال : « أخبرنا أبو الخير الباغبان ، قال : أخبرنا عبدالوهاب بن أبى عبد الله بن منده ، قال : أخبرنا أبى[٤] » .

= الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة منها ، أما عن صحة نسبة هذا المنتقى فراجع الألبانى: فهرس ، ص ٢٨٤ هامش ١

(١) أبو نعيم : أخبار أصبهان ، ج ٢ ص ٣٠٦ ، الذهبى : ميزان الاعتدال ، ج ٣ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ وغيرها .

(٢) رأيت عند الحاج صبحى السامرائى قطعة من هذا الـكتاب مصورة عن الظاهرية (رقم ٣٤٤ حديث) ويبدو من هذه الأقسام الباقية أنه رتبه على حروف المعجم ، وأفرد الـكنى ثم النساء فى آخره .

(٣) رأيت نسخة مصورة منه فى خزانة الحاج صبحى السامرائى عن نسخة أحمد الثالث (ضمن مجموع برقم ٦٢٤) وكنت نقلت فوائد من رسالة للسيوطى اسمها « ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين » ضمن مجموع بدار الـكتب المصرية (رقم ٥٢١ مجاميع) فتبين أنه سلخ كتاب ابن منده فيها ، على عادته فى سلخ كثير من الـكتب ونسبتها إلى نفسه ـ رحمه الله ـ .

(٤) المجمع المؤسس ، الورقة ٨٨

١٧٩ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال:

انتقاه الذهبي من كتاب « منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال[١] » لشيخه الإمام أبى العباس أحمد ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . وقد ألف ابن تيمية كتابه هذا ردا على كتاب « منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة » تأليف الحسن بن يوسف بن على المعروف بابن المطهر الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ الذى صنفه للسلطان ألجياتو بن أرغون المعروف بخُدابَنْدَه « ٦٨٠ ـ ٧١٦ هـ » . وقال ابن تغرى بردى[٢] وسبط ابن حجر[٣] وابن العماد[٤] : « واختصر الرد على الرافضى لابن تيمية فى مجلد[٥] » .

١٨٠ ـ مهذب السنن الكبرى للبيهقى :

ذكره الصفدى[٦] وابن شاكر الكتبى[٧] والسبكى[٨] والزركشى[٩]

---

(١) طبع فى سنة ١٣٢١ هـ بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر فى أربعة أجزاء بعنوان : « منهاج السنة النبوية ، فى نقض كلام الشيعة والقدرية » ، والعنوان الذى ذكرناه أعلاه أصح نظرا لصلة الذهبي الوثيقة بابن تيمية ومعرفته بكتبه .

(٢) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٥) حققه ونشره محب الدين الخطيب ، وطبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٧٤هـ فى ٥٩٢ ص .

(٦) نكت الهميان ، ص ٢٤٣ ، والوافى ، ج ٢ ص ١٦٤

(٧) عيون التواريخ ، الورقة ٨٦

(٨) الطبقات ، ج ٩ ص ١٠٤

(٩) عقود الجمان ، الورقة ٧٩

والعينى[١] وابن حجر[٢] وسبطـــه[٣] وابن تغرى بردى[٤] والسيوطى[٥] وابن العماد[٦] وحاجى خليفة[٧] . هذبه من كتاب « السنن الكبرى[٨] » لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ﻫ الذى يعد من كتب الحديث النفسية المرتبة ترتيبا فقهيا[٩] . وقد جاء اختصار الذهبى على قدر نصف الكتاب الأصلى علماً أنه لم يختصر من أحاديث الكتاب شيئاً ، لكنه اختصر الأسانيد وأبقى من السند ما يعرف به مخرج الحديث . أما المتون فلم يحذف منهـا إلا قليلا من المكررات التى تكون فى أبواب قريبة من بعضها . وتكلم الذهبى على أسانيد الكتاب بنفائس تدل على تبحره بهذا الفن . ووضع رموزاً على الحديث لمن خرّجه من أصحاب الصحيحين والسنن الأربعة ، أما ما لم يرد فى هذه الكتب الستة فقد بين إسناده ومخرجه ، وطالب القارىء أن يرجع فيه إلى كتب الجرح والتعديل[١٠] .

---

(١) عقود الجمان ، الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١١) .

(٢) الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٤٢٦

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠

(٥) طبقات الحفاظ ، الورقة ٨٥ (نسخة البلدية بالإسكندرية ٨٢٢ ب) .

(٦) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٦

(٧) كشف الظنون ، ج ٢ عمود ١٠٠٧

(٨) طبع فى عشرة مجلدات بالهند (١٣٥٣–١٣٥٥ﻫ) . وأعيد نشره فى بيروت بطريقة الأوفست .

(٩) قال تاج الدين السبكى : « أما السنن الكبير فما صنف في علم الحديث مثله ، تهذيبا ، وترتيبا وجودة « الطبقات ، ج ٤ ص ٩

(١٠) فى خزانة كتبى نسخة نفيسة مصورة عن نسخة مكتبة مدينة الملحقة بطوبقبو سراى باستانبول ذات الأرقام ٢٥٨، ٢٥٩ ، ٢٦٠ لثلاثة أجزاء هى: الأول والثانى =

١٨١ – نبذة من فوائد تاريخ ابن الجزري[1] :

يعرف تاريخ ابن الجزرى بـ « حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه »[2] تناول فيه الحوادث والوفيات، وهو من التواريخ الحافلة الغنية بالمعلومات المفصلة[3]. وقال الذهبي فى ترجمة حياة بن قيس الحرانى الزاهد المشهور المتوفى سنة ٥٨١ هـ : « نقلت كثيرا من ترجمته من تاريخ صاحبنا

= والخامس ، كتبت سنة ٧٤٠هـ نقلا عن خط الذهبي. ومجموع أوراق الأجزاء الثلاثة ٨٣٤ ورقة . وقد طبع الكتاب باسم « المهذب فى اختصار السنن الكبير » بالقاهرة بعناية حامد إبراهيم أحمد ومحمد حسين العقبي (بدون تاريخ) طبعة رديئة على نسخة بدار الكتب المصرية (رقم ٤٦٧ حديث) . ولا أساس للعنوان الذى وضعوه للكتاب، فعنوان نسخة دار الكتب المصرية المذكورة « المهذب مختصر أسانيد السنن الكبرى » وهو عنوان لا يدل على فحوى الكتاب أيضا . والعنوان الذى ذكرناه أولا أصح عندنا لانطباقه على عمل الذهبي فى الكتاب من جهة ولوروده فى نسخة مكتبة مدينة المنقولة عن نسخة بخط المؤلف من جهة أخرى .

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى بكر الجزرى الدمشقى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٣٨٨ ، الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ، ص ٢٢ ، ابن كثير : البداية ، ج ١٤ ص ١٨٦ ، المقريزى : السلوك ، ج ٢ص٤٧١).

(٢) وقفت على قطعتين منه : القطعة الأولى فيها وفيات سنة ٦٨٩ – ٦٩٨ هـ فى المكتبة الوطنية بباريس برقم٦٧٣٩ عربيات فى ٢٩٧ ورقة وتراجمها حافلة وقد لخصتها بخطى سنة ١٩٦٥ . وقطعة أخرى ، وهو الجزء الأخير من تاريخه فيه الحوادث والوفيات من سنة ٧٢٦ وينتهى فى سنة ٧٣٨ وهى فى مكتبة كوبرلى باستانبول برقم ١٠٤٧ فى ٦٩٤ ص وقد اقتنيت نسخة مصورة منها . وتوهم الدكتور لطفى عبد البديع حينما قال إن تاريخ ابن الجزرى هو ذيل على تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي (فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ قسم ١ ص ٥٨) .

(٣) أخذ ابن الجزرى كثيرا من التراجم من « تاريخ » البرزالى لاسيما فى القسم الأخير منه . وقد أخذ كثيرا من أخبار الحوادث عن التجار وأرباب الولايات والمتصلين بالدولة . وقد استفاد منه كثيرا قطب الدين اليونيني فى الذيل الذى عمله على مرآة الزمان.

العدل الجليل شمس الدين أبى المجد محمد بن إبراهيم بن الجزرى ، وهو تاريخ مفيد استفدت منه أشياء مطبوعة لا تكاد توجد إلا فيه . وقد كنت انتخبت منه مجلدا هو الآن ملك الفقيه المحدث الأوحد صاحبنا صلاح الدين خليل بن كيكلدى الشافعى المذهب »[١] . وقد وصل إلينا هذا المجلد الذى انتخبه الذهبى بخطه ، ويظهر منه أنه علق على بعض تراجمه وتعجب لبعض الأخبار واعتبرها من الغرائب والعجائب مستعملا عبارات التمريض[٢] .

١٨٢ ـ النبلاء فى شيوخ السنة :

ذكره سبط ابن حجر[٣] وابن تغرى بردى[٤] وابن العماد[٥] وقالوا : « أخذه من كتاب ابن عساكر وزاده فوائد ومحاسن » وذكروا أنه فى مجلد. قلت : وكتاب أبى القاسم على بن الحسن المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ هو « المعجم المشتمل على أسماء الشيوخ النبل »[٦] ذكر فيه باختصار أسماء

---

(١) تاريخ الإسلام ، الورقة ٩١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) وقارن ، الورقة ٢ من نسخة رضا رامبور بالهند (رقم ٣٥٣٣) وتوفى صلاح الدين خليل بن كيكلدى سنة ٧٦١ هـ كما هو معروف .

(٢) نسختى المصورة عن نسخة كوبرلى (ذات الرقم ١١٤٧) .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨٠

(٤) المنهل الصافى ، الورقة ٧٠ .

(٥) شذرات ، ج ٦ ص ١٥٥

(٦) فى خزانة كتبى نسخة نفيسة مصورة عن نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٧٤٩ كتبت سنة ٦٣٥ هـ . وخزانة كتب الأوقاف ببغداد نسخة متقنة كتبت سنة ٦٩٧ هـ وعليها خطوط جماعة من الفضلاء (رقم ٩٦٣) . ومنه أيضا نسخة كاملة بدار الكتب الظاهرية رقم ٣٨٨ (٣١) حديث كتبت سنة ٧٠٤ وأخرى فى حيدر آباد بالآصفية رقم ١٧٢ رجال ونسخة ناقصة الآخر بدار الكتب المصرية رقم ٣٣٧ مصطلح .

رجال الكتب الستة ورتبه على حروف المعجم وذكر وفاة من وقع إليه، فأراده أن يكون كالمدخل إلى كتابه « الأطراف » . وتوهم أستاذنا الدكتور مصطفى جواد والأستاذ فرانتس روزنتال حينما خلطا بين هذا الكتاب وكتاب « سير أعلام النبلاء » للذهبي[1] .

اثنا عشر : التخاريج :

قام الذهبي بتخريج عدد كبير من معجمات الشيوخ والمشيخات والأربعينات والأجزاء الحديثية الكبيرة والصغيرة ، فكان يجمع الشيوخ أو ما حدثوا به من سماعات الشيخ المخرَّج له أو مقروءاته أو مُجازاته في مكان واحد، ويبين طرقها وأسانيدها ويتكلم على رواتها ، وهو ما يعرف بالتخريج[2] ، فمن ذلك :

أ . معجمات الشيوخ[3] :

١٨٣ ـ معجم شيوخ ابن البالسي :

هو العالم العدل المسنِد عماد الدين أبو المعالي محمد بن علي بن محمد بن البالسي الدمشقي الشروطي . ولد سنة ٦٣٨ هـ وتوفي سنة ٧١١ هـ. قال الذهبي في معجم

(١) راجع مقدمة المختصر المحتاج إليه للدكتور مصطفى جواد ، ج ١ ص ١٣ . وذكر روزنتال مخطوطة « سير أعلام النبلاء » التي في صنعاء باعتبارها هذا الكتاب (الإعلان ، ص ٦٠١ هامش ٦٧) .

(٢) انظر مقدمة كتاب « مشيخة النعال البغدادي » بتحقيقنا ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ١٩٧٥) ، ص ٢٢ فما بعد . ومقدمة كتاب الحافظ العراقي : تخريج أحاديث مختصر المنهاج (تحقيق الحاج صبحي السامرائي) ، (مخطوط) .

(٣) تختلف معجمات الشيوخ عن المشيخات بكون الأولى مرتبة وفق حروف المعجم بينما تتخذ المشيخات أشكالا أخرى . (انظر الهامش السابق) .

الشيوخ : « وجمعت له معجما نفيسا سمعه منـــه جماعة » [١] ، وقال ابن حجر : « وخرج له الذهبي معجما حدث به » [٢] وذكر سبط ابن حجر مثل هذا فى ترجمة الذهبي [٣] .

١٨٤ ـ معجم شيوخ ابن حبيب :

هو بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الدمشقى الأصل الحلبى المولود سنة ٧١٠ هـ والمتوفى سنة ٧٧٩ هـ [٤] . ذكر سبط ابن حجر أن الذهبي « خرّج معجما لابن حبيب » [٥] . وقد رأى شمس الدين السخاوى معجما لشيوخ ابن حبيب فى المدرسة المؤيدية بالقاهرة [٦] بخط الذهبي [٧] ، فلعـــله هو هذا الذى خرجه الذهبي له ؟ .

١٨٥ ـ معجم شيوخ علاء الدين ابن العطار :

هو المحدث المفتى الصالح علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود ابن سلمان الدمشقى الشافعى . ولد سنة ٦٥٤ هـ وتوفى بدمشق سنة ٧٢٤ هـ ، وهو أخو الذهبي لأمه من الرضاعة ، وهو الذى استجاز للذهبي سنة مولده فانتفع الذهبي بعد ذلك بتلك الإجازة انتفاعا شديدا ، قال الذهبي : «خرّجت له معجما» [٨] ، وقال ابن حجـــــر : « وخرّج له أخوه لأمه من الرضاعة الشيخ

---

(١) معجم الشيوخ م ٢ ، الورقة ٥٤ (٢) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٢٠١ .

(٣) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٤) ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ١١٣ ـ ١١٥ .

(٥) روثق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٦) بنيت هذه المدرسة سنة ٨١٩ هـ وهى من آثار القاهرة المشهورة ، (انظر السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٤) .

(٧) الإعلان ، ص ٦٠٦

(٨) معجم الشيوخ ، م ٢ ورقة ١ ، وانظر ذيل العبر ، ص ١٣٦ .

شمس الدين الذهبي معجما »[١]. وذكر مثل هذا سبط ابن حجر في ترجمة الذهبي من رونق الألفاظ[٢].

١٨٦ ـ المعجم العلي للقاضي الحنبلي :

وهو معجم خرجه الذهبي لقاضي القضاة أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٥ هـ[٣]. سمعه الحافظ ابن حجر على فاطمة بنت محمد بن أحمد ، أم الحسن الدمشقية التنوخية (٧١٢ ـ ٨٠٣ هـ) وذكر أنه في جزءين[٤].

ب ـ المشيخات :

١٨٧ ـ مشيخة التَّلِّي :

ذكرها الذهبي في معجم شيوخه ، فقال : « محمد بن أحمد بن تمام بن حسان الشيخ العالم المقرئ الصالح القدوة الزاهد بركة الوقت أبو عبد الله التلِّي الصالحي الخياط الحنبلي . ولد سنة إحدى وخمسين وست مئة . . . ثم انتقيت له مشيخة فسمعها خلق »[٥]. وذكر ابن حجر أن الذهبي خرّج له جزءا كبيراً وأنه توفي سنة ٧٤١ هـ[٦]، وقال الحسيني : « استوعب الذهبي شيوخه في جزء[٧] ».

(١) الدرر ، ج ٣ ص ٧٣ .

(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١ .

(٣) الذهبي : ذيل العبر ، ص ٨٥ ، ابن رجب : الذيل ، ج ٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦ ، ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٣ .

(٤) المجمع المؤسس ، الورقة ١٣٦ ـ ١٣٧ (نسختين) .

(٥) معجم الشيوخ ، م ٢ ، الورقة ٣١ .

(٦) الدرر ، ج٣ ص ٤٠١ ، وانظر ابن رجب : الذيل ، ج٢ ص ٤٣٣ .

(٧) الذيل على ذيل العبر ، ص ٢٢٠ .

١٨٨ ـ مشيخة الجعبرى :

هو صالح بن تامر بن حامد ، القاضى تاج الدين أبو محمد الجعبرى الشافعى الفرضى، ولد فى حدود سنة ٦٣٠هـ وتوفى سنة ٧٠٦ هـ[١] ذكر الذهبى أنه خرج له مشيخة[٢] .

١٨٩ ـ مشيخة ابن الزراد الحريرى :

ولد المسند **شمس** الدين محمد بن أحمد بن أبى الهيجاء ابن الزراد الحريرى الصالحى سنة ٦٤٦هـ وتوفى سنة ٧٢٦[٣] هـ . وذكر الذهبى فى ذيل العبر أنه خرّج له مشيخة[٤] ، وقال الصفدى: « خرجله الشيخ شمس الدين مشيخة[٥] ». وذكر الذهبى فى معجم شيوخه أن هذه المشيخة تقع فى جزء ضخم وهى عن مئة شيخ وأن ابن الزراد رواها مرات[٦] .

١٩٠ ـ مشيخة عز الدين المقدسى :

هو عز الدين[٧] أبو العباس أحمد ابن العماد عبد الحميد بن عبد الهادى المقدسى الصالحى الحنبلى المولود سنة ٦١٢ هـ والمتوفى فى محرم سنة ٧٠٠ هـ ، قال الذهبى فى معجمه : « وخرّجت له مشيخة فى ثلاثة أجزاء عُـدم بعضها فى أيام

(١) ابن حجر : الدرر ، ج٢ ص ٢٩٨ .
(٢) معجم الشيوخ ، م١ ، الورقة ٦١ .
(٣) ابن حجر : الدرر ، ج٣ ص ٤٦٦ ، ابن العماد : شذرات ، ج ٦ ص ٧٢ .
(٤) ذيل العبر ، ص ١٤٨ .
(٥) الوافى ، ج٢ ص ١٤٧ ، وأعيان العصر ، الورقة ١٣٧ .
(٦) معجم الشيوخ ، م٢ ، الورقة ٣٧ .
(٧) ذكره ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب (ج ٤ قسم ١ ص ٥) .

قازان[1] » ، وذكر فى تاريخ الإسلام أن الذى عدم منها جزءان[2] وذكرها سبط ابن حجر فى ترجمته للذهبى[3] .

١٩١ ـ مشيخة ابن القواس :

وخرج الذهبى مشيخة لشيخه المشهور ناصر الدين أبى القاسم وأبى حفص عمر بن عبد المنعم بن عمر الطائى الدمشقى المعروف بابن القواس المولود سنة ٦٠٥ هـ والمتوفى سنة ٦٩٨ هـ[4] . وذكر فى تاريخ الإسلام أنها مشيخة صغيرة[5] .

١٩٢ ـ مشيخة الكحال :

وخرج مشيخة لزين الدين أيوب بن نعمة بن محمد النابلسى الدمشقى المعروف بالكحال المولود سنة ٦٤٠ هـ والمتوفى سنة ٧٣٠ هـ[6] .

جـ ـ الأربعينات[7] :

١٩٣ ـ أربعون حديثا بلدانية[8] من المعجم الصغير للطبرانى :

رتب أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى المتوفى سنـــة

---

(١) معجم الشيوخ ، م١ ، الورقة ٩ .

(٢) تاريخ الإسلام ، الورقة ٣١٠ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٣) رونق الألفاظ ، ورقة ١٨١

(٤) الذهبى : معجم الشيوخ ، م٢ الورقة ١٦ ، والعبر ، ج٥ ص ٣٨٨ .

(٥) تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٦) ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص٤٦٤ .

(٧) راجع عن كتب الأربعينات كتابنا: المنذرى وكتابه التكملة ، ص ١٧٦ فما بعد.

(٨) ويقال فيها الأربعين البلدية ، ويراد بها أن يجمع المحدث أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً فى أربعين مدينة .

٣٦٠ ﻫ معجمه الصغير[1] على حروف المعجم فى أسماء مشايخه . وقد خرج الذهبى منه أربعين حديثا بلدانية تكلم على أسانيدها ومتونها . اقتنينا نسخة مصورة منها عن نسخة الخزانة التيمورية ذات الرقم ٤٣٨ حديث فى ٣٠ صفحة[2] . جاء فى مقدمتها بعد ذكر قراءته لمجموعة كبيرة من كتب الأربعينات لغيره من كبار العلماء : « وعنّ لى الساعة تخريج أربعين بلدية من المعجم الصغير لأبى القاسم الطبرانى فإنه أقدم الجماعة وأسندهم وأوسعهم رحلة وأسعدهم[3] . . . » .

١٩٤ ـ أربعون حديثا بلدانية من معجم ابن جميع الصيداوى[4] :

ومعجم ابن جميع الصيداوى مازال باقيا[5] . وقد ذكر الذهبى هذه الأربعين فى مقدمته للأربعين البلدانية التى خرجها من المعجم الصغير لأبى القاسم الطبرانى[6] .

---

(١) طبع المعجم الصغير للطبرانى ووقفنا على نسخة خطية أنفس من المطبوعة كتبت فى القرن السادس الهجرى بخط نسخى مجود للغاية عليها سماعات مؤرخة فى سنة ٥٨٥ ﻫ وهى من مقتنيات مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٤٦٤ .

(٢) وهذه النسخة عليها خط السيد الزبيدى صاحب تاج العروس يذكر فيها بعض الأسانيد فى رواية هذه الأربعين . وفى آخرها قراءة لمجموعة من الفضلاء لها على الزبيدى سنة ١١٨٩ بمنزله . كما أن فى آخرها خط العلامة يوسف بن شاهين الكركى المعروف بسبط ابن حجر والمتوفى سنة ٨٩٩ ﻫ .

(٣) الورقة ١ .

(٤) هو أبو الحسين محمد بن أحمد الغسانى الصيداوى ، ولد سنة ٣٠٥ ﻫ وتوفى سنة ٤٠٢ ﻫ (انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، الطبقة ٢٢ ، والعبر ، ج ٣ ص ٨٠ .

(٥) منه نسخة خطية فى المكتبة الأزهرية برقم ٣٢٦ مجاميع اقتنيت نسخة مصورة منها .

(٦) الورقة ١ (نسخة التيمورية ٤٣٨ حديث) .

١٩٥ ـ أربعون حديثا بلدانية من معجم شيوخ أبى بكر المقدسى[(١)] :

ذكرها الذهبى فى مقدمة الأربعين البلدانية التى خرّجها من المعجم الصغير لأبى القاسم الطبرانى ، فقال : « وكنت من نحو ثلاثين سنة تأملت معجم أبى بكر المقدسى فخرجت له من الكتاب أربعين حديثا فى أربعين مدينة[(٢)] » .

١٩٦ ـ أربعون حديثا بلدانية من معجم شيوخ[(٣)] ابن المقرىء[(٤)] :

ذكرها الذهبى فى ترجمة ابن المقرىء من تذكرة الحفاظ ، فقال : « وقد انتقيت من معجمه أربعين حـــديثا بلدية له[(٥)] » ، وقال فى تاريخ الإسلام : « وقد خرجت من معجمه أربعين حديثا عن أربعين شيخا فى أربعين مدينة سميتها » « أربعى البلدان لأبى بكر ابن المقرىء[(٦)] » .

١٩٧ ـ أربعون حديثا للأبرقوهى[(٧)] :

ذكر سبط ابن حجر أن الذهبى خرج أربعين حديثا للأبرقوهى[(٨)] .

---

(١) هو أبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم النابلسى المقدسى المتوفى سنة ٧١٨ هـ (ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٤٦٨) .

(٢) الورقة ١ (نسخة التيمورية ٤٣٨ حديث) .

(٣) ويعرف بالمعجم الكبير ، وقفنا على نسخة منه بدار الكتب المصرية تحمل الرقم ٢٧ م وهى ثمانية أجزاء فى مجلد واحد .

(٤) هو محدث أصبهان وإمامها أبو بكر محمد بن إبراهيم بن زاذان المعروف بابن المقرىء المتوفى سنة ٣٨١ هـ (الذهبى : تذكرة ، ج ٣ ص ٩٧٥ ، والعبر ، ج٣ ص ١٨ ـ ١٩ ، ابن العماد : شذرات ، ج٣ ص ١٠١) .

(٥) ج٣ ص ٩٧٥ . (٦) تاريخ الإسلام ، الورقة ١٦٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٧) مسند الوقت أبو المعالى أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهى . ولد سنة ٦١٥ هـ وتوفى سنة ٧٠١ هـ (الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٥ ، ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١١٠ ، الفاسى : العقد الثمين ، ج٣ ص ١٥) .

(٨) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١

١٩٨ ـ أربعون حديثا لابنه أبى هريرة عبد الرحمان :

ذكرها ابن حجر[١] .

د ـ كتب الثلاثيات[٢] :

١٩٩ ـ ثلاثون حديثا من المعجم الصغير للطبرانى :

قد ذكرنا أن الذهبى خرج أربعين حديثا بلدانية من المعجم الصغير للطبرانى وقد خرج هذه الثلاثين منه أيضاً وتكلم على رجال أسانيدها وعلى متونها . وقفنا على نسخة منها[٣] .

هـ ـ الأحاديث العوالى[٤] :

٢٠٠ ـ عوالى الشمس ابن الواسطى :

ذكر الذهبى فى معجم شيوخه الكبير أنه خرّج عوالى لشيخه المسند شمس الدين أبى عبد الله محمد بن على بن أحمد بن الواسطى الصالحى الحنبلى المولود سنة ٦١٥ هـ والمتوفى سنة ٦٩٩ هـ[٥] . وقال فى ترجمته من تاريخ الإسلام :

(١) الدرر : ، ج ٢ ص ٤٤٩ .

(٢) نسبة إلى جمع أو تخريج ثلاثين حديثا .

(٣) فى مكتبة شهيد على باشا باستانبول (رقم ١٧/٥٤٦) واقتنيت نسخة منها عن النسخة المصورة فى معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ١٨٧ حديث ومصطلح) .

(٤) العلو فى الحديث: ذكر منه ابن الصلاح خمسة أنواع أجلها القرب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسناد نظيف غير ضعيف (علوم الحديث ، ص ٢٣١ طبعة حلب ١٩٦٦) وراجع ابن جماعة : المنهل الروى ، الورقة ١٧ .

(٥) معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٥٢ .

« خرجت له عوالى فى جزء ضخم وخرج له ابن النابلسى مشيخة فى جزءين »[(١)]
وقال سبط ابن حجر : « وخرج عوالى الشمس ابن الواسطى »[(٢)] .

٢٠١ ـ عوالى الطاووسى :

هو أحمد بن عبد المنعم بن أبى الغنائم بن أحمد بن محمد الطاووسى نزيل دمشق . ولد سنة ٦٠١ هـ وتوفى سنة ٧٠٤ هـ ، قال الذهبى : « وسمع بحلب من ابن خليل وخرجت له عوالى فيها بالإجازة العامة عن الصيدلانى وأسعد بن سعيد وعفيفة[(٣)] » .

٢٠٢ ـ عوالى أبى عبد الله ابن اليونينى :

ذكر الذهبى فى معجم شيوخه الكبير أنه انتقى جزءا للشيخ محيى الدين أبى عبد الله عبد القادر بن على بن محمد اليونينى البَعْلِى المتوفى سنة ٧٤٧ هـ[(٤)] ، وذكر ابن حجر مثل هذا[(٥)] ، وقال سبطه : « وخرج عوالى لابن اليونينى »[(٦)] فيكون الجزء الذى ذكره الذهبى وابن حجر هو من الأحاديث العوالى .

٢٠٣ ـ العوالى من حديث مالك :

ذكره الذهبى فى ترجمة مالك بن أنس من تاريخ الإسلام ، فقال : « . . . وكذا أفردت ما وقع لى عاليا من حديثه فى جزء »[(٧)] .

---

(١) الورقة ٣٠٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤)أ .
(٢) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١
(٣) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ١٣ب ، أهل المئة فصاعدا ، ص ١٣٧ وتعليقنا عليها ، ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٢٠٦
(٤) معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٣ (٥) الدرر : ج ٣ ص ٤
(٦) رونق الألفاظ ، الورقة ١٨١
(٧) الورقة ٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

٢٠٤ ـ العوالى المنتقاة من حديث الذهبى :

وقفنا على نسخة من هذه العوالى بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٤٥١٢ عام وفى آخرها خطه .

و ـ الأجزاء :

٢٠٥ ـ الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الكبار :

وهو من تأليف المسند الرحلة أبى بكر بن أحمد بن عبد الدائم النابلسى المتوفى سنة ٧١٨ هـ (١) . وأبى محمد عيسى بن عبد الرحمان المطعِّم الدلال المتوفى سنة ٧١٩ هـ (٢) وأبى العباس أحمد بن أبى طالب الحجار المتوفى سنة ٧٣٠ هـ (٣) وتخريج الذهبى (٤) . وقد خرج الذهبى مجموعة من الأجزاء لعدد من المحدثين وهى :

٢٠٦ ـ جزء للقزوينى :

قال الذهبى فى ترجمة ركن الدين أبى العباس بن عبد المنعم بن أحمد القزوينى الصوفى المولود سنة ٦٠١ هـ والمتوفى سنة ٧٠٤ هـ : « انتخبت له جزءا رواه مرات » (٥) .

---

(١) ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٤٦٨

(٢) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ ، الورقة ١٨

(٣) قد تقدم ذكره بأنه كان أعظم رواة الجامع الصحيح فى عصره ، وتوفى سنة ٧٣٠ هـ .

(٤) فى خزانة كتبى نسخة مصورة منه عن نسخة دار الكتب المصرية (رقم ١٥٠٨ حديث) .

(٥) معجم الشيوخ ، م ١ ، الورقة ١٣٠ . وانظر ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٢٠٦

٢٠٧ ـ جزء لأبى بكر المرسى :

وخرج جزءا لمجد الدين أبى بكر بن محمد بن قاسم المرسى التونسى المولود سنة ٦٥٦ ﻫ والمتوفى سنة ٧١٨ ﻫ ، وقد حدث به المرسى[(١)] .

٢٠٨ ـ جزء لابن المحب المقدسى :

وذكر الذهبى فى معجم شيوخه أنه انتخب جزءا حسناً لأبى العباس أحمد ابن عبد الله بن أحمد المقدسى المعروف بابن المحب المولود سنة ٦٥٣ ﻫ والمتوفى سنة ٧٣٠ ﻫ[(٢)] ، وذكر مثل هذا فى معجمه المختص كما نقل ابن حجر[(٣)] .

٢٠٩ ـ جزء لابن الكُويك :

وخرج جزءا للإمام سراج الدين أبى الفرج عبد اللطيف بن أحمد بن محمود التكريتى ثم الإسكندرانى المعروف بابن الكويك المولودسنة ٦٩٠ ﻫ والمتوفى سنة ٧٣٤ ﻫ[(٤)] .

٢١٠ ـ جزء لأمين الدين الوانى :

قال فى ترجمة أمين الدين أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الوانى ثم الدمشقى الحنفى ، رفيقه وصاحبه ، المولود سنة ٦٨٤ ﻫ والمتوفى سنة ٧٣٥ ﻫ : « انتقيت له جزءا حدث به غير مرة »[(٥)] ، ونقل ابن حجر قول الذهبى هذا[(٦)] .

---

(١) ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ٤٩٣ — ٤٩٤

(٢) معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٧

(٣) ابن حجر : الدرر ، ج ١ ص ١٩١ — ١٩٢

(٤) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٥ ، وانظر ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ١٨ — ١٩

(٥) معجم الشيوخ ، م ٢ الورقة ٣٠ (٦) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٣٨٠

٢١١ ـ جزء على ابن جماعة الكنانى :

وانتقى الذهبي جزءاً على الإمام عز الدين أبي عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكنانى الحموى الشافعى المحدث الكاتب المشهور المولود سنة ٦٩٤ ﻫ والمتوفى سنة ٧٦٧ ﻫ[١] .

٢١٢ ـ أحاديث مختصر[٢] ابن الحاجب[٣] :

ذكره الصفدى[٤] وابن شاكر الكتبي[٥] وابن تغرى بردى[٦] وابن العماد[٧] .

٣١٣ ـ ثلاثيات ابن ماجة :

وهي تخريج للأحاديث المتصلة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بثلاثة رواة فقط مما ورد فى « سنن » أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ ﻫ ، وقفنا على نسخة منها[٨] .

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٢ وهذا انتقاء وتخريج فى الوقت نفسه.

(٢) مختصر ابن الحاجب من الكتب المشهورة فى أصول الفقه وعنوانه « منتهى السؤال والأمل فى علمى الأصول والجدل » وقد طبع .

(٣) أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب الفقيه المالكى النحوى المشهور المتوفى ٦٤٦ ﻫ (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ص ٢٤٨ ، الذهبي : العبر ، ج٥ ص ١٨٩ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٨٢ ، الحسينى: صلة التكملة ، وفيات ٦٤٦، (كوبرلى ١١٠١) ، الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٨٨ ، ابن الجزرى :غاية ، ج ١ ص ٥٠٨

(٤) نكت ، ص ٢٤٣ والوافى ، ج ١ ص ١٦٤

(٥) فوات ، ج ٢ ص ١٨٣ وعيون التواريخ ، الورقة ٨٦ وغيرها .

(٦) المنهل الصافى ، الورقة ٦٩ (٧) ابن العماد : شذرات ، ج ٦ ص ١٥

(٨) بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع (رقم ٥٩) كتبت فى حياة المؤلف سنة ٧٣٤ ﻫ .

٢١٤ ـ المنتقى من حديث تقى الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن المجد البعلى[١] :

وهى مجموعة الأحاديث المنتقاة من مرويات البعلى جمعها الذهبى وخرجها له فى جزء حدث به المخرّج له بعد ذلك . ولدينا نسخة[٢] مصورة منها .

ز ـ تخاريج متنوعة :

١ ـ ذكر الذهبى فى ترجمة القاضى شمس الدين أبى أحمد عبد الواسع ابن عبد الكافى الأبهرى الشافعى المولود سنة ٥٩٩ هـ والمتوفى سنة ٦٩٠ هـ أنه « خرّج عنه من ثلاثيات البخارى[٣] » .

٢ ـ وقال فى ترجمة الفقيه أبى عبد الله محمد بن عبد الملك الكواسى الموصلى أنه خرّج عنه من الثلاثيات أيضا[٤] .

٣ ـ وخرج فى غير موضع عن بدر الدين أبى على الحسن بن عبد الرحمن ابن محمد المراكشى ثم الدمشقى سبط العلامة شهاب الدين أبى شامة ، والمتوفى سنة ٧٢٢ هـ[٥] .

٤ ـ وخرّج أيضا عن شيخه محمد بن عبد الواحد بن عبد الرزاق الصالحى المعروف بالحكيم المتوفى سنة ٧١٩ هـ[٦] .

(١) نسبة إلى بعلبك ، فيقال البعلبكى والبعلى ، ولم أستطع الوقوف على ترجمته فى الوقت الحاضر .

(٢) بدار الكتب الظاهرية (ضمن مجموع برقم ٢٥) ، وهى نسخة كتبت عن نسخة المؤلف . ويظهر فى آخرها سماع على البعلى ، المخرجة له ، بتاريخ سنة ٧٤٣ هـ .

(٣) معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨٧ (٤) المصدر نفسه م ٢ الورقة ٤٤

(٥) معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٤٢ ، وانظر ابن حجر : الدرر ج ٢ ص ١٠٠

(٦) المصدر نفسه ، م ٢ الورقة ٥٠

الباب الثاني

منهج الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام



الفصل الأول

تنظيم الكتاب وأساليب عرضه

توطئة :

جعل الذهبي كتابه فى واحد وعشرين مجلداً راعى فيها أن تكون متناسقة من حيث عدد أوراقها ولم يراع فيها أية ناحية تنظيمية ولذلك لم يلتزم النساخ فيما بعد بتجزئة المؤلف هذه[1] .

وتناول فى كتابه الحوادث والتراجم ابتداء من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠ هـ . ووضع خطة عامة للكتاب قسمه بوجبها إلى وحدات زمنية أمدُها عشر سنوات أطلق عليها لفظ « الطبقة » . ورتب الحوادث حسب السنوات ، أما التراجم فاتبع فيها تنظيمات مختلفة . ولما كانت « الطبقة » هى الأساس الذى قامت عليه الخطة العامة للكتاب ، فقد أصبح لابد من دراسة تنظيم الكتاب استنادا إليها وتبيان مفهومها مقارنة بكتبه الأخرى وبمفهومها عند المؤلفين السابقين .

ولما كان الكتاب قد احتوى على الحوادث والتراجم بصورة منفصلة فقد أصبح لزاما علينا أن ندرس العلاقة التنظيمية بينهما ، ومن ثم دراسة تنظيم الحوادث وتنظيم التراجم ، كل على حدة ، ومحاولة التعرف على الأساليب التى اتبعها الذهبى فى عرض كل منهما ، ودراسة عناصر أسلوبه اللغوى والأدبى الذى عرض فيه مادته .

---

(١) انظر أعلاه الكلام على نسخ الكتاب .

أولا : الخطة العامة للكتاب :

أظهرت الدراسات الحديثة لكتب الطبقات التي سبقت تاريخ الإسلام للذهبي أنها لم تستعمل « الطبقة » كوحدة زمنية ثابتة ، بل كانت تعني اللقيا في الأغلب[٣] . وقد رتب الذهبي كثيرا من كتبه الرئيسة على الطبقات ، بالرغم مما في هذا النظام من بعض العيوب[٤] . لكن مفهوم الطبقة عند الذهبي يختلف

---

(١) راجع عن مفهوم الطبقة عند المؤلفين السابقين ، الدكتور أكرم العمري : مقدمة كتاب الطبقات لخليفة بن خياط ، ص ٤٥ فما بعد ، وبحثنا : مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ . (مجلة الأقلام ، العدد الخامس من السنة الأولى ، بغداد ١٩٦٥) .

(٢) لعل من أهم عيوبه الرئيسة هو عدم اتباع المصنفين تقسيما واحدا حيث يتباين عدد الطبقات بين مصنف وآخر ، فلم يعد بالإمكان أن نكتفي بالقول أن فلانا الفلاني في الطبقة الفلانية لأنه قد يكون في الطبقة السادسة عند مؤلف بينما هو في الطبقة الثامنة عند مؤلف آخر (انظر التفاصيل عند العمري : بحوث ص ١٨٦) . وحينما هذب أبو الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ كتاب « الكمال في معرفة الرجال » لعبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ أخذ المزي على مؤلف الأصل ترتيبه لكتابه على الطبقات ، لذلك غيره وجعله على حروف المعجم مبينا أسباب ذلك ، قال : « وقد كان صاحب الكتاب — رحمه الله — ابتدأ بذكر الصحابة أولا الرجال منهم والنساء على حدة ، ثم ذكر من بعدهم على حدة فرأينا ذكر الجميع على نسق واحد أولى ؛ لأن الصحابي ربما روى عن صحابي آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيظنه من لا خبرة له تابعيا فيطلبه في أسماء التابعين فلا يجده . وربما روى التابعي حديثا مرسلا عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فيظنه من لا خبرة له صحابيا فيطلبه في أسماء الصحابة فلا يجده ، وربما تكرر ذكر الصحابي في أسماء الصحابة وفيمن بعدهم ، وربما ذكر الصحابي الراوي عن غير النبي — صلى الله عليه وسلم — في غير الصحابة ، وربما ذكر التابعي المرسل عن النبي — صلى الله عليه وسلم — في الصحابة فإذا ذكر الجميع على نسق واحد زال ذلك المحذور ، وذكر في ترجمة كل إنسان منهم ما يكشف عن حاله إن كان صحابيا أو غير صحابي » (المزي : تهذيب الكمال ، م ١ ورقة ٥ نسخة دار الكتب المصرية) .

من كتاب إلى آخر ، حيث نجد أنه رتب كتابه « تذكرة الحفاظ[١] » الذى تناول فيه كبار حفاظ الحديث من الصحابة حتى عصره ، على إحدى وعشرين طبقة استنادا إلى اللقيا بين المشايخ، وهو بذلك لم يدخل سِنِى الوفيات باعتباره ، حيث نجدها متداخلة بين طبقة وأخرى ، وقد علل الذهبى ذلك بقوله فى ترجمة أبى الأحوص سلام بن سليم : « مات سنة تسع وسبعين ومئة مع مالك وحماد وإنما أخرته لأنه أصغر منهما قليلا، ولابد فى كل طبقة من مجاذبة الطبقتين وإلا فلو بولغ فى تقسيم الطبقات لجاءت كل طبقة ثلاث طبقات وأكثر[٢] » . أما كتابه الآخر « معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار[٣] » فقد جعله فى سبع عشرة طبقة فقط حسب اللقيا فى القراءة مع أنه تناول الفترة الزمنية نفسها التى تناولها كتابه « تذكرة الحفاظ » ومع أنه جعل الصحابة طبقتين . بينما رتب كتابه الثالث « سير أعلام النبلاء[٤] » على خمس وثلاثين طبقة علما أن الفترة الزمنية التى تناولها هى نفسها التى تناولها فى كتابيه السابقين .

ومن هذا الذى قدمنا يتضح لنا أن الذهبى لم يراع الوحدة الزمنية الثابتة فى جميع هذه الكتب . أما كتابه « المُعين فى طبقات المحدثين » فقد جعل الطبقات الأولى فيه تتخذ أسماء المشهورين فيها نحو قوله : « طبقة الزهرى وقتادة[٥] » و «طبقة الأعمش وأبى حنيفة[٦] » و « طبقة ابن المدينى وأحمد[٧] » ونحوها ، إلا أنه غير هذه الطريقة حينما وصل إلى مطلع القرن الثالث الهجرى

(١) انظر أعلاه كلامنا عليه فى آثار الذهبى .
(٢) الذهبى : تذكرة ج ١ ص ٢٥٠ .
(٣) انظر أعلاه كلامنا عليه فى آثار الذهبى .
(٤) انظر أعلاه كلامنا على آثار الذهبى .
(٥) الورقة ٧ من نسختى المصورة . (٦) الورقة ٨ (٧) الورقة ١٤

حيث أخذ يستعمل السنوات التقريبية فى الطبقة نحو قوله : « الطبقة الذين بقوا بعد الثلاث مئة وإلى حدود العشرين والثلاث[1] مئة » و « طبقة من الثلاثين وإلى ما بعد الخمسين وخمس مئة[2] » وهلم جرا . ويتبين من دراسة هـــذه الوحدات الزمنية التى ذكرها أن الطبقة قد تكون فى حدود عشرين سنة[3] أو خمس وعشرين[4] أو ثلاثين سنة[5] . وبذلك يتحدد مفهوم « الطبقـــة » عند الذهبى فى جميع الكتب المذكورة باللقيا بين المشايخ ، والتعاصر بين مجموعة من الناس .

ولكن الذهبى جعل الطبقة عشر سنوات فى « تاريخ الإسلام » فتألف كتابه من سبعين طبقة ، فهل يعنى هذا أنه وضع تحديدا زمنيا واضحا للطبقة مخالفا طريقته فى كتبه الأخرى ؟ علما أن عمله هذا لم يسبقه فيه أحد فيما نعلم . وقد دفع عمله هذا الباحثين المعنيين بعلم التاريخ إلى القول بأنه خالف الأقدمين الذين اعتبروا اللقيا أساس التقسيم على الطبقات ، بل خالف نهجه هو فى « تذكرة الحفاظ » الذى اعتبر فيه اللقيا ولم يعتبر الوفيات[6] .

على أننا لا نعتقد أن الذهبى خالف الأقدمين فى مفهوم الطبقة فقد استعملها بالمفهوم نفسه فى جميع كتبه الأخرى كما بينا قبل قليل ، بينما استعمل « الطبقة » فى « تاريخ الإسلام » لتدل على « العقد » وهو مفهوم يختلف عن المفهوم الذى أراده

---

(١) الورقة ١٩

(٢) الورقة ٣٢

(٣) الورقة ٢١ ، ٣٢

(٤) الورقة ٢٢ ، ٢٤

(٥) الورقة ٢٠ ، ٢١

(٦) انظر : روزنتال : علم التاريخ ، ص ١٢١ ، العمرى : بحوث ، ص ١٩١

فى كتبه الأخرى والذى جارى فيه الأقدمين . ومن ثم فإننا نعتقد أن ربط الشكل الذى اتبعه الذهبى فى «تاريخ الإسلام» بأدب الطبقات أمر يحتاج إلى إعادة نظر، بل يجب أن يربط ، فيما نرى ، بأدب التنظيم على السنين الذى يخضع لتعاقب السنين المفردة ، فتذكر مختلف الحوادث والوفيات فى كل سنة منفصلة عن الأخرى . وآيات هذا الذى نقـــوله ودِلالاته فى الترتيب الذى اتبعه الذهبى فى كتابه ؛ فقد رتب الحوادث على السنين مبتدئا بالسنة الأولى للهجرة ومنتهيا بسنة ٧٠٠ هـ ، وجعل حوادث كل سنة منفردة بنفسها ، ووضع لها عنوانا خاصا. وكان يفصل الحادثة عن الأخرى فى السنة الواحدة باستعماله لفظة «وفيها» أو يذكر الشهر الذى وقعت فيه نحو قوله : « وفى المحرم » أو « وفى رمضان » ونحوها ، وربما عيَّن اليوم ، لاسيما فى القسم الأخير من كتابه .

وعلى الرغم من أن الذهبى قسم كتابه إلى «عقود» ، وهو الذى أطلق عليه لفظة «طبقة» فإنه لم يلتزم بهذا التقسيم فى الحوادث إطلاقا ، ولو التزم به لـكان من المفروض أن يذكر حوادث الطبقة مندمجة ببعضها ، بل إنه لم يلتزم حتى بذكر حوادث كل طبقة ووفياتها بصورة منتظمة . وقد وصل إلينا ، لحسن الحظ ، قسم من تاريخه بخطه ، ومن دراسة هذا القسم تتبين صحة دعوانا : ففى المجلدين السابع [1] والثامن [2] اللذين أرخ فيهما ما بين سنتى ١٧١ – ٢٣٠ هـ ذكر حوادث « الطبقة » مرتبة حسب السنين ثم ذكر وفياتها ، ولـكن القسم الموجود من المجلد الثانى عشر [3] ليس فيه غـــير الوفيات من سنة ٣٥١ هـ إلى

(١) أيا صوفيا ٣٠٠٦ .

(٢) أيا صوفيا ٣٠٠٧ .

(٣) أيا صوفيا ٣٠٠٨ .

سنة ٤٠٠هـ ، وكذلك المجلد الثالث عشر[١] لم يحتو غير الوفيات من سنة ٤٠١هـ إلى سنة ٤٥٠ هـ ، أما المجلد الخامس عشر[٢] فترد فيه وفيات ٥٠١ ـ ٥٤٦هـ[٣] متسلسلة ثم حوادث السنوات ٥٠١ ـ ٥٥٠هـ متسلسلة فى مكان واحد أيضا[٤] ، والظاهر أنه اتبع هذه الطريقة ، أعنى : جمع حوادث كل مجلد فى مكان واحد ، فى جميع المجلدات ابتداء من المجلد الحادى عشر الذى يبتدئ من أول سنة ٣٠١هـ إلى نهاية المجلد الخامس عشر . ويبدو ـ أيضاً ـ أن المجلدات الأربعة المبتدئة بالمجلد الحادى عشر والمنتهية بالمجلد الرابع عشر قد احتوى كل مجلد منها ـ أيضاً ـ على حوادث خمسين سنة بصورة متتالية ، وهاك دلالات ذلك :

١ ـ على الرغم من عدم وصول المجلد الحادى عشر إلينا ، فإننا استطعنا من إشارة وردت عند السخاوى فى كتاب « الإعلان » أن نعرف أن المجلد العاشر من نسخة الذهبى الموقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة قد انتهى بنهاية المتوفين من الطبقة الثلاثين[٥] (٢٩١ ـ ٣٠٠ هـ) . ولما كان المجلد الثانى عشر

(١) أيا صوفيا ٣٠٠٩ .

(٢) أيا صوفيا ٣٠١٠ .

(٣) الورقة ٢ ـ ٤٦ من النسخة أعلاه .

(٤) الورقة ٤٧ فما بعد من النسخة أعلاه .

(٥) ذكر السخاوى عند الكلام على كتابه الذى جمعه على حروف المعجم وأصله من « تاريخ الإسلام » للذهبي أن هناك نقصاً يسيراً فى نسخة « تاريخ الإسلام » الموقوفة على المدرسة المحمودية ، وهى النسخة التى اعتمدها فى تجريد التراجم ، فقال : « وقد سقط من آخر الطبقة الثلاثين ، وهى سنة إحدى وتسعين ومئتين إلى آخر القرن ، وهو آخر المجلد العاشر : من ذكر محمود ابن أحمد بن الفرج إلى آخر الطبقة ولم يثبته البدر البشتكى فى النسخة التى بخطه بالباسطية فكأنه سقط قبل كتابته ، فيراجع من نسخة أخرى » ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨ .

قد وصل إلينا وهو يتناول الفترة من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٤٠٠هـ[١] فقد أصبح من الواضح أن الذهبي تناول في المجلد الحادي عشر الفترة الممتدة من سنة ٣٠١هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ . ولكن كيف عرفنا أنه تناول حوادث هذه الفترة مجتمعة ولم تصل إلينا أية قطعة من هذا المجلد الذي هو بخطه ؟ وجواب ذلك في النسخ التي نسخت عنها وحافظت على ذاتية الذهبي في بعض تنظيمه، فمن ذلك ـ مثلا ـ المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث برقم (٢٩١٧/١٥) والذي اختص بالحوادث فقط[٢] ، حيث نجد حوادث السنين (٣٠١ ـ ٣٥٠ هـ) قد سارت متناسقة ومتتابعة من غير وجود أي عنوان يدل على الذهبي تناول حوادث كل طبقة ـ مثلا ـ بصورة منفصلة[٣] ، بل إن الخط نفسه يتغير في بداية حوادث سنة (٣٥١ هـ) التي بدأها الناسخ بعنوان جديد وورقة جديدة . وعند تتبعنا لتنظيم هذا المجلد المحفوظ في مكتبة أحمد الثالث ومقارنته بما تبقى لنا من مجلدات بخط المؤلف نجده يضع بدايات للحوادث كلما انتقل من مجلد إلى آخر ، أو من مجموعة حوادث جمعها الذهبي إلى أخرى حيث بدأ حوادث سنة ٥٠١ هـ بالبسملة وبداية ورقة جديدة[٤] ، واستمر كلامه على حوادث السنين متناسقا حتى سنة ٥٥٠[٥] هـ . وفي مطلع القرن السابع بدأ الحوادث بصفحة جديدة ووضع لها

(١) أيا صوفيا ٣٠٠٨ ، وانظر أعلاه وصفه عند كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٠) .

(٢) انظر أعلاه كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٨) .

(٣) الورقة ١ ـ ٥٠ من النسخة أعلاه .

(٤) الورقة ١١٩ وقارن الورقة ١ ـ ٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٠) .

(٥) الورقة ١٦٧ .

عنوانا[١] ، ثم تناول حوادث عشرين سنة بصورة متتابعة ومتناسقة[٢] ، وهى الحوادث الموجودة على هذا الشكل فى المجلد الثامن عشر الذى وصل إلينا بخط المؤلف[٣]. ثم ابتدأ حوادث سنة ٦٢١ه ببداية جديدة ووضع لها عنوانا وسار به بصورة رتيبة إلى سنة ٦٥٠ ه[٤] ، وهو ما فعله الذهبى فى المجلد التاسع عشر من نسخته[٥] . وقد قال فى بداية حوادث ٦٥١ ه « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثتى ، ذكر الحوادث الكائنـــة فى هذه السنين العشر » [٦] وهذه هى عبارة الذهبى بنصها [٧] .

٢ ـ وهذا الذى ذكرته من المحافظة على الترتيب فى المجلد المحفوظ بمكتبة السلطان أحمد الثالث رقم (٢٩١٧ / ١٥) قد حافظ عليه ـ أيضا ـ ناسخ المجلد المحفوظ فى المكتبة الأحمدية بحلب رقم (١٢٢٠/١) والمتضمن حوادث السنوات (٣٠١ ـ ٥٠٠ ه)[٨] وصاحب النسخة المحفوظة فى مكتبة أحمد الثالث برقم (٢٩١٧ / ٤) والتى تبين لنا أنها انتقاء من « تاريخ الإسلام » [٩] .

(١) الورقة ٢٥٠ . (٢) الورقة ٢٨٠ .

(٣) الورقة ٢١٩ ـ ٢٥١ (أيا صوفيا ٣٠١١) . وانظر أعلاه وصف هذا المجلد فى الكلام على نسختنا الملفقة (رقم ١٩) .

(٤) الورقة ٢٨١ فما بعد .

(٥) الورقة ٢٢٧ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٦) الورقة ٣٣٣ .

(٧) الورقة ٢٩٥ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

(٨) انظر وصفه أعلاه فى نسختنا الملفقة (رقم ١٤) .

(٩) الورقة ٢٢١ ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الانتقاء كان فى حياة المؤلف سنة ٧٣٩ه . وقد تبين لنا نتيجة المقارنة الدقيقة أن المنتقى قد حافظ على ذكر الحوادث ولم يختصر فيها وأن الاختصار وقع فى تراجم غير المشهورين .

٣ ـ أما المجلد الثانى عشر فقد وصلت إلينا جميع تراجمه مسلسلة وهى تشمل وفيات السنوات (٣٥١ ـ ٤٠٠ هـ)[١] والظاهر أنه كان يحتوى على حوادث هذه الفترة ، فإضافة إلى ما قدمنا ذكره فى الفقرتين السابقتين من أدلة تنظيمية[٢] ، فإن وجود خط الصلاح الصفدى على طرة هذا المجلد بقراءة الحوادث خير دليل على ما نقول ، فالذى حفظناه من ترجمة الصفدى لشيخه الذهبى أنه قرأ عليه من « تاريخ الإسلام « المغازى والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مئة[٣] » فأين هى الحوادث التى قرأها الصفدى والتى وضع خطه على المجلد من أجلها ؟ . ثم يتكامل يقيننا بعد ذلك بجمع الذهبى لحوادث هذه الخمسين سنة فى مكان واحد حينما ننظر إلى تسلسل الوفيات فى هذا المجلد من سنة ٣٥١ هـ إلى سنة ٤٠٠ هـ ، من غير فجوة ولا انقطاع .

٤ ـ وقد وصلت إلينا جميع وفيات المجلد الثالث عشر متتابعة ، وهى وفيات السنوات (٤٠١ ـ ٤٥٠ هـ) ولم تصل إلينا حوادث هذه الفترة مع عدم توافر احتمال وجودها فى المجلدات الأخرى كما سيتضح بعد قليل .

٥ ـ ومما قدمنا من أدلة وتسلسل لمحتويات المجلدات التى كتبها الذهبى بخطه ووصول المجلد الخامس عشر إلينا ، وهو يتضمن وفيات السنوات من ٥٠١ هـ

---

(١) أيا صوفيا رقم ٣٠٠٨ .

(٢) وانظر أيضاً بداية الحوادث فى النسخة الحلبية رقم ١٢٢٠/١ لسنة ٣٥١ هـ (الورقة ٧٥) حيث يبدأ الناسخ بالبسملة والدعاء بالتيسير ثم يذكر حوادث السنوات متتابعة إلى سنة ٤٠٠ هـ ويبدأ حوادث سنة ٤٠١ هـ بورقة جديدة .

(٣) الصفدى : الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣ ونسكت الهميان ص ٢٤٢ . وانظر طرة المجلد الحادى والعشرين من نسخة المؤلف التى بخطه (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

إلى أثناء ٥٤٦ ﻫ وحوادث السنوات (٥٠١ ـ ٥٥٠ ﻫ)[١] ، يظهر لنا أن المجلد الرابع عشر الذى لم يصل إلينا ، كان يتناول حوادث ووفيات السنوات ٤٠١ ـ ٤٥٠ ﻫ .

٦ ـ ثم إن وجود حوادث السنوات (٥٠١ـ٥٥٠ ﻫ) فى المجلد الخامس عشر من نسخة المؤلف يقطع من غير شك احتمال وجود حوادث السنوات السابقة لهذه الفترة فى المجلدين السادس عشر والسابع عشر . ولما كانت الفترات الزمانية للمجلدات من الحادى عشر إلى الرابع عشر متساوية حيث اشتمل كل مجلد منها على خمسين سنة ، فإنه يبدو من غير المحتمل أن يكون أحد المجلدات قد تضمن من الحوادث ما هو زائد على نطاقه الزمانى .

أما المجلد الثامن عشر[٢] فقد أورد الذهبى فيه وفيات السنوات (٦٠١ ـ ٦٢٠ ﻫ) مجتمعة ثم أعقبها بذكر حوادث الفترة نفسها[٣] ، وقال فى نهاية الوفيات : « وقد انقضى ما انتهى إلىّ علمه من وفيات هؤلاء الذين انتقلوا إلى الله فى هذه العشرين سنة ، فلنشرع فيما وقع الاختيار عليه من حوادث هذه العشرين سنة ـ إن شاء الله ـ »[٤] بينما تناول المجلد التاسع عشر[٥] وفيات السنوات (٦٢١ ـ ٦٤٠ ﻫ) ثم أعقبها بحوادث السنوات (٦٢١ ـ ٦٥٠ ﻫ)[٦] وابتدأها بقوله: «ومن الحوادث»[٧]، ولم نجد وكما هو فى المجلدات الأخرى أيضاً

(١) انظر أعلاه وصف هذا المجلد فى كلامنا على نسختنا الملفقة (رقم ١٥) .
(٢) أيا صوفيا ٣٠١١ (٣) الورقة ٢١٩ ـ ٢٥١ من المجلد أعلاه.
(٤) الورقة ٢١٧ من المجلد أعلاه . (٥) أيا صوفيا ٣٠١٢
(٦) الورقة ٢٢٧ ـ ٢٧٠ منه . (٧) الورقة ٢٢٧ منه أيضا .

أى فاصل بين حوادث طبقة وأخرى[١]، ثم توكيده ذلك بقوله فى أول حوادث سنة ٦٤١ هـ من المجلد التاسع عشر ، وهى بداية الطبقة الخامسة والستين : « بسم الله الرحمن الرحيم : ومن حوادث المجلد العشرين عشر سنين »[٢] .

ولعل الذى يؤيد رأينا هذا ويزيده قوة هو أن الذهبى لا يقتصر فى إطلاق لفظ « الطبقة » على التراجم حسب ، بل يطلقه ـ أيضاً ـ على الحوادث وهى متسلسلة وبعيدة تماما عن مكانها ، فقد قال فى نهاية حوادث سنة (٥٥٠ هـ) من النسخة التى بخطه : « آخر الطبقة الخامسة والخمسين والحمد لله »[٣] ، فإذا كان مفهوم الطبقة يراد به تحديد جماعة من الناس فكيف يصح إطلاقه على الحوادث ؟ !

قد توصلنا إذن إلى أن مفهوم « الطبقة » فى كتاب « تاريخ الإسلام » يعنى « العقـــد » . ويحق للقارىء الباحث بعد كل هذا الذى أطلنا القول فيه ، ودللنا عليه أن يتساءل عن سبب تنظيم الذهبى كتابه على « عقود » فنقول عندئذ: إن ذلك لم يكن إلا لحاجة تنظيمية استشعرها الذهبى لاسيما فى الفترة الأولى من كتابه التى تمتد إلى سنة (٣٠٠ هـ) حيث لم تتوافر فيها لديه وفيات عدد كبير من المترجمين بصورة دقيقة . فلم يكن ليستطيع أن ينظم وفياتهم حسب السنين، وإذا ما رتبهم كذلك فإنه سوف يضطر لإعادة ذكر الشخص أكثر من مرة استنادا إلى الاختلاف الحاصل فى تاريخ وفاته ، وهى الطريقة التى اتبعها حينما

(١) انظر الورقة ٢٤٣ من النسخة الأصلية (غير المصورة) حيث تنتهى حوادث سنة ٦٣٠ هـ وتبدأ فى ظهرها حوادث سنة ٦٣١ هـ وهى بداية الطبقة الرابعة والستين .

(٢) الورقة ٢٥٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وقد انتهت حوادث سنة ٦٤٠ هـ وابتدأت حوادث سنة ٦٤١ هـ فى وجه الورقة نفسها .

(٣) الورقة ٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٠) .

نظم الوفيات على السنين اعتبارا من سنة (٣٠١ ﻫ). وقد أشار الذهبي إلى ذلك في مقدمة كتابه حينما قال: « ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي، بل اتكلوا على حفظهم، فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان أبي عبد الله الشافعي فكتبنا أسماءهم على الطبقات تقريبا »[١].

إن عدم توافر تواريخ وفيات المترجمين في الفترة الأولى من الإسلام بصورة دقيقة من جهة، وقلتهم من جهة أخرى[٢] دفعت الذهبي إلى أن يدمج الحوادث والتراجم في العقود الأربعة الأولى من « تاريخ الإسلام »، بل لم يظهر لفظ « الطبقة » في العقود الثلاثة الأولى إطلاقا، فقد انتقل من السنة العاشرة للهجرة إلى الحادية عشرة من غير إشارة إلى بدء طبقة جديدة[٣]، وانتقل من سنة عشرين إلى سنة إحدى وعشرين من غير ذكر للطبقة أيضا[٤]. أما الطبقة الرابعة (٣١ ـ ٤٠ ﻫ) فقد ذكر عنوانها ولم نجد فحواها وفائدتها، فقد خلط الذهبي الوفيات بالحوادث في هذا العقد خلط كتب الحوليات[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام، ج ١ ص ١٧ (مطبوعة).

(٢) اعتذر الذهبي عن قلة ما هو مذكور من التراجم في السنين الأولى من كتابه فقال في أثناء السنة الأولى للهجرة: « والسبب في قلة من توفي في هذا العام وما بعده من السنين أن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة إلى من بعدهم، فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز أو من هاجر إلى الحبشة. وفي خلافة عمر، بل وقبل، انتشر الإسلام في الأقاليم فبهذا يظهر لك قلة من توفي في صدر الإسلام وسبب كثرة من توفي في زمن التابعين ومن بعدهم » (الورقة ٧ سعودية) وقال في آخر سنة ٢٨ﻫ من كتابه: « وقل من مات وضبط موته في هذه السنوات كما ترى » ج ٢ ص ٨١

(٣) الورقة ٢٩٣ (سعودية).

(٤) الورقة ١٩٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) وانظر ج ٢ ص ٢٩ (مطبوعة).

(٥) ج ٢ ص ٩٥ ـ ٢٠٧ (مطبوعة).

ولننظر الآن إلى تنظيم الوفيات فى هذه السنين الأربعين ، إذا كان هناك من تنظيم ، ففى الفترة الواقعة بين (١ ـ ١١ هـ) ذكر الذهبى بعض الوفيات القليلة جدا ضمن الحوادث[١] بحيث لا يشعر الباحث بأهميتها وترجم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترجمة طويلة باعتبار وفاته حادثا من حوادث سنة ١١ هـ[٢]. وبعد أن تكلم على خلافة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ من ضمن حوادث هذه السنة وقصة الأسود العنسى ، وجيش أسامة ، وشأن أبى بكر مع فاطمة وأخبار الردة وما جرى فيها[٣]، ذكر وفاة فاطمة وبعض الصحابة[٤]، ولم يراع فى ذكر هذه الوفيات أى نوع من أنواع التنظيم، لا من حيث قدم الوفاة ولا من حيث الترتيب على حروف المعجم غير ورودها فى سنة ١١ هـ ، أما فى سنة ١٢ هـ فقد ذكر فيها من توفى فى وقعة اليمامة من غير ترتيب[٥] ، وذكر بعدها بعض الحوادث القصيرة[٦] ، ثم عاد إلى الوفيات ثانية[٧] ، ثم ذكر بعض الحوادث ، وهكذا نجد تباينا كبيراً فى التنظيم . وفى السنين التالية نجده يرتب بعض وفيات السنين على حروف المعجم كما هو فى سنة ثلاث عشرة[٨] ، وأربع عشرة[٩] ،

---

(١) انظر مثلا الورقة ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٨٣ ، ٨٥ . . . الخ (سعودية) .

(٢) الورقة ١ ـ ١٧٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) = ج١ ص ١٨ ـ ٣٣٦ (مطبوعة).

(٣) ج ١ ص ٣٣٦ ـ ٣٦٠ (مطبوعة) .

(٤) ج ١ ص ٣٦٠ ـ ٣٦٤ (مطبوعة) .

(٥) ج ١ ص ٣٦٤ ـ ٣٧٣ (مطبوعة) .

(٦) ج ١ ص ٣٧٣ (مطبوعة) .

(٧) ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥ (مطبوعة) .

(٨) ج ١ ص ٣٧٨ وإلى ج ٢ ص ٢ (مطبوعة) .

(٩) ج ٢ ص ٦ ـ ٩ (مطبوعة) .

وخمس عشرة[(١)]، وثلاثين[(٢)] ، ويدمج بعض الوفيات فى سنين أخرى بالحوادث أو يذكرها فى آخر الحوادث من غير ترتيب كما فى سنة ست عشرة[(٣)] ، وسبع عشرة[(٤)] وثمانى عشرة[(٥)] وتسع عشرة[(٦)] وعشرين[(٧)]، وإحدى وعشرين[(٨)]، وثلاث وعشرين[(٩)]، وأربع وعشرين[(١٠)] ، والسنوات من إحدى وثلاثين إلى أربعين[(١١)] ، فى حين لم يذكر فى بعض السنين أية ترجمة[(١٢)]. ولكنه ذكر من توفى فى خلافة عمر على التقريب فى سنة وفاته وهى سنة ٢٣ هـ ، ورتبهم على حروف المعجم[(١٣)]، ثم ذكر فى نهاية سنة ثلاثين من توفى فى خلافة عثمان تقريبا ونظمهم على حروف المعجم ـ أيضا[(١٤)] ـ ، مع أن عثمان قتل سنة ٣٥ هـ ، كما هو مشهور ، وقد ترجم له هناك ترجمة حافلة[(١٥)] .

(١) ج ٢ ص ١٣ – ١٧ (مطبوعة) .
(٢) ج ٢ ص ٧٤ – ٨٥ (مطبوعة) .
(٣) ج ٢ ص ٢١ (مطبوعة) .
(٤) ج ٢ ص ٢١ – ٢٢ (مطبوعة) .
(٥) ج ٢ ص ٢٢ – ٢٦ (مطبوعة) .
(٦) ج ٢ ص ٢٧ – ٢٩ (مطبوعة) .
(٧) ج ٢ ص ٣١ – ٣٩ (مطبوعة) .
(٨) ج ٢ ص ٤١ – ٤٤ (مطبوعة) .
(٩) ج ٢ ص ٥٠ – ٦٥ (مطبوعة) .
(١٠) ج ٢ ص ٧٦ (مطبوعة) .
(١١) ج ٢ ص ٩٥ – ٢٠٧ (مطبوعة) .
(١٢) ج ٢ ص ٧٨ ، ٧٨ – ٨١ ، ٨١ – ٨٣ ، ٨٤ – ٨٥ (مطبوعة) .
(١٣) ج ٢ ص ٦٦ – ٧٣ (مطبوعة) .
(١٤) ج ٢ ص ٨٦ – ٩٥ (مطبوعة) .
(١٥) ج ٢ ص ١٤٠ فما بعد (مطبوعة) .

من كل هذا الذى قدمنا يتضح لنا أنه لم يكن هناك تنظيم سار على نسق واحد على الإطلاق ، فى هذه الفترة الممتدة حتى سنة ٤٠ ﻫ ، ولم يكن للتراجم أى أثر واضح فى الكتاب يميزها عن الحوادث . وهذا هو الذى يفسر لنا سبب قراءة الصفدى لكتاب « تاريخ الإسلام » من أوله إلى آخر أيام الحسن ، ثم اقتصاره على الحوادث إلى نهاية الكتاب ، مع أن الصفدى لم يكن يريد أن يقرأ من هذا التاريخ على مؤلفه غير الحوادث كما يبدو[١] ، لأن تاريخ الإسلام حتى أيام الحسن لم يكن غير تاريخ حوادث، فيه بعض الوفيات ولم يكن بالإمكان فصل الحوادث عن الوفيات .

وابتداء من سنة ٤١ ﻫ وحتى سنة ٣٠٠ﻫ اتبع الذهبى تنظيما جديدا مغايراً لما سار عليه فى الفترة السابقة، فصار ينظم وفيات كل عشر سنوات على حروف المعجم ومن ثم فإنه لم يعتن بذكر وفيات المترجَمين داخل الطبقة دائما ، وأغفل وفيات عدد كبير منهم ، بسبب عدم معرفته بسنة وفاتهم على وجه الدقة ، فلو أخذنا أول طبقة فى هذا التنظيم الجديد وهى الطبقة الخامسة (٤١ — ٥٠ ﻫ) — مثلا — لوجدنا عدد المترجَمين فيها ٧٩ ترجمة[٢] ، لم يذكر غير تواريخ وفيات خمسة وعشرين منهم فقط ، أما الآخرون فقد تركهم غُفلا من تاريخ الوفاة ، أو حدد عصرهم تقريبا نحو قوله — مثلا — : « وعاش إلى دهر معاوية »[٣] ، و « توفى فى إمرة معاوية »[٤] ، و « مات وسط إمرة معاوية »[٥] ، و « توفى فى أول

(١) راجع الصفدى: الوافى ، ج ٢ ص ١٦٣، ونكت الهميان، ص ٢٤٢. وانظر أيضا أدناه كلامنا على وصف نسختنا الملفقة ولا سيما رقم ٢ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٩ — ٢٢

(٢) ج ٢ ص ٢١٣ — ٢٥٨ (مطبوعة) .

(٣) ج ٢ ص ٢١٣، وانظر أيضا ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥١ (مطبوعة) .

(٤) ج ٢ ص ٢٤١ (مطبوعة) .

(٥) ج ٢ ص ٢١٥ (مطبوعة) .

خلافة معاوية »[١] ، و « توفى فى صدر خلافة معاوية »[٢] ، و « توفى فى خلافة معاوية »[٣] ، و« بقى إلى هذا الوقت »[٤] . ولو أخذنا الطبقة العاشرة ـ مثلا ـ (٩١ ـ ١٠٠ هـ) لوجدنا أنه أورد فيها ٢٨٤ ترجمة [٥] ، لكنه لم يذكر سوى تاريخ وفاة ٨٥ ترجمة منها فقط ، وكتب الباقى على التقريب مستعملا فى بعض الأحيان العبارات الدالة على تعيين أوقاتهم التقريبية نحو قوله : « توفى فى خلافة الوليد »[٦] ، و «توفى فى آخر خلافة الوليد»[٧] ،و « توفى فى إمرة الحجاج »[٨] و « توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز » [٩] ونحو ذلك . وينطبق هذا الذى قلناه من عدم تقييد الوفيات ، إلا فى القلة ، على جميع الفترة الواقعة فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الذهبى ابتداء من سنة ٤١ هـ .

ومن ثم نلاحظ بعد كل ذلك تباينا كبيراً جداً بين كبار المؤرخين الذين نقل الذهبى عنهم تواريخ الوفيات فى ضبطها وتحديدها ، لا سيما فى غير المشهورين ، فإذا ما قدمنا أمثلة لاختلاف هؤلاء المؤرخين فى المشهورين جداً عرفنا مدى التباين الكبير فى غيرهم ، فهذا أبو موسى الأشعرى وتلك شهرته اختلفت موارد الذهبى اختلافا بينا فى تاريخ وفاته، فذكر الهيثم بن عدى أنه توفى سنة ٤٢ هـ ،

---

(١) ج ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٥٣ (مطبوعة) .
(٢) ج ٢ ص ٢٢٨ (مطبوعة) .
(٣) ج ٢ ص ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ (مطبوعة) .
(٤) ج ٢ ص ٢١٥ (مطبوعة) .
(٥) ج ٣ ص ٣٣٤ ـ ٣٧٠ ، ج ٤ ص ٢ ـ ٨٥ (مطبوعة) .
(٦) ج ٣ ص ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ج ٤ ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٥ (مطبوعة) .
(٧) ج ٤ ص ٣٠ ، ٧٦ (مطبوعة) .
(٨) ج ٤ ص ٤٦ (مطبوعة) .
(٩) ج ٣ ص ٣٥٩ ، ج ٤ ص ٥٢ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٧٨ (مطبوعة) .

ووافقه ابن منده ، وقال أبو نعيم الأصبهانى ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبو بكر ابن أبى شيبة وقعنب التميمى : توفى سنة ٤٤ هـ ، أما الواقدى فذكر أن وفاته سنة ٥٢ هـ ، وجعلها المدائنى سنة ٥٣ هـ[١] . وهذا سعيـــد بن المسيب عالم أهل المدينة بلا مدافعة تختلف جل موارد الذهبى فى وفاته ، فيذكر الهيثم بن عدى وسعيد بن عفير ومحمد بن عبد الله بن نمير أن وفاته سنة ٩٤ هـ ، ويذكر أبو نعيم الأصبهانى وعلى ابن المدينى أنها سنة ٩٣ هـ ، ويقول يحيى ابن القطان : إنها سنة ٩١ أو سنة ٩٢ هـ ، وينقل الذهبى عن محمد بن سواء عن همام عن قتادة أنه توفى سنة ٨٩ هـ ثم ينقل عن أبى عبد الله الحاكم النيسابورى قوله : « فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفى سنة خمس ومئـــة »[٢] . وهذا عروة بن الزبير ابن العوام الإمام الفقيه المشهور نقل الذهبى عن أبى نعيم وابن المدينى وخليفة : أنه مات سنة ٩٣ هـ ، ونقل عن الهيثم بن عدى والواقدى وأبى حفص الفلاس : أنه توفى سنة ٩٤ هـ ، ونقل عن يحيى بن بكير : أنه توفى سنة ٩٥ هـ[٣] . ومثل هذه الأمثلة كثيرة جدا ، بل هى الصفة الغالبة على (تاريخ الإسلام) فى هذه الفترة ، فكيف يستطيع الذهبى بعد كل هذا أن يرتب التراجم حسب السنين ؟ ولذلك اخترع « العقد » وسماه « طبقة » بحيث تستوعب السنوات العشر كثيراً من مثل هذا الاختلاف . ومن أجل أن يقدم للقارئ تسهيلا فقد ذكر أسماء بعض الأعلام فى أول حوادث السنة التى رجح وفاتهم فيها .

---

(١) ج ٢ ص ٢٥٨ (مطبوعة) .

(٢) ج ٤ ص ٧ (مطبوعة) .

(٣) ج ٤ ص ٣٤ (مطبوعة) وانظر بعض الأمثلة فى الفترات التالية الورقة ١٢١ ، ١٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

وابتدأ من سنة ٣٠١ هـ وإلى نهاية الكتاب غير الذهبي تنظيمه مرة أخرى فصار يذكر وفيات كل سنة بصورة مستقلة مرتبا تراجم السنة الواحدة على حروف المعجم ، وذاكرا المتوفين على التقريب فى نهاية كل « طبقة » .

ويحق للباحث الذى قرأ ما حبرناه قبل قليل أن يتساءل : كيف استطاع الذهبى أن ينقل تنظيم كتابه هذه النقلة بين سنة وأخرى ؟ وكيف تمكن من حل الإشكالات الكثيرة والمصاعب الجمة التى واجهته فى ضبط الوفيات والخلف الذى بينها ؟ فنقول عندئذ :

١ — من المعلوم عند أهل العلم بالتاريخ أن التدوين فى هذه الفترة قد ازداد ازديادا عظيما[١] ، ولذلك توافرت مادة جيدة فى الوفيات[٢] ، وقد أشار الذهبى إلى ذلك فى مقدمة كتابه فقال بعد الذى ذكره من عدم اعتناء المتقدمين بضبط الوفيات : « ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة إلى معرفتنا لهم ، فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين »[٣] .

---

(١) انظر عن انتشار التدوين والصراع الذى جرى قبل هذا بسبب تفضيل الروايات الشفوية والحفظ عليه ، والمفاضلة بينه وبين الحفظ : بحث الدكتور صالح العلى « المحاضرات الشفهية » وبحثه الآخر : « مواد الكتابة » وكلاهما مكتوب بالآلة الكاتبة ببغداد سنة ١٩٧٣ ، وبحث الأستاذ كولتسيهر عن « الصراع حول مكانة الحديث عند المسلمين »
Goldziher Kampfe um die Stellung des Hadith im Islam
(ZDMG Band 61 P . 860)
المنشور فى مجلة جمعية المستشرقين الألمان (ZDMG) م ٦١ ص ٨٦٠ فما بعد .

(٢) من المناسب أن أشير هنا إلى أنه بجانب كثير من الكتب المؤلفة فى علم الرجال نجد القرن الرابع يشهد التأليف بكتب « الوفيات » ؛ فقد ألف كل من عبد الباقى ابن قانع البغدادى المتوفى سنة ٣٥١ هـ ومحمد بن عبدالله بن زبر الدمشقى المتوفى سنة ٣٧٩ كتابيهما فى « الوفيات » ، انظر بحثنا : كتب الوفيات ، ص ٢٤٠

(٣) ج ١ ص ١٧ (مطبوعة) .

وهكذا توافرت للذهبي مادة غنية ودقيقة نسبيا من تواريخ وفيات المترجمين وإن ظلت طائفة منهم مجهولة عنده وعند غيره من المؤرخين .

٢ ـ ومن دراسة هذا القسم من الكتاب يتبين لنا أن الذهبي قد تمكن أن يتبع منهجا تنظيميا يخفف فيه كثيرا من عدد الذين لم يستطع التثبت من تواريخ وفياتهم ، ويزيل كثيراً من الإرباك الذي يتأتى من كثرة المذكورين في آخر الطبقة على التقريب ، وذلك بأن ينظم بعضا من هؤلاء في وفيات السنة التي كان لهم آخر ذكر فيها ، بعد أن صرح في غير موضع من كتابه بأنه لم يعرف وفاتهم يقينا ، وأنه إنما كتبهم في وفيات السنة على التقدير[١] ، ونسبه على ذلك بعبارات دالة نحو قوله : « حدث في هذه السنة[٢] » و« حدث في شوال من هذه السنة[٣] » ، و « لم تضبط وفاته وإنما حدث في هذه السنة[٤] » ، و « حدث في هذا العام ولعله مات فيه[٥] » ، و « حدث في هذه السنة وتوفي بعدها[٦] » ،

---

(١) انظر مثلا الورقة ١١٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) قال : « قلت : هو والذي قبله لا أعرف وفاتهما يقينا » ، والورقة ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) قال : « لا أعلم تاريخ موته وإنما كتبته هنا اتفاقا » والورقة ١٣٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

(٢) انظر مثلا الورقة ٨٧ ، ١١٣ ، ١٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ١١٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) والورقة ٥ ، ١٢ ، ٣٣ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٦٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .

(٣) الورقة ١٦٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٤) الورقة ١٣٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٤٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٥) الورقة ١٢٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٦) الورقة ٣٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١٨٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

و « حدث فى السنة ولم يذكروا وفاته[١] » ، و « حدث بنيسابور فى هذه السنة وتوفى بعد ذلك[٢] » ، و « حدث فى هذا العام ولم تعرف وفاته[٣] »، و «حدث فى هذه السنة ، وانقطع خبره[٤] » ، و « حدث فى أواخر سنة تسع وأظنه توفى سنة عشر[٥] » ، و « توفى بعد سنة سبع[٦] » ، و « انقطع خبره من هـذا العام[٧] » ، و « توفى فى حدود هذه السنة[٨] »،و « سمع منه فى هذا العام[٩] »، و « سمع منه فى هذه السنة ولم تؤرخ وفاته[١٠] » ، و « أجاز للخولانى فى هذه السنه[١١] » ، و « كان حيا فى هذه السنة[١٢] » ، و « بقى إلى بعد هذا العام بيسير[١٣] »، و « بقى إلى هذا العام[١٤] »، و «كان حيا فى هذا الوقت ولم أر له تاريخ وفاة »[١٥] ونحوها .

(١) الورقة ٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٢) الورقة ١١ من النسخة السابقة .
(٣) الورقة ٨٧ من النسخة السابقة ، والورقة ١٢٨ ، ١٢٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .
(٤) الورقة ١٤٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) ، والورقة ٣٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .
(٥) الورقة ٤٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) وقد ذكره فى سنة عشر (يعنى ٣١٠) .
(٦) الورقة ٣٣ من النسخة السابقة . علما أنه ذكره فى سنة ٣٠٧ .
(٧) الورقة ١٨٣ ، ١٩٣ من النسخة السابقة .
(٨) الورقة ٢٠ من النسخة السابقة .
(٩) الورقة ٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .
(١٠) الورقة ١٣١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .
(١١) الورقة ٢٣٩ من النسخة السابقة .
(١٢) الورقة ١٨ ، ١٨٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩)
(١٣) الورقة ٦٣ من النسخة السابقة .
(١٤) الورقة ٧٢ ، ٧٦ ، ١٠٠ من النسخة السابقة ، والورقـة ١٩٢ ، ١٩٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .
(١٥) الورقة ١٨٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) .

٣ ـ وقد رأينا الذهبي دائما يحاول أن يجد وحدات زمنية يتسع نطاقها لتشمل أولئك المتوفَّين على التقريب، وهنا وجد هذه الوحدة الزمنية أيضا، فوضع غير المعروفين منهم فى نهاية كل عقد وميزهم بعناوين تحمل العبارات الدالة على عدم تمكنه من ضبط تاريخ وفاتهم نحو قوله : « ذكر من لم أعرف تاريخ موته من أهل هذه الطبقة كتبتهم على التقريب[١] » ، أو « من كان حيا فى هذا الوقت ، ولم أعرف تاريخ وفاته فكتبتهم تخمينا لا يقينا[٢] » ، أو « من لم تحفظ وفاته وله شهرة كتبناه تقريبا[٣] » ، أو « المتوفون فى عشر السبعين وثلاث مئة تقريبا لا يقينا[٤] » أو « ممن كان فى هذا الوقت[٥] » أو « المتوفون بعد الأربع مئة ظنا[٦] » أو «المتوفون فى هذا الحدود ما بين الستين والسبعين[٧] » ـ يعنى وخمس مئة ـ أو « وممن كان فى هذا الوقت[٨] » أو « المتوفَّون على التخمين[٩] » ونحوها من هذه العناوين . وقد رتب الذهبي غير المعروفين هؤلاء على حروف المعجم[١٠] أيضا .

---

(١) الورقة ٤٨ ، ١٠٦ من النسخة السابقة .

(٢) الورقة ١٦٦ من النسخة السابقة .

(٣) الورقة ٤٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(٤) الورقة ١٠٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٥) الورقة ٢١٠ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ١٠٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٧) الورقة ٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٤) .

(٨) الورقة ١٧٠ من النسخة السابقة .

(٩) الورقة ٨٥ من النسخة السابقة .

(١٠) قد نلاحظ فى آخر تراجم المذكورين على التقريب عدم انتظام فى الترتيب المعجمى (انظر مثلا الورقة ١١٢ – ١١٣ ، ١٧١ – ١٧٢ ، ٢٠٨ ، ٢٥٧ – ٢٥٨ =

ولما كان الذهبي قــــد غير التنظيم ابتداء من مطلع القرن الرابع الهجرى وجعله على السنين فكان من الطبيعى أن يكون عدد المترجمين غير المعروفة وفياتهم فى العقود الأولى من هذا التنظيم الجديد أكبر بكثير مما هـــو عليه فى العقود الأخيرة، على الرغم من إيجاد بعض الأساليب المخففة لعـــددهم مما ذكرنا قبل قليل . . وقد لاحظنا نتيجة لمــــا قمنا به من إحصاءات[1] أن عددهم كان يأخذ بالتناقص كلما اقترب الكتاب من عصر المؤلف، فمن بين عدد تراجم الطبقة الحادية والثلاثين (٣٠١ ـ ٣١٠ هـ) البالغ (٥٥٠) ترجمة تقريبا وجدنا (١٦٠) ترجمة منها قد ذكرت فى نهاية الطبقة على التقريب[2]، لعدم وقوف المؤلف على وفياتهم، فى حين بلغ عددهم فى الطبقة التى بعدها (٨٥) نفسا[3]، وفى الطبقة الثالثة والثلاثين (٧٧) نفسا[4]، وفى الطبقة الخامسة والثلاثين(٨٢) نفسا[5]، وفى السادسة والثلاثين (٦٠) نفسا[6]، وفى الطبقة الثامنة والثلاثين

= أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) على أن هذا لا علاقة له بالتنظيم إذ جاء من الإضافات التى أضافها الذهبي إلى نسخته فيما بعد ووضع لها إشارات تشير إلى مواضعهـــا وطلب إلى النساخ وضعها فى مكانها الصحيح، إلا أن النساخ أبقوا عليها حيث كانت .

(١) قد يكون فى مثل هـــذه الإحصاءات زيادة رقم أو نقصانه يجيء من شطط النظر المتعب من طول إدمان النظر بصور المخطوطات، وهذا النقص غير ذى أهمية كبيرة لأن الغاية من هذا تبيان التطور حسب .

(٢) الورقة ٤٨ ـ ٥٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) .

(٣) الورقة ١٠٦ ـ ١١٣ من النسخة السابقة .

(٤) الورقة ١٦٦ ـ ١٧٢ من النسخة السابقة .

(٥) الورقة ٢٥١ ـ ٢٥٨ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ٤٥ ـ ٥١ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(٥٨) نفسا[١] ، وفى الطبقة الأربعين (٥٢) نفسا[٢] ، وفى الثانية والأربعين (٤٢) نفسا[٣] بينما بلغوا فى الطبقة الثالثة والأربعين (٢٨) نفسا[٤]، وفى الرابعة والأربعين (٣١) نفسا[٥]، وفى الخامسة والأربعين (١٤) نفسا[٦] ، فإذا ما انتقلنا إلى القرن السابع وجدنا هذا العدد يتناقص حيث لم يتجاوز عدد المذكورين على التقريب فى نهاية أول عقد منه (٦٠١ - ٦١٠ هـ) الثلاث تراجم[٧] ، وفى العقدين الثانى[٨] والثالث[٩] أربع تراجم ، وفى العقد الرابع ست تراجم[١٠]، وفى العقد الثامن ثلاث تراجم[١١] ، أما العقدان الأخيران من الكتاب فلم نجد فيهما ذكرا المتوفين على التقريب[١٢] ، مع أن عدد الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى الطبقة الأخيرة من كتابه قد زاد على (٨٠٠) مترجَم[١٣] .

وفى أثناء تبييض الذهبى لكتابه وبعد الانتهاء من كتابته ، كان يعثر دائما على وفيات بعض من لم يعرف وفاتهم من أولئك الذين كتبهم على التقريب ،

(١) الورقة ١٥٣ - ١٥٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) الورقة ١٠٢ - ١٠٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) الورقة ٢٠٥ - ٢١٣ من النسخة السابقة .

(٤) الورقة ٣١٠ - ٣١٣ من النسخة السابقة .

(٥) الورقة ٣٨٢ - ٣٨٧ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ٤٩١ - ٤٩٤ من النسخة السابقة .

(٧) الورقة ٨٥ - ٨٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٨) الورقة ١٠٣ - ٠٠٤ (٣٠١١) .

(٩) الورقة ٢١٧ من النسخة السابقة .

(١٠) الورقة ٢٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(١١) الورقة ٨٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(١٢) انظر آخر وفيات الطبقتين فى الورقة ١٩٦ والورقة ٣١٩ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(١٣) الورقة ٢١٠ - ٣١٩ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

سواء أكان ذلك فى القسم المنظم على « العقود » أم فى القسم المنظم على السنين فكان يضع إشارة لذلك ويطلب من النساخ تحويلهم إلى مواضعهم الأصلية الصحيحة ، فقد تبين له فيما بعد مثلا ، أن المنذر بن عبد الله بن المنذر القرشى الأسدى الذى ترجم له أولا فى الطبقة الثامنة (١٧١ - ١٨٠ هـ) قد توفى سنة ١٨١هـ لذلك طلب تأخيره إلى الطبقة التاسعة عشرة[١] . ومن ذلك أيضا ما قال فى أثناء وفيات سنة ٣٢٤ هـ : « محمد بن أحمد بن عمر الداجرى - يحوّل إلى هنا من تقريب الطبقة الماضية »[٢] ومثل هذا كثير فى كتابه[٣] .

إن ذكر الحوادث سنة بعد سنة من أول الكتاب إلى آخره ثم تنظيم التراجم ابتداء من سنة ٣٠١ هـ على السنين قد جعل الذهبى ، فيما نعتقد ، يغير رأيه فى عنوان الكتاب فيحذف منه لفظ « طبقات » ويضع لفظ « وفيات » بدلا منه فيصير عنوان الكتاب « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » بدلا من « تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام » . ودليلنا على ذلك أن العنوان الذى ورد فيه لفظ «طبقات» لم يرد إلا فى طرتى المجلدين الثانى والحادى والعشرين من النسخة التى بخطه ، بينما ورد العنوان الذى يحمل لفظ «وفيات» بخطه فى المجلدات الثمانية التى وصلت إلينا من هذه النسخة . ويزداد يقيننا ، بل يتكامل فى هذا الأمر حينما نتذكر أن طرتى المجلدين الثانى والحادى والعشرين هما من الطرر التى كتبها الذهبى عند انتهائه من الكتاب أول مرة ، وأن الطرر الثمانى الأخرى كانت تمثل الإخراج الأخير لكتابه[٤] .

---

(١) الورقة ١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٢) الورقة ١٣٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) وانظر أيضا الورقة ١١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) انظر أدناه كلامنا على تنظيم التراجم .

(٤) انظر أعلاه كلامنا على نسختنا الملفقة فى مقدمة هذه الرسالة .

ثانيا : العلاقة بين الحوادث والتراجم :

كانت الكتب التاريخية الأولى المرتبة حسب السنين تعنى بذكر الحوادث بالدرجة الأولى مثل تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ ﻫ وتاريخ الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ ﻫ وغيرهما ، وقلما أعطت أهمية كبيرة ومتميزة للتراجم . وقد ظهر تحول واضح منذ القرن السادس الهجرى فى هذا النمط من الكتب التاريخية لاسيما عند المؤرخين المحدثين ، حيث زاد اهتمامهم بذكر التراجم . ويبدو ذلك واضحا فى كتاب « المنتظم » لأبى الفرج ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ حيث أدخل تقسيما واضحا بين الحوادث والوفيات ، فجعل التراجم تعقب حوادث كل سنة ورتبها حسب حروف المعجم . وقد ظلت هذه الطريقة تؤثر فى أطر الصور الحولية للمؤلفات التاريخية التى جاءت بعده . ويعزو الأستاذ روزنتال ذلك إلى سيطرة علم الكلام[١] ، فى حين نعتقد أن هذا التطور لم يكن إلا بتأثير علم الحديث النبوى ، واشتداد العناية برواته[٢] .

لقد فصل الذهبى فصلا تاما بين الحوادث والوفيات ، ورأينا قبل قليل تذبذبه فى السير على خط واضح فى ذكر الحوادث وعدم وجود أية علاقة بينة لها بالوفيات . ولعله فكر فى بعض الأحيان بتجميع حوادث كل مجلد مع الوفيات الواردة فيه[٣] ، فحينما أورد حوادث السنوات ٦٤١ – ٦٥٠ ﻫ فى المجلد التاسع عشر الذى لم يتضمن وفياتها ، ذكر أنها من حوادث المجلد العشرين[٤] . وقد طلب الذهبى من الناسخ فى نهاية تراجم الطبقة الخامسة والستين من المجلد

(١) روزنتال : علم التاريخ ، ص ١٩٨ ، ٢٠٤ .

(٢) انظر بحثنا : مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين ص ٣٣–٣٤ .

(٣) انظر أعلاه كلامنا على « الخطة العامة للكتاب » .

(٤) الورقة ٢٥٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

العشرين أن يرتب تلك الحوادث التى مرت فى المجلد الماضى فى ذلك الموضع[١].

والعلاقة الوحيدة التى نجـــدها بين الحوادث والتراجم هى وجود بعض الإحالات من الحوادث إلى الوفيات وبالعكس لاسيما فى تراجم الشخصيات السياسية التى أسهمت فى الحوادث ، نحو قوله فى ترجمة السلطان غياث الدين الغورى فى وفيات سنة ٦٠٥ هـ : « هو فى الحوادث »[٢] ، وقوله فى ترجمة محمد ابن تكش خوارزم شاه : « قد ذكرنا قطعة من أخباره فى الحوادث »[٣] ، مع أنه ترجم له ترجمة حافلة فى قرابة الخمس ورقات[٤] ، وقوله فى ترجمة ولده جلال الدين : « وفى الحوادث على السنين قطعة من أخباره »[٥] وغيرها[٦] .

ومع كل ذلك فإن هذا الانفصام الذى أشرت إليه بين الحوادث والوفيات قد أدى إلى تكرار بعض المعلومات فيهما ، كما فى قصة الوحشة التى جرت بين الملك الجواد وعماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ محمد بن حموية الجوينى ومقتل عماد الدين سنة ٦٣٦ هـ حيث تكررت فى الحوادث والوفيات[٧] .

---

(١) الورقة ١٠٧ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

(٢) الورقة ٣٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) الورقة ١٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) الورقة ١٧٢ — ١٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٥) الورقة ٧٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٦) انظر مثلا الورقة ١٤٣ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٤ (أيا صوفيا ٣٠١٤) ، ج ٢ ص ٣٦٥ ، ج ٣ ص ١٢٥ ، ج ٥ ص ٣٢٤ ، الورقة ٦٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) ، والورقة ٢١١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) والورقة ٧٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٣٩ ، ٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٤٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٧) انظر ترجمة عماد الدين ابن شيخ الشيوخ فى نسخة أيا صوفيا ٣٠١٢ ، وورقة ٧٨ فما بعد ، وقارن حوادث سنة ٦٣٦ هـ (ورقة ٢٤٨ من النسخة نفسها) .

كان اهتمام الذهبي الرئيس ينصب دائما على التراجم ، وذلك يعكس مفهومه الأصلي للتاريخ ، لذلك احتلت التراجم حيزا كبيرا من تاريخه . فإذا استثنينا الفترة الأولى من كتابه (١ – ٤٠ هـ) فإن كمية الحوادث لا يمكن أن تقارن بكمية التراجم ، فإننا إذا أحصينا عدد الأوراق التي سودها الذهبي لتاريخ القرن السابع الهجري من « تاريخ الإسلام » – مثلا – وجدناها تبلغ ١١٧٤ ورقة لم تحتل الحوادث منها غير ١٧٠ ورقة فقط[١] ، وهذا يعني أنها تكون ٤ر١٤٪ من الكتاب ، علما أنها أقل من ذلك بالنسبة للقرون الأولى حيث بلغت للفترة الواقعة بين سنتي ١٨١ – ٢٢٠ هـ ١٠٪ فقط[٢] . وقد جاء هذا التقصير النسبي في الحوادث بسبب عدم استقصاء الذهبي لما ذكرته المصادر من حوادث واقتصاره على البعض منها . وقد صرح بذلك في أكثر من موضع ، فقال في بداية حوادث الطبقة السادسة والستين : «وهذه نبذة مما جرى في هذه الطبقة من الحوداث»[٣]

---

(١) منها ٣٤ ورقة في المجلد الثامن عشر (أيا صوفيا ٣٠١١) و ٤٣ ورقة في المجلد التاسع عشر (أيا صوفيا ٣٠١٢) و ٣٧ ورقة في المجلد العشرين (أيا صوفيا ٣٠١٣) و ٥٦ ورقة في المجلد الحادي والعشرين (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) أجريت هذه الإحصائية على النسخة التي بخط الذهبي ، فقد بلغت أوراق الطبقة التاسعة عشرة ١٣٨ ورقة احتلت الحوادث ١٢ ورقة منها ، وبلغ عدد أوراق الطبقة العشرين ١٣١ ورقة منها ٢١ ورقة حوادث ، وعدد أوراق الطبقة الحادية والعشرين ٨٤ ورقة منها ٨ أوراق حوادث ، أما الطبقة الثانية والعشرون فبلغ عدد أوراقها ١٤٧ ورقة احتلت الحوادث ٩ أوراق منها فقط . فيكون مجموع عدد أوراق الطبقات الأربع ٥٠٠ ورقة منها ٥٠ ورقة حوادث . ونرى من المفيد أن نشير هنا إلى أن الذهبي كان يورد أسماء وفيات الكبار ضمن الحوادث فهي تحتل قسما غير قليل منها أيضا .

(٣) الورقة ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

وقوله في بداية حوادث الطبقة التاسعة والستين : « ذكر الحوادث الكائنة في هذه السنين العشر على الترتيب مختصراً »[١] وقوله « سنة إحدى وأربعين وأربع مئة على سبيل الاختصار »[٢]، وهو منهج اختطه الذهبي لنفسه كما سيتضح عند كلامنا على الأسس التي اتبعها في انتقاء مادة الحوادث .

إن اختفاء العلاقة بين الحوادث والتراجم في كتاب « تاريخ الإسلام » هو الذي جعل الذهبي فيما نعتقد لا يتبع نمطا واحدا في تجميع الحوادث ، وجوز لنفسه أن يذكرها متتابعة كل عشر سنوات تارة وكل خمسين سنة تارة أخرى ونحو ذلك مما بيناه سابقا . ثم إن شعور المؤرخين فيما بعد بعدم وجود هذه العلاقة جعلهم في وضع يبدو أكثر حرية في دراسة أي قسم منهما على انفراد[٣] ، أو الانتقاء منه[٤] ، كما شعر النسّاخ دائما بحرية كبيرة في تجميع كل قسم على حدة[٥] .

---

(١) الورقة ١٩٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .　　(٢) الورقة ١٧٠ (حلب) .

(٣) لقد استطاع الصلاح الصفدي مثلا أن يقرأ على الذهبي القسم الخاص بالحوادث من تاريخ الإسلام فقط (انظر الوافي ، ج ٢ ص ١٦٣ ونكت الهميان ص ٢٤٣ وارجع إلى كلامنا على وصف نسختنا الملفقة) .

(٤) من ذلك مثلا أن شمس الدين السخاوي تمكن من تجريد تراجم الكتاب وترتيبها على حروف المعجم (انظر الإعلان ، ص ٥٨٩) ووجدنا خطه على نسخة المؤلف بالإشارة إلى ذلك (راجع المقدمة عند الكلام على نسختنا الملفقة) .

(٥) من ذلك مثلا أن صاحب النسخة المحفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب برقم ١٢٢٠ استطاع أن يجمع الحوادث التي أرخت الفترة ٣٠١ — ٥٠٠ هـ في مجلد واحد (انظر كلامنا على نسختنا الملفقة رقم ١٤) كما استطاع صاحب النسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٧ / ١٥ أن يجمع الحوادث التي أرخت الفترة ٣٥١ — ٦٧٠ هـ في مجلد واحد أيضا . وقد جربنا وجود الكثير من النسخ التي وصلت إلينا وهي تحتوي على مجلدات كاملة لم تذكر فيها غير التراجم .

ثالثا : تنظيم الحوادث وأساليب عرضها :

إن قلة المادة التاريخية التى قدمها الذهبى فى الحوادث قياسا بالمادة الضخمة التى قدمها فى التراجم تجعل من العسير علينا أن نميز له منهجا خاصا فى هذا فى هذا المجال خالف فيه غيره من كتاب الحوليات الذين سبقوه . وقد لاحظنا تذبذبا فى طريقته بين فترة وأخرى فى أساليب العرض وفى كمية المعلومات التى يقدمها ونوعيتها .

ففى القسم الخاص بالمغازى (١ ـ ١١ هـ) وجدنا نوعا من التنظيم الذى يمتاز بالوضوح حيث تناول الحوادث سنة سنة، ورتب السنة الواحدة حسب تسلسل شهورها ابتداء بالمحرم وانتهاء بذى الحجة منها . ومع أننا نجد محاولة للسير على تسلسل زمنى فى ذكر الحوادث ضمن السنة الواحدة فى القسم الخاص بالخلفاء الراشدين ، إلا أن ذلك لم يكن واضحا كل الوضوح . وفى كثير من أحداث هذه السنين (١ ـ ٤٠ هـ) ذكر الذهبى بعض وفيات المشهورين باعتبارها من الأحداث المهمة التى وقعت فى تلك السنة فمنهجه فى هذه الفترة يشبه منهج خليفة بن خياط « ت ٢٤٠ هـ » والطبرى « ت ٣١٠ » ، « وابن الأثير » ، « ت ٦٣٠ هـ » ، فى تواريخهم .

أما القسم الخاص بالفترة الواقعة بين سنتى ٤١ ـ ٣٠٠ هـ فلم نجد فيه تنظيما زمنيا ضمن السنة الواحدة . ولكننا وجدنا عناية بذكر أسماء المشهورين الذين توفوا فيها فى أول حوادث السنة دائما ، وقد يبلغ الأمر به فى بعض الأحيان إلى حد يضع فيه عنوانا لأسماء المتوفَّين فيها [١] . وفى القسم الذى بيَّضه الذهبى

(١) انظر مثلا سنة ١٣٣ هـ : « ذكر من توفى فيها من الأعيان » ج ٥ ص ٢٠٨ (مطبوعة) وانظر أيضا : ج ٥ ص ١٩٨ « ذكر من توفى فيها مجملا » .

ثانية من كتابه ووصل إلينا بخطه ، نلاحظ أن المؤلف رتب هذه الأسماء فى أول السنة بشكل منسق : كل اسمين متقابلين ، حتى لتبدو هذه الأسماء لأول وهلة وكأنها أبيات من الشعر[1] . إن اعتناء الذهبى بذكر أسماء الأعلام ممن توفوا فى السنة ضمن الحوادث يبدو أمراً معقولا ومنسجما مع مزاجه التراجمى لاسيما إذا علمنا أنه نظّم التراجم فى هذه الفترة حسب العقود .

وأما الفترة الممتدة من بداية القرن الرابع حتى منتصف القرن السابع الهجرى فمن الصعوبة أن نميز فيها أى وجود لتنظيم الحوادث داخل السنة الواحدة لا من حيث الزمان ولا من حيث الأهمية ، ولم نجد أية روابط بين الحوادث المذكورة فى مثل هذه السنين سوى وقوعها فى سنة واحدة . وقد اتبع الذهبى طريقة كُتّاب الحوليات الذين سبقوه فى ذكر العبارات التى تربط الحوادث ببعضها فى داخل السنة الواحدة والتى توضع فى مقدمة الخبر عادة مثل « وفيها » أو « وفى أولها » « وفى آخرها » أو « وفى رجب منها » ونحو ذلك .

ثم نعود فنرى تنظيما واضحا فى القسم الذى تناول النصف الثانى من القرن السابع الهجرى (٦٥١ – ٧٠٠ هـ) من كتابه حيث سار الذهبى على نمط واحد فى ذكر الشهر الذى وقعت فيه الحادثة ورتب المادة حسب تسلسلها الزمنى من السنة ، فكان يبدأ السنة بقوله : « فى المحرم » أو « فى أول المحرم » أو يذكر أى شهر آخر لكنه كان يسلسل الأشهر دائما ، وربما عيَّن اليوم فى بعض الأحيان.

وفى جميع الكتاب لم يوازن الذهبى ، ولو بشكل بسيط ، بين المعلومات المذكورة فى كتابه لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية على عكس طريقته فى الموازنة بين عدد التراجم فى القسم الخاص بها ، كما سنوضحه بعد قليل ، ولذلك

(١) انظر مثلا الورقة ١٧١ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

وجدنا السنين الأربعين الأولى تحتل قرابة ٤٠٪ من جميع حوادث الكتاب مع أنها لاتكوّن من نطاق الكتاب الزمانى إلا أقل من ٦٪ فقط ، ووجدناه فى الوقت نفسه يقصر فى حوادث بعض السنوات بحيث لاتتعدى الأسطر المحدودة، ويطوّل فى أخرى بحيث تبلغ أوراقا عديدة . والسبب فى ذلك فيما نعتقد ، متأت من تقييمه للحوادث وفهمه لها ، كما سيظهر لنا فيما بعد عند كلامنا على الأسس التى اتبعها فى انتقاء الحوادث .

ولما كان الذهبى ملتزما فى ذكر الحوادث بالتنظيم على السنين فإنه كان يقطع الخبر ليكمله فى سنة أخرى ، وهى العادة التى اتبعها معظم مؤلفى الكتب التاريخية المرتبة على السنين ، فإذا ما أراد القارىء أن يطلع على حادثة معينة استمرت لعدد من السنين فإن عليه أن يقرأ جميع حوادث هذه السنين ، ويمر بأخبار وحوادث لا علاقة لها ألبتة بموضوعه ، فضلا عما تسببه هذه الطريقة من إرباك فى تتبع الخبر التاريخى . ومع ذلك فهو مثل غيره من كتاب الحوليات ، كان يتجاوز مثل هذه الحالة فى أحيان قليلة، فكان يذكر بعض الأحداث المهمة متسلسلة لأكثر من سنة مثل خروج المغول وحروبهم مع علاء الدين خوارزم شاه[١] ، علما أنه اعتبر مثل هذا التسلسل خروجا عن نطاق السنة واستطرادا نحو قوله فى حوادث سنة ٣٧٦ هـ : « وإنما جرى ذلك فى سنة تسع وسبعين ولكن سقناه استطرادا »[٢] .

وإذا آمنا بأن القسم الأخير من كتابه يمثل طريقته الخاصة فى تناول الحوادث ، فإن ذلك لا يعفيه من عدم تنظيمها فى الأقسام الأخرى من كتابه على النسق الذى نظم فيه القسم الأخير منه .

(١) انظر الورقة ٢٣٩ — ٢٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٢) انظر الورقة ١٠٤ (حلب) .

رابعا : تنظيم التراجم وأساليب عرضها :

قد عرفنا أن الذهبي نظم المترجَمين بين سنتي ٤١-٣٠٠ هـ فى وحدات زمنية أمدُها عشر سنوات أطلق عليها لفظ « الطبقة » ثم رتب التراجم على حروف المعجم ضمن هذه الوحدات . ثم عرفنا أيضا أنه عنى بذكر تراجم كل سنة بصفة مستقلة ابتدأ من سنة ٣٠١ هـ وحتى نهاية الكتاب ، ورتب المترجَمين على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة[١] .

ومما هو جدير بالذكر أن الذهبي لم يعتبر اسم المترجَم حسب فى التنظيم الداخلى للتراجم ، بل اعتبر الشهرة واتخذها أساسا فى ذلك سواء أكانت شهرة المترجَم فى اسمه أم لقبه أم كنيته . ومن هنا وجدناه يترجم لبعضهم بلقبه ؛ من ذلك مثلا أنه ترجم للقطامى الشاعر المشهور فى حرف القاف[٢] ، وترجم للمحدثة المشهورة ست الكتبة نعمة بنت على ابن الطراح فى حرف السين[٣] . ثم قال فى حرف النون من وفيات السنة نفسها : « نعمة بنت الطراح هى ست الكتبة-مر ذكرها »[٤] ، وترجم ليحيى بن زياد المعروف بالفراء النحوى المشهور بلقبه فى حرف الفاء[٥] ، وترجم لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب فى حرف القاف[٦] ، وترجم لبهاء الدولة البويهى فى حرف الباء[٧] ونحو ذلك[٨] .

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على الخطة العامة للكتاب .

(٢) ج ٤ ص ١٨٥ (مطبوعة) .

(٣) الورقة ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) وفيات سنة ٦٠٤ هـ .

(٤) الورقة ٢٧ من النسخة نفسها .

(٥) الورقة ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٦) الورقة ٤٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٧) الورقة ٢٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٨) انظر الورقة ١٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

أما المعروفون بكُناهم فقد عُنى الذهبى بإفرادهم فى آخر الطبقات حينما نظم أولا على الطبقات ، وفى السنين حينما نظم بعد ذلك على السنين . ولا ريب أن اشتهار عدد كبير من المترجمين بكناهم هو الذى دفعه إلى إفرادهم بالترتيب فى آخر الطبقات أولا وفى آخر السنوات بعد ذلك ليسهل الكشف عنهم ، وآية ذلك أن عددا كبيرا من المترجَمين لم يعرفوا أصلا إلا بكناهم ، فكانت كناهم هى أسماءهم ، وهذا معروف عند المعنيين بالرجال ، فضلا عن اشتهار عدد كبير منهم بالرغم من وجود أسماء لهم سواء عرفها الذهبى[١] ، أم اختلف فيها المؤرخون[٢] ، أم لم يعرفها نحو قوله فى آخر وفيات سنة ٦٠٩ : « أبو منصور ابن الصوفى الكلابى الدمشقى لم أظفر باسمه ، قال المنذرى : . . . »[٣].

ومن أجل تسهيل الكشف على التراجم والتخلص من الأوهام التى قد تقع من جراء ترجمة شخص ما بكنيته أو لقبه أو نسبته ونحو ذلك كان الذهبى يعمل إحالات للتراجم ، فإذا ما ترجم لأحدهم بلقب اشتهر به عمل إحالة باسمه نحو قوله : « أحمد بن فنا خسرو بن مؤيد السلطان بهاء الدولة أبو نصر ابن السلطان عضد الدولة ــ مذكور بلقبه[٣] » ، وإذا ترجم لأحدهم بكنية اشتهر بها عمل إحالة باسمه نحو قوله مثلا : « الجلخ بن عيسى بن محمد ،

(١) انظر مثلا ج ٣ ص ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ . . . إلخ (مطبوعة) .

(٢) انظر مثلا ج ٣ ص ١٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ . . . إلخ (مطبوعة) .

(٣) الورقة ٧٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) وقارن المنذرى : التكملة م ٤ ص ٤٥ وانظر أيضا مثلا ج ٣ ص ١٠١ ، ١٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ . . . إلخ (مطبوعة) .

(٤) الورقة ٢٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

أبو بكر - يأتى بكنيته[١] » . وعلى العكس من ذلك فإنه إذا ترجم لأحدهم باسمه وكان يعرف بلقب أو كنية رتبه فى لقبه أو كنيته على شكل إحالة وترجم له باسمه نحو قوله فى وفيات سنة ٣٥٦ هـ « سيف الدولة ابن حمدان ، هو على بن عبد الله - تقدم[٢] » ، وقوله فى وفيات السنة نفسها : « أبو الفرج صاحب الأغانى : هو على بن الحسين - تقدم[٣] » ، وقوله : « أبو حامد ابن الشرقى ، هو أحمد بن محمد بن الحسن - تقدم[٤] » . وهكذا فإننا نجد الذهبى قد سار على هذه الطريقة فى جميع كتابه ، فملأه بالإحالات الكثيرة من الأسماء إلى الكنى والألقاب والأنساب ، وبالعكس[٥] .

وقد عنى الذهبى أيضاً بعمل الإحالات لأولئك الذين عرفوا باسمين ، فقد ترجم للمحدثة عائشة بنت عبدالجبار بن هبة الله ابن البندار ، المدعوة فرحة أيضا ، فى وفيات سنة ٦٠١ هـ[٦] ، ثم أعاد ذكرها فى حرف الفاء من وفيات السنة نفسها إحالة ، فقال : « فرحة بنت عبد الجبار بن هبة الله ابن البندار ،

---

(١) الورقة ٦٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) ثم ترجم له بعد ذلك فى الكنى ، الورقة ٧٤ من النسخة نفسها .

(٢) الورقة ٢٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الورقة ١٣٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٥) انظر مثلا لاحصرا : ج ٣ ص٣١٣، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٧٠ ، ج ٤ ص٢٣ ، ١١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢١، ج ٥ ص٥٢ ، ٦٣، ٧٣، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦ (مطبوعة) والورقة ٥٢ ، ٢٣٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) ، والورقة ٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٨٧، ١٩٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٥٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٦) الورقة ٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

أم الحيـــاة ، هى عائشة ــ مرت[١] » . وترجم لأبى موسى النحوى المعروف بالحامض المتوفى سنة ٣٠٥ هـ باسم « سليمان بن محمد[٢] » ، ثم ذكره فى حرف الميم من وفيات السنة إحالة ، فقال : « محمد بن سليمان ، أبو موسى الحامض البغدادى النحوى أحد أئمة اللسان وتلميذ ثعلب ، وقيـــل سليمان بن محمد كما مر آنفا[٣] » ، وقال فى وفيات سنة ٣١٧ هـ : « أحمـــد بن محمد بن إسحاق ابن أبى خميصة ، أبو عبدالله المكى نزيل بغداد ، هو حرمى ابن أبى العلاء . . . سيأتى فى الحاء[٤] » ثم ترجم له باسم حرمى « ترجمة مفصلة[٥] » ونحو ذلك من الأمثلة[٦] .

إن اعتماد اللقب أو الكنية أو نحوها فى التنظيم جعـــل الذهبى فى بعض الأحيان يتوهم فيسبقه قلمه ويترجم الشخص مرتين كما فى ترجمـــة الفراء حيث ترجم له فى لقبه أولا[٧] ، ثم أعاد ترجمته فى حرف اليـــــاء باسم « يحيى ابن زياد[٨] » . ولا ريب أن سعة الكتاب وكثرة التراجم وتشابه الأسماء وتعدد الموارد وتنوعها يولد كثيرا من المشاكل التنظيمية الداخليـة ، فيصبح الوقوع فى الوهم أمرا محتملا مهما بلغت مرتبة المؤلف فى الحفظ والتتبع والعلم بهذا الفن .

---

(١) الورقة ٧ من النسخة السابقة .
(٢) الورقة ٢٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٣) الورقة ٢٤ من النسخة السابقة .
(٤) الورقة ٨٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٥) الورقة ٨٧ من النسخة السابقة .
(٦) انظر مثلا الورقة ١٦٢ ، ٢٣٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٧) الورقة ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .
(٨) الورقة ٧٩ من النسخة السابقة .

وتنظيم الذهبي التراجم حسب السنين جعله يدقق فى تواريخ الوفيات ويرجح إحداها على الأخرى عندما يختلف المؤرخون فى ضبطها ، ولا بد أن يفعل ذلك، وإلا صعب عليه التنظيم وأشكل ، أما تلك التراجم التى لم يستطع أن يقطع فيها برأى نهائى فقد ذكرها منفصلة فى وفيات السنة التى رجّحها ضمنيا وقطعيا وعمل لها إحالة فى وفيات السنة الأخرى تنبيها للقارىء ، ومن أمثلة ذلك ترجمة السلطان عز الدين سنجر شاه بن غازى الأتابكى صاحب جزيرة ابن عمر ، فقد ذكره أولا فى وفيات سنة ٦٠٤ هـ مختصرا مقتصرا على اسمه ، وقال : « توفى فى هذا العام على قول[١] » ثم ذكر ترجمته المفصلة فى وفيات سنة ٦٠٥ هـ[٢] ، وقد جاء مثل هذا الاختلاف فى هذا الرجل وغيره ، على ما نعتقد ، بسبب الموارد الأصلية التى اعتمدها الذهبى ، ففى ترجمة سنجر شاه هذا اعتمد الذهبى رواية زكى الدين المنذرى حيث ذكره فى وفيات سنة ٦٠٤ هـ من التكملة[٣] ، بينما اعتمد فى الرواية الثانية وهى المرجحة عنده ، على أبى شامة[٤] . ومثل هذا قوله فى وفيات سنة ٦١٠ هـ « عيسى الجزولى النحوى ، ذكر هنا وفاته ابن خلكان . وقدم فى سنة سبع[٥] » .

ولم يكن أمام الذهبى غير الاعتماد على الموارد أسلوبا وطريقا فى تثبيت

---

(١) الورقة ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) الورقة ٢٥ من النسخة نفسها .

(٣) المنذرى : التكملة م ٣ ص ٢٣٢ – ٢٣٣ وانظر تعليقنا عليها .

(٤) ذيل الروضتين ، ص ٦٧ . وهى الرواية التى اعتمدها المؤرخون الذين جاءوا فيما بعد مثل أبى الفدا فى المختصر (ج ٣ ص ١١٧) والصفدى فى الوافى (م ٨ الورقة ١٩١) والعينى فى عقد الجمان (ج ١٧ الورقة ٣١٦ – ٣١٧ مصورة القاهرة رقم ١٥٨٤ تاريخ) وغيرهم .

(٥) الورقة ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

الوفيات ومن ثم عرضها فى السنة المخصصة لها ، فكان يرجح ما يراه راجحا ويترجم له فى السنة المرجحة ثم يعمل إحالة فى السنة الأخرى[١] ، إلا أنه اضطر ، فى حالات قليلة جدا ، إلى إعادة الترجمة بسبب عدم إيجاده سببا للترجيح كما هو فى ترجمة أبى بكر يحيى بن هذيل الأديب الأندلسى أحد فقهاء المالكية ، فقد ترجم له أولا فى وفيات سنة ٣٧١ ﻫ نقلا عن القاضى عياض[٢] ثم أعاد ترجمته مع الإشارة إلى الترجمة السابقة فى وفيات سنة ٣٨٩ ﻫ نقلا عن ابن الفرضى وحدد وفاته فى الثالث عشر من ذى القعدة من السنة[٣] ، بل قد يبلغ التغاير حتى فى محتويات الترجمة نفسها بالرغم من وجود إشارة إلى الترجمة السابقة ، كما فى ترجمة ابن الطبرى القاضى الحنفى حيث ذكره أولا فى وفيات سنة ٣٧٣ ﻫ ناقلا عن الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ ﻫ وقد ذكر الحاكم أنه كان ببخارى حينما كان ابن الطبرى يلى بها[٤] ، ثم أعاده ثانية فى وفيات سنة ٣٧٧ ﻫ ناقلا عن أبى سعد عبدالرحمان بن محمد الإدريسى المتوفى سنة ٤٠٥ ﻫ أيضا والذى ذكر أن ابن الطبرى كان يتولى قضاء القضاة بخراسان[٥] ولم يكن الحاكم قد ذكر له مثل هذه الوظيفة الخطيرة .

---

(١) انظر مثلا ج ٢ ص ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ج ٣ ص ٣٤٥ ، ج ٤ ص ٤ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٧٣ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ٢٢٤ ج ٥ ص ٩٦ (مطبوعة) والورقة ٢٦ ، ٥١ ٨٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ١٩ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٠١ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٧٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٢٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٦ ، ١٢ ، ٢٤ (أياصوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨ ، ٣٢ ، ٣٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧) والورقة ١٨٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) .

(٢) الورقة ١١٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) فى وريقة طيارة وضعت بين الورقتين ٢٠٧ — ٢٠٨ من النسخة السابقة .

(٤) الورقة ١٢١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٥) الورقة ١٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

وفى مثل هذه التراجم يصعب ترجيح إحدى الروايتين، فإنه اعتمد مؤرخين عظيمين أكثر النقل عنهما، ومن ثم فهما متعاصران عرفا بالدقة والضبط وكلاهما ألف عن المشرق وأرّخ لرجالنا الأول فى كتابه العظيم « تاريخ نيسابور » الذى اختصره الذهبى[(١)] ، والثانى فى « تاريخ سمرقند[(٢)] » و « تاريخ أستراباذ[(٣)] ».

إن مثل هذا الاعتماد على بعض ثقات المؤرخين جعله فى بعض الأحيان يذهل فيترجم الشخص مرتين من غير أن يشعر كما فعل فى ترجمة الفقيه أبى عبد الله محمد ابن على اليمنى الشافعى المعروف بابن أبى الصيف حيث ترجم له أولا فى وفيات سنة ٦٠٩ هـ[(٤)] ثم أعاد ترجمته من غير أن يشعر فى وفيات سنة ٦١٩ هـ[(٥)] متابعا فى ذلك زكى الدين المنذرى الذى كان قد ترجمه مرتين من غير أن يشعر ـ أيضا ـ[(٦)] .

---

(١) انظر أعلاه كلامنا على «المختصرات» من آثار الذهبى، وراجع الذهبى: تاريخ الإسلام ، الورقة ٥٠ – ٥٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٢) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٦ ، السخاوى : الإعلان ، ص ٦٣٣

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، الورقة ٤٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والسخاوى: الإعلان، ص ٦١٥

(٤) الورقة ٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) وانظر نسخة باريس رقم ١٥٨٢ الورقة ١٧٥ .

(٥) الورقة ١٩٨ من النسخة السابقة ، وانظر كذلك الورقة ٢٥٥ من النسخة الباريسية أعلاه .

(٦) ترجم له المنذرى أولا فى وفيات سنة ٦٠٩ هـ من التكملة (ج ٤ ص ٤٦–٤٧) ثم أعاده فى وفيات سنة ٦١٩ هـ منها (ج ٥ ص ١٣٤– ١٣٥ من طبعة القاهرة بتحقيقنا أيضا) وتابع ابن الملقن شمس الدين الذهبى فى غلطه فترجم له فى وفيات سنة ٦١٩ هـ (العقد المذهب ، الورقة ١٧٢) مع أن الصحيح فى وفاته سنة ٦٠٩ هـ . وانظر : الفاسى: العقد الثمين ج ١ الورقة ١٠٩ (التيمورية) والعينى : عقد الجمان ج ١٧ الورقة ٢٤٠ (مصورة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ) وابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ١٢٤ وغيرهم.

ونتيجة لكل هذا فقد كان من الطبيعى أن يظل الذهبى يبحث ويدقق فى تواريخ الوفيات فى أثناء تأليف الكتاب وبعد الانتهاء منه ، فإذا ما وجد وَهَماً فى ذكر تاريخ وفاة أو تقديراً لم يقارب الحقيقة أو وقف على مورد أثبت وأكثر دقة ، اعتنى بهذا الأمر ونبه عليه وترجم له فى موضعه الصحيح بورقة طيارة أو على هامش النسخة وأشار فى الموضع الأول إلى مثل هذا الأمر وطلب من الناسخ تحويل مثل هذه التراجم إلى مواضعها الصحيحة بكلمة « يُحَوّل » نحو قوله فى وفيات سنة ٣٩٦ ﻫ : « أحمد بن عبيد بن بيرى الواسطى . ترجمته فى بضع وأربعمئة . قال لنا الخلال : أخبرنا السلفى ، قال : سألت خميسا الحوزى عن ابن بيرى ، فقال : هو أبو بكر أحمد بن عبيد . . . قال خميس : قال لى أبو المعالى . . . : ولدت فى السنة التى مات فيهـــا أبو بكر ابن بيرى سنة ست وتسعين »[١] . وكان الذهبى مثلا قد ذكر فى وفيات سنة ٤٤٢ﻫ عبد الرحمان ابن محمد بن أحمد الذكوانى الأصبهانى المعدل وقال : « وحدث فى هذا العام ولا أعلم متى توفى » ثم وجد وفاته وأنها كانت سنة ٤٤٣ ﻫ ، نقلا عن كتاب « الوفيات » ليحيى بن منده المتوفى سنة ٤٧٠ ﻫ ، فذكر هذه المعلومات فى آخر الترجمة بقَطة قلم تختلف عن الأصل ثم كتب فوق الترجمة بالقطة نفسها « يؤخر إلى سنة ثلاث »[٢] ، وفى موضعه من سنة ثلاث ذكر اسمه واسم أبيه فقط وقال: « يكتب من السنة الماضية ، قال يحى بن منده : مات فى ربيع الآخر »[٣] . ومثل هذا تعليقه على ترجمة بشر بن محمد بن ياسين الباهلى المذكور فى وفيات

(١) وضع الذهبى هذه الترجمة بوريقة طيارة عند الورقة ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ٤٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٣) الورقة ٤٠٨ من النسخة السابقة وانظر عن ابن منده وكتابه بحثنا : كتب الوفيات ، ص ٢٤٧ .

سنة ٣٧٣ هـ بقوله : « يؤخر إلى سنة ثمان »[١] . والشواهد فى كتاب الذهبى كثيرة على مثل هذا الاستدراك والتصحيح وطلب التحويل[٢] .

إن عناية الذهبى بتنظيم التراجم حسب حروف المعجم وعمل الإحالات الكثيرة للأسماء ، والكُنى والألقاب والأنساب المشهورة ، وللوفيات المختلف فيها ضمن السنة الواحدة وفى السنوات المختلف فيها ، يسهِّل على القارئ كثيرا من العناء فى البحث ويجنبه الوقوع فى متاهات التوهم والزلل ، ويرفع عنه كثيرا

(١) الورقة ١٢٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) انظر مثلا الورقة ٦٤ ، ٨٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٨٧ ، ١٩٧،٩٧، (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٤١ ، ٤١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٦٦ ، ٧٦، ١٠٤ ، ١١٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) والورقة ٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) وغيرها. ومن الجدير بالذكر أن النساخ فى الأغلب الأعم أبقوا هذه التراجم فى أماكنها مع نقلهم أقوال المؤلف بطلب التحويل ونجد ذلك حتى فى المطبوعة (انظر مثلا ج ٥ ص ٧٣، وعلى ذلك فقد أصبح من الواجب أن يعيد المحقق النظر فى الكتاب ويلبى رغبات المؤلف ، قارن مثلا :

أيا صوفيا ٣٠٠٨	أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠
الورقة ٢٣٤	بالورقة ٢١٩
والورقة ٢٤٠	بالورقة ٢٢٥

أما صاحب النسخة الحلبية رقم ١٢٢٠ المختصة بالحوادث فقد لبى طلبات المؤلف فحول كثيراً من الأخبار إلى مواضعها الأصلية نحو قوله فى حوادث سنة ٣٣٢ هـ : « هذه تتمة أخبار أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى ذكرها المصنف فى غير موضعها وأمر أن تلحق هنا فألحقتها حسب مرسومه » (الورقة ٥٥) ولكنه كان منزعجا من طريقة المؤلف هذه، فقال فى آخر ما نقله : «انتهى ما ألحقه المؤلف بخطه من أخبار أبى طاهر القرمطى فى غير موضعه فألحقته هنا ، ولا قوة إلا بالله ؛ ففى كتابة مثل هذا مضض ونسأل الله العفو والسلامة » (الورقة ٥٨) . قال بشار : ولكن كثرة الإحالات وطلبات المؤلف فى التراجم وصعوبة معرفة ما سيأتى تجعل ذلك فى غاية الصعوبة لا سيما على النساخ من غير العلماء المتخصصين .

من الإرباك الذى يسببه الاختلاف فى الأسمـــاء والـكنى والألقاب والوفيات ونحوها .

وكان جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى البغدادى « ت ٥٩٧ ﻫ » أول من فصّل الحوادث عن الوفيات فصلا كاملا فى كتابه «المنتظم» ورتب التراجم ضمن السنة الواحدة على حروف المعجم ، وذكر المشهورين بكناهم فى آخر وفيات السنة[١] ، فلعـــل الذهبى أخذ هذه الطريقة عنه . على أن الذهبى كان دقيقا فى تنظيمه المعجمى سواء أكان ذلك فى أسماء المترجمين أم أسماء آبائهم ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا فى تقديمه من اسمه أحمد فى حرف الألف[٢] ، فى حين لم يلتزم ابن الجوزى بهذا الترتيب التزاما كاملا ، فإذا أرجعنا تقديم ابن الجوزى لمن اسمه عمر على من اسمه عثمان ، وذكره لمن اسمه على بعد من اسمه عثمان مباشرة إلى احترامه للخلفاء الراشدين[٣] ، فإننا لا نستطيع تفسير تقديم من اسمه علىّ على من اسمه العباس[٤] ، وذكر من اسمه عبيد الله بعد من اسمه عبد الله ثم ذكر

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، مثلا ج ٧ ص ٢٣ ، ١٠٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ج ٩ ص ٥ ، ٤٣ ، ١٣٣ ، ج ١٠ ص ١٤ ، ٢١٩ .

(٢) اعتاد كثير من مؤلفى كتب التراجم المرتبة على حروف المعجم ملاحظة بعض الاعتبارات فى الترتيب ، منها مثلا تقديم من اسمه محمد على جميع الـكتاب ، أو حرف الميم منه تيمنا وتبركا واحتراما للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقديم عمر على عثمان وذكر على بعد عثمان مباشرة فى حرف العين احـــتراماً وتقديراً للخلفاء الراشدين ـ رضى الله عنهم ـ وهى من العادات المعروفة عندهم منذ القديم حيث قدم البخارى « المحمدين » فى كتابه « التاريخ الـكبير » . وممن اتبع هذه الطريقة ابن الدبيثى فى تاريخه والصفدى فى الوافى (انظر بحثنا : أصالة الفـكر التاريخى ص ٢٩ ومقدمتنا لتاريخ بغداد لابن الدبيثى ص ٣٤) . ولا نعتقد أن تقديم الذهبى « الأحمدين » من هذا النمط ، فهى عادة متبعة عند معظم واضعى التراجم على حروف المعجم .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، مثلا ج ٧ ص ٤٠ ، ٤٤-٤٥ ، ١٣٠ ، ٢١١ ... إلخ .

(٤) المصدر السابق ، مثلا ج ٧ ص ٧٢ – ٧٣ .

العبادلة الآخرين[1] ـ مثلاً ـ إلا بعدم التزامه الـكل بالترتيب المعجمى . ومع أن ابن الجوزى قد ألزم نفسه بترتيب الآباء فى الأسماء المتشابهة على حروف المعجم كما يبدو فإنه لم يضبط ذلك[2]، علما أنه أهمل ترتيب الأسماء بعد الآباء إهمالا تاما. ولعل عدم عناية ابن الجوزى بضبط الترتيب يعود إلى قلة عدد المترجَمين فى السنة الواحدة حيث لا يزيد معدل ما يذكر فى السنة الواحدة عن عشر تراجم فى حين يبلغ معدل ما يذكره الذهبى قرابة الستين ترجمة .

ولعـل من المشاكل الرئيسة التى جابهت مؤلفى كتب التراجم فى التنظيم الداخلى لـكتبهم ، ومنهم الذهبى ، هو التشابه بين أسماء المترجَمين لا سيما إذا كانوا متعاصرين ، ولذلك سعى الذهبى دائما إلى التنبيه على مثل هذا التشابه خوف الخلط بينهم نحو قوله فى آخر ترجمة عـلى بن زياد التونسى من أهل الطبقة التاسعة عشرة : « وسنذكر فى الطبقة الآتيـة إن شاء الله على بن زياد الإسكندرى »[3] ، وقوله فى وفيات سنة ٣٧٤ هـ « محمد بن أحمد بن بالوية ، أبو على النيسابورى العدل . سمع عبد الله بن شيرويه بنيسابور ، وأبا القاسم البغوى وطبقته ببغداد . . أما محمد بن أحمد بن بالوية النيسابورى الذى يروى عنه الـكديمى فقديم توفى سنة أربعين وثلاثة مئة »[4] ، وقوله فى وفيات سنة ٤٢٠ هـ :

الصدر السابق ، مثلا ج ٧ ص ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٤١ . . . إلخ .

(٢) أمثلة ذلك كثيرة ؛ فانظر عن مثل هذه الاختلافات فى المنتظم ، مثلا : ج ٧ ص ١٥٠ ، ج ٨ ص ٤٦ ، ج ٩ ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٠١ – ١٠٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٧٩ ، ١٨٢ وغيرها .

(٣) الورقة ١١٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) وقد ذكر الذهبى سميه فى الورقة ٢٤٣ من النسخة نفسها .

(٤) الورقة ١٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) وذكر الذهبى شيخ الـكديمى هـذا فى الورقة ٢٠٥ من نسخة أحمد الثالث ٩/٢٩١٧ .

« على بن محمد بن على بن حميد ، أبو الحسن. وقيل أبو محمد الأسفراييني المقرئ المجود . أكثر عنه البيهقى . . . ومثله فى الاسم والبلد على بن محمد بن على أبو الحسن ابن السقاء الأسفراييني من شيوخ البيهقى أيضا ، يروى عن . . . وقد روى البيهقى عنهما معا حديثا ، قالا : ثنا الحسن بن محمد. ولكن ابن السقاء أقدم سماعا ووفاة ، روى . . توفى المقرئ فى ذى الحجة سنة عشرين ، وتوفى ابن السقاء سنة أربع عشرة »[١] . ونحو ذلك كثير فى كتابه[٢] .

وقد يضطره اتفاق بعض المترجَمين فى الأسماء ونحوها إلى أن يترجم للشخص المتفق بعد المترجم الذى خاف أن يشتبه به مباشرة ، مع أن ذلك ليس موضعه كما فى ترجمة عدى بن زيد العاملى الشاعر المعروف بابن الرقاع[٣] ؛ حيث أورد بعده ترجمة عدى بن زيد ابن الحمار، وقال: « ذكرته هنا تمييزا له من ابن الرقاع العاملى »[٤] .

ومثل هذا الذى ذكرناه قد أدى دائما إلى وقوع العلماء فى الخلط بين اسمين واعتبارهما شخصا واحدا ، أو جعل الشخص الواحد اثنين ، فكان لابد للذهبى من العناية بهذا الأمر وهو يترجم لآلاف الناس ، وينقل عن مئات

---

(١) الورقة ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وانظر ترجمة ابن السقاء فى الورقة ١٥٣ من النسخة نفسها .

(٢) انظر مثلا ج ٣ ص ٣٣٨ ، ج ٤ ص ٢٦٩ (مطبوعة) والورقة ١٤٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٢٠٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٩٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٠٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٩٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١٧٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١١) .

(٣) ج ٤ ص ١٥٠ – ١٥١ (مطبوعة) .

(٤) ج ٤ ص ١٥١ وترجمته فى ص ١٥١ – ١٥٣ من الجزء نفسه ، وانظر أيضاً الورقة ١٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

المصادر المتنوعة التى لا بد أن تختلف فى بعض الأسمـــاء أو نحوها . وما كان هذا بالأمر الميسور ، فهو يحتاج إلى معرفة تامة بالتراجم وصلات بعضهم ببعض وقوة ملاحظة وحفظ . وقد حاول الذهبى جاهدا ألا يقع فى مثل هــذا الغلط فاتبع طريقة التنبيه هذه وبين أوهام بعض الموارد التى ينقل عنها ، يساعده فى ذلك سعة اطلاعه ومعرفته التامة ودقته وتمحيصه للموارد ، ولعل المثال الآتى وهو واحد من أمثلة عديدة فى كتابه ، يوضح مدى عناية الذهبى بهذا الأمر قال فى وفيات سنة ٣٠١ هـ : « محمد بن حبان بن الأزهر العبدى أبو بكر القطان البصرى . حدث ببغداد عن أبى عاصم النبيل وعمرو بن مرزوق ، وعنـــه أبو الطاهر الذهلى وابن عدى وأبو بكر الجعابى والإسماعيلى وعمر بن محمد ابن سبنك[١] . ضعفه الحافظ محمد بن على الصورى وكان قد نزل ببغداد ، قال ابن سبنك : أول ما كتبت سنة ثلاث مئة عن ابن حبـــان ومات سنة إحدى . قلت : ومن طبقته :

محمد بن حُبان ــ بالضم أيضا ــ بن بكر بن عمرو الباهلى البصرى ، نزل بغداد فى المخرِّم ، وحدث عن أمية بن بسطام وكامل بن طلحة ومحمد بن منهال روى عنه الطبرانى وأبو على النيسابورى . وهو الأول[٢] بناء على أن «الأزهر» لقب « بكر » أو هو جد أعلى ووقع وهم فى نسبه . وقد وهم عبد الغنى المصرى الحافظ وقيده بالفتح[٣] وقال : ثنا عنه الذهلى ، قال : وبضم الحـــاء محمد

---

(١) قيده الذهبى فى المشتبه فراجعه هناك (ص ٣٥٢) .

(٢) يبدو أن الذهبى استدرك على نفسه فيما بعد واعتبرهما واحدا . ولما كان هذا القسم من « تاريخ الإسلام » لم يصل إلينا بخط المؤلف فمن الصعب أن نجزم بذلك وإن كنا نرجحه لقوله أولا « قلت : ومن طبقته . . . إلخ » .

(٣) انظر تفاصيل أوسع فى توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (ج ١ الورقة ١١٣ ظاهرية) .

ابن حبان حدث عنه أبو قتيبة سلم ابن الفضل . قال الصورى : وهما واحد وهو بالضم . قلت[1] : ليس عند الطبرانى عنه سوى حديث واحد عن كامل ابن طلحة أورده عنه فى معجميه الأصغر والأوسط ، وهو ضعيف ، وقال ابن منده الحافظ : ليس بذاك . وأما ابن ما كولا فقال : محمد بن حبان ابن الأزهر الباهلى — بالفتح — عن أبى عاصم وعنه أحمد بن عبيد الله النهرديرى[2] ومحمد بن حبان ، أبو بكر ، عن أبى عاصم ذكره عبد الغنى وهو متقن لا يخفى عليه أمر شيخ شيخه ، وكان القاضى أبو طاهر الذهلى من المتقنين لا يخفى عليه أمر شيوخه . وقال الصورى : إنما هو واحد . قال ابن ما كولا : ولم يأت بشيء فإنهما اثنان ، والنسبة تفرق بينهما والله أعلم ، وجد أحدهما الأزهر وجد الآخر بكر[3] ، فإن كان شيخنا الصورى قد أثبته بالضم فقد غلط فى تصوره أنهما واحد وهما اثنان كل واحد منهما : محمد بن حبان ، وإن لم يكن أتقنه[4] فالأول بالفتح وهذا بالضم . قلت[5] : لم يقل الصورى هما واحد إلا باعتبار الرجل الآخر الذى ذكره الدارقطنى فيكون ثلاثة ؛ فإن الدارقطنى قال : محمد ابن حبان بن بكر بن عمرو البصرى نزل بغداد فى المخرّم وحدث عن أمية ابن بسطام ومحمد بن منهال وغيرهما[6] » .

---

(١) الكلام للذهبى .

(٢) منسوب إلى (نهردير) كانت قرية كبيرة عند البصرة كما ذكر السمعانى فى « النهر ديرى » من الأنساب وتابعه ابن الأثير فى اللباب .

(٣) قال بشار : قد تقدم قول الذهبى ردا على ذلك بأن الأزهر هو لقب بكر أو هو جد أعلى وأنه وقع وهم فى نسبه .

(٤) يعنى أتقن تقييد الحاء من حبان بالضم أو بالفتح .

(٥) القول للذهبى .

(٦) الورقة ٦ — ٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) وانظر مناقشة ابن ما كولا فى =

خامسا : عرض المواليد :

كان تاريخ ولادة المترجَم يكوّن عنصرا بارزا من عناصر الترجمة ، وقد اعتنى به مؤلفو كتب التراجم منذ فترة مبكرة ، وأخذنا نجد اهتماما بالمواليد كلما تقدم الزمن ، فهو فى الكتب المتأخرة أكثر منه فى الكتب الأولى ، فإن من الطبيعى أن يهتم الذهبى اهتماما بالغا فى تدوين تاريخ ولادة المترجم أوعمره التقريبى فى تراجم كتابه[1] .

وابتداء من سنة ٥٧٢ هـ[2] أخذ الذهبى يذكر فى نهاية تراجم كل سنة من

= « الإكمال » ج ٢ ص ٣٠٥ فما بعد . وراجع تعليقنا على كتاب الذهبى « أهل المئة فصاعدا » ص ١٢٣ هامش ١٦١ تجد فيه تفصيلا يغنى . ومثل هذا المثال الذى ذكرناه كثير الوجود فى « تاريخ الإسلام » للذهبى ، فراجع مثلا : ج ٤ ص ٨١ (مطبوعة) حيث تجد قوله فى الكنى من الطبقة العاشرة : « أبو عبد الله الأغر المدنى مولى جهينة اسمه سلمان روى عن أبى هريرة و . . . وأما أبو مسلم الأغر (الراوى) عن أبى هريرة فرجل آخر ، وقد جعلهما واحدا الحافظ عبد الغنى المصرى وقبله ابن خزيمة فوهما.. » ولا شك أن هذا الارتباك هو أحد الأسباب الرئيسة التى دعت العلماء المسلمين إلى العناية التامة بالمتفق والمشتبه من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب فألفوا فيها الكتب الكثيرة المعروفة المشهورة .

(١) انظر أدناه كلامنا على « عناصر الترجمة » .

(٢) وجدنا مواليد هذه السنة قد كتبت فى أثناء تراجم سنة ٥٧٣ من نسخة أحمد الثالث رقم ٢٩١٧ / ١٤ وبعد ترجمة أحمد بن حامد ابن الفرات ، فقال : « وفيها ولد الشيخ الفقيه بيونين فى رجب والصفى إسماعيل بن إبراهيم ابن الدرجى بدمشق والكمال على بن شجاع الضرير بمصر فى شعبان والشيخ أوحد الدين عمر الدوينى » . (الورقة ٤٧ من النسخة) والظاهر أن الذهبى كان قد كتبها فى إحدى الجزازات وظنها الناسخ الجاهل فى هذا الموضع ، وإلا فإن الذى حفظناه من ولادة هؤلاء الأعلام هو سنة ٥٧٢ هـ وكما ذكر الذهبى نفسه (انظر العبر ج ٥ ص ٢٤٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧) .

ولد فيها من المشهورين، واستمر على ذلك بصورة منتظمة[١] إلى نهاية الكتاب. وكان الذهبي يؤكد فى العناوين التى يضعها لقوائم الولادات هذه أنها للمشهورين حسب؛ فيقول مثلا: «وفيها ولد من الكبار[٢]» أو «وفيها ولد من المشاهير[٣]». ولذلك فإنه لم يستوعب المواليد استيعابه للوفيات .

ولكن لماذا ابتدأ الذهبي بذكر المواليد فى الربع الأخير من القرن السادس ولم يورد قوائم مماثلة قبل هذا التاريخ ؟ فإذا كان الجواب على ذلك وقوفه على مواليد الكبار فى هذه الفترة ، أو حصوله على مادة فى هذا الموضوع فإن ذلك مردود بثبوت عدد كبير من المواليد قبل هذا التاريخ، وقد ذكرها هو فى أثناء التراجم، وكان يستطيع أن يجمع مواليد المشهورين فيذكرها فى آخر كل سنة . ويبقى لدينا بعد ذلك احتمالان :

الأول : إنه عُنى بذكر مواليد الكبار من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ويؤكد هذا الاحتمال أن جميع المذكورة مواليدهم من هذه الفئة، وقد تبين لنا ذلك بمقارنتهم بمعجم شيوخه وبشيوخ المذكورين فى معجم شيوخه .

الثانى : وهو الأرجح عندنا أنه فكر بمثل هذا العمل بأخرة ، وهو فى الأقل قد ابتدأ بذكر المواليد عند بداية تأليفه للمجلد الثامن عشر المحتوى على تراجم الفترة الواقعة بين سنتى ٦٠١ ــ ٦٢٠ هـ[٤] ، أى منذ مطلع القرن السابع

---

(١) باستثناء بعض السنوات الأولى التى لم ترد فيها قوائم ولادات وهى سنة ٥٧٣ (الورقة ٥١) وسنة ٥٧٤ (الورقة ٥٤) وسنة ٥٧٩ (الورقة ٨١) وسنة ٥٨١ (الورقة ١٠٠ من نسخة أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

(٢) الورقة ٥٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) الورقة ٢٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) الورقة ٤٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

الهجرى ، فالولادات هذه مذكورة فى أصل النسخة وليس على حواشيها ولا فى طيارات لنقول عندئذ إنه ألحقها فيما بعد .

أما قوائم الولادات المذكورة فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى فهى إما أن تكون من أصل النسخة أو يكون الذهبي قد ألحقها فيما بعد.والذى يعزز كونها ملحقة غلط الناسخ فى ولادات سنة ٥٧٢ﻫ وإقحامها فى أثناء تراجم سنة ٥٧٣ ﻫ مما يدل على أنها كتبت فى طيارة أو على حاشية النسخة ولكننا فى الوقت نفسه لم نقف على ولادات لسنتى ٥٧٣ ﻫ و ٥٧٤ ﻫ فهل ابتدأ الذهبي بذكر المواليد بصفة منتظمة اعتباراً من سنة ٥٧٥ ﻫ ؟ وأن قوائم الولادات قد ابتدأت تظهر فى نسخة الذهبي الأصلية اعتباراً من هذا التاريخ ؟ هـــذا هو الذى أعتقده ، وهذا التاريخ فى اعتقادى أيضا هو بداية المجلد السابع عشر من نسخة المؤلف التى بخطه[1]. أما الولادات المذكورة قبل هذا التاريخ فهى ملحقة فيما بعد[2] .

---

(١) جاء هذا الاعتقاد لعدة أسباب من أهمها أن المجلد الخامس عشر قد انتهى فى أثناء وفيات سنة ٥٤٦ ﻫ وفى آخر حوادث سنة ٥٥٠ وأن المجلد الثامن عشر ابتدأ بسنة ٦٠١ ﻫ والمدة الباقية بينهما تنتصف فى هذه السنة تقريبا . يضاف إلى ذلك وجود إشارة فى بداية سنة ٥٧٥ من الحوادث يبدو منها وكأن مجلدا جديدا قد بدأ حيث ابتدأ الذهبي بذكر سنده إلى «تاريخ» ابن البزورى (انظر الورقة ١٩٨ أحمد الثالث ٢٩١٧/١٥) وكانت سنة ٥٧٤ ﻫ هى السنة التى انتهى فيها كتاب «المنتظم» لابن الجوزى ، وهو من مصادر الذهبي الرئيسة فى الحوادث . والمسألة بمجموعها تخمينية .

(٢) إضافة إلى سنة ٥٧٢ المذكورة أعلاه فإننا وجدنا ذكرا لولادة ثلاثة مــن المشهورين فى سنة ٣٠١ ﻫ وثلاثة آخرين فى سنة ٣٠٦ ﻫ انظر الورقة ٨ ، ٣٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

وكان عدد ما يورده الذهبي من المواليد فى النصف الأول من القرن السابع يتراوح بين ١٠–١٨ اسما[١] ، وهى أقل من ذلك بقليل فى الربع الثالث منه[٢] ، لكنها تناقصت تناقصا كبيرا فى العقد الأخير منه حيث تراوح عددها بين ٢–٥ فقط[٣] وهو أمر طبيعى ، فيما نعتقد ، لأن من ولد فى هذا العقد كان ما يزال صغيرا لم يتعين بعد ، ولم يعرف الذهبي من هو الذى سوف يتميز منهم ، ولذلك جاءت هذه المواليد لبعض أبناء معارفه ، ولبعض من تلامذته النجب .

وعلى الرغم من أن كثيرا من المؤرخين قد عُنوا بذكر مواليد المترجَمين لكن أحدا منهم لم يفكر أن يذكر ذلك بصورة منفردة . وإذا استثنينا كتاب « تاريخ موالد العلماء ووفياتهم » لابن زَبْر الرَّبَعِى الدمشقى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ الذى ذكر فيه مواليد بعض الرواة بصورة غير منتظمة ومرتبكة[٤] ، فإن الذهبي يُعد أول من نظم المواليد فى كل سنة على حدة ، فوصل بفن التراجم إلى المستوى الراقى الذى لم يصل إليه من قبل .

---

(١) انظر مثلا الورقة ١٠ ، ٢٨ ، ٣٨، ٤٨ ، ٥٥، ٦٢ – ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٤، ٩١، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٥٨ ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ . (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٢) انظر مثلا الورقة ٧ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٥، ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٣) انظر مثلا الورقة ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٣١٠ ، ٣١٩ من النسخة السابقة .

(٤) نسختى المصورة عن نسخة دار التحف البريطانية الفريدة وهى فى ٨٢ ورقة ومن ضمنها بعض الذيول الأخرى .

سادسا : أسلوب العرض الأدبى :

قد عرفنا من سيرة الذهبي ومكانته العلمية أنه قد حصــل طرفا صالحا من العربية فى نحوها وصرفها وآدابها ، كما أنه عنى عنــاية كبيرة فى مطلع حياته بالقراءات التى تقوم فى أساسها على علم تام بالعربية ، وقد تعاطى الشعر فنظمه وأورد من شعر غيره جملة كبيرة فى كتابه «تاريخ الإسلام» ، ولذلك أصبحت لغته قوية جدا يصعب أن نجد فى كتابه لحنا أو غلطا لغويا أو استعمالا عاميا ، فإذا كان النادر من ذلك فإنه من سهو القلم والذهول .

وقد نجد فى بعض كتاباته ما يغلط فيه الخواص ، وليس ذاك بشىء ؛ فأهل العربية مستطيعون دائما إيجاد أوهام حتى لخواص العلماء[1] . فمن ذلك مثلا قوله «توفى فى ثالث عشرين صفر» أو« مولده فى خامس عشرين محرم »ونحوها هكذا بإثبات النون . وهذا لم يرض به بعض أهل العربية ومنهم أستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد ، حيث ارتأى أن تحذف النون ، وقد غيرها فى جميع كتبه التى نشرها فصارت عندئذ « ثالث عشرى » و « خامس عشرى » ونحو ذلك[2]، مع أننا نجد هذا الاستعمال فى كتابات كثرة من المؤرخين الذين عرفوا بقوة عربيتهم مثل جمال الدين ابن الدبيثى وجمال الدين ابن القفطى فى كتابه «إنباه الرواة» وغيرهما . فضلا عن أن بعض أهل العربية يرى أن هذا الاستعمال قد يكون تقديرا منهم يريدون « ثالث عشرين من شهر صفر » ونحــوه[3] .

---

(١) انظر كتاب أبى القاسم الحريرى : درة الغواص فى أوهام الخواص .

(٢) انظر مثلا تكملة إكمال الإكمال لابن الصابونى ص ٧٥ – ٧٧ والذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج ٢ ص ٢٥٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ وابن الساعى : الجامع المختصر ج ٩ ص ١ ، ٤٦ ، ١١٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥

(٣) انظر مقدمتنا لكتاب «ذيل تاريخ مدينة السلام» لابن الدبيثى ص ٦٢ – ٦٣ .

ومن ذلك قوله في ترجمة الظاهر بيبرس البندقدارى المتوفى سنة ٦٧٦هـ : « فإن له أياما بيضاء فى الإسلام »(١) ، والأصح أن يقول « أياما بيضا » كما هو معروف عند أهل العربية لأن « أيام » جمع فكان لابد أن يلحق الصفة وهى مجموعة أيضا . ومثل هذه المسائل بمجموعها لاتخرج الذهبي عن صحة اللغة والمعرفة التامة بها ، وهى ليست من الإهمام بحيث يقال فيها أخطأ فلان وأصاب فلان .

ولقد اعتنى الذهبي عناية بالغة بضبط الأسماء والأنساب ونحـــوها تقييدا بالحروف تارة ، وضبطا بالقلم تارة أخرى ، وكان معنيا أشد العناية حتى بضبط التلفظ بالأسماء ، فلما أشكل عليه التلفظ ببعض أسماء أهل الأندلس كتب إلى شيخه العلامة أثير الدين أبى حيان الغرناطى « ت ٧٤٥ »(٢) ، يسأله عن ذلك ، قال الصفدى فى ترجمة أبى حيان : « وله اليد الطولى فى . . . وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم لأنهم مجاورو بلاد الفرنج وأسماؤهم قريبة (من لغاتهم)(٣) وألقابهم كذلك ، كل ذلك قد جوّده وقيـــده وحرره ، والشيخ شمس الدين الذهبي له سؤالات سأله عنها فيما يتعلق بالمغاربة وأجابه عنها »(٤) . وقد كتب أثير الدين إلى الذهبي كتابا من أجل ذلك سماه : « قطر الحبي فى جواب أسئلة الذهبي » ذكره أبو حيان فى إجازته لصلاح الدين الصفدى(٥) ، ونقل منه ابن حجر فى ترجمة أبى الحجاج المزى(٦) .

---

(١) الورقة ٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) انظر عن أبى حيان كتاب الدكتورة خديجة الحديثى : « أبو حيان النحوى » بغداد ١٩٦٦ (٣) مابين العضادتين إضافة من نفح الطيب للمقرى ج ٣ ص ٢٩٥

(٤) الصفدى : الوافى ج٥ ص ٢٦٧ – ٢٦٨ والمقرى : نفح الطيب ج ٣ ص ٢٩٥

(٥) الصفدى : الوافى ج ٥ ص ٢٨١

(٦) المصدر السابق ج٥ ص ٢٣٤ وانظر خديجة الحديثى : أبو حيان النحوى ص ٢٦١ قلت : والحبي : السحاب الذى بعضه فوق بعض .

إن عناية الذهبي بدراسة عدد ضخم من المؤلفات التاريخية والأدبية والحديثية واشتهاره بقوة الحافظة جعلته يطلع على أساليب عدد كبير من الكتاب والمؤلفين على مدى عصور طويلة تنوعت أساليب الكتابة فيها ، فأكسبه كل ذلك خبرة أدبية قوية .

وقد تميز أسلوب الذهبي بالطراوة والحبك ولم يعن بالصفة البيانية وتزويق الألفاظ كغيره من معاصريه وتلامذته مثل ابن سيد الناس وتاج الدين السبكي والصلاح الصفدي وغيرهم . وهذا أمر طبيعي فيما نرى لأن للكلمة مكانتها عند الذهبي ، وهو الناقد الذي يختار العبارة المناسبة للتعبير عما يريد بصورة دقيقة ويصف المترجَم بالعبارة التي تزنه جرحا أو تعديلا ، فهو أسلوب علمي قبل كل شيء . ومن الواضح أنه لا يمكن عرض الحوادث بصفة دقيقة وأوصاف المترجمين بشكل متقن باتباع مثل تلك الأساليب ، لأن أسلوب الصنعة البلاغية يتجلى فيه دائما الابتعاد عن الدقة .

وكان الذهبي صاحب منهج تاريخي بدا في غاية الوضوح في التراجم ، لذلك فإنه لم يخرج عن موضوع هو بصدد بحثه ، فلم نجد في كتابه استطرادا لا في الحوادث ولا في الوفيات .

وقد عمد الذهبي مثل غيره من المحدثين وعلماء الرجال إلى استعمال المختصرات[1] في أسلوبه الكتابي ، وتشمل هذه المختصرات بعض الألفاظ وأسماء الكتب التي يتكرر ذكرها في كتاب ما ، ويرمز إليها عادة بحرف واحد

---

(١) انظر عن المختصرات واستعمالاتها : الصفدي : الوافي ، ج ١ ص ٤١ - ٤٢ ، ومقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثي م ١ ص ٦٣ والعلموي : المعيد في أدب المفيد والمستفيد . المسألة العاشرة (ط. دمشق) وروزنتال : مناهج العلماء المسلمين، ص ٩٦-١٠١ وغيرها.

أو أكثر أو رقم ، وقد ذكر الذهبي بعضها فى مقدمة كتابه[١] ، وإليك ما وقفنا عليه من المختصرات التى استعملها :

ع = حديث المترجم فى الكتب الستة[٢] .

٤ = حديث المترجم فى السنن الأربعة .

خ = حديث المترجم فى صحيح البخارى .

م = حديث المترجم فى صحيح مسلم بن الحجاج .

د = حديث المترجم فى سنن أبى داود .

ت = حديث المترجم فى جامع الترمذى .

ن = حديث المترجم فى سنن النسائى .

ق = حديث المترجم فى سنن ابن ماجة القزوينى[٣] .

لقد عنى الذهبي بوضع مثل هذه الرموز عند بداية الترجمة ليدلل على ذلك من غير أن يكتبه ، ثم استعمل مثل هذه الرموز للدلالة على أصحابها أيضا وليس لوجود حديث المترجم فى كتبهم فقط نحو قوله : « قال خ » أى قال البخارى ، و « قال خ فى تاريخه » ويريد : قال البخارى فى تاريخه . و « ذكره م » ويريد: ذكره مسلم . وهلم جرا .

أما إذا كان حديث المترجم فى خمسة من الكتب الستة فقد وضع الذهبي كلمة

---

(١) ج ١ ص ١٦ (مطبوعة) .

(٢) وهى صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن كل من أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

(٣) استعمل حرف « ق » مع أن شهرته بابن ماجة أكثر من شهرته بالقزوينى ، إلا أنهم خافوا استعمال الجيم من اختلاطها بالخاء وهو الحرف المستعمل للبخارى .

« سوى » قبل رمز الذى لم يرد حديثه فيه نحو قوله : (سوى خ) ، ويريد : حديثه فى الكتب الستة فيما عدا البخارى ، و « سوى ت » ويريد : حديثه فى الكتب الستة فيما عدا سنن الترمذى وهكذا .

أما فى الأسانيد فقد استخدم المختصرات الشائعة عند المحدثين وهى :

ثنا : حدثنا .

أنا : أخبرنا .

ح : وهو رمز «التحويل» وتستعمل إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر لتفصل بينهما ولتدل على تحول القارئ من إسناد إلى آخر .

الفصل الثاني

محتويات الكتاب وأسس انتقاء مادته

طبيعة الحوادث وأسس انتقائها :

واجه الذهبي مادة كبيرة كان عليه أن ينتقي منها ما يراه مناسبا لكتابه ولاسيما أنه اختصر فى الحوادث كثيرا قياسا بالمادة الضخمة من التراجم التى أوردها فى كتابه ، فهل كانت لديه خطة معينة سار عليها فى ذلك ؟

الجواب : إنه انتقى ما رآه فى نظره مُهمًّا حريا بالذكر جديراً بالتدوين[1] . ولكن ما هى موازينه فى ذلك ، وميزان أى مؤرخ فى وزن الأحداث يتصل اتصالا وثيقا بمفاهيمه ، وينطلق من بيئته ونوعية ثقافته ، وهما اللذان بدورهما يكونان مزاجه الذى يحمله على ذكر حدث تاريخى وإهمال آخر . والإسهاب فى جوانب معينة والاختصار فى جوانب أخرى ؟

لقد اعتبر الذهبى ، مثل غيره من المؤرخين المسلمين المتدينين ، أن أساس الدولة الإسلامية ونموذجها الأعلى يتمثل فى حكومة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة[2] ، ولذلك أولى الفترة المدنية اهتماما عظيما وفصّل فى حوادثها تفصيلا

---

(١) لقد اعتبر الذهبي التاريخ من العلوم النافعة واستعاذ بالله من علم لا ينفع ، وأكد ضرورة الاطلاع على « المهم » منه ، قال في المقدمة واصفاً كتابه : « يعرف به الإنسان مهم ما مضى من التاريخ » ج ١ ص١٣ (مطبوعة) .

(٢) يدخل ضمن ذلك بالطبع أهمية حكومة الرسول وأعمالها فى دراسة الفقه الإسلامى باعتبارها من الأسس التى يقوم عليها الفقه .

لانجده إلا فى التواريخ المتخصصة بحيث احتلت السنوات العشر التى قضاها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة مجلداً كاملا من تاريخه هو المجلد الأول : وعنى بعد ذلك بذكر أخبار حروب الردة وتكوين الأمة الإسلامية وحركة الفتوح والمساهمين فيها باعتبارهم المثل الأعلى للمجاهدين المسلمين ، ولذلك احتلت هذه الفترة الزمانية القصيرة التى لا تتجاوز ٥ ٪ من نطاق كتابه الزمانى قرابة ثلث الحوادث المذكورة فى جميع الكتاب .

ووجدناه بعد ذلك يعنى دائما بأخبار الجهاد فى سبيل الله سواء أكان ذلك بالفتح أم برد المعتدين عن ديار الإسلام، فأورد من أخبار الجهاد الكثير وفصل فيه بما سمح له منهجه ، فذكر من أخبار فتوحات الأمويين شيئا كثيراً بالنسبة لما تضمنه كتابه من حوادث هذه الفترة، كما عُنى بذكر العلاقات الإسلامية البيزنطية على مدى التاريخ وأولاها اهتماما واضحا[1] ، ولعل من أبرز ذلك ذكره لتفاصيل الحروب التى خاضها الحمدانيون مع البيزنطيين[2]. كما اهتم اهتماما

---

(١) انظر مثلا : الورقة ٢٥ ، ٣٥ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ – ٧٩ ، ٨٠ – ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ – ٩٣ ، ١١٠ ، ١٤٦ (حلب) .

(٢) نقل الذهبى كثيراً من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية الحمدانية من تاريخ ثابت بن سنان وغيره من المصادر المعروفة. ولكن الذى يبدو أكثر أهمية نقله الكثير من التاريخ الذى ذيل به على بن محمد الشمشاطى العدوى على تاريخ الطبرى وأوصله إلى زمانه (انظر بصفة خاصة الورقة ٧٦ – ٧٩ حلب) وكان الشمشاطى على صلة وثيقة بالأسرة الحمدانية؛ إذ عمل مؤدبا ونديما لهم فكان مطلعا على أخبارهم عارفا باتصالاتهم. ومع أننا لم نقف على تاريخ وفاته إلا أن ابن النديم كان على صلة به وذكر أنه كان حيا فى عصره سنة ٣٧٧ هـ (الفهرست ص ٢٢٠) وانظر ترجمته وأخباره عند النجاشى : الرجال، ص١٨٦ وياقوت: إرشاد ، ج ٥ ص٢٧٥ – ٣٧٧ ومعجم البلدان ج٣ص ٣٢٠ وبروكلمان : الملحق ، ج ١ ص ٢٥١ (بالألمانية) والزركلى : الأعلام ، ج ٥ ص ١٤٣ ، ج ١٠ ص ١٥٤ وانظر أيضا تعليق أمدروز على تجارب الأمم لمسكويه ، ج ٢ ص ١٩٤ – ١٩٦ والسامر : الدولة الحمدانية ، ج ٢ ص ١٨٢ .

كبيرا بذكر المعارك العديدة التى خاضها المسلمون مع الصليبيين على مدى عصور التاريخ الإسلامى[١] ، وعنى بظهور المغول وتحركاتهم وأخبارهم واستيلائهم على أجزاء واسعة من العالم الإسلامى ، واهتم بذكر علاقاتهم بالشام ومصر[٢].

ويظهر تقدير الذهبى لمثل هذه الأحداث فى مدحه لأولئك الذين جاهدوا فى فى سبيل الله وتحمسه الشديد عند ذكرهم ، بل تفصيله فى أفضالهم فى هذا المجال بالرغم من ذكره الظلم الذى مارسوه نحو قوله فى عهد الوليد بن عبد الملك « وفتح الله على الإسلام فتوحا عظيمة فى دولة الوليد وعاد الجهاد شبيها بأيام عمر ـ رضى الله عنه[٣] ـ » ، وقوله فى ترجمته : « وكان الوليد جبارا ظالما لكنه أقام الجهاد فى أيامه وفتحت فى خلافته فتوحات عظيمة كما ذكرنا[٤] » وقوله فى ترجمة الظاهر بيبرس البندقدارى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ : « ولما سارت الجيوش المنصورة من مصر لحرب التتار كان هو طليعة الإسلام . . . وكان غازيا مجاهدا مرابطا خليقا للملك لولا ما كان فيه من الظلم ، والله يرحمه ويغفر له ويسامحه ؛ فإن له أياما بيضاء فى الإسلام ومواقف مشهورة وفتوحات

(١) انظر مثلا الورقة ١٧٧ ، ١٧٩ (حلب) والورقة ٢ ـ ٤٥ (أياصوفيا ٣٠١٠) والورقة ١٦٨ فمابعد (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٤ ـ ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٢) انظر مثلا الورقة ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ـ ٢٤٤ ، ٢٥١ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ، ٢٥٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وقلما تخلو الحوادث المذكورة فى المجلدين الأخيرين من تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠١٣ ، ٣٠١٤) المتضمنة لحوادث ٦٥١ ـ ٧٠٠ من ذكر للمغول وعلاقاتهم بمصر والشام .

(٣) ج ٣ ص ٣٢٧ (مطبوعة) .

(٤) ج ٤ ص ٦٧ وانظر تقديره لقتيبة بن مسلم الباهلى (ج ٤ ص ٤٥ مطبوعة) .

معدودة[١] » . وتحمّس الذهبي للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ـ رضى الله عنه ـ وطوّل فى حروبه للصليبيين بحيث وضع عنوانا فى أثناء حوادث سنة ٥٨٣ ﻫ أطلق فيه على هذه السنة « سنة الفتوحات » وفصّل فيها على غير عادته إلى درجة استغراق هذا العنوان قرابة الثمانى ورقات كبيرة[٢] ، وقال معلقا على فتح بيت المقدس : « فالحمد لله على هـــذه النعم التى لا تحصى[٣] » ، وقال فى موضع آخر : « فرزقنا الله شكر هذه النعم ورحم صلاح الدين وأسكنه الجنة[٤] » ، وقال عن حصار عكا بعد ذلك : « وكان السلطان يكون أول راكب وآخر نازل . . . ولعله وجبت له الجنة برباطه هذين العامين[٥] » ثم نتحسس تحمسه من الألفاظ التى يطلقها على أعداء الإسلام نحو قوله : « وتتابعت الأمداد من رومية الكبرى التى هى دار الطاغية الأعظم المعروف بالبابا لعنه الله[٦] » ، وقوله فى أحدهم : « طاغية الروم . . . وكان هـذا الكلب[٧] » و « ملك الفرنج لا رحمه الله[٨] » وقـد صب اللعنة عليهم وأساء القول فيهم كلما ورد ذكر واحد منهم[٩] .

(١) الورقة ٣٤ ـ ٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .
(٢) الورقة ٢١٠ ـ ٢١٧ (حلب) .
(٣) الورقة ٢١٣ (حلب) . (٤) الورقة ٢١٤ (حلب) .
(٥) الورقة ٢٢٣ (حلب) وانظر تقويمه لجهاد بعض الأمراء والملوك الورقة ٥ ، ٤٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ٩٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٣٢٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤)
(٦) الورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٧) الورقة ١٧٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .
(٨) الورقة ١٨٩ (حلب) .
(٩) إنظر مثلا الورقة ٣٠ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، (حلب) والورقة ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ، ٢٢٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) .

ثم وجدنا الذهبي المسلم المتمسك بدينه يعنى بذكر أخبار الحركات التى كان الهدف منها ، فى رأيه ، تدمير الإسلام الحق مثل البابكية ، والزنج ، والقرامطة وأمثالهم ، يظهر لنا ذلك مما خصص لهم من أخبار فى تاريخه ومن تحمسه عليهم فهو دائم اللعن لصاحب الزنج ويسميه « الخبيث[١] » . وقد اعتبر الذين قتلهم بابك الخرمى فى حروبه شهداء فى سبيل الله[٢] ، وقال عن أبى طاهر القرمطى : « وقد كان هذا الملعون بلاء عظيما على الإسلام وأهله »[٣] .

وتناول الذهبي السنى أخبار الدولة الفاطمية بشىء من التفصيل ، باعتبارها من أكبر الأخطار التى جابهت أهل السنة ، فهم عنده باطنية[٤] ، أدعياء ، نسب إلى آل البيت[٥] ، ولذلك أطلق عليهم « بنى عبيد » أو « العبيديين » أو « الرافضة » ونحوها ، وقد قال فى عبيد الله المهدى مؤسس دولتهم : « ويا حبذا لو كان رافضيا وبس[٦] ولكنه زنديق[٧] » ، وقال : « وكان البلاء عظيما ببنى عبيد الباطنية[٨] » ، وذكر فى غير موضع من كتابه كيف

---

(١) الورقة ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(٢) تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ص ٤١٥ .

(٣) الورقة ٥٧ (حلب) وانظر أيضا الورقة ١٧٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٤) الورقة ٩١ ، ١٢١ ، ٢٠٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٩٦ (حلب) والورقة ١١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

(٥) تكلم الذهبي فى نسب الفاطميين فى غير موضع من كتابه وكان يرى بطلانه ، انظر مثلا الورقة ١٨٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٢١ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) والورقة ١٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) والورقة ٦٢ (حلب) .

(٦) كلمة فصيحة بمعنى « حسب » كما فى معاجيم اللغة .

(٧) الورقة ١٢١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٨) الورقة ٩١ من النسخة السابقة .

كانوا يقتلون أهل السنة بعد تعذيبهم ليردوهم عن الترضى عن الصحابة[(١)] .

وقد اعتنى الذهبى فى أثناء تناول حوادث السنين بإجمال حالة السنة وأهلها لما لذلك من أهمية عنده ، نحو ذكره فى آخر حوادث سنة ٣٦٣ ﻫ قطع الخطبة فى مكة والمدينة وإقامتها للمعز العبيدى « فى الحجاز ومصر والشام والمغرب ، وكان الرفض قائما فى هذه الأقاليم وفى العراق[(٢)] والسنة خاملة مغمورة لكنها ظاهرة بخراسان وأصبهان فالأمر لله تعالى[(٣)] » . ثم قوله فى سنة ٣٦٤ ﻫ : « وفى هذه السنين وبعدها كان الرفض يغلى ويفور بمصر والشام والغرب والشرق لا سيما بالعبيدية الباطنية قاتلهم الله »[(٤)] ثم أورد أخباراً عن ذلك[(٥)] ، وقوله فى حوادث سنة ٣٧٢ : « وفى هذا الزمان كانت الأهواء والبدع فاشية بمثل بغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال فإننا لله وإنا إليه راجعون[(٦)] » .

ويتضح لنا من كل هذه الأمثلة أن عقيدته السنية هى التى دفعته إلى التركيز على مثل هذه الحوادث .

وقد عرفنا من دراستنا لسيرة الذهبى وعصره ما شهدته دمشق على عهده من صراع عقائدى حاد أثر إلى حد كبير فى تكوينه الفكرى ، لذلك وجدناه ،

---

(١) الورقة ٥٨ ـ ٥٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ١٢١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١١ ـ ١٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

(٢) يعنى بسبب استيلاء البويهيين على العراق .

(٣) الورقة ٩٥ (حلب) .

(٤) الورقة ٩٦ (حلب) .

(٥) الورقة ٩٦ ـ ٩٧ (حلب) .

(٦) الورقة ١٠٢ (حلب) وأورد حكاية لأحد المغاربة القادمين من بغداد تبين كيف كان أهل الكلام من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس يتناقشون من غير اعتماد على كتاب الله تعالى .

انطلاقا من بيئته وتكوينه الفكرى ، يعنى بذكر النزاعات العقائدية على مدى التاريخ حيث أولاها عناية خاصة[١] ، وأورد أخبار الفتن التى قامت بسببها[٢].

ولعل من أوضح الأمثلة التى تؤيد هذه المقالة، الكمية التى خصصها من الحوادث لذكر مواقف الخلفاء العباسيين من محنة القول بخلق القرآن ابتداء بالمأمون وانتهاء بالمتوكل الذى رفع القول بخلق القرآن.وحسبنا أن نذكر أنه فى الوقت الذى كانت الحوادث فى هذه السنوات لا تستغرق فى العادة أكثر من نصف ورقة فإنه كتب عن امتحان المأمون للعلماء فىحوادث سنة ٢١٨ ﻫ قرابة الست أوراق متتالية[٣] ، ولعل هذا كان من الأسباب الرئيسة التى جعلت العقائد تكون عنصراً بارزاً من عناصر الترجمة كما سيأتى بيانه .

وعنى الذهبي بإبراز أعمال الخلفاء والملوك والأمراء المتصلة بنشر الدين والعناية به . وإبطال الفساد[٤] . وبناء المساجد والجوامع[٥] وتجديدها[٦] . وإبراز الأعمال التى ساروا فيها بموجب الشريعة الإسلامية أو خالفوها مثل

---

(١) انظر مثلا الورقة ٧٦ ، ٧٨، ٧٩، ٨٠ ، ٨٣، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨، ١٤٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨ . . . الخ (حلب والورقة ٢٠٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٢٠ ، ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٨ ، ٢٦٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤) وغيرها .

(٢) انظر مثلا الورقة ٨ ، ٧٢ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٤٧، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٩٥ ... الخ (حلب) .

(٣) الورقة ٨٨ـ ٩٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) وراجع الورقة ٣، ٤ ، ٦ ، ١١ ، ١٥، ٢٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(٤) مثلا الورقة ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) مثلا الورقة ٢٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٦) مثلا الورقة ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤١ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) والورقة ٢٢٦ (حلب) .

فرض المكوس أو إبطالها[١] . كما عنى بذكر الولايات الدينية كالقضاء وتعيين القضاة وعزلهم[٢] ، وإثبات الشهود وعزلهم[٣] ، وأمراء الحاج[٤] .

واهتم بالأمور المتعلقة بمصالح المسلمين الدينية فاعتنى مثلا بذكر مواسم الحج وما يجرى للحجاج فى المواسم أو فى الطريق من نهب وسلب ونحوهما[٥] ، واعتنى بمصالحهم الدنيوية وما يصيب الأمة من أوبئة[٦] وسنين مجدبة[٧] ، ومجاعات[٨] وفيضانات[٩] وعواصف مدمرة[١٠] ، وارتفاع فى أسعار الأطعمة أو انخفاض فيها وقد قدم أمثلة لذلك[١١] .

---

(١) مثلا الورقة ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٢) مثلا الورقة ٧٨ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٨ (حلب) والورقة ١٩٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٢٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ ، ٣٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٣)

(٣) مثلا الورقة ٢٤٧ ، ٢٥٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) مثلا الورقة ٣٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٤٠ وغيرها (حلب) .

(٥) مثلا الورقة ٩١ ، ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٥٢ (حلب) والورقة ١٤٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٣٠ ، ٢٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٦) مثلا الورقة ٩٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٢١١ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٧) والورقة ٣٢ ، ٤٧ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٨٠ (حلب) .

(٧) مثلا الورقة ٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) والورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣١١٢)

(٨) مثلا الورقة ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨١ (حلب) .

(٩) مثلا الورقة ٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٦٥ ، ٩٩ ، ١٢٤ (حلب) والورقة ٢٣١ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(١٠) مثلا الورقة ٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) والورقة ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٩٣ (حلب) .

(١١) مثلا الورقة ٩٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٨ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦١ ، =

ولما كان الذهبي من المهتمين بالعلم ونشره فقد اعتنى بذكر إنشاء دور العلم مثل المدارس[١] ودور الحديث[٢] وخزائن الكتب[٣] وتعيين المدرسين وعزلهم[٤]. ويظهر ذلك أكثر وضوحا فى القسم الأخير من كتابه حيث احتلت مثل هذه الأمور حيزا ليس بالقليل من مادة الحوادث فصرنا لانجد حوادث سنة من السنوات خالية من مثل هذه الأمور مما يدل على شدة اهتمامه بها وعنايته بذكرها[٥].

واهتم بإيراد كثير من الوثائق والمكاتبات بنصوصها ، وهى ظاهرة واضحة فى كتابه . وتشتمل هذه الوثائق على ماصدر عن علماء الأمة من المحاضر المتعلقة بالعقائد ، والتوقيعات التى أصدرها الخلفاء والملوك . على أنه ركز اهتمامه على الكتب التى كان ملوك الدول الإسلامية يبعثون بها إلى الخلافة العباسية يصفون بها فتوحاتهم وحروبهم وردهم لأعداء المسلمين أو أعداء الخلافة[٦] .

---

٩٠ ، ١٠٥ ، ١٣٧ ، ١٨١ (حلب) والورقة ٢٠٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٢٦ – ٣٢٧ ، ٣٢٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(١) انظر الورقة ١٨٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٤٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ١٧٥ (حلب) .

(٢) الورقة ٢٢٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) الورقة ١١١ (حلب) .

(٤) الورقة ٢٠٧ ، ٢٤٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٤٦ ، ٢٦٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ (أياصوفيا ٣٠١٤).

(٥) راجع حوادث ٦٧١ – ٧٠٠ (أياصوفيا ٣٠١٤) .

(٦) انظر مثلا الورقة ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٥٧ ، ١٩٢ (حلب) والورقة ١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) وغيرها .

ولما كان الذهبي يولي التراجم عنايته الفائقة أصلا ، فإنه لم يخلص الحوادث منها ، فصار يذكر أسماء وفيات المشهورين ضمن الحوادث باعتبار ذلك حدثا تاريخيا مهما من الواجب ذكره وتعيينه ، بل إننا نجد حوادث بعض السنين ماهي إلا مختصر لوفيات كبار المترجمين ، لاسيما في الفترة الواقعة بين سنتي ٤١ـ ٣٠٠ ه ، وهي الفترة التي نظم التراجم فيها على حروف المعجم ضمن كل عشر سنوات ، فأصبح محتاجا لتقديم وفيات الأعلام ضمن حوادث السنة .

إن مراكز القوى في الدولة الإسلامية هي التي حددت في كثير من الأحيان كمية المعلومات التي يقدمها الذهبي عن بلد ما من البلدان الإسلامية بالرغم من أنه أراد لكتابه الشمول المكاني باعتباره تاريخا للإسلام أجمع . ولذلك وجدنا الحوادث المذكورة في كتابه تدور على عهد الأمويين في نطاق الشام والعراق بينما ازداد اهتمامه بالعراق حينما أصبح مركزا للخلافة العباسيـة حتى كادت الحوادث تقتصر عليه في كثير من الأحيان . وفي بعض سني القرن الرابع الهجري نجد الذهبي يركز على أخبار الحمدانيين بحلب بسبب حروبهم المشهورة التي شنوها على البيزنطيين ، ثم يعود إلى العناية التامة بأخبار العراق والعباسيين ويستمر في ذلك حتى منتصف القرن السادس الهجري تقريبا بحيث يكاد كتابه يقتصر عليهم في كثير من حوادث السنين[1] ، إلا أنه يتحول بعيد هذا التاريخ فيعنى بأخبار الزنكيين في الجزيرة وبلاد الشام ومن بعدهم بالأيوبيين ولاسيما في عهد صلاح الدين بسبب من نظرته إلى أهمية الأحداث التي قاموا بها في رد المعتدين عن ديار الإسلام فتشعر في بعض السنوات وكأنه دون تاريخه لهم وقل اهتمامه بأخبار الخلافة العباسية نسبيا . وتوجه الذهبي بعد سقوط بغداد بيد هولاكو

---

(١) انظر مثلا الورقة ٢ ـ ٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١٠) .

سنة ٦٥٦ هـ إلى العناية التامة بتوريخ حوادث بلاد الشام ومصر حيث احتلت الحيز الأعظم من الحوادث ، بل ظلت أخبارها فى تزايد مستمر سنة بعد أخرى حتى كادت تقتصر عليها فى الربع الأخير من القرن السابع الهجرى فصار « تاريخ الإسلام » فى هذه الفترة أقرب شبها بالتواريخ المحلية .

ومع أن الذهبى اعتمد بعض الموارد أكثر من غيرها فى بعض الأحيان إلا أننا وجدناه لايتابع موردا معينا فى اختيار الأحداث والتركيز على المهم منها . وقد استطعنا أن نميز له منهجا خاصا فى هذا الباب يقوم على تقدير المهم وذكره ، وإسقاط غير المهم وأهماله ، مستندا إلى مفهومه التاريخى للأحداث ، الذى شرحناه قبل قليل . وقد تبين لنا أن الذهبى استطاع ، فى أكثر الأحايين ، أن يوجه الأحداث فى تاريخه الوجهة النوعية والمكانية التى اختارها ، بفضل قدرته الفائقة على تنويع موارده بين عصر وآخر ، وعدم التزامه بخط مؤرخ معين من المؤرخين الذين سبقوه[1] .

وعلى الرغم من أن الذهبى قد اختار « المهم » من الأحداث التى شهدها العالم الإسلامى وأعطاها الأولوية فى كتابه ، فإنه لم يتخلص من طريقة كتاب الحوليات المسلمين الذين سبقوه ، فاهتم بذكر بعض الأخبار القصيرة العجيبة التى لاترتبط ببعضها إلا بوقوعها فى السنة التى يتناول أحداثها ، وغالبا ما تأتى هذه النتف فى آخر حوادث السنة مثل الظواهر الطبيعية كالزلازل[2] ، وكسوف

---

(١) انظر أدناه كلامنا على الموارد .

(٢) انظر مثلا الورقة ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢١٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) والورقة ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٧٦ (حلب) والورقة ٩ (أيا صوفيا ٣٠١٠) ، والورقة ١٨١ ، ١٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) والورقة ٢٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

الشمس [١] ، وخسوف القمر [٢] ، والبرد الشديد [٣] . كما عنى بالحوادث الغريبة مثل تحويل امرأة إلى رجل [٤] ، وولادة طفل برأسين وأربعة أرجل [٥] ، وقدوم رجل طوله ثلاثة أشبار وثلاث أصابع إلى دار الخلافة [٦] ، ونحوها [٧] .

طبيعة التراجم وأسس انتقائها :

لقد اتضح لنا من دراستنا لكتاب « تاريخ الإسلام » أن الذهبى اتبع منهجا واضحا عند ذكر التراجم فيه مراعيا أسسا معينة أبرزها ما يأتى : ـ

١ ـ الشهرة والعلمية :

ذكر المشهورين والأعلام [٨] ، ولم يذكر المغمورين والمجهولين ، بعرف أهل الفن فى كل عصر لا يعرفنا نحن ، إذ لا ريب فى أن هناك آلافا من التراجم

(١) انظر مثلا الورقة ٣٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) انظر مثلا الورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٣) الورقة ٣٢١ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٤) الورقة ٢٣٢ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) الورقة (٢١٨ أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٦) الورقة ٢٦٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٧) انظر مثلا الورقة ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٣١ (حلب) والورقة ١١ (أيا صوفيا ٣٠١٠) والورقة ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) وغيرها كثير .

(٨) استعمل الذهبى لفظ « الأعلام » لأولئك المشهورين جدا ، وفى الأغلب ترجم لهم تراجم حافلة وأشار بعد اسم المترجم ونسبه بأنه « أحد الأعلام » انظر مثلا ج ٥ ص ٤٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧ . . . إلخ (مطبوعة) .

التي ذكرها لم يسمع بها كثير من المتخصصين في عصرنا . على أن الذهبي كان عارفاً بجميع من ذكرهم في تاريخه مطلعا على سيرهم ورواياتهم وشيوخهم وأوقاتهم سوى حالات نادرة جدا ذكر فيها أشخاصا عرفهم علماء سبقوه ولم يعرفهم[(١)] هو فأشار إلى هذا الأمر نحو قوله في ترجمة أبي عيسى مخلد بن غسان السلمي : « ورّخه ابن منده . لا أعرفه »[(٢)]. وهذا الذي ذكرته عن « الشهرة والعلمية » هو الذي يفسر عنوان الكتاب ، فهو كتاب في « المشاهير والأعلام » .

على أن مفهوم الشهرة يختلف عند مؤلف وآخر إستنادا إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم أو فن من الفنون أو عمل من الأعمال أو أي شيء آخر ، لذلك وجدنا تباينا كبيرا بين عدد المشهورين المذكورين في السنة الواحدة عند كتاب الحوليات ، ففي الوقت الذي اقتصرت فيه كثير من الكتب على إيراد ٥ ـ ١٥ ترجمة في السنة الواحدة مثل « المنتظم » لابن الجوزي « ت ٥٩٧ هـ » و « مرآة الزمان » لسبطه « ت ٦٥٤ هـ » و « الذيل على مرآة الزمان » لقطب الدين اليونيني « ت ٧٢٦ هـ » و « البداية » لابن كثير « ت ٧٧٤ هـ » و « عقد الجمان » لبدر الدين العيني « ت ٨٥٥ هـ » أورد الذهبي ستين ترجمة في المعدل تقريبا ، وزاد عددها في بعض السنين على المئة[(٣)] .

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١ ص ١٤ .

(٢) الورقة ٤ (أحمد الثالث ٩/٢٩١٧) وانظر أيضا ، ج ٢ ص ٢٤٦ (مطبوعة) والورقة ١٣٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) بلغ عدد التراجم في سنة ٦٩٥ هـ مئة وخمس تراجم (الورقة ٢٤١ ـ ٢٥٥ أيا صوفيا ٣٠١٤) وبلغ عددها في سنة ٦٩٩ هـ مئة وثلاثا وتسعين ترجمة (الورقة ٢٨٤ ـ ٣١٠ من النسخة السابقة) .

٢ ـ الشمول النوعي :

لم يقتصر الذهبي على نوع معين من المشهورين والأعلام ، بـــل تنوعت تراجمه فشملت كل فئات الناس من الخلفاء ، والملوك ، والأمراء ، والسلاطين والوزراء والسياسيين ، والنقباء والقضاة ، والمحامين،والشهود العدول ، والقراء والمحدثين ، والفقهاء ، والأدباء ، واللغويين ، والنحاة ، والشعراء ، والأطباء ، والصيادلة ، والتجار ، والزهاد ، والصوفية ، وأرباب الملل والنحل والمتكلمين، والفلاسفة ، وكل من اشتهر بشيء من الأشياء سواء أكان حسن الظن به أم سيئا ، ثقة أم كذابا . ولم يكن ليمنعه من ذكر شخص ما أن يكون مختلفا معه في العقيدة كأن يكون معتزليا(١) أو رافضيا(٢) أو زنديقا(٣) ، أو من غـــير الملتزمين بالدين كالمغنين والمجان والمتهتكين(٤) ، أو أن يكون مختلفا معه في الدين كأن يكون مشركا(٥) أو يهوديا(٦) أو نصرانيا(٧) ،مادموا في نطاق دولة الإسلام .

---

(١) انظر مثلا الورقة ٩١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقـــة ١٣٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) والورقة ٢٤ ، ٣٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(٢) مثلا الورقة ١٣٤ ، ١٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨ ، ١٢٣ ، ١٤٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) والورقة ٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(٣) مثلا الورقة ١٢٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) .

(٤) مثلا الورقة ١٠ ، ١٢٩ ، ٢٢٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٥٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .

(٥) مثلا الورقة ١٧١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٧١ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٦) مثلا الورقة ١٥٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) الورقة ٨٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٨٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) والورقة ٢٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٧) مثلا ج٣ ص٣٣٧ ، ج٤ ص١٥١ (مطبوعة) والورقة ١٢١ (أياصوفيا٣٠١١).

ومع أن المؤلف قصد أن يكون تاريخه شاملا جميع الناس من المشاهـير والأعلام ، إلا أنه كان يؤثر المحدثين على غيرهم ، وفى القسم الأخير من كتابه آثر الدماشقة على من سواهم ، لذلك جاءت الغالبيـة العظمى من المترجمين من أهل العناية بالحديث النبوى الشريف . وهذه ظاهرة طبيعية فيما أرى ، لما عرفنا من تربية الذهبي ونشأته الحديثية وحبه لرواية الحديث وشغفه به ذلك الشغف العظيم الذى ملك عليه قلبه فهو من صنفهم واسع المعرفة بهم ، ولأن المحدثين من أكثر الفئات التى عنيت بالرواية نظرا للأهمية البالغة التى يحتلها الحديث النبوى فى الحياة الإسلامية[1] لاسيما فى تلك الأعصر التى امتازت عن غيرها بغلبة الطابع الدينى عليها .

٣ ـ الشمول المكانى :

عمل الذهبى على أن يكون كتابه شاملا لتراجم المشهورين من كافة أنحاء العالم الإسلامى من الأندلس غربا إلى أقصى المشرق .

إلا أن توافر المصادر عنده عن منطقة معينة أو عدم توافرها فى فترة ما من تاريخه هو الذى كان يحدد فى كثير من الأحيان كمية المعلومات التى يتناولها فى كتابه عنها فى عصر معين ، وقد قال فى مقدمة كتابه : « وأيضا فإن عدة

(١) انظر عن مكانة الحديث وأهميته فى التشريع كتاب مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (القاهرة ١٩٦٦) ، ومحمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص ٢٠ فما بعد (القاهرة ١٩٥٨) .

Robson : Hodith in Eney of Islam (New ed .) .

وكان الإمام أحمد يفضل الحديث الضعيف ويقدمه على الرأى والقياس (محمد أبو زهرة : ابن حنبل ، ص ٢٤٠ فما بعد وخاصة ص ٢٤٣) .

بلدان لم يقع إلينا أخبارها إما لكونها لم يؤرخ علماءها أحد من الحفاظ ، أو جمع لها تاريخ ولم يقع إلينا[١] » ولنضرب لذلك مثلا بغداد ، فإن وقوع معظم تواريخها التراجمية الرئيسة إليه جعل معلوماته عنها واسعة جدا فى الفترة التى تناولتها تلك التواريخ مثل تواريخ الخطيب البغدادى « ت ٤٦٣ ﻫ » وابن السمعانى « ت ٥٦٢ ﻫ » ، وابن الدبيثى « ت ٦٣٧ ﻫ » وابن القطيعى « ت ٦٣٤ ﻫ » وابن النجار « ت ٦٤٣ ﻫ » وابن الساعى « ت ٦٧٤ ﻫ »[٢]. فضلا عما اطلع عليه من الموارد الأخرى التى تناولت تراجم أهلها وإن لم تكن من تواريخها المحلية الخاصة ، ومن معاجم الشيوخ والمشيخات والكتابات المتنوعة الأخرى . ولذلك احتفظت بغداد منذ تأسيسها بحصة الأسد من التراجم التى ذكرها إلا أننا نلاحظ أن عددهم يأخذ بالتناقص الشديد فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى حتى لم يعد البغاددة يزيدون عن ٥ ٪ فى العقد الأخير من الكتاب (٦٩١ ـ ٧٠٠ ﻫ) وذلك بسبب افتقاره إلى الموارد التى تعنى بتوريخ البغداديين ، فضلا عن صعوبة وصول المعلومات إليه بسبب ما عرف من القطيعة التى أصابت العلاقات بين العراق والشام فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى نتيجة النزاع الحاد بين المغول والمماليك . ويصح هذا الذى قلناه فى عدد تراجم أهل الأقاليم الشرقية من المشرق الإسلامى ، فبعد أن كانت تراجمهم تحتل حيزا كبيرا من « تاريخ الإسلام » قبل استيلاء المغول على تلك البلاد فى الربع الأول من القرن السابع الهجرى، نجدها تتناقص بشكل مفاجىء بعد سنة ٦١٧ﻫ وتكاد

---

(١) ج ١ ص ١٧ (مطبوعة) .

(٢) لقد اختصر الذهبي ثلاثة من أبرز هذه الكتب وهى تواريخ الخطيب وابن السمعانى وابن النجار (انظر أعلاه الفصل الخاص بآثار الذهبى) .

تختفى من الـكتاب بعيد هذا التاريخ بسنوات قلائل بسبب انقطاع أخبارهم .
ويقال مثل هذا عن الأندلس والمغرب ، فمع أنه لم يفصل فيهم ويستوعبهم مثل
أى مؤرخ مشرقى لـكنه ذكر جملة كبيرة منهم تزيد بكثير عما اعتاد المشارقة
ذكره عنهم بسبب اعتماده على جملة من تواريخ المغرب والأندلس المحلية المعنية
بتراجم رجالها مثل تواريخ ابن الفرضى «ت ٤٠٣ هـ» وابن بشكوال «ت ٥٧٨ هـ»
والأبار «ت ٦٥٨ هـ» وغيرهم، إلا أننا نجد تراجمهم تتناقص أيضا ولاسيما فى النصف
الثانى من القرن السابع الهجرى بسبب بعد تلك البلاد وانقطاع أخبارها عن مشرق
العالم الإسلامى بحيث قال الذهبى فى نهاية الطبقة السادسة والستين (٦٥١ — ٦٦٠ هـ):
« وقد انقرض فى هذه الطبقة السادسة والستين خلق من العلماء والأعيان ورواة
الآثار ، منهم طائفة بالأندلس والمغرب لم تبلغنا أخبارهم »[١] .

٤ — التوازن الزمانى :

سار الذهبى على نمط متقارب فى ذكر عدد التراجم فى السنة الواحدة لكل
عصر من العصور ، فلم نجد عنده تفضيلا لعصر على آخر . ومع أنه من الواجب
علينا ملاحظة قلة عدد التراجم فى السنين الأولى إلا أن هذا لم يكن بسبب تفضيل
عصر على آخر ، فقد اعتذر الذهبى عنه بقلة الجماعة الإسلامية فى صدر الإسلام
من جهة[٢] وعدم توافر المعلومات الدقيقة من جهة أخرى[٣] . ومع كل ذلك فإن
عدد المترجمين فى الطبقة الخامسة عشرة (١٤١ — ١٥٠ هـ) مثلا يزيد على خمسمئة

(١) الورقة ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

(٢) الورقة ٧ (سعودية) .

(٣) انظر مقدمة الذهبى لتاريخه ج ١ ص ١٧ وراجع كذلك ج ٢ ص ٨١ (مطبوعة)
وكلامنا أعلاه على « تنظيم الـكتاب » .

مترجم[١] ، وفى الطبقة الحادية والثلاثين (٣٠١ ـ ٣١٠ هـ) زادوا على خمسين وخمس مئة مترجم[٢] فى حين لم يزد عدد المذكورين فى الطبقة الثالثة والستين (٦٢١ ـ ٦٣٠ هـ) كثيرا عن ست مئة مترجم[٣]، وهم فى الطبقة الثامنة والسبعين (٦٧١ ـ ٦٨٠ هـ) قرابة الخمس مئة وعشرين مترجما[٤] . أما الارتفاع غير الطبيعى فى عدد المترجمين فى بعض الطبقات فإنه يعود إلى أسباب أخرى مثل الحروب والأوبئة التى تحدث فى فترة ما فتزيد من عدد الوفيات ، فقد بلغ عدد المترجمين فى الطبقة السبعين (٦٩١ ـ ٧٠٠ هـ) مثلا أكثر من ثمانى مئة[٥] بسبب العدد الكبير الذى قتل من العلماء بدمشق فى الحرب الغازانية المشهورة سنة ٦٩٩ هـ . بحيث بلغ عدد المترجمين فى هذه السنة وحدها ١٩٣ نفسا[٦]، بينما كان عدد المذكورين فى السنة التى قبلها ٦٤ نفسا[٧] وعددهم فى السنة التى بعدها ٦٧ نفسا[٨] .

٥ ـ الاختصار :

وجد الذهبى ، بسبب سعة اطلاعه وتمكنه العظيم فى الرجال ، مادة هائلة احتوتها مئات الموارد التى اعتمدها فى كتابه ، يساعده على ذلك سعة النطاق الزمانى لكتابه الذى يمتد من أول تاريخ الإسلام حتى سنة ٧٠٠ هـ ، والنطاق

(١) ج ٦ ص ٣٣ ـ ١٥٧ (مطبوعة) .
(٢) الورقة ٢ ـ ٥٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) .
(٣) الورقة ١ ـ ١٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٤) الورقة ٣ ـ ٨٣ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .
(٥) الورقة ٢١٠ ـ ٣١٩ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .
(٦) الورقة ٢٨٤ ـ ٣١٠ من النسخة السابقة .
(٧) الورقة ٢٧٢ ـ ٢٨٤ من النسخة السابقة .
(٨) الورقة ٣١٠ ـ ٣١٩ من النسخة السابقة .

المكانى الذى يشمل العالم الإسلامى كله . وقد رأينا قبل قليل كيف استطاع أن يحدد نوعية المترجمين باختيار المشهورين والأعلام منهم ، إلا أن المسألة التى تبدو أكثر أهمية هى كمية المعلومات التى يذكرها فى الترجمة الواحدة، فقد كان لا بد له، وقد تحصلت لديه مادة ضخمة ، أن ينتقى منها ما يتفق وخطته التى اتبعها فى عناصر الترجمة[١] ، وحتى لا يتضخم الكتاب أزيد من هذا التخضم الكبير الذى قدّره له. وقد أشار الذهبى إلى ضخامة المعلومات التى وقف عليها فى مقدمة كتابه حينما قال : « إذ لو استوعبت التراجم والوقائع لبلغ الكتاب مئة مجلدة بل أكثر ، لأن فيه مئة نفس يمكننى أن أذكر أحوالهم فى خمسين مجلدا »[٢] .

وعلى هذا فقد حاول جاهدا أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة فى الوقت نفسه ، لا تؤثر فيها كمية المعلومات التى تتوافر لديه فتخرج عن خطته فى الاختصار العام، فلما شعر مثلا أن ترجمة عمر بن عبد العزيز قد طالت أنهاها بقوله : « ومناقبه طويلة اكتفينا بهذا »[٣] ، واعتذر عن طول ترجمة ابن سينا بقوله : « وقد طالت هذه الترجمة »[٤] . وعلى العكس من ذلك فهو يشير إلى عدم توافر مادة كافية لبعض التراجم نحــو قوله : « بلغتنا أخباره مختصرة »[٥] و « لم تبلغنا أخباره كما ينبغى »[٦] . أو يشير إلى تقصير بعض الموارد فى ترجمة شخص ما نحو

---

(١) انظر أدناه الفصل الخاص عن « عناصر الترجمة » .

(٢) ج ١ ص ١٤ (مطبوعة) ومن الجدير بالذكر أن الشمس السخاوى نقل من خط الذهبي أنه كان يريد أن يؤلف كتابه « التاريخ الكبير المحيط » وأنه لو عمله لجاء فى ست مئة مجلد ، ولكنه لم ينهض له . وقد نقل السخاوي محتويات هذا التاريخ وفيه أربعون صنفا من أصناف المترجمين (الإعلان ص ٥١٨ – ٥٢٢) .

(٣) ج ٤ ص ١٧٦ (وطبوعة) .

(٤) الورقة ٢١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٠) .

(٥) الورقة ١٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٦) الورقة ١٢٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

قوله : « ترجمته صغيرة عنـــد الخطيب »[١] ، أو « وقد ذكره ابن عساكر مختصرا »[٢] أو « هو فى تاريخ ابن النجار أخصر من هذا »[٣] .

وقد تمكن الذهبى فى الوقت نفسه أن يتخلص من المادة الضخمة التى تحصلت له عن بعض المترجمين المشهورين بإحالة القارئ إلى مصادر أوسع تناولت هذا المترجم بتفصيل أكثر مما ذكره هو نحو قـــوله فى ترجمة عمرو بن العاص : « ولعمرو بن العاص ترجمة طويلة فى طبقات ابن سعد فى ثمان[٤] عشرة ورقة[٥] » ، وقوله فى ترجمة لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور : « وقد استوعب صاحب الاستيعاب أخبار لبيد[٦] » ، وقوله فى ترجمة ابن خزيمة المحدث المشهور : « وقد استوعب أخباره الحاكم أبو عبد الله فى تاريخ نيسابور وفيها أشياء كيسة وأخبار مفيدة[٧] » وقوله فى ترجمة المعافى بن عمران الموصلى الزاهد المعروف : « وله

---

(١) الورقة ٢٢٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٢) الورقة ١٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٣) الورقة ٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) وانظر الورقة ٢٢٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٤) هكذا فى المطبوعة من غير ياء وهو رسم الذهبى لها ، وقال الصلاح الصفدى : « الفصيح أن تقول عندى ثمانى نسوة وثمانى عشرة جارية وثمانى مئة درهم لأن الياء هنا ياء المنقوص وهى ثابتة فى حالة الإضافة والنصب » (الوافى م ١ ص ١٩) .

(٥) ج ٢ ص ٢٤٠ (مطبوعة) .

(٦) ج ٢ ص ٢٤٥ (مطبوعة) وصاحب « الاستيعاب » هو ابن عبد البر النمرى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٧) الورقة ٦٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) وانظر إحالة أخرى إلى هذا التاريخ فى الورقة ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

ترجمة فى تاريخ يزيد بن محمد الأزدى فى بضع وعشرين ورقة[١] » ، وقوله فى ترجمة أبى نواس : « ترجمته سبع ورقات فى تاريخ بغداد[٢] » ، وقوله فى ترجمة بلال بن سعد الدمشقى من أهل الطبقة الثانية عشرة : « وترجمته فى تاريخ دمشق فى نيف وعشرين ورقة[٣] » ومثل قوله فى بعض التراجم : « وقد طول الدانى ترجمته وعظمه[٤] » و « وقد أطنب فى ذكره وأسهب فى أمزه أبو سعيد بن يونس[٥] ، و « ذكره القاضى عياض وعظمه[٦] » ونحو ذلك[٧] . وقد بلغ الأمر به فى بعض الأحيان أنه أحال على كتب اختصت بسيرة أحد المترجمين ، نحو قوله فى ترجمة أحمد بن حنبل : « وقد جمع مناقب أبى عبد الله غير واحد منهم : أبو بكر البيهقى فى مجلد ، ومنهم : أبو إسماعيل الأنصارى فى مجيليد ، ومنهم : أبو الفرج ابن الجوزى فى مجلد[٨] » ، وقوله فى أخبار الحلاج من حوادث سنة ٣٠٩ هـ بعد أن ذكر من أخباره ما بلغ قرابة ثمانى أوراق[٩] : « وأخباره

---

(١) الورقة ١٤٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) وهو « طبقات المحدثين » وقد ذكر الأزدى ذلك فى كتابه الآخر « تاريخ الموصل » المطبوع ، ص ٣٠١

(٢) الورقة ٣٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٣) ج ٤ ص ٢٣٦ (مطبوعة) وانظر إحالات إلى ابن عساكر فى ج ٤ ص ٥٥ (مطبوعة) والورقة ٢٦ ، ١٧٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١١٢ (أياصوفيا ٣٠٠٩) .

(٤) الورقة ٢٤٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٥) الورقة ٢٠٥ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ١٨٠ من النسخة السابقة .

(٧) انظر مثلا ج ٢ ص ٤٢ ، ج ٣ ص ٣٤٦ ، ج ٤ ص ١٨١ ، ج ٥ ص ٦٥ (مطبوعة) والورقة ١٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٨) الورقة ١٣٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(٩) الورقة ٨ ـ ١٥ (حلب) .

أكثر من هذا فى تاريخ الخطيب ، وفيما جمع ابن الجوزى من أخباره[١] ، ثم إنى أفردتها فى جزء[٢] » .

ومع كل هذا فإن سعة التراجم فى « تاريخ الإسلام » تتباين الواحدة عن الأخرى ، فقد لا تزيد على بضعة أسطر ، وقد تبلغ أوراقا عديدة . وقد انتقده تلميذه تاج الدين السبكى « ت ٧٧١ هـ » على خطته فى تطويل التراجم وتقصيرها واعتبر ذلك من باب التعصب والهوى العقائدى ، فذكر أن تطويل التراجم وتقصيرها مسألة يغفل عنها الكثيرون، وتكلم على هذه المسألة فى عموم المؤرخين فقال : « فرب محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولا، ثم يأتى إلى من يبغضه فينقل جميع ما ذكر من مذامه ، ويحذف كثيراً مما نقل فى ممادحه ، ويجىء إلى من يحبه فيعكس الحال فيه ، ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب ، لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمة أحد ، ولا استيفاء ما ذكر من ممادحه ، ولا يظن المغتر أن تقصيره لترجمته بهذه النية استزراء به وخيانة لله ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين فى تأدية ما قيل فى حقه من حمد وذم[٣] » ثم خصص الذهبى فقال : « ولقد وقفت فى تاريخ الذهبى ـ رحمه الله ـ على ترجمة الشيخ الموفق[٤] ابن

---

(١) أحال الذهبى على كتاب ابن الجوزى هذا أيضا فى ترجمة الحلاج من وفيات سنة ٣٠٩ هـ وسماه هناك : « القاطع لمحال المحاج بحال الحلاج » الورقة ٣٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٢) الورقة ١٥ (حلب) وانظر أعلاه « آثار الذهبى » فى الباب الأول من هذه الرسالة .

(٣) السبكى : الطبقات ، ج ٢ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٢٠هـ وكان من كبار العلماء الزهاد ، وهو صاحب التصانيف المشهورة المطبوعة المتداولة ومن أشهرها كتاب « المغنى » وقد ترجم له الذهبى فى سبع أوراق (٢٠٤ ـ ٢١٠ أيا صوفيا ٣٠١١) علما أن الذهبى قد ألف كتابا فى سيرته (انظر أعلاه آثار الذهبى) .

قدامة الحنبلى ، والشيخ فخر الدين[1] ابن عساكر، وقد أطال تلك وقصر هذه وأتى بما لا يشك لبيب أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعرى وذاك حنبلى ، وسيقفون بين يدى رب العالمين[2] » . وكلام السبكى هذا جزء من نقده الشديد للذهبى الذى سوف نتكلم عليه فى موضع آخر - إن شاء الله[3] - .

وقد ظهر لنا نتيجة دراستنا لهذه الناحية فى « تاريخ الإسلام » أن السبكى قد بالغ فى نقده بسبب من تعصبه الشديد للأشاعرة، فقد تبين أن الذهبى راعى فى أكثر الأحايين ، وليس فى جميعها ، قيمة الإنسان وشهرته بين أهل علمه أو مكانته بين الذين من بابته سواء أكان متفقا معه فى العقيدة أم مخالفا ، فنراه مثلا يطول فى تراجم الشعراء البارزين مثل المتنبى[4] ، وعمارة اليمنى[5] ومجنون ليلى[6] ، والأرجانى[7] ، وغيرهم . أو كبار النحويين مثل الكسائى[8] . أو كبار الخطاطين مثل ابن مقلة[9] ، وهلم جرا .

---

(١) هو فخر الدين عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ابن أخى الحافظ أبى القاسم ابن عساكر صاحب التاريخ المشهور ، وقد توفى فخر الدين هذا سنة ٦٢٠ أيضا ، وكان من كبار الشافعية بالشام آنذاك ، وترجم له الذهبى فى ثلاث أوراق تقريبا (٢١١ - ٢١٣ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) السبكى : الطبقات ج ٢ ص ٢٤ .

(٣) انظر أدناه الفصل الخاص بالنقد .

(٤) الورقة ١٣ - ١٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .

(٥) الورقة ٢٥ - ٢٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

(٦) ج ٣ ص ٦٤ - ٦٨ (مطبوعة) .

(٧) الورقة ٣٠٥ - ٣٠٧ (أيا صوفيا ٣٠١٠) .

(٨) الورقة ١١٣ - ١١٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٩) الورقة ١٥١ - ١٥٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

وكيف يقال : إن التعصب هو الذى دفـــع الذهبى إلى تطويل التراجم وتقصيرها وقد طول فى ترجمة الحلاج بحيث بلغ ما ذكره عنه فى الحوادث فقط ثمانى أوراق[١] ، بله الجزء الذى ألفه فى أخباره، وهو الذى يقول فى ترجمته : « قتلوه على الكفر والحلول والانسلاخ من الدين . . . كان كذابا مموها ممخرقا حلوليا له كلام حلو يستحوذ به على نفوس جهال العوام[٢] ». وترجم ابن سينا ترجمة طويلة بلغت عشر أوراق بخطه[٣] باعتباره « آية فى الذكاء وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول ! »[٤]، وترجم لأبى العلاء المعرى ترجمة حافلة مع أنه أكد زندقته فى غير موضع[٥] . وقد طول الذهبى فى كثير من تراجم الأشاعرة البارزين ومدحهم مدحا كبيرا كلا حسب مبلغه من العلم الذى برع فيه ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الإمام محيى الدين النواوى الشافعى الأشعرى[٦] الذى لم تقل ترجمته عن ترجمة الموفق ابن قدامة لا فى الطول ولا فى الثناء ، فضلا عن اعتذاره فى آخر الترجمة بقوله : «ولا يحتمل كتابنا أكثر مما ذكرنا من سيرة هذا السيد ـ رحمه الله ـ »[٧] .

ومع أن الذهبى كان عظيم الاهتمام بالمحدثين شديد الكلف بهم ، إلا أننا وجدناه يترجم لهم تراجم قصيرة عموما إذا قيست بتراجم الشعـــراء والزهاد

(١) الورقة ٨ ـ ١٥ (حلب) .
(٢) الورقة ٣٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٣) الورقة ٢١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .
(٤) الورقة ٢٨١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .
(٥) الورقة ٤٦١ ـ ٤٧٠ من النسخة السابقة .
(٦) الورقة ٤٢ ـ ٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .
(٧) الورقة ٤٧ من النسخة السابقة .

والصوفية والمتكلمين إذا استثنينا بعض أعلامهم المشهورين جدا مثل البخارى[١] وأحمد بن حنبل[٢] والزهرى[٣] وعبد الله بن المبارك[٤] ونحوهم .

على أن هذا الذى قلته لايعنى أنه لم يتأثر إطلاقا بعقيدته وآرائه ونظرته إلى العلوم فى فهم المترجمين وتطويل تراجمهم أوتقصيرها ، فهذا أمر يجانب الطبيعة البشرية وهو موجود عند جميع المؤرخين ، لكننا نشير إلى محاولاته الجدية فى الموازنة وإلى أنه لم يفعل ذلك عن هوى وتقصد إنما دفعته بيئته وثقافته فى كثير من الأحيان إلى الإعجاب بشخص ما وتقديره ، وعليه فإن تطويل الترجمة وتقصيرها يجب أن ينظر إليه بمنظار ينفذ خلال المؤلف أولا من أجل كشف معاييره واتجاهاته الفكرية . وعلى أساس من هذا يجب أن تفهم انتقادات العلماء بعضهم لبعض فى مثل هذه المسائل ، وإلا فإن مآخذ السبكى على الذهبى يمكن تطبيقها على السبكى نفسه ويكفى أن نتذكر تراجمه فى طبقات الشافعية لنعلم ذلك.

ونحن على أى حال يجب أن نعترف بأن التاريخ كان أبدا ضحية أمزجة المؤرخين المسلمين فى الإطناب والإيجاز ونوعية المعلومات التى يهتمون بها ويلتفتون إليها دون غيرها ويدونونها فى كتبهم استنادا إلى أذواقهم ومفاهيمهم. وتفضل بعد كل هذا الذى قلته واسأل متعجبا : كيف ترجم الذهبى لواحد من أعظم

---

(١) الورقة ٢٥٧ – ٢٦٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(٢) وقد تكلم على المحنة فى أثنائها فاستغرقت من ترجمته قسما كبيرا (الورقة ١٠٢– ١٣٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(٣) ج ٥ ص ١٣٦ – ١٥٢ (مطبوعة) .

(٤) الورقة ٨٩ – ١٠١ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

الرياضيين هو البوزجانى المتوفى سنــــة ٣٨٧ ﻫ فى سطرين فقط[١] ؟! ثم سرعان ما يتبدد استعجابك[٢] حينما تعلم أنه لم يدر يوما من هذه المعلوم شيئا ، ولم ينل منها حظا، بله اعتباره الرياضيات والهندسة والفلك من « الصنائع المظلمة »[٣]!!

---

(١) الورقة ١٩٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) قال الزمخشرى فى (ع ج ب) من أساس البلاغة (ص ٦١٤) :الاستعجاب: فرط التعجب .

(٣) الورقة ٢٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

الفصل الثالث

عناصر الترجمة

توطئة :

تختلف المادة الموجودة فى ترجمة ما عن الأخرى حسب طبيعة المترجم له وقيمته العلمية أو الأدبية أو مكانته السياسية من جهة وعدد الموارد التى يعتمدها المؤلف ونوعيتها من جهة أخرى . وطبيعى أننا نجد اختلافا واضحا فى محتويات ترجمة السياسى عن الأديب ، واختلافا بين ترجمة الأديب أو المحدث أو الفقيه أو المتكلم ونحو ذلك . وقد لا نستطيع أن نتبين سوى السمات العامة فى الترجمة البالغة القصر . على أننا فى الوقت نفسه نلاحظ تنظيما واضحا داخل التراجم الحافلة قد يصل حدا يضع فيه الذهبى عناوين بالخط الغليظ لكل جزء مميز من أجزائها كما هو فى ترجمة فخر الدين الرازى [1] ، وأبى عمر المقدسى [2] ، وأبى إسحاق المقدسى [3] ، والموفق المقدسى [4] ، وعز الدين ابن الأثير [5] ، وأبى زكريا النواوى [6] ، وغيرهم .

(١) الورقة ٣٨ ــ ٤٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) الورقة ٥١ ــ ٥٧ من النسخة السابقة .

(٣) الورقة ١٢٢ ــ ١٢٦ من النسخة السابقة .

(٤) الورقة ٢٠٤ ــ ٢١٠ من النسخة السابقة .

(٥) الورقة ٩٥ ــ ٩٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٦) الورقة ٤٢ ــ ٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

على أننا نستطيع أن نميز المنهج العام الذى اختطه الذهبى لنفسه فى ذكر محتويات تراجم العلماء والرواة والأدباء ونحوهم بالأمور الآتية :

١ ـ اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته .

٢ ـ مولده أو مايدل على عمره .

٣ ـ نشأته ودراسته وأخذه عن الشيوخ .

٤ ـ إنتاجه وتلامذته .

٥ ـ مكانته العلمية وعقيدته وآراء العلماء فيه ورأى الذهبى إن وجد .

٦ ـ تحديد تاريخ وفاته .

وقد تتوافر هذه الأمور جميعها فى الترجمة الواحدة، وقد توجد طائفة منها ، أو لايتوافر منها إلا القليل حسب طبيعة المترجم له وكمية المعلومات المتوافرة عنه.

١ ـ الاسم والنسب واللقب والكنية والنسبة :

يبتدىء الذهبى الترجمة عادة بذكر اسم المترجم له واسم والده وأجداده وهو قلما يورد أقل من ثلاثة أسماء[١]. ثم يذكر بعد ذلك بعض الصفات المادحة أو الدالة على مكانته العلمية نحو : « الشيخ » ، و « الفقيه » ، و « الحافظ » ، و « المسند » ، و « العلامة » ، و « الرحلة » ، و « الشاعر » ، و « الأديب »، أو من الألفاظ الدالة على المناصب الدينية والدنيوية الرفيعة نحو : «قاضى القضاة»

(١) وكان يعنى بإصعاد نسب بعض المشهورين من ذوى البيوتات مثل العلويين والعباسيين ونحوهم (انظر مثلا الورقة ١٤٦ أيا صوفيا ٣٠٠٦ ، والورقة ٣٤ ، ١٥٣ أيا صوفيا ٣٠٠٧ ، والورقة ٣٦٠ أيا صوفيا ٣٠٠٩ ، أو بعض كبار العلماء (مثلا ، الورقة ١٠٢ أحمد الثالث ٢٩١٧/٧ ، والورقة ١٦٧ أيا صوفيا ٣٠٠٦ ، والورقة ٣٨٩ أيا صوفيا ٣٠٠٩ وغيرها) .

و « شيخ الشيوخ » ، و « القـــاضى » ، و « أمير المؤمنين » ، و « الملك » ، و « السلطـان » ، و « الأمير » ، و « الوزير » ، و « الحاجب » ، و « نقيب النقباء » ونحوها . كما يستعمل ألفاظا دالة على أصالة المترجم وبيته العريق مثل : «الشريف» لمن كان من العلويين أو العباسيين ، و «الأصيل» لمن هو من بيت عريق فى رياسة أو علم . على أن الذهبى غالبا ما يقتصر فى إيراد هذه الصفات على المترجم نفسه ولا يتعداها إلى آبائه كما يفعل المنذرى فى « التـكملة » [(١)] ، فإذا تعداها فى حالات قليلة فإنه يقتصر على والد المترجم أو أحد المشهورين من آبائه كأنه يريد أن يزيد فى تعريف المترجم عند ذكره ذلك[(٢)] .

أما لقب المترجم فيأتى عادة بعد هذه الصفات والألفاظ[(٣)] . ويلاحظ أن الذهبى حريص فى هذا الموضع من الترجمة على إيراد ما يضاف إلى اللقب ، نحو قوله « عز الدين » و « ضياء الدين » و « تاج الدين » ونحـــوها فى حين غالبا ما يحذف مثل هذه الإضافة فى داخل الترجمة ، أو من ألقاب الرواة الذين أخذوا عنه أو المصادر التى ينقل منها فيقول عوضا عن الألقاب التى ذكرناها « العز » و « الضياء » و«التاج» وهذه الطريقة الأخيرة معروفة عند كثير من المؤرخين ومنهم زكى الدين المنذرى[(٤)] .

---

(١) قارن كتابنا : المنذرى وكتابه : التـكملة ، ص ٢٤٠ .

(٢) نحو قوله . « السلطان الملك المعظم شرف الدين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين » ، (الورقة ٤٥ أيا صوفيا ٣٠١٢) ، ونحو قوله فى ترجمة عبد الله ابن عبد الغنى المقدسى : « الحافظ المحدث جمال الدين أبو موسى ابن الحافظ الأوحد أبى محمد المقدسى » الورقة ٧٩ أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) ولـكن اللقب يأتى فى أحيان قليلة جداً عند نهاية الترجمة فيذكر أن لقبه كذا ، انظر مثلا : الورقة ٢٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) انظر كتابنا : المنذرى ، ص ٢٤٣ .

ويذكر المؤلف كنية المترجم بعد ذكر لقبه[١] ، فإذا كان للمترجم أكثر من كنية واحدة ذكرها نحو قوله : « أبو الحسن وأبو محمد[٢] » ، ولكنه قلما يذكر كنى الآباء كما فعل ابن الدبيثى وابن النجار فى تاريخيهما حيث ذكرا عددا من كنى الآباء فى نهاية الاسم ، نحو قول الذهبى : « محمد بن أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم ، أبو المعالى الجيلى ثم البغدادى[٣] » ، فى حين جاءت هذه الترجمة عند ابن الدبيثى بالصورة الآتية : « محمد بن أحمد بن صالح ابن شافع بن صالح بن حاتم الجيلى الأصل البغدادى المولد والدار ، أبو المعالى ابن أبى الفضل بن أبى المعالى »[٤] . والذهبى يخالف الزكى المنذرى فى التكملة الذى كان يذكر الكنى قبل ذكر أى اسم من الآباء فضلا عن الصفات المادحة نحو قوله فى ترجمة ابن شافع المار ذكره : « الشيخ الأجل أبو المعالى محمد ابن الشيخ الأجل أبى الفضل أحمد ابن الشيخ الأجل أبى المعالى صالح ابن الشيخ الأجل أبى محمد شافع بن صالح . . . »[٥] .

وطريقة المنذرى هذه لم تكن لتلائم الذهبى فى تنظيمه الذى قام على أساس ترتيب الأسماء ترتيبا معجميا لأنها تؤدى إلى الاضطراب فى ترتيب الأسماء .

وتأتى بعد ذلك النسبة ، حيث يبدأ المؤلف أولا بذكر نسبة المترجم إلى القبيلة وفروعها إن وجدت ويسلسل ذلك من الأعم إلى الأخص نحو قوله عن

---

(١) وفى أحيان قليلة نجد تقديما للكنية على اللقب ، انظر مثلا الورقة ٣٥ ، ٧٥ ، ٧٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) الورقة ٦٦ أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) الورقة ٦٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) ابن الدبيثى : ذيل تاريخ مدينة السلام ، م١ ص١٥٧ بتحقيقنا .

(٥) التكملة ، م٧ ص ١٣٥٤ (من الطبعة الماجستيرية) .

المترجم الذى ينتسب إلى أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ : « القرشى التيمى البكرى »[١] ، لأن قريشا تتكون من عدة عشائر فهو أعم من أن يكون تيميا، والتيمى أعم من أن يكون من ولد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ومثل هذا قوله عن الذى ينتمى إلى الخليفة المأمون : «الهاشمى المأمونى»[٢] ، وعن الذى ينتسب إلى حاتم الطائى : « الطــائى الحاتمى »[٣]، وهكذا نحو قوله : « الحميرى الكلاعى »[٤] و « الأنصارى السعدى العبادى »[٥] . ثم يذكر بعد ذلك نسبته إلى المدينة أو البلدة التى ينتسب إليها ، وهو يسلسل ذلك من الأعم إلى الأخص أيضا نحو قوله : « البغدادى الحريمى الطاهرى »[٦] ، فالبغدادى أعم من أن يكون من أهل الحريم الطاهرى المحلة المشهورة ببغداد . ويعنى الذهبى بذكر البلدة التى جاء منها المترجم أو التى كان أحد أجداده ينتسب إليها ، ويثنى بالتى ولد بها ، فالتى نشأ وسكن بها ، وينتهى بذكر التى توفى بها حسب ما يتوافر له فى الترجمة الواحدة، فإذا ماتوافر كل ذلك أو بعضه فى ترجمة واحدة ذكره نحو قوله : « الكنانى العسقلانى الأصل التنيسى المولد المصرى المنشأ »[٧] . وتأتى بعد هذه النسبة إلى المذهب نحـــو : « الشافعى » و « الحنفى » و « الحنبلى » و « المالكى » و « الزيدى » و «الظاهرى» فإذا ماغير المترجم مذهبه ذكر له

---

(١) الورقة ٣٨ ، ١٢٣ ، ١٤٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) الورقة ١٤١ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) الورقة ٢٠٠ من النسخة السابقة .

(٤) الورقة ١٤٧ من النسخة السابقة .

(٥) الورقة ١٤٩ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ١٦١ من النسخة السابقة .

(٧) الورقة ١٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

نسبته إلى مذهبه القديم ثم إلى مذهبه الجديد . ويورد بعد ذلك نسبته إلى العلم أو الحرفة أو الصنعة . وإذا ما اشتهر الرجل بأكثر من علم أو حرفة أو صنعة ذكرها نحو قوله : «الطحان البواب»(١) و « المقرئ الشاعر »(٢) و«السمسار الصائغ »(٣). ويتبع الذهبي نسبة المترجم بما عرف به من شهرة ويسبق ذلك عادة بكلمة « المعروف » أو « يعرف » مثـل قوله : « أبو الحسن القرشي الأموي النابلسي ثم المصري المالكي العطار المعروف بابن النطاع »(٤) فإذا اشتهر بأكثر من نسبة أو لقب ذكرها أيضاً نحو قوله في ترجمة علي بن عمر بن محمد بن الحسن ابن شاذان من وفيات سنة ٣٨٦ هـ : « أبو الحسن الحميري البغدادي الحربي يعرف بالسكري وبالختلي وبالصيرفي وبالكيال »(٥) . وهو قلما ترك إنسانا اشتهر بشيء وعرف به إلا ذكره وكتابه شاهد على ذلك .

وقد يزيد الذهبي في تعريف المترجم فيذكر بعد الاسم واللقب والكنية والنسبة وما إليها ، وظيفة عرف واشتهر بها اشتهارا كبيرا نحو قوله : «مدرس الطائفة الحنفية بالمستنصرية »(٦) و«قاضي القضاة بقرطبة»(٧) و« قاضي بغداد»(٨)

---

(١) الورقة ١٤٥ من النسخة السابقة .

(٢) الورقة ٢٠٧ من النسخة السابقة .

(٣) الورقة ٢١١ من النسخة السابقة .

(٤) م ١٨ ، الورقة ١٤٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٥) الورقة ١٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٦) الورقة ١٢٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٧) الورقة ٢٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(٨) الورقة ٩٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

و « قاضى بلخ » [١] و « قاضى بلد الخليل » [٢] و « خطيب زملكا » [٣]، و «ناظر الإسكندرية» [٤]، ونحوها . أو يزيد فى تعريفه بذكر أحد المشهورين من أقربائه نحو قوله فى ترجمة تاج الأمناء ابن عساكر المتوفى سنة ٦١٠ ه : « ابن أخى الحافظ أبى القاسم ابن عساكر وأحد الإخوة وأكبرهم ووالد العز النسابة » [٥] . وقوله فى ترجمة أبى المظفر ضياء بن صالح الخفاف المتوفى سنة ٦٠١ ه : « ابن أخى المفيد المبارك بن كامل » [٦] . وقوله فى ترجمة الفقيه أبى المنصور فتح بن محمد بن على الدمياطى المتوفى سنة ٦٠٦ ه : « والد الزين الكاتب المشهور » [٧] . وغيرها [٨] . أو قد يعرفه بكتاب له مشهور جداً نحو قوله فى ترجمة العلامة مجد الدين أبى السعادات ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ ه : « الكاتب البليغ مصنف جامع الأصول ومصنف غريب الحديث » [٩] ، وقوله فى ترجمة محمد بن سعد بن محمد الديباجى المروزى المتوفى سنة ٦٠٩ ه : « مصنف

---

(١) الورقة ١٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) .

(٢) الورقة ١٣ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٣) الورقة ١٣٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) الورقة ١٤٨ من النسخة السابقة .

(٥) م ١٨ ، الورقة ٧٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٦) م ١٨ ، الورقة ٤ من النسخة السابقة .

(٧) م ١٨ ، الورقة ٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٨) انظر مثلا : الورقة ٧٧ ، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٦٨ (من النسخة السابقة) .

(٩) م ١٨ الورقة ٤٢ .

كتاب المحصل فى شرح المفصل للزمخشرى »[١]. ونحوها[٢]. أو قد يعرفه بكتاب مشهور يرويه ، نحـــو قوله فى وفيات سنة ٤٤١ هـ : « محمد بن أحمد بن عيسى ابن عبد الله القاضى . . . البغدادى الفقيه الشافعى راوى معجم الصحابة للبغوى عن ابن بطـــة العكبرى »[٣] ، وقوله فى وفيات سنة ٣٨٨ هـ : « أبو يعقوب الصيدلانى راوى كتاب الضعفاء لأبى جعفر العقيلى عنه »[٤] ، وقوله فى وفيات سنة ٣٦٨ هـ : « محمد بن عيسى بن عمرويه ، أبو أحمد النيسابورى الجلودى راوى صحيح مسلم »[٥] ، و نحو ذلك[٦] .

إن هذه العناية الكبيرة بذكر انتسابات المترجم تكون فى حقيقتها مادة غنية وجزءا مهما من الترجمة حيث يستطيع مؤلف التراجم أن يقدم معلومات عن نسب المترجم وأصله ومكان مولده ونشأته ووفاته ومذهبه واشتهاره بعلم من العلوم أو فن من الفنون أو أدب أو حرفة أو صنعة بعبارة وجيزة ومن غير حاجة إلى استحداث جمل لأجل هذه الغاية ، بل كان ذكر الاسم وإلحاق هذه الانتسابات به يجعل كل هذه المسائل على غاية من الوضوح . ومن أجل أن يضبط الذهبي ماقد يحدث من توهم فى بعض الألفاظ التى قد تؤدى إلى أكثر من معنى

---

(١) م ١٨ ، الورقة ٧٢ :

(٢) انظر مثلا : الورقة ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٨٦ ، ١٩٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) ، والورقة ٦٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٥١ ، ١٧٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٢٥ ، ٤٤ ، ٤٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) وغيرها .

(٣) الورقة ٣٩٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٤) الورقة ٢٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٥) الورقة ٨٩ من النسخة السابقة .

(٦) انظر مثلا : الورقة ١١٩ ، ١٣٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

نراه يشير إلى المراد بذلك اللفظ بصورة مختصرة جدا نحو قوله: « العلوى الحسينى الزيدى النسب »[١] . لئلا يتوهم القارئ أن هذا الرجل قد يكون زيدى المذهب، وقوله مثلا: « حنش ابن عبدالله ... السَّبَئِي الصنعانى ، صنعاء دمشق لا صنعاء اليمن »[٢] .

وفى هذا القسم ، أعنى القسم الأول من الترجمة ، ينص الذهبى فيما إذا كان المترجم ضريرا فيذكر ذلك إذا وقع له[٣] . ولعل تأكيد العلماء على مثل هذا الأمر متأت من النتائج العلمية المترتبة عليه ، فالضرير مثلا لا يستطيع القراءة أو كتابة الإجازة ، بل تكتب عنه[٤] . كما أن أصوله يجب أن يضبطها له أصحابه ، قال الذهبى فى ترجمة على بن محمد أبى الحسن القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ: « وكان حافظا للحديث وعلله ورجاله فقيها أصوليا متكلما مصنفا صالحا متقنا . وكان أعمى لا يرى شيئا وهو مع ذلك من أصح الناس كتبا وأجودهم تقييدا يضبط كتبه ثقات أصحابه ، والذى ضبط له صحيح البخارى رفيقه أبو محمد الأصيلى »[٥] .

كما أنه عنى بذكر كون المترجم من « المعدّلين » فيذكر ذلك بلفظ « المعدل »[٦] . ولعل مؤلفى كتب التراجم أعاروا أهمية لمثل هذا الأمر لما له

---

(١) الورقة ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) ج ٣ ص ٣٦١ (مطبوعة) .

(٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر : الورقة ٢١ ، ٣١ ، ٤٤ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ... إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) انظر كتابنا : المنذرى ، ص ٢٤٣

(٥) الورقة ٣٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٦) انظر مثلا الورقة ٩١ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، =

من أثر فى توثيق المترجم وقبوله فى المناصب الدينية وخاصة القضاء . وكان التعديل يجرى عادة بشهادة الشخص عند القاضى وغالبا ما يكون عند قاضى القضاة ويقبل القاضى شهادته بعد أن يزكيه شخصان من العدول وتكتب بذلك وثيقة تودع بديوان الحكم[1] . على أن الذهبى لم يهتم بذكر تاريخ تعديل الشهود ، وفيما إذا كان المترجم قد عزل عن الشهادة ، ولا يذكر القاضى ، أو قاضى القضاة الذى جرى التعديل عنده وكأنه تابع فى ذلك زكى الدين المنذرى فى «التكملة»[2] ، بينما كان ابن الدبيثى وابن النجار وابن الساعى شديدى الاهتمام بذكر هذه الأمور[3] .

٢ ـ المولد :

أما القسم الثانى من الترجمة فهو ذكر تاريخ مولد المترجم وهو غالبا ما يأتى بعد اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته . وقد اعتنى الذهبى بذكر الولادات جهد طاقته فذكرها دائما حيثما توافرت له لما لذلك من أهمية كبيرة فى الاطمئنان على لقاء المترجم لشايخه وسماعاته عليهم أو إجازته عنهم . وكان المحدثون يعنون بتتبع المواليد ويسألون الشيخ عن مولده قبل السماع منه أو الأخذ عنه فإذا

= ١٣٤ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤٠ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٨ : ٦٤ ، ٧٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ... إلخ (أيا صوفيا ٣٣١١) وغيرها كثير .

(١) السمنانى : روضة القضاة ، الورقة ١٧ (نسخة مكتبة البلدية فى ميونيخ رقم ٢٦٠ عربى) .

(٢) انظر كتابنا : المنذرى ، ص ٢٤٤ .

(٣) راجع مقدمتنا لتاريخ ابن الدبيثى ، م ١ ص ٣٥ وكتابنا : تاريخ بغداد لابن الدبيثى ، منهجه ، موارده ، أهميته ، ص ٥ (بغداد ١٩٧٤) .

ما وجدوا له رواية قبل هذا التاريخ أو فى سن لا تحتمل السماع حكموا بكذبه فى هذه الرواية ، فقد كان للشيخ أبى محمد عبداللطيف بن عبدالقاهر السهروردى المتوفى سنة ٦١٠ هـ [١] . أخ أكبر منه اسمه عبد الرحيم له جزء من مسموعاته عن القاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى المتوفى فى رجب سنة ٥٣٥هـ [٢] فحدث به عبد اللطيف هذا بإربل مع أن مولده فى رجب سنة ٥٣٤ هـ وسرعان ما شاع هذا الأمر بين المحدثين ، قال ابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩ هـ : « قال لى أبو العباس أحمد بن على بن عبد الرحمن المقرئ الأندلسى : دخل جماعة من القادسية إلى إربل عن طلبة الحديث فقالوا لى : احذر أن تقرأ على الشيخ هذا الجزء فإنه من مسموعات أخيه . فسألته عن مولده فتكاره فى ذلك وقال : « وما أدرى أيش مقصود أصحاب الحديث يسألون الإنسان عن مولده كأنهم يتهمونه » فذكر مولده ، فقلت إنه ليس من سماعاته [٣] باعتبار أن سنه لا تحتمل السماع .

(١) انظر : ابن نقطة : التقييد ، الورقة ١٦٤ — ١٦٥ ، وإكمال الإكمال ، الورقة ٢٩ (ظاهرية) ، ابن الدبيثى : تاريخ ، الورقة ١٦٢ (باريس ٥٩٢٢) المنذرى : التكملة ، ج ٤ ص ٦٦ — ٦٧ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٧٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) ، والمختصر المحتاج إليه ، الورقة ٨١ ، ابن الملقن : العقد المذهب ، الورقة ١٤٩ .

(٢) ويعرف بقاضى المارستان ، انظر : ابن الجوزى : المنتظم ، ج ١٠ ص ٩٢ — ٩٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٣٣ ، سبط ابن الجوزى : مرآة ، مختصر ج٨ ص ١٧٨ — ١٨٠ ، الذهبى : العبر ، ج ٤ ص ٩٦ — ٩٧ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٦ الورقة ١٢١ — ١٢٢ (مصورة القاهرة ١٥٨٤ تاريخ) .

(٣) ابن نقطة : التقييد ، الورقة ١٦٤ ولذلك تناوله ابن حجر فى « لسانه » ج ٤ ص ٥٤ .

ولما كان الاهتمام بذكر المواليد قد جاء نتيجة العناية بالرواية ولقاء المشايخ لذلك لاحظنا شدة اهتمام الذهبي بذكر مواليد المحدثين بصفة خاصة بينما كثيراً ما أهملها في غيرهم من الملوك والأمراء والمتكلمين ونحوهم .

إن ذكر تاريخ المولد يعتمد بالدرجة الأولى على معرفة المترجم نفسه به لذلك فإن مؤلفي كتب التراجم غالبا ما يذكرون المولد حسبما يورده صاحب الترجمة عندما يسأله الطلبة عنه . وغالبا ما تضبط مواليد ذوي البيوتات العلمية أكثر من غيرهم ، ذلك أن آباءهم أو أقاربهم يهتمون بتقييد تاريخ مولد أبنائهم لأنهم يأملون أن يكونوا من أهل العلم والعناية به .

وكان الذهبي يذكر في بعض الأحيان عمر المترجم إذا لم يذكر تاريخ مولده ، وفي هذه الحالة غالبا ما يأتي ذكر ذلك في نهاية الترجمة وبعد ذكره لتاريخ وفاته نحو قوله مثلا : « عاش إحدى وتسعين سنة[1] » ونحو ذلك[2] ، وإذا لم يظفر بتاريخ مولده دلل على قدم مولده ، نحو قوله : « قديم المولد[3] » .

ويقتصر الذهبي في ذكر المولد على ذكر السنة التي ولد فيها في الأغلب الأعم وقلما يعين اليوم والشهر الذي وقعت فيه الولادة إلا في حالات قليلة[4] على عكس ابن الدبيثي والمنذري اللذين اهتما بذكر اليوم والشهر والسنة إذا وقع لهما

---

(١) الورقة ٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) انظر مثلا الورقة ٨٦ ، ٨٩ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٣ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) والورقة ٣٤ ، ٣٦ ، ٦٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرها كثير .

(٣) الورقة ٦٠ (أيا صوفيا ٣٠١١)

(٤) انظر مثلا الورقة ٤٨ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ١٥٧ ، ١٦٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) وفي جميع هذه المواضع عين الشهر ولم يعين اليوم .

ذلك[١] . وقد يذكر الذهبى المدينة التى ولد بها تصريحا[٢] ، على أنه كثيراً ما يذكر ذلك ضمنيا حينما يشير فى الترجمة إلى أنه « بغـــدادى المولد » أو « أصبهانى المولد » ونحوهما فيدل على مكان ولادته .

٣ ـ الدراسة والشيوخ :

وتأتى المعلومات المتصلة بنشأة المترجم ودراساته بعد الولادة فى الأغلب الأعم . وأول ما يبدأ الذهبى بذكره عادة هو قراءة القرآن الكريم باعتباره أشرف الكتب وهو الذى يعنى به الطلبة فى فترة مبكرة من حياتهم . ويشير فى هذا المجال فيما إذا كان المترجم قد قرأ بالقراءات السبع أو العشر أو الشواذ، كما يعنى بإيراد الشيوخ الذين قرأ عليهم هذه القراءات . ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الفقه ، إذا كان المترجم من المهتمين به ، ولكنه لا يعنى بذكر المذهب الذى تفقه عليه ، إلا أنه يذكر الشيوخ الذين تفقه عليهم أو المدرسة التى تفقه فيها وفى ذلك دلالة على المذهب ، لأن التفقه على شيخ معين يعنى التفقه على مذهب ذلك الشيخ ، ومثل ذلك التفقه فى المدارس التى غالبا ما أوقفت على مذهب معين . ويذكر بعد هذا سماع المترجم للحديث وغيره وإجازات العلماء له ، ثم العلوم الأخرى التى درسها .

وغالبا ما يقتصر الذهبى فى ذكر شيوخ المترجم على ما اشتهروا به من اسم

---

(١) انظر المنذرى : التكملة ، مثلا ج ٤ ص ٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ . . . إلخ . وابن الدبيثى : ذيل تاريخ مدينة السلام ، م ١ ص ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٤ . . . إلخ .

(٢) انظر مثلا الورقة ٤٢ ، ٤٤ ، ٨٤ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٥٧ ، ١٦٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

أو لقب ، فيقول مثــلا « ابن الحصين » ويريد به أبا القاسم هبة الله بن محمد ابن الحصين الشيبانى ، ويقول « أبو بكر الأنصارى » ويريد به القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى . ونحو ذلك وهو بهذا يخالف طريقة المنذرى الذى اعتنى بذكر أسماء الشيوخ بصورة مفصلة فى كتابه التكملة[1] . والذهبى عند ذكره لأسماء الشيوخ بهذا الشكل قد افترض معرفة واطلاعا عند القارىء بحيث يستطيع أن يميز ويعرف الشيخ من شهرته ، وهى طريقة تثير كثيراً من الإرباك لا سيما للقراء غير المتبحرين فى علم الرجال ومعرفتهم والدراية بعصورهم ، بينما تمتاز طريقة المنذرى ، بالرغم من التطويل الحاصل نتيجة لاتباعها ، بأنها تسهل معرفة هؤلاء الشيوخ فى أية ترجمة من التراجم بسهولة ويسر ، كما أنها تجعل كل ترجمة قائمة بنفسها من غير حاجة إلى الرجوع إلى غيرها من التراجم.

ويعنى الذهبى بذكر المكان الذى قرأ فيه المترجم على الشيخ أو سمع عليه ، ولكنه لا يذكر جميع الشيوخ بل يقتصر على المشهورين منهم والذين أكثر المترجم عنهم ، ويتبع ذلك بألفاظ دالة نحو قوله بعد ذكرهم : « وجماعة » أو « وطائفة » أو « وغيرهم » ونحو ذلك[2] . كما يعنى بذكر صيغ التحمل لما لذلك من أهمية عند المحدثين نحــو قوله : « أحضر » أو « سمع حضورا » أو « سمع بإفادة أبيه » أو « قرأ » و « كتب » و « أجاز له » و « روى عن » وما إلى ذلك ، فإذا ما شك فى شىء منها استعمل عبارة تمريضية للدلالة على تشككه نحو قوله : « وذكروا أنه سمع . . . » أو « وقيل إنه سمع » أو « ويقال إنه قرأ . . . » .

---

(١) انظر كتابنا : المنذرى ، ص ٢٤٨ .

(٢) انظر مثلا ، الورقة ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ الخ (أياصوفيا ٣٠١١) .

وفى كثير من التراجم يهتم الذهبى بذكر بعض المسموعات المهمة لاسيما الكتب أو الأجزاء المشهورة أو العالية أو التى انفرد بها شيخ معين مثل الصحيحين والسنن الأربعة والمسانيد المعروفة والأجزاء الحديثية المشهورة التى يزخر بها كتابه[1] .

٤ ـ الإنتاج والتلاميذ :

ولقد حرص الذهبى حرصا بالغا فى ذكر تحديث المترجم له ، وذكر بتفصيل واف المشاهير الذين رووا عنه ، أعنى تلامذته . وهذا القسم من الترجمة هو من اختراع الذهبى فى الأغلب الأعم لم ينقله من كتب أخرى لكنه اطلع على رواية هؤلاء الشيوخ عن المترجم فذكرها وبذلك استطاع أن يحبك التراجم السابقة واللاحقة وينسجها نسجا دلل على عظيم اطلاعه وقدرته ومعرفته التامة بهذا الفن ، ولذلك فإنه غالبا ما يصدر ذكره للرواة عنه بكلمة « قلت » للتدليل على أن هذا القسم من الترجمة لم ينقله عن أحد .

واعتنى الذهبى بذكر ما توافر له من الكتب المشهورة التى ألفها صاحب الترجمة ، لكنه لم يعتن بالاستقصاء ، على نحو ما فعل مثلا ياقوت الحموى فى معجم الأدباء وابن القفطى فى إنباه الرواة وابن قاضى شهبة فى طبقات اللغويين والنحاة وغيرهم . ومع ذلك فإنه فى حالة عدم ذكرها يشير إلى كثرة تآليف المترجم أو قلتها أو نفاستها بأقوال دالة على ذلك نحو قوله : « وله تصانيف

---

(١) وهذه مسألة يتفق فيها كثير من كتاب التراجم ، أعنى عدم استيعاب الشيوخ والعالم الوحيد الذى حاول ذلك هو أبو الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ حيث اجتهد أن يذكر جميع الشيوخ فى كتابه العظيم « تهذيب الكمال » .

حسنة فى فنون[١] » أو « وبرع فى الطب وصنّف فيه كتابا حافلا[٢] » ونحو ذلك[٣] . على أنه فى الوقت نفسه يعنى بذكر المؤلف الذى يجد فيه براعة أو غرابة أو غلطا نحو قوله فى ترجمة إسحاق بن غانم العاثى المتوفى سنة ٦٣٤ هـ « ورأيت له رسالة فى ورقات كتبها إلى ابن الجوزى ينكر عليه خوضه فى التأويل وينكر عليه ما يخاطب به الملائكة على طريق الوعظ ، فما قصّر وأبان عن فضيلة وورع»[٤] ، ونحو قوله فى ترجمة أبى بكر الزاهد المتوفى سنة ٦٧٢ هـ : « وله شعر كثير رأيته فى ديوان مفرد ، وهو شعر طيب يقع على القلب ويحرك الساكن ويثير العزم وإن كان ملحونا[٥] » ، وقوله فى ترجمة محمد بن على ابن يوسف بن ميسّر ، تاج الدين أبى عبد الله المؤرخ المتوفى سنة ٦٧٧ هـ : « وله تاريخ كبير ذيّل به على تاريخ المسبحى ، وهبنى منه مجلدا الحافظ قطب الدين (يعنى اليونينى) وعلى المجلد بخطه : مختصر من تاريخ تاج الدين محمد ابن على بن أحمد بن ميسر ويعرف بابن جلب[٦] » . وقال فى ترجمة ابن الصابونى المتوفى سنة ٦٨٠ هـ : « صنف مجلدا مفيدا سماه إكمال الإكمال ذيّل به على إكمال ابن نقطة فأجاد وأفاد[٧] » ، ونحو ذلك كثير فى كتابه[٨] .

---

(١) الورقة ٣٧ (أياصوفيا ٣٠١١) . (٢) الورقة ٧٩ من النسخة السابقة .

(٣) انظر مثلا، الورقة ٤٢،٢٥ (أحمد الثالث ٩/٢٩١٧) والورقة ١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ٢٢٠،١٩٤،١٠١،١٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٩٣ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

(٤) الورقة ١٤٤ (أياصوفيا ٣٠١٢) .

(٥) الورقة ١٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤) . (٦) الورقة ٥٨ من النسخة السابقة .

(٧) الورقة ٧٧ من النسخة السابقة .

(٨) انظر مثلا ، الورقة ٣٠، ١٣٩،١٣٠،١٢١،٣٦،٣٢ (أحمد الثالث ٩/٢٩١٧) والورقة ٨٢، ١٠٥، ٢٦١،٢٥٠،١٧٠،١١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٤١٥،٥٩ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

ويعطى الذهبي اهتماما لتفرد المترجم عن بعض شيوخه فى الرواية سـواء أكان هذا التفرد عن شيخ واحد أم عن عدة شيوخ أو كان بكتاب أو جزء واحد أم عدة أجزاء ، وسواء أكان بالسماع[١] أم بالإجازة[٢] نحـو قوله فى ترجمة أبى اليمن الكندى المتوفى سنة ٦١٣ هـ : « وكان أعلى أهـل الأرض إسنادا فى القراءات فإنى لا أعلم أحدا من الأمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثا وثمانين سنة غيره ، هذا مع أنه قرأ على أسند شيوخ العصر بالعراق ولم يبق أحد ممن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريبا منه ، بل آخر من قرأ عليه الكمال ابن فارس وعاش بعده نيفا وستين سنة »[٣] . كما يهتم الذهبي بذكر تفرد بعض تلامذة المترجم عنه سواء أكان ذلك بالسماع[٤] أم بالإجازة[٥] .

وفى هذا الموضوع من الترجمة تظهر ذاتية الذهبي فى التراجم ، فهـو يعنى بذكر العلاقة التى تربطه بالمترجم من قراءة أو رواية أو اتصال إسناد وما إلى ذلك نحو قوله فى ترجمة أحمد بن على الحصّار المقرىء المعروف المتوفى سنة ٦٠٩ هـ : « قلت : قرأت للسبعة على شيخنا برهان الدين الإسكندرانى عن قراءته على

---

(١) انظر مثلا ، الورقة ٢، ١٧، ٤٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧/ ١٠) الورقة ١٦٥، ١٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) وغيرها .

(٢) انظر مثلا ، الورقة ١٢، ١٥٣، ٣٩١ (أياصوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

(٣) الورقة ١١٠ (أياصوفيا ٣٠١١) .

(٤) انظر مثلا الورقة ٨٥ ، ١٤٤ ، ٢٢٤ ، (أيا صوفيا ٣٠٠٨) الورقة ٤٠، ٥٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/ ١٠) والورقة ٥٠ ، ٥٣ ، ٩١، ١٢٧ ، ١٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها .

(٥) انظر مثلا الورقة ٨٢، ٩٨ ، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٣ ، ٣٨٠، ٣٨١، ٤١٢ ، ٤٥٥ ، ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٩٤ ، ٩٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها .

علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسى وقال له : قرأت القراءات ، وقرأت « التيسير » على جماعة منهم : أبو جعفر أحمد بن على ويعرف بالحصّار . وكتب له الحصار بخط يده أنه رواه ، يعنى « التيسير » ، عن أبى عبد الله محمد بن الحسن ابن غلام الفرس ، وقال الحصّار . . .[1] » ونحو ذلك[2] . إن اهتمام الذهبى وعنايته بذكر شيوخه الذين حدثوه أو أخبروه عن الشيخ المترجم تكون فى كثير من الأحيان جزءا نفيسا من الترجمة الأصلية التى نسجها الذهبى وصاغها بنفسه ، ففى ترجمة سراج الدين أبى عبد الله الحسين بن المبارك الرّبعى الزبيدى الأصل البغدادى المتوفى سنة ٦٣١ ﻫ أورد الذهبى مثلا أسماء واحد وخمسين شيخا وعشر شيخات رووا له عنه[3] ، ومثل هذا كثير التكرار فى الكتاب[4] وقد اعتاد أيضا أن يورد فى بعض الأحيان رواية مسندة عن طريق المترجم[5] .

(١) الورقة ٦٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) انظر أمثلة أخرى فى الورقة ٤١ ، ١١٧ ، ١٣٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٤ ، ٤٩ ، ٥٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ٦٨ ، ٩٦ ، ٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

(٣) الورقة ١٠٨ — ١٠٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) انظر مثلا ، الورقة ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٣ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) أما فى القسم الأخير من كتابه فإنه يؤكد دائما فيما إذا كان قد سمع من المترجم أو حصل على إجازة منه ونحو ذلك .

(٥) انظر مثلا ، الورقة ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) ، والورقة ٨١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٩ ، ٣٧ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢ ، ٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٤ . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها .

ويذكر الذهبي فى الترجمة إذا كان المترجم ممن درّس وفى كثير من الأحيان يعين المدرسة أو الموضوع الذى درّس فيه ، لكنه لا يذكر ، فى الأغلب الأعم ماذا كان يدرس .

٥ ـ المكانة العلمية :

أما مكانة المترجم العلمية فتحددها فى الأغلب الأعم آراء الثقات الذين ينقل عنهم الذهبي ويورد عباراتهم فى المترجم جرحا وتعديلا ، وهى فى الأغلب عبارات وجيزة تعطى معانى دقيقة ، وهو لا ينقل فى مثل هذا الموضع عن شخص واحد بل يحاول دائما أن يقدم آراء عدد كبير منهم . وهذه الآراء غالبا ما تكون لتلامذة المترجم فى الأغلب الأعم أو بعض رفاقه فى بعض الأحيان ، ولذلك جاءت المعلومات دقيقة ومتقنة فى كثير الأحيان ، ومن هنا وجدنا المؤلف يذكر مثل هذه الآراء بعد ذكر تلامذته أو فى أثناء ذكرهم . أما القسم الأخير من الكتاب فغالب هذه الآراء ترجع إلى الذهبي نفسه لا سيما عن شيوخه أو الذين رآهم واتصل بهم وسمع عليهم من معاصريه فكوّن فكرة عنهم وعن مكانتهم ودرجة ثقتهم .

وعنى الذهبي ، بتبيان عقيدة المترجم ، وأولى هذه الناحية أهمية كبيرة بحيث صارت لا تخلو منها ترجمة من التراجم ، ولعل سبب هذه العناية الفائقة يعود إلى أمرين رئيسين : أولهما تأثره بالبيئة الدمشقية التى كانت تغلى وتفور بالنزاع العقائدى الذى أثر تأثيرا كبيرا فى تكوينه الفكرى ، وثانيهما أهمية العقيدة فى النقد عند المحدثين[1] ، فصارت العقيدة بعد كل هذا عنصرا بارزا من عناصر الترجمة[2] .

---

(١) انظر أدناه الفصل الخامس من هذا الباب .

(٢) انظر أمثلة لذلك فى الورقة ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ٢٢٠ ، ٢٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وراجع أمثلة أخرى عند كلامنا على الفصلين الثانى والخامس من هذا الباب .

٦ ـ الوفاة :

وغالبا ما يورد الذهبي في نهاية الترجمة تحديد تاريخ وفاة المترجم . ولاريب أن تنظيم الذهبي كتابه على السنين جعله يستعيض عن ذكر السنة ويؤكد ذكر التاريخ الذي توفي فيه المترجم من السنة. وبالنظر لتوافر تواريخ الوفيات لمعظم المترجمين بسبب عناية المتأخرين بها[١] صار الذهبي يستطيع تحديدها في اليوم والشهر في كثير من الأحيان . أما الحالات التي لم يظفر المؤلف فيها بوفاة المترجم فإنه كثيراً ما يذكره في آخر الطبقة كما مرّ بنا ، أو في السنة التي انقطع خبره فيها .

٧ ـ أمور متفرقة :

وفي نهاية التراجم أيضا يعنى الذهبي ببيت المترجم إذا كان من عائلة علمية معروفة فيؤكد ذلك بعبارات دالة نحو قوله : «وفي ذريته علماء وأكابر»[٢]، أو « وفي أقاربه جماعة رووا الحديث »[٣] . ولكنه قليل الإحالة على من مرّ

(١) انظر مقدمة تاريخ الإسلام (ج ١ص ١٧ مطبوعة)ومما يعزز اهتمام المحدثين بضبط تواريخ الوفيات تأليف كتب كاملة فيها (انظر بحثنا : كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، العدد الثاني ، بغداد ١٩٦٨) وكان بعض المؤلفين يتركون فراغا في الإجازات التي يمنحونها أو الكتب التي يؤلفونها أو طباق السماع ليدون فيها فيما بعد وفاة المحدث بحيث قال في بيتية المشهورين:

إذا قرأ الحديث على شخص　　وأخلى موضعا لوفاة مثلي
فما جازى بإحسان لأني　　(أريد حياته ويريد قتلي)

الصفدي : نكت ، ص ٢٤٣ ، والسخاوي : الإعلان ، ص ٧٢٣ وغيرها .

(٢) الورقة ٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) الورقة ٣٠ من النسخة السابقة وانظر أمثلة أخرى في الورقة ٥٥ ، ٩٤ ، ١٢٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ١٣٠ ، ١٨٢ ، ١٩٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) وغيرها .

أو من سيأتى منهم نحو قوله : « وقد ذكرنا والده من سنوات[١] » ، و« مات أبوه سنة كذا[٢] » ، وقوله : « وللعلم ولدان فاضلان وهما محمد ويوسف رويا الحديث وسيأتيان إن شاء الله[٣] » ونحو ذلك مما لا يشفى الغليـــــل فى الإحالة[٤] .

وفى أثناء الترجمة يعلق الذهبى على ما قد يحتاج إلى تعليق مثل النسبة[٥] أو اللقب[٦] أو ما إليهما عند أول وروده وبعـــــده مباشرة بما يشبه الجملة الاعتراضية ولا يؤخر ذلك إلى نهاية الترجمة كما هو الحال عند الزكى المنذرى وابن خلـكان وغيرهما نحو قوله : « ويعرف بابن أبى ركب – جمع ركبة[٧] – » وقوله : « . . . أبو بكر البنابوسى – وبقابوس من قرى نهـــــر الملك – كان مقرئا . . . [٨] » ، وهلم جرا .

أما تقييد ما قد يشتبه من الأسماء فقد عنى الذهبى بضبطه وتقييده ، ولـكنه اعتمد ضبط القلم فى كثير من الأحيان ، بل هو الطابع الغالب على تقييده إلا فيما

---

(١) الورقة ١٢٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٢) الورقة ٣٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) الورقة ٧٦ من النسخة السابقة .

(٤) انظر الورقة ١٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٦٠ ، ٣٨٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٥) مثلا الورقة ٦١ ، ٦٦ ، ٨٤ ، ٩٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ١٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها .

(٦) مثلا ، الورقة ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٧) الورقة ٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٨) الورقة ٣٤ من النسخة السابقة .

يلبس ويشكل كثيرا فإنه قيده بالحروف[١] ، وهى طريقة انتقد عليها حينما ألف كتابه « المشتبه » واعتمد فيه ضبط القلم أيضا[٢] . وقد جاءت معظم تقييداته التى قيدها بالحروف بعد ورود ما يراد ضبطه وليس فى آخر الترجمة إلا فى حالات قليلة أخر فيها التقييد بالحروف إلى آخر الترجمة[٣] . على أنه يذكر فى بعض الأحيان وفى آخر الترجمة ، ما قد يستفاد مع هذا الاسم أو ذاك من تشابه أو اتفاق نحو قوله فى ترجمة فتيان بن أحمد ابن سمنيّة المتوفى سنة ٦١٢ هـ : « وسمنية مستفاد مع سمينة[٤] » يعنى قد يشتبه به. أو فيما إذا كان المترجم سمى من طبقته نحو قوله فى ترجمة محمد بن أحمد بن عبدوس الأديب النحوى النيسابورى من وفيات سنة ٣٩٦ هـ : « ومن طبقته أحمد بن محمد بن عبدوس أبو بكر الحافظ النسوى نزيل مرو ، روى عنه . . . ومن طبقتهما أحمد بن محمد بن عبدوس الحاتمى أبو الحسن النيسابورى . . . »[٥] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذهبى شديد الاهتمام بذكر خط المترجم وجودته ، وهو لا يفتأ يشير إلى ذلك كلما وجد ذلك ضروريا أو تحصلت لديه معلومات

---

(١) انظر مثلا الورقة ١٩٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) والورقة ١٨١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١١٨ ، ١٩٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ١٨ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٨ ، ١٠٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) انظر مقدمة ابن ناصر الدين لكتابه « توضيح المشتبه » (نسخة سوهاج) ومقدمة ابن حجر لكتابه (تبصير المنتبه) ، ج ١ ص ١ وراجع كلامنا على كتابه « المشتبه » فى الفصل الثانى من الباب الأول .

(٣) مثلا الورقة ١١٨ ، ١٢٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) الورقة ١٨٢ ، ٢١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٤٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٦٣ ، ١٠٢ ، ١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) الورقة ١٠٣ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٥) الورقة ٢٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

عن هذا الأمر نحو قوله : « مليح الخط[١] » ، و « مليح الكتابة[٢] » ، و «خطه مليح مغربى فى غاية الدقة[٣] » ، و « كان الخط الذى يكتبه لا نظير له فى الإتقان والضبط[٤] » ونحو ذلك[٥]. كما أنه يشير إلى من كان ردىء الخط نحو قوله : « خطه مغلق سقيم[٦] » و « كان ضعيف الكتابة»[٧] . كما عنى بأولئك الخطاطين الذين كتبوا الخط المنسوب[٨] نحو قوله فى ترجمة الفضل بن عمر المعروف بابن الرائض المتوفى سنة ٦٠٩ هـ : « وكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البـــواب فى غاية الحسن[٩] » ، وقوله فى أحدهم إنه كان « مليح الخط إلى الغاية على طريقة المغاربة »[١٠] ، ونحوها[١١] .

إن هذا الذى ذكرناه هو الطابع العام للتراجم، ولاسيما تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين وأهل الرواية ، وقد تجد فى بعض التراجم اختلافا طفيفا عما حكيناه

(١) الورقة ٨٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) الورقة ١٠٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) الورقة ١٦٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) الورقة ١٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) انظر مثلا الورقة ١٤٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢١٩ ، ٢٢٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٥٠ ، ٤٠٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٨٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) والورقة ١٩ ، ٢١ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٨٢ ، ١٠٩ ، ١١٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٦) الورقة ١٤٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٧) الورقة ٧٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) وانظر الورقة ٢٤٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) .

(٨) الخط المنسوب : أى الموزون بنسب معينة فى أبعاد الحروف حسب القواعد المقررة والأصول المحررة . (من فوائد الخطاط وليد الأعظمى) .

(٩) الورقة ٧٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(١٠) الورقة ١٦٣ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

(١١) مثلا الورقة ١٣٦ ، ٤٣٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

من المحتويات والتنظيم . ولاريب أن طبيعة المترجم هى التى تحدد نوعية الأخبار. فقد عنى الذهبى مثلا بإيراد أعمال الخلفاء والملوك والأمراء والمتولين فى تراجمهم، وركز عنايته على ما قاموا به من نشر عدل أو بث ظلم وسفك دماء للرعية ، وقوّم كل ذلك بنقله عن المؤرخين الذين سبقوه وأعطى هو رأيه[1] . وقدم نماذج من أقوال المتفلسفين وأرباب المقالات بما ينبئ عن حسن عقيدتهم أو سوئها ، وفعل مثل هذا فى المتصوفة فحاول التمييز بين المتصوفة الملتزمين بأهداب الدين وأولئك الذين اتبعوا ما هو ليس من الدين ، وقاموا بالأعمال الخارجة عنه وتمسكوا بالترهات التى انتشرت انتشارا كبيرا بين متصوفة ذلك العصر : أما الشعراء فقد أورد نماذج غير قليلة من شعرهم مما وصل إليه عن طريق الرواية الشفوية أو أخذه عن المصادر السابقة[2] . وأما الأدباء فقد أورد لهم فى بعض الأحيان مقطعات أدبية من مختار نثرهم[3] .

---

(١) انظر أدناه الفصل الخامس عند كلامنا على التقويم والأحكام .

(٢) انظر مثلا الورقة ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ... إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٠ ، ١١ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٩٧ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ... إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٩ ، ٤٧ ، ١٢٩ ، ٢١٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٣ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها .

(٣) مثلا ، ج ٦ ص ٩١ (مطبوعة) والورقة ٢٤٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٥٢ ، ١٨٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها .

ومن هذا الاختلاف فى محتويات التراجم الذى وجدناه ـ مثلا ـ عناية المؤلف بذكر الأوصاف الجسمية للخلفاء والملوك والأمراء[1] وبعض المتصوفة[2] مما لا نجده فى محتويات تراجم العلماء .

---

(١) انظر مثلا الورقة ١٨٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢٢٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٠٢ ، ١٨١ ، ٢٠٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٨٢ ، ١٧٣ ، ٢١٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) والورقة ٣٢٨ ، ٣٢٩ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) انظر مثلا الورقة ٥٧ ، ١٢٢ ، ٢٠٥ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرها .

الفصل الرابع

نهج الذهبي في الموارد وطرائق النقل منها

توطئة :

على الرغم من قيامي بجرد الموارد التي اعتمدها الذهبي في كتابه « تاريخ الإسلام » فإن الغاية من ذلك لم تكن دراسة هذه الموارد لذاتها ، بل لمحاولة التعرف إلى أنواعها ومدى استيعابه للمؤلف السابقة ، والأسس التي اتخذها للمفاضلة في الاعتماد عليها ، والمنهج الذي اتبعه في النقل منها .

وقد أدت عملية الجرد الاستقصائية التي قمت بها لموارد الكتاب إلى تكدس عشرات الآلاف من النقول أعانتني كثيراً على تفهم نوعية موارده وطبيعتها ومدى استفادته منها . على أن إيراد هذه النقول في مثل هذه الدراسة على الإستقصاء يبدو أمرا عبثا يخرج الدراسة عن مسارها المرسوم لها ، ولذلك سوف أكتفي دائما بإيراد نماذج من الموارد للتدليل على المنهج حسب ، وأقتصر على ذكر بعض مواضع النقول من غير استقصاء لها .

أولا ـ أنواع الموارد :

اعتمد الذهبي أنواعا متعددة من الموارد فى تأليف كتابه ، تتباين فى أهميتها ومدى اعتماده عليها ، وهذه أبرزها :

١ ـ المشاهدة والملاحظة :

وأكثر مانجد ذلك فى القسم الأخير من كتابه الذى عاصره وشاهد أحداثه واتصل برجاله ، فالسنوات العشر الأخيرة من حوادث الكتاب فى الأقل هى من تأليف الذهبى نتيجة مشاهدته لها والوقوف على أخبارها[1] حيث لم نجد ذكرا لمصدر فيها ، ووجدنا ذاتيته ظاهرة فيها نحو قوله فى حوادث سنة ٦٩١ هـ عند كلامه على الكأس الذى نصبه نائب دمشق الشجاعى فى مكان البرادة بجامع دمشق ووصفه له : «ثم أجرى فيه الماء ... وشربنا منه»[2] ، وقوله فى حوادث سنة ٦٩٤ هـ : « وفى شوال كملت عمارة الحمام الكبير والمسجد والسوق ... وكان يعرف ببستان الوزير ورأيته مبقلة[3] كبيرة[4] » ، وقوله فى الجفاف الذى كان بالشام سنة ٦٩٥ هـ : « واجتمعنا لسماع البخارى ففتح الله بنزول الغيث[5] » ، وقوله فى حوادث سنة ٦٩٩ هـ بعد وصفه لهزيمة جيش المماليك : « وأما نحن فوقعت يوم

---

(١) قد بينا سابقا أن هذا القسم من الكتاب اقتصر على الشام ومصر ، فحوادث الشام شاهدها هو ، أما أخبار مصر فكانت تصل إلى دمشق أولا بأول ، بكتب تكتب من هناك (انظر مثلا الورقة ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٢) الورقة ٣٢٠ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٣) قوله مبقلة يعنى مزرعة للبقول .

(٤) الورقة ٣٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٥) الورقة ٣٢٧ من النسخة السابقة .

الخميس الظهر بطاقة مضمونها ... فبتنا بليلة الله بها عليم وفترت الهمم عن الدعاء ودقت البشائر من الغد تطمئننا ثم تبين كذبها . . . »[١] ونحو ذلك .

أما المترجمون فى هذه فقد شاهدهم واتصل بأكثرهم ، وشخصيته هنا جد ظاهرة فى الكتاب بحيث لم تخل ورقة منها . ونحن نعلم شدة اتصاله بالعلماء آنذاك للدراسة عليهم والسماع منهم يشهد على ذلك معجم شيوخه الكبير لذلك دوّن فى الكتاب مشاهداته وانطباعاته عنهم .

ومن طرائف مشاهدات الذهبى وملاحظاته أنه كان ينقل تواريخ بعض الوفيات من لوحات المقابر[٢] ، وقد زار ـ مثلا ـ قبر أبى العلاء المعرى ووصفه[٣] .

٢ ـ المشافهة :

لقد ظلت الرواية الشفوية تحتفظ بمكانة جيدة على الرغم من انتشار التدوين بشكل واسع بسبب ما تميزت به من خصائص معينة كالدقة والضبط ، فضلا عن أنها تقليد لكبار العلماء السابقين[٤] . ولذلك اهتم العلماء ، وبخاصة المحدثين ، بالحفظ وكان من صفة العالم الكبير أن يكون حافظا[٥] ، ومن ثم ألف العلماء

(١) الورقة ٣٣٤ من النسخة السابقة .

(٢) انظر مثلا الورقة ١٥٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) وقد أفاد من هذه الطريقة كثيرا تقى الدين الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ فى كتابه « العقد الثمين » (نسخة التيمورية) .

(٣) الورقة ٤٧٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٤) انظر مثلا الرامهرمزى : المحدث الفاصل ، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٧ ، الخطيب البغدادى : تقييد العلم (دمشق ١٩٤٩) ، السيوطى : تدريب الراوى ، ص ٢٨٦ ، وبحث الدكتور صالح العلى : المحاضرات الشفهية .

(٥) انظر مثلا ابن سلام الجمحى : طبقات ، ص ٥ ، ابن الأنبارى : نزهة الأدباء ، ص ١٣٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، السيوطى : المزهر ، ص ١٧١ .

الكتب المعنية بالحفَّاظ على مدى التـــاريخ[١] . ووصف الذهبى بأنه « حافظ لايجارى »[٢] وأنه كان « إمام الوجود حفظا »[٣] ، فكان من الطبيعى أن يحفظ الكثير من الأخبار والحكايات والحوادث التاريخية عند دراسته على شيوخه ، وقد أورد الكثير منها بأسانيـــدها مستعملا ألفاظ المشافهة[٤] .

كما أخذ بعض الأخبار عن شيوخه ورفقائه ممن حضر بعض الأحداث نحو قوله فى نزول المغول على حمص سنة ٦٩٩ هـ « حدثنى ضوء بن صباح الزبيدى ، قال: ما رأيت أنفع من الخاصكية ، لقد رأيتهم ... » ثم وصف له وقائع الحرب[٥] ، وكان الذهبى يروى دائما مثل هذه الأخبار عن مصادر متخصصة فقد قال مثلا عن ضوء بن صباح هذا بأنه « أعرابى دين عاقل صاحب خير للمسلمين يسكن بكفر بطنا حكى لى أمورا عجيبة جرت له وفى الآخر قبض عليه نواب التتار ومات تحت العذاب » سنة ٧١٤ هـ[٦] .

٣ ـ المساءلة والمكاتبة :

وهى إما أن تكون بسؤال الذهبى لشيوخه عن مسألة ما بصورة شخصية

(١) من أشهرها كتاب « تذكرة الحفاظ » للذهبى والذيول عليه، وانظر السخاوى: الإعلان ، ص ٥٦٥ .

(٢) الصفدى : الوافى ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) السبكى : طبقات ج ٩ ص ١٠١ .

(٤) انظر مثلا الورقة ١٤٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢١ ، ٣٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) ، والورقة ١٨٠ ، ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٨٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

(٥) الورقة ٣٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٦) الذهبى : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٦٢ .

استناداً إلى معرفة شيخه وتخصصه بهـا نحو قوله ـ مثلا ـ : « سألت شيخنا ابن تيمية عن مذهب السالمية ، فقال . . .[١] » وقوله فى ترجمة أحـدهم : « سألت المزى عنه ،فقال . . .[٢] » و «وسألته أى الرجلين أعرف بالفن[٣] »، وغيرها[٤] ،وإما أن تـكون عن طريق المـكاتبة؛ فقد كانت الاتصالات جارية بين العلماء،ولاسيما المعنيين بالتراجم ، فى إرسال المعلومات من بلد لآخر، فـكان العلماء يتفقون فيما بينهم على أن يرسل كل واحد منهم المعلومات المستجدة فى بلده إلى صاحبه بغية الوقوف عليها ومتابعة أخبار العلماء أولا بأول[٥] ، من ذلك ـ مثلا ـ سؤاله أثير الدين أبا حيان الغرناطى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ بعض الأسئلة عن المغاربة وكيفية التلفظ بأسمائهم وعن جماعة من شيوخه ، فرد عليه أبو حيان بكتاب ألفه لأجل ذلك سماه « در الحبى فى جواب أسئلة الذهبى[٦] » وقـد استفاد منه الذهبى ونقل منه فى كتابه فقال عن أحدهم : « وقد سألت عنه العلامة أبا حيان الأندلسى ـ أبقاه الله ـ فـكتب إلىّ فيما كتب ...[٧] » ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله : « فـكتب إلينا ابن هارون من تونسى . . .[٨] » .

---

(١) الورقة ٤٣٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩). (٢) الورقة ٥٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤).

(٣) الورقة ٥ من النسخة السابقة .

(٤) انظر مثلا الورقة ٢٦٣ (أياصوفيا ٣٠٠٨) .

(٥) راجع كتابنا : المنذرى وكتابه التـكملة ، ص ٢٧٩ فما بعد ، وانظر كتاب منصور بن سليم : الذيل ، الورقة ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٤ (نسختى) .

(٦) انظر أعلاه كلامنا على أسلوب العرض الأدبى .

(٧) الورقة ٨٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٨) الورقة ٥٠ من النسخة السابقة . وابن هارون هذا هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائى القرطبى المالـكى أحد المعمرين ، ولد سنة ٦٠٣ هـ وتوفى سنة ٧٠٢ هـ . (الذهبى : معجم الشيوخ ، م١ الورقة ٦٩) .

٤ ـ الإجازات :

كانت الإجازات تحصل باستدعاء من الطالب نفسه أو بواسطة أحد أقاربه أو معارفه(١) . وكان الشيخ يكتب فيها عادة اسمه ونسبه ومولده وشيوخه وما يجيزه للمستجيز . وكان من الطبيعي أن يحتفظ الطالب بهذه الإجازات للتدليل على صحة روايته ولإبرازها عند الحاجة . ولا شك أن المعلومات التي حوتها هذه الإجازات هي من أدق المعلومات عن المجيز وشيوخه لأنه كتبها بنفسه ، ولذلك أفاد الذهبي من هذه المادة ليس فيما يتعلق بشيوخه حسب ، بل لغيرهم أيضاً فقد كان ـ مثلا ـ يطالع الإجازات القديمة ، قال في ترجمة مسعود ابن إسماعيل بن إبراهيم القاضي المتوفى بعد سنة ٦٠١ هـ : « من رواة المعجم الصغير عن فاطمة الجوزدانية سمعه منها ، كذا وجدت تحت اسمه في الإجازات. أجاز للشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ولابن البخاري ولفاطمة بنت عساكر وتاريخ الإجازة في سنة إحدى وست مئة(٣) .

٥ ـ مجاميع الطلبة والشيوخ :

كان الطلاب عادة يجمعون ما يستفيدونه عن شيوخهم في مجالس الإملاء . وما يعلقونه عن أساتذتهم عند اتصالهم بهم، وما يقيدونه من الفوائد والانتخابات

---

(١) انظر الخطيب البغدادي : الكفاية ، ص ٣٣٤ ، وابن الصابوني : تكملة ، ص ١٦٨ ، ، والذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ٨ ، ١٨ ، ٥٥ ، ٨٠ ، م٢الورقة ٦ ، ٣١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٧ ، ٨٨، وابن حجر : الدرر ، ج ٣ ص ٧٣ ، ٤٢٦ .

(٢) راجع كتابنا : المنذري ، ص ٢٧٨ وانظر نص إجازة أبي حيان النحوي للصفدي في كتابه : الوافي ، ج ٥ ص ٢٧٧ ـ ٢٨١ .

(٣) الورقة ٨٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) وانظر مثالا آخر في الورقة نفسها ، وراجع الورقة ٣٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

من الكتب التي يروونها في مجاميع خاصة بهم . وكانت هذه المجاميع تختلف في قيمتها الواحدة عن الأخرى باختلاف قيمة جامعيها ودقتهم في النقل والضبط والتعليق ، وقد عنى الذهبي بالنقل من بعض هذه المجاميع . ولما لم تكن هذه النقول من كتب معينة فقد كان يشير عادة بقوله « نقلت من خط فلان » أو « وجدت بخط فلان » ونحو ذلك . على أن النقل عن الخطوط لا يعني دائما عدم النقل من كتاب معين ، فقد كان الذهبي يعنى بانتقاء الكتب المكتوبة بخطوط مؤلفيها أو خطوط الثقات كما سيأتي بيانه ، إلا أن طبيعة المادة المنقولة ومعرفة مؤلفات المنقول عنه ، أو عدم وجود تأليف له هو الذي يحدد هذه النقول ، ولنضرب لذلك مثلا توضيحيًّا : قال الذهبي في ترجمة شميم الحلي المتوفى سنة ٦٠١ هـ : « قرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني ، قال بعض العلماء : وردت إلى آمد سنة أربع وتسعين وخمس مئة . . .[١] » ثم ذكر مناقشة هذا « العالم » مع شميم وإزراء شميم بالمتقدمين وإعجابه الشديد بنفسه في قصة طويلة . وحينما نبحث في الكتب نجد أن هذا العالم هو ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وقد ذكر هذه القصة بحذافيرها في كتاب « إرشاد الأريب[٢] » ووصف لقاءه ومناقشته لشميم الحلي . والظاهر أن الموقاني هذا نقلها من كتاب ياقوت ودونها في أحد مجاميعه ، ودليلنا على ذلك أننا لم نعرف لمحمد بن عبد الجليل الموقاني مؤلفا معينا ، وقد ترجم له الذهبي في وفيات سنة ٦٦٤ هـ ، وقال : « وكتب بخطه الكثير من

(١) الورقة ٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) ج ٥ ص ١٢٩ فما بعد ، ثم نجد ملخصا لها في ج ٦ ص ١٧٠ – ١٧١ هـ وقد تصحفت سنة اللقاء هناك فجاءت سنة ٥٩٣ هـ وهو من وهم الطبع كما يظهر .

الحديث والآداب... وله مجاميع مفيدة[١] » وقال الصفدى : « وكتب وحدث ، وكان يشترى الكتب النفيسة للانتفاع والمتجر ، وكانت له معرفة ويقظة[٢] » . ومن ذلك قوله أيضاً فى ترجمة عفيفة الفارفانية الأصبهانية المتوفاة سنة ٦٠٦ هـ : « نقلت إجازة البغاددة لها من خط شيخنا المزى[٣] » . وقوله : « قرأت وفاته بخط شيخنا ابن الظاهرى سنة ٦٠١ هـ[٤] » ولم نعرف لابن الظاهرى تأليفاً فى هذه الفترة ، ولا كان هذا الرجل من شيوخه فقد ولد ابن الظاهرى سنة ٦٢٦ هـ وتوفى سنة ٦٩٦ هـ[٥] .

وهذا الذى ذكرته يبدد الكثير من حيرتنا حينما نجد نقولا عن شخص ما ولا نجد له كتابا فى المادة المنقولة ، أو لا نجد له تأليفاً على الإطلاق . ومن أسف فإن معظم « كراريس » الطلبة ومجاميعهم لم تصل إلينا لعدم أهميتها آنذاك ، وعدم قيام النساخ بانتساخها[٦] .

٦ — مؤلفات المترجم :

عرفنا من دراستنا لعناصر الترجمة أن الذهبى كان يعنى بذكر ما يقع له من

(١) الورقة ٢٦٣ – ٢٦٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣) والعبر ، ج ٥ ص ٢٧٨ وعنه نقل ابن العماد فى شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣١٦ .

(٢) الوافى ، ج ٣ ص ٢١٦ .

(٣) الورقة ٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) وانظر عن المزى الفصل الأول من هذه الرسالة .

(٤) الورقة ٨٩ من النسخة السابقة .

(٥) انظر الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ٣٥٦ – ٣٥٧ (أيا صوفيا ٣٠١٤) ومعجم الشيوخ ، م ١ الورقة ١٨ .

(٦) من الممكن أن يتصور الإنسان ضخامة هذه المادة حينما يتذكر مجالس الإملاء وهى تعج بمئات الطلبة على مدى العصور .

مؤلفات المترجم أو أجزائه أو نحوها . وقد اعتنى الذهبى فى كثير من الأحيان بدراسة هذه المؤلفات وإبداء رأيه فيها ، وكان ينقل منها لتوضيح قدرة المترجم أو عقيدته أو نحوها نحو قوله فى ترجمة محمد بن القاسم بن شعبان المصرى المالكى المتوفى سنة ٣٥٥ هـ : « وكان ابن شعبان صاحب سنة كغيره من أئمة الفقه فى ذلك العصر فإنى قد وقفت على تأليفه فى تسمية الرواة عن مالك قال فى أوله . . .[١] » ، وقوله فى ترجمة محمد بن الحسن بن المظفر البغدادى اللغوى المعروف بالحاتمى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ : « وله الرسالة الحاتمية التى شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبى من إظهار سرقاته وإبانة عيوبه فى شعره ، وهى رسالة تدل على تبحره ، يذكر فى أولها . . .[٢] » ، وقوله فى ترجمة تقى الدين على ابن أبى بكر الهروى الزاهد السائح المشهور المتوفى سنة ٦١١ هـ : « ورأيت له كتاب المزارات والمشاهدات التى عاينها فى الدنيا فرأيته حاطب ليل وعنده عامية[٣] » .

ولما أراد الذهبى أن يبين قراءة المقرىء أحمد بن نصر البصرى المتوفى سنة ٣٧٣هـ قال: «وطرقه فى كتاب المبهج لسبط الخياط[٤]» باعتبار أن كتاب «المبهج» من كتب القراءة المشهورة المتداولة المروية فى عصر الذهبى[٥] .

ويصح هذا الذى ذكرناه على عشرات الدواوين الشعرية التى نقل منها الذهبى نماذج عند ترجمته لأصحابها .

(١) الورقة ٢١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .

(٢) الورقة ١٩٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) الورقة ٩٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) الورقة ١٢١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٥) فى خزانة كتبى نسخة مصورة منه ، وهو من كتب القراءات النفيسة .

٧ — المؤلفات السابقة :

وهى أساس موارد الكتاب ،والمكون الرئيس لمادته وقد اعتمدها الذهبي بشكل واسع جداً واستوعب الكثير منها . وقد ذكر طائفة منها فى المقدمة التى كتبها له . إلا أن هذه القائمة ، من أسف ، لا تمثل الموارد الحقيقية للكتاب ، فإن عدد الكتب المذكورة فيها قليل جداً لم يزد على ثمانية وثلاثين كتابا[١] ، وقد خلت من كثير من المصادر الأساسية التى أفاد منها بصورة واسعة[٢] ، ولذلك فهى لا تقدم صورة حقيقة لطبيعة موارده أو حتى قريبة منها ، ومن ثم لا يمكن اعتمادها فى مثل هذه الدراسة ، فكان لا بد عندئذ من دراسة الكتاب برؤية وإمعان وجرد الموارد التى ذكرها المؤلف فى ثناياه بشكل دقيق بغية الوقوف عليها وإقامة الدراسة استنادا إليها .

ولما كانت المؤلفات السابقة هى أساس الكتاب ، فإننا سوف نعنى بدراسة مدى استيعاب المؤلف لها ، وأسس المفاضلة فى اعتمادها ، وطرائق النقل منها .

---

(١) ج ١ ص ١٤ – ١٧ (مطبوعة) .

(٢) والظاهر أن الذهبي كتب هذه المقدمة فى أول تأليفه الكتاب وأنه على أية حال لم يقصد منها الاستيعاب، وإلا فمن غير المعقول إطلاقا أن تكون خالية من ذكر بعض الكتب التى سلخها تماما وأدخلها فى كتابه من مثل مؤلفات ابن الدبيثى وابن النجار وابن نقطة والمنذرى وغيرهم ، ويكفى أن نعلم أنه مثلا يذكر فيها كتابا واحدا من كتب الوفيات الكثيرة التى اعتمدها بشكل واسع . ويصعب على فى كثير من الأحيان فهم هذه القائمة حينما أجده يذكر بعض الكتب التى لم يعتمدها بصورة أساسية فى موضوع ما مثل مغازى ابن عائذ الدمشقى ، ويغفل ذكر موارد استعملها بشكل واسع مثل مغازى موسى بن عقبة ، ومغازى عروة بن الزبير ، ومغـازى الواقدى وغيرها .

ثانياً — استيعاب المؤلفات السابقة :

إن اتساع النطاقين الزمانى والمكانى لكتاب الذهبى ، واحتواءه على الحوادث والتراجم ، وضع أمامه جميع التراث التاريخى الإسلامى بأوسع مفاهيمه[١] ، منذ بدايته حتى القرن الثامن الهجرى ، وهو تراث هائل وغنى قد مر بعصور ازدهار التأليف عند المسلمين الذين تفننوا فى تنويعه وإثرائه سواء أكان ذلك فى الأشكال التنظيمية المتعددة التى عرضوه بها ، أم بالمادة المتنوعة التى احتوتها تلك المؤلفات[٢] . ولذلك لم يكن من السهولة مطلقا الوقوف عليه واستيعابه ، فهو يحتاج إلى وقت طويل وجهد جهيد فى وقت لم يكن الحصول فيه على الكتب من الأمور السهلة الميسرة دائما ، فعلى الرغم من وجود الكثير من الكتب والأجزاء الموقوفة فى الجوامع والمدارس ودور العلم وخزائن الكتب ، إلا أن الحصول على نسخة من الكتاب فى البيت كان من الصعوبة بمكان فهو يكلف مالا ووقتا فى عصر كانت فيه الجهود العلمية فردية لا تدعمها المؤسسات ، ولم يكن العلم حرفة يعيش منها العالم ، بل كان فى الأغلب الأعم من باب التدين والهواية .

وقد تمكن الذهبى أن يستوعب مئات المؤلفات الجيدة ويفيد منها فى كتابه كأحسن ما تكون الإفادة . وقد ساعده على ذلك انصرافه التام إلى العلم ، وذكاؤه وقوة حافظته ، وقيامه باختصار عدد كبير من المؤلفات الرئيسة

---

(١) لما كان الذهبى قد راعى فى كتابه الشمول النوعى فى التراجم لذلك تحتم عليه شمول الموارد المعنية بهم ، وبذلك وسع المفهوم التاريخى للموارد التى اعتمدها .

(٢) إن نظرة واحدة إلى ما وصل إلينا من أسماء الكتب المؤلفة فى النطاق المكانى والزمانى والنوعى الذى احتواه كتاب « تاريخ الإسلام » توضح ضخامة مثل هذا التراث وتنوعه .

السابقة ، واستعماله الجزازات[١] فى جمع هذه المادة الضخمة .

مفهوم الاستيعاب :

على أن الاستيعاب كان فى الكتب الجيدة عموماً ، إذ لا ريب أن الذهبى أهمل الكثير من الكتب الرديئة نحو قوله فى ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى « وعندى مجلد فى أخبار الحجاج فيه عجائب لكن لا أعرف صحتها[٢] » . والواقع أننا لا نعرف كثيراً عن مثل هذه « الكتب غير الجيدة » لعدم اهتمام المؤرخين بالنقل عنها أو ذكرها . ومع ذلك فإننا نلاحظ الذهبى وهو ينقل عن كتب أو مؤلفين لم يرض عنهم تماما ، فقد وصف سبط ابن الجوزى ـ مثلا ـ بالمجازفة فى غير موضع من كتابه[٣] ، وقال عن معجم شيوخ شهاب الدين

(١) كان استعمال الجزازات شائعا فى عصر الذهبى، ولم يكن العلماء المسلمون يستنكفون عن ذكر الجزازات التى كانوا يدونون عليها نقولهم عن الكتب الأخرى وملاحظاتهم (انظر روزنتال : مناهج ، ص٢٤ فما بعد) وكان زكى الدين المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ قد وجد كتاب « معجم السفر » لأبى طاهر السلفى « ت ٥٧٦ هـ » فى جزازات ، كل ترجمة فى جزازة فبيضها ورتبها كما تجىء لا كما يجب (السخاوى :الإعلان، ص٥٩٢) وقد وصل الكتاب إلينا بهذا الشكل (فى خزانة كتبى نسخة مصورة منه ، وانظر مقدمتنا لمشيخة النعال البغدادى ، ص ١٥) . وقد وصلت إلينا الكثير من الجزازات التى كتبها الذهبى بخطه بعد الانتهاء من تأليف الكتاب ووضعها فى نسخته مما يدل على أنه لابد أن يكون قد استعملها قبل ذلك (انظر وصفنا لنسختنا الملفقة فى أول هذه الرسالة).

(٢) ج ٣ ص ٣٥٥ (مطبوعة) .

(٣) الورقة ٢٣١ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٩٩ ، ٢٥٨ (أيا صوفيا ٣٠١٢) واعتمده بشكل كبير فى الحوادث والتراجم انظر مثلا ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) وانظر مقدمة كتاب تاريخ الإسلام .

القوصى المتوفى سنة ٦٥٣ هـ : « وخرج لنفسه معجما هائلا فى أربعة مجلدات ضخام ما قصر فيه وفيه غلط كثير مع ذلك وأوهام وعجائب[١] » مع أنه نقل عنها كثيراً . وقد تمكن الذهبى من استيعاب مثل هذه المؤلفات فى توجيه النقد إليها كلما شعر بخطئها والتنبيه على ذلك[٢] .

الغاية من الاستيعاب :

وكانت غاية الذهبى الرئيسة من استيعاب كل هذه الموارد الضخمة تقديم خبر أو ترجمة متكاملة لا تعتمد مورداً واحداً أو موردين مما قد يؤدى به إلى الوقوع فى الخطأ ، فضلا عن أن هذا الاستيعاب يقدم له مادة دسمة للمقارنة بين الروايات وهو منهج عنى به الذهبى كما سيأتى بيانه .

لذلك وجدنا تعدداً للموارد فى الحادثة الواحدة أو العصر الواحد أو الترجمة الواحدة فمن أمثلة ذلك أنه اعتمد فى الخبر الذى أورده عن ظهور المغول على كل من ابن الأثير وعبد اللطيف البغدادى وسبط ابن الجوزى وأبى شامة وابن واصل الحموى وشهاب الدين النسوى[٣] . ونقل فى ترجمة الدارقطنى عن الحاكم النيسابورى والخطيب البغدادى وعبد الغنى بن سعيد المصرى والأزهرى والبرقانى ومحمد بن طاهر المقدسى وأبى عبد الرحمن السلمى وابن ماكولا[٤] ،

---

(١) الورقة ١٢٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣) واعتمده كثيرا انظر مثلا الورقة ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٩ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٢) انظر أدناه كلامنا على « النقد » .

(٣) الورقة ٢٣٩ – ٢٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) الورقة ١٧٨ – ١٨٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

وذكر تسعة روايات ومصادر لتحديده وفاة عيسى بن يونس السبيعى[١] ، ومثلها لتحديد وفاة أبى اسحاق الفزارى[٢] . وأورد عشرة روايات ومصادر فى وفاة الزهرى[٣] ، واثنى عشر رواية ومصدراً فى وفاة محمـــد بن كعب القرضى[٤] ، وثلاثة عشر رواية مصدراً فى وفاة أبى هريرة[٥] ، وهلم جرا .

ولقد دفعته عنايته هذه فى الاستيعاب إلى تتبع الموارد التى ينقل منها وتمحيصها والاستدراك عليها ما هو من شرطها ، نحو قوله مثلا : « لم يذكره ابن عساكر[٦] » ، و « ذكره القاضى عياض وما أرخ موته[٧] » ، و « ولم يذكره المنذرى فى الوفيات[٨] » ، وقوله : « لم يذكر ابن يونس هذا فى تاريخه[٩] » ، وقوله : « لم يذكره الخطيب فى تاريخه[١٠] » ، وقوله فى ترجمة معاوية الضال : « وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وأنكر على البخارى إخراجه فى الضعفاء . قلت : لم أره فى الضعفاء للبخارى فلعله أسقط بعد . . . ولم يذكره العقيلى ولا الدولابى ولا أحد فى الضعفاء . . .[١١] » ونحو ذلك كثير .

---

(١) الورقة ١٢١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .
(٢) الورقة ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .
(٣) ج ٥ ص ١٥٢ (مطبوعة) .
(٤) ج ٤ ص ٢٠١ (مطبوعة) .
(٥) ج ٢ ص ٢٣٩ (مطبوعة) .
(٦) الورقة ٨٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٢١٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٧) الورقة ٥١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .
(٨) الورقة ١٥٥ ، ١٥٧ (أياصوفيا ٣٠١١) .
(٩) الورقة ٢٠٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(١٠) الورقة ١٢٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٦٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .
(١١) الورقة ١٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

مظاهر الاستيعاب :

ويتمثل استيعاب الذهبي فى عنايته بالأخذ عن جميع الأشكال التأليفية عند المسلمين حتى عصره ومن أبرزها :

١ ـ كتب المغازى والسيرة النبوية .

٢ ـ كتب التاريخ العام المرتبة على السنين .

٣ ـ تواريخ الخلفاء .

٤ ـ كتب السير .

٤ ـ كتب الأنساب والأخبار .

٦ ـ الكتب الأدبية .

٧ ـ التواريخ المحلية .

٨ ـ كتب الرجال بكافة أشكالها .

٩ ـ كتب التراجم بأنواعها العديدة .

إضافة إلى عدد كبير من كتب الحديث والأجزاء الحديثية والدواوين الشعرية ، وكتب العقائد وغيرها .

وقد حاول جاهداً أن يفيد من جميع المؤلفات فى كل نوع من الأنواع المذكورة أعلاه ، وإذا ما تتبعنا المؤلفات التى وضعت فى كل شكل من هذه الأشكال ، واستقصينا الكتب التى وقف الذهبي عليها وأفاد منها لوجدناه قد استوعب القسم الأكبر منها ، ولنأخذ كتب الوفيات[1] مثلا لذلك فقد نقل الذهبي من :

(١) المقصود بكتب الوفيات هنا هى الكتب التى رتبت التراجم حسب الوفيات ، ولذلك لاتدخل فيها الكتب المرتبة على الحروف وإن أطلق عليها لفظ الوفيات مثل « وفيات الأعيان » لابن خلكان و « فوات الوفيات » لابن شاكر ، و« الوافى بالوفيات وغيرها للصفدى .

١ ـ كتاب(*) « تاريخ وفاة شيوخ البغوى » لأبى القاسم عبد الله بن محمد ابن المرزبان البغوى المتوفى سنة ٣١٧[١] هـ .

٢ ـ كتاب « الوفيات » لأبى العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عقدة المتوفى سنة ٣٣٢[٢] هـ .

٣ ـ كتاب « الوفيات » لأبى الحسين عبد الباقى بن قانع بن مرزوق البغدادى المتوفى سنة ٣٥١ هـ الذى ابتدأه من الهجرة ووصل به إلى سنة ٣٤٦[٣] هـ .

٤ ـ وكتاب « الوفيات لأبى سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن زبر الربعى الدمشقى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ابتدأه من الهجرة أيضا ووصل به إلى سنة ٣٣٨ هـ[٤] .

٥ ـ كتاب « وفيات الشيوخ » لأبى الحسن محمد بن العباس بن الفرات المتوفى سنة ٣٨٤ هـ[٥] .

(*) انظر عن كتب الوفيات التى نعرفها بحثنا : كتب الوفيات (مجلة الدراسات الإسلامية ـ العدد الثانى ١٩٦٨) .

(١) منه نسخة بدار الكتب الظاهرية ، رقم ١٠٦ مجاميع (انظر مثلا الورقة ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢١٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٨) .

(٢) مثلاج ٦ ص ٤٥ ، ٤٦ (مطبوعة) .

(٣) الورقة ٤ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٤) الورقة ٣٢ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٦٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٥) الورقة ٩٧ ، ١٠١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ /٩) والورقة ٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

٦ ـ كتاب « الوفيات » لأبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الفوارس البغدادي المتوفى سنة ٤١٢ هـ[١].

٧ ـ و « تاريخ » أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم السرخسي ثم الهروى القراب المتوفى سنة ٤٢٩ هـ قال الذهبي « وله تاريخ السنين الذى صنفه فى وفاة أهل العلم من زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى سنة وفاته »[٢].

٨ ـ و « الذيل على وفيات ابن زبر » لتلميذه أبي محمد عبد العزيز بن أحمد ابن الكتاني المتوفى سنة ٤٦٦ هـ ووصل به إلى سنة وفاته[٣].

٩ ـ وكتاب « الوفيات » لإبراهيم بن سعيد النعماني المصرى المعروف بالحبال المتوفى سنة ٤٨٢ هـ ابتدأه من سنة ٣٧٥ ووصل به إلى سنة ٤٥٦هـ[٤].

١٠ ـ وكتاب « الوفيات » لابن منده الأصبهاني المتوفى سنة ٤٧٠هـ، قال الذهبي : لم أر أكثر استيعاباً منه »[٥].

---

(١) الورقة ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، . . . إلخ (أياصوفيا ٣٠٠٨).

(٢) الورقة ٢٩١ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وانظر نقولا عنه فى الورقة ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٩٦ ، (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) عندى نسخة مصورة منه ، وانظر الورقة ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٤) نشره الدكتور صلاح المنجد فى مجلة معهد المخطوطات (م ٢ ج ٢ ص ٢٨٦ ـ ٣٣٧) وقد سلخه الذهبي تقريبا انظر مثلا الورقة ٤ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ١٥٥ ، ١٦٤ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٥) انظر الكتاني : الرسالة ، ص ٢١١ ، وبحثنا : « كتب الوفيات » ، وراجع تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٠٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

١١ ـ وكتاب « الوفيات » لأبى الفضل بن خيرون البغدادى المتوفى سنة ٤٨٨ ﻫ وفيه وفيات سنة ٤٠٦ ـ ٤٨٨ ﻫ[١] .

١٢ ـ وكتاب «جامع الوفيات» لأبى محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفانى المتوفى سنة ٥٢٤ ﻫ الذى ذيل به على كتاب شيخه ابن الكتانى ووصل به إلى سنة ٤٨٥ ﻫ[٢] .

١٣ ـ وكتاب «الوفيات»[٣] لأبى مسعود عبد الرحيم الحاجى الأصبهانى المتوفى سنة ٥٦٦ ﻫ ، قال الذهبي فى ترجمته : « وله جزء وفيات شيوخه ومن أخذ عنهم من الأصبهانيين سمعناه بإجازة كريمة منه »[٤] .

١٤ ـ وكتاب « وفيات النقلة » لأبى الحسن على بن المفضل المقدسى الإسكندرانى المتوفى سنة ٦١١ﻫ الذى ذيل به على كتاب ابن الأكفانى ووصل به إلى سنة ٥٨١ ﻫ[٥] .

١٥ ـ وكتاب « الوفيات » لضياء الدين المقدسى المتوفى سنة ٦٤٣ ﻫ[٦] .

١٦ ـ وكتاب «التكملة لوفيات النقلة» لزكى الدين المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ ﻫ الذى ذيل به على كتاب شيخه أبى الحسن المقدسى ووصل به إلى سنة ٦٤٢ﻫ[٧] .

---

(١) انظر الورقة ٨٥ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٣٥٩ ، ٤١٣ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٢) عندى نسخة مصورة منه، انظر الورقة ١٧٨، ١٨٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١١) .

(٣) نشره بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور أحمد ناجى القيسى ببغداد سنة ١٩٦٦ .

(٤) الورقة ٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

(٥) الورقة ٢١ ، ٣٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

(٦) اعتمده الذهبي اعتمادا كبيرا جدا ، مثلا الورقة ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٧) حققناه سنة ١٩٦٧ وقد سالخه الذهبي تقريبا، انظر تعليقاتنا على هوامشه .

١٧ ـ وكتاب « صلة التكملة لوفيات النقلة » لعز الدين الحسيني المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ابتدأه من سنة ٦٤١ هـ ووصل به إلى سنة ٦٧٤ هـ[١] .

وهكذا لم يترك الذهبي كتابا يذكر في « الوفيات » من غير أن ينقل منه .
وهذا الذي قلته عن استيعابه لكتب الوفيات ينطبق إلى حد بعيد على معظم المؤلفات الأخرى لاسيما في الكتب المعنية بالتراجم والرجال ، فإذا تذكرنا ضخامة التراث التاريخي الإسلامي حتى عصره عرفنا ضخامة موارده في تاريخه هذا .

---

(١) عندي نسخة مصورة عن مسودة المؤلف وهي كاملة . وقد عرفنا أن الذهبي اختصره ولذلك سلخ معظم تراجمه .

ثالثا ـ أسس المفاضلة فى اعتماد المؤلفات السابقة :

مع أن الذهبى حاول استيعاب المؤلفات الجيـــدة إلا أن ذلك لايعنى أنه اعتمدها فى كل نطاقها الزمانى والمكانى بصورة متساوية ، أو من غير منهج ، فقد أوضحت دراستنا لموارده أنه كان يفضل اعتماد مصدر على آخر فى فترة معينة أو فى نوع معين من المترجمين . وقد يستفيد من كتاب ما فى فترة معلومة ولا يعتمده فى فترة أخرى ، وهو ينطلق فى ذلك ، على ما نرى ، من ثلاث قواعد رئيسة هى :

أ ـ المعاصرة والمشاهدة .

ب ـ تفضيل المورد الأقدم عند عدم توافر المعاصرة .

جـ ـ التخصص التأليفى .

أ ـ المعاصرة والمشاهدة :

عنى الذهبى بالمؤلفات السابقة التى عاصر مؤلفوها الحدث التاريخى أو المترجم ، وفضلها على غيرها ، بالرغم من شعوره بالخطر الذى يجىء من اعتماد التواريخ المعاصرة حينما قال فى ترجمة داود بن على العباسى « وفى الخلفاء وآبائهم وأهلهم قوم أعرض أهل الجرح والتعديل عن كشف حالهم خوفا من السيف والضرب ، وما زال هذا فى كل دولة قائمة يصف المؤرخ محاسنها ويغضى عن مساوئها ، هذا إذا كان المحدث ذا دين وخير فإن كان مداحا مداهنا لم يلتفت إلى الورع بل ربما أخرج مساوئ الكبير وهناته فى هيئة المـــدح والمكارم والعظمة فلا قوة إلا بالله »[1] وتفضيـــله هذا جاء من اعتقاده أن الاعتماد على معاصرة الحدث

(١) ج ٥ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ (مطبوعة) ونقله السخاوى فى الإعلان ص ٤٨٩ .

التاريخي ومشاهدته من ضرورات الدقة في المعرفة ، ولذلك رجح في الأغلب الروايات التي رواها المعاصرون على غيرها[1] . كما أن أقوال الجرح والتعديل لاتؤخذ إلا من الرجال الذين اتصلوا بالمترجمين كأن يكونوا من تلامذتهم أو رفاقهم في الطلب ، لأنهم هم وحدهم العارفون بهم وبمدى صحة مروياتهم ، وهكذا فإن الاتصال والمشاهدة شرط مهم من شروط النقد .

ويمكننا أن نميز عناية الذهبي بالخبر المعاصر والراوي المشاهد حينما نتتبع نوعية الموارد التي ينقل منها في عصر من العصور ، وطبيعة نقوله من الموارد التي شملت فترة زمانية طويلة تعدت عصر المؤلف ، والاهتمام بذكر موارد الكتب التي ينقل منها ، وعنايته بالألفاظ الدالة على المعاصرة والمشاهدة ، وإليك تبيانا لأبرز هذه المظاهر .

١ ـ اتصال المؤلف بالأحداث :

اهتم الذهبي بالمؤلفين الذين كانوا على صلة بالحوادث التاريخية أو المترجمين وأولاهم عناية خاصة فاعتمدهم في كتابه أكثر من غيرهم ، فقد رأيناه في الحوادث ينتقل من مورد لآخر بين فترة وأخرى ولا يقتصر على مورد واحد عند حديثه عن جميع العالم الإسلامي ، ففي النصف الأول من القرن الرابع الهجري مثلا نجده يعتمد في حوادث العراق بالدرجة الأولى على كل من أبي بكر محمد بن يحيي الصولي « ت ٣٣٥ هـ[2] » والمسعودي « ت ٣٤٦ هـ[3] » ، وثابت بن سنان « ت ٣٦٠ هـ[4] » ولا سيما الأخير . ولما تناول علاقات

(١) انظر مثلا الورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٢) انظر الورقة ١٠ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٣٩ (حلب) .
(٣) انظر مثلا الورقة ١٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٨ (حلب) .
(٤) انظر مثلا الورقة ٢ ، ٤ ، ٢٤ ـ ٢٧ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ (حلب) .

الحمدانيين بالبيزنطيين اعتمد على تاريخ علي بن محمد الشمشاطي المتوفى بعد سنة ٣٧٧[١] هـ لأنه كان على صلة بالحمدانيين إذ كان مؤدبا ونديما لهم فكان مطلعا على أخبارهم عارفا باتصالاتهم[٢] ولما تناول أخبار صلاح الدين اعتمد الموارد التي عاصرته وعنيت بأخباره وكانت على صلة وثيقة به مثل العماد الأصبهاني القرشي « ت ٥٩٦هـ[٣] » في حين ركز عند تناوله أخبار العراق في هذه الفترة على ابن الجوزي « ت ٥٩٧ هـ[٤] » وابن الأثير « ت ٦٣٠ هـ[٥] » .

وفي النصف الأول من القرن السادس الهجري نجد الذهبي يعتمد في أخبار العراق على المؤلفين الذين عاصروا أحداثه أو كانوا قريبين منها مثل : ابن الأثير ، وابن القادسي « ت ٦٣٢ هـ[٦] » ، وابن الساعي « ت ٦٧٤ هـ[٧] » ،

---

(١) انظر الورقة ٧٦ فما بعد (حلب) .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٢٠ ، ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٧٥ — ٣٧٧ والسامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٨٢ .

(٣) انظر مثلا ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) .

(٤) انظر مثلا الورقة ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، . . . الخ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) .

(٥) انظر مثلا الورقة ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ . . . إلخ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) .

(٦) محمد بن أحمد بن محمد ، أبو عبد الله القادسي المنسوب إلى القادسية التي بين سامراء وبغداد ، قال الذهبي : « صاحب التاريخ . . . وكان رجلا فاضلا له اعتناء بالتواريخ والحوادث » الورقة ١٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) انظر من نقول الذهبي عنه في الورقة ٢١٨ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٧) انظر مثلا الورقة ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وغيرها كثير .

وابن البزورى « ت ٦٩٤ هـ[١] » .

أما أخبار مصر فاعتمد فيها على موفق الدين عبد اللطيف البغدادى « ت ٦٢٩ هـ[٢] » حتى تاريخ وفاته وصار اعتماده بعد ذلك فى أخبار مصر والشام على سبط ابن الجوزى « ت ٦٥٤ هـ[٣] » وأبى شامة « ت ٦٦٥ هـ[٤] » ، وابن واصل الحموى « ت ٦٩٧ هـ[٥] » .

وقد اعتنى الذهبى كثيراً بكتاب « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزى بالرغم من كلامه فيه[٦] نظراً لصلاته بملوك بنى أيوب ومشاهدته للأحداث وهو يشير إلى هذه المعاصرة وذاك الاتصال حينما ينقل أقواله من مثل: « قال لى المعظم..[٧] » و « حدثنى الصالح نجم الدين أيوب ...[٨] » ونحوها[٩] .

(١) ذكره الذهبى فى معجم شيوخه ، وذكر أنه « ذيل على المنتظم لابن الجوزى فأفاد وأجاد » (م ٢ الورقة ٢٨) وقد ذهب أكثر هذا التاريخ فى الوقعة الغازانية سنة ٦٩٩ هـ ، وقد أخذه الذهبى عنه واعتمد عليه كثيرا . وانظر الورقة ١٩٨ (حلب).

(٢) انظر مثلا ٢٢٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٣٨ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) انظر مثلا ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) انظر مثلا ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) انظر مثلا الورقة ٤٣ ، ٤٦ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٤٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٦) مثلا الورقة ١٤٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٧) الورقة ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢) . (٨) الورقة ٢٥٢ من النسخة السابقة .

(٩) انظر مثلا الورقة ٢٥٥ — ٢٥٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) وقارن مرآة الزمان ، مختصر ، ج ٨ ص ٧٤٦ حيث كان السبط حاضرا فى الحرب التى جرت فى القدس بين المصريين والصليبيين ، وروى أحداثها .

واعتنى الذهبى فى هذه الفترة عناية بالغـة بتاريخ سعد الدين مسعود بن عبد السلام بن حموية المعروف بابن شيخ الشيوخ « ت ٦٧٤ هـ[١] » وقد سمى الذهبى تاريخه « جريدة[٢] » وذكر أنه فى مجلدين[٣] ، ولعـله كان كتاب مذكرات كما تدل النقول الكثيرة التى نقلها الذهبى عنه ، وهو الذى يفسر شدة اهتمام الذهبى به ، لأن جميع النقول تروى أحداثا ساهم فيهـا سعد الدين ، وهو من بيت أمراء اشتهروا بمشاركاتهم السياسية فى أواخر الدولة الأيوبية . وقد بينت النصوص التى نقلها الذهبى من « جريدته » أنه كان مرافقاً للملك المظفر غازى الأيوبى صاحب ميافارقين ، فكان بها سنة ٦٣٧هـ[٤] ، وكان حاضراً فى القصر عند ورود رسل المغول إلى ميافارقين سنة ٦٤٢ هـ[٥] ، وظل هناك إلى سنة ٦٤٤ حيث ترك خدمـة الملك المظفر وتوجه إلى مصر[٦] وشارك فى حرب طبرية وعسقلان ضد الصليبيين سنة ٦٤٥هـ[٧] ، وكان حاضراً فى مدينة المنصورة عندما انتصر المسلمون عليهم سنة ٦٤٨ هـ[٨] ، واعتزل الحيـاة السياسية سنة ٦٥٦ هـ[٩] وتصوف إلى حين وفاته بدمشق سنة ٦٧٤ هـ[١٠] .

---

(١) انظر مثلا الورقة ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٢) الورقة ٢٥٠ من النسخة السابقة .

(٣) الورقة ٢١ ــ ٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤) وقد أخذه الذهبى عنه بالإجازة كما صرح بذلك فى الورقة ٢٤٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) الورقة ٢٥٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) الورقة ٢٥٦ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ٢٦٠ من النسخة السابقة .

(٧) الورقة ٢٦١ من النسخة السابقة .

(٨) الورقة ٢٦٦ من النسخة السابقة .

(٩) الورقة ٢١١ (أيا صوفيا ٣٠١٣) .

(١٠) الورقة ٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

وقد نقل الذهبي عن هذا المؤلف السياسي العسكري المعاصر أنقى الأخبار مما لا نجده في غيره من الكتب .

واعتمد في أخبار المغرب ، ولا سيما عن الموحدين من بني عبد المؤمن على مصدرين معاصرين : أولهما تاج الدين عبد الله بن عمر بن حموية ، والد سعد الدين المذكور قبل قليل . وكان تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق وقد زار المغرب سنة ٥٩٣ هـ . وعاش في بلاط ملك مراكش يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن ، وكان على صلة قوية به ، وظل هناك إلى سنة ٦٠٠ هـ[١] ، فاتصل بالأحداث اتصالا مباشراً ، وقدم معلومات نفيسة عني الذهبي بنقلها[٢] . وأما الثاني فهو أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧ هـ ، وكان سياسيًّا له اتصال بالأحداث ومشاهدة لها ، لذلك عني بالنقل منه ، بل اختصر كتابه « المغرب[٣] » .

كل هذا والذهبي لا يعتني بالحوادث عنايته بالتراجم ، ولذلك وجدناه في التراجم يولي هذه الناحية جل عنايته ، وعظيم اهتمامه . ولعل من أبرز مظاهر تلك العناية هو اهتمام الذهبي بمعاجيم الشيوخ والمشيخات[٤] ومحاولة استقصائها

---

(١) انظر سبط ابن الجوزي : مرآة ، مختصر ، ج ٨ ص٧٤٨ ، والمقري : نفح الطيب ، ج ٢ ص ٧٠٧ .

(٢) انظر مثلا الورقة ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) انظر أعلاه كلامنا على آثار الذهبي ، والورقة ٢٦١ فما بعد (حلب ١٢٢٠/٢) والورقة ٨٢ فما بعد (أيا صوفيا ٣٠١١) ، وانظر المقدمة التي كتبها محمدسعيدالعريان لكتابه « المغرب » . (ط . الاستقامة بالقاهرة) .

(٤) انظر عن معاجيم الشيوخ والمشيخات بحثنا : « معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي » مجلة الأقلام ، العدد السابع من السنة الخامسة (بغداد ١٩٦٩) ومقدمتنا لكتاب: مشيخة النعال البغدادي ص١٤ فما بعد (بغداد =

ولما كانت مثل هذه الكتب لا تضم بين دفتيها سوى الشيوخ الذين اتصل بهم صاحب المعجم أو المشيخة وتلقى العلم عنهم بالسماع أو بالإجازة[١] ، لذلك تعد من أنفس المصادر المعاصرة ، فهي تحتوى على معلومات دقيقة لا تتوافر فى غيرها من المصادر ، تمتاز عموماً بالدقة والتحرى بعد المشاهدة والاتصال وقد صرت أعتقد نتيجة لدراستى الخاصة فى هذة الناحية أنها المكون الرئيس لكتب التراجم .

وقد حاول الذهبي جاهداً أن يستوعب كل ما يقف عليه من هذه المعاجيم والمشيخات ويفيد منها فى كتابه . وقد وقف على أكثر من مئتى معجم ومشيخة[٢] وقد كان كثير منها يبلغ عددا من المجلدات ، فانتقى منها ما اتفق والخطة العامة لكتابه .

وإذا كان الذهبي قد جوّز لنفسه فى بعض الأحيان أن يعتمد موارد غير معاصرة فى الحوادث[٣] فإنه لم يجز لنفسه ذلك فى التراجم عموما إلا فى الحالات

= ١٩٧٥) ورسالة الدكتور أكرم العمرى: موارد الخطيب، ص٤١٨ فما بعد. والفرق بين معجم الشيوخ والمشيخة هو فى الترتيب ، فمعجم الشيوخ هو مارتب حروف المعجم، أما المشيخة فترتب بأشكال أخرى .

(١) قلنا سابقا إن الإجازة كانت تحتوى معلومات عن المجيز يكتبها هو ، ومن ثم يستفيد مخرج المشيخة من هذه المعلومات عند تخريجه لها .

(٢) ولابد أنه فاته الكثير منها فهذا العدد قليل إذا قيس بما وصل إلينا من أسمائها، ولكن كثيرا منها كان مصيرها الضياع والتلف بسبب عدم عناية النساخ بنسخ أكثرها، وقد قال السخاوى فى نهاية القرن التاسع : « ولست أستبعد زيادتهم على الألف » الإعلان ص ٦٠٥ .

(٣) لايدخل ضمن هذا الكلام الفترة الأولى من التاريخ الإسلامى بسبب عدم انتشار التأليف من جهة، وضياع الكثير مما ألف عند أول انتشاره من جهة أخرى . =

التى تعذر عليه فيها الوقوف على مؤلفات عاصرت صاحب الترجمة ، فمع أنه اختصر كتبا ضخمة فى الرجال والتراجم استوعبت فترات زمنية طويلة مثل « تاريخ دمشق » لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ ه الذى تناول فيه تراجم الدمشقيين ومن ورد إليها من أول الإسلام إلى أيامه ، وكتاب « الضعفاء » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ه الذى شمل الضعفاء من الرواة من أول ظهورهم إلى أيامه ، فإنه لم يعتمد مثل هذه الكتب فى الفترات التى لم يعاصرها مؤلفوها ولم ينقل منها إلا نصوصا قليلة دفعته الضرورة إليها فى الأغلب الأعم ، فى حين استوعب جل التراجم التى عاصروها ، ونقل آراء المؤلفين فى المترجمين جرحا وتعديلا . ونلاحظ هذا الأمر أكثر وضوحا فى كتب الحوليات التى تناولت الحوادث والتراجم وشملت تاريخ الإسلام كله حتى عصر مؤلفيها مثل كتاب « المنتظم » لابن الجوزى ، و « مرآة الزمان » لسبطه ، و « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير وغيرهم ، فإننا لم نجد إلا نقلا نادرا جدا عن التراجم المذكورة فى هذه التواريخ مما لم يعاصرها مؤلفوها ، فإذا ما دخل الكتاب عصر المؤلف وسار فيه قليلا وجدنا الذهبى يعنى العناية البالغة فى الأخذ عنه والانتقاء منه .

٢ — الاهتمام بموارد الكتب التى ينقل منها :

إلا أن هذا الذى ذكرناه من عناية الذهبى فى اعتماد المؤلفات المعاصرة لم يتوافر له

= على أننا وجدنا الذهبى ينقل فى بعض الأحيان بعض الحوادث القصيرة من الغرائب من كتاب « المنتظم » لابن الجوزى ابتداء من القرن الرابع الهجرى ويضعها عادة فى نهاية السنة وهى قليلة عموما (انظر الورقة ٦١ ، ٧١ ، ١١٩ ، ٢١٥ ، ٢١٧ (حلب) ويصح هذا أيضا فى نقله بعض هذه الحوادث من ذيل المنتظم لابن البزورى ابتداء من سنة ٥٧٥ ه (انظر الورقة ١٩٨ فما بعد حلب) .

دائما ، بسبب عدم انتشار التدوين فى القرن الأول الهجرى وضياع كثير من المؤلفات التاريخية التى كتبت فى القرنين الثانى والثالث الهجريين فلم تصل إلى أهل القرن الثامن، وعدم قدرته فى الحصول على بعض الكتب لسبب من الأسباب.

وقد تمكن الذهبى أن يعالج هذا الأمر فى عنايته الدائمة بذكر موارد مصادره بحيث يصل بالخبر فى معظم الأحيان إلى من عاصره فطول بذلك النطاق الزمانى لنقله عن مصدر ما ، ولذلك وجدنا الذهبى يعنى بنقل الإسناد الذى ذكره صاحب الكتاب الذى ينقل منه ، ويبدو هذا الأمر على غاية من الوضوح فى القسم الأول من تاريخه ، فبالرغم من اعتماده أوثق المصادر ومنها مثلا كتب الصحاح، فإنه لم يكتف بالقول مثلا «أورده البخارى» أو «أخرجه البخارى » بل كان يعنى بذكر سند البخارى . وقد طبق هذه الطريقة حتى فى الكتب المتأخرة ، فحينما نقل الذهبى تراجم عن الخطيب مما لم يعاصره الخطيب فإنه عنى بذكر إسناد الخطيب إلى صاحب الخبر نحو قوله : « قال الخطيب : قال لنا التنوخى : أرانا ابن كيسان بخط أبيه . . .[1] » ، و « قال الخطيب : سألت البرقانى عنه[2] » ، و « قال الخطيب : حدثنا أحمد بن عمر ، حدثنا أبو بكر الوراق ، قال : دققت على ابن صاعد بابه فقال[3] » ونحو ذلك[4].

ومن مثل قوله فى ترجمة عبد الواحد بن على بن برهان العكبرى النحوى المتوفى سنة ٤٥٦هـ : « قال ياقوت الحموى فى تاريخ الأدباء : نقلت من خط عبدالرحيم

---

(١) الورقة ١٠٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) الورقة ١٢٣ من النسخة السابقة .

(٣) الورقة ١٤٤ من النسخة السابقة .

(٤) انظر أمثلة أخرى فى الورقة ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٥٠ من النسخة السابقة والورقة ٢٠ ، ٦٦ ، ٦٩ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

ابن وهبان ، قال نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني ، سمعت المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى في مرضه . . . »[1] .

على أن ذلك تعذر عليه في بعض الموارد التي لم تعن بذكر الإسناد فلم يكن منه إلا إهمالها ، أو الاعتماد عليها عند الحاجة القصوى راجعاً تبعة صحة الخبر على صاحبه الذي أورده .

٣ ـ العناية بالألفاظ الدالة على المعاصرة :

ومن أجل أن يعطي الذهبي قوة للرواية ودلالة على أهميتها كان دائما ينقل بعض العبارات الدالة على الصلة التي تربط المخبر بالمخبر عنه نحو نقله من مثل عبارة « كتبنا عنه »[2] ، و « سمعنا منه »[3] ، و « قال لي »[4] ، و « كان يكتب معنا »[5] ، و « حضرت جنازته »[6] ، ونحوها .

إن عناية الذهبي بالتخصص والمعاصرة في انتقاء الروايات التاريخية من الموارد قد أعطت أهمية عظمى لكتابه ، إذ حفظ لنا عددا كبيرا من النصوص الجيدة مما لم يصل إلينا اليوم ، ودلل في الوقت نفسه على أن لديه منهجا علميا على درجة كبيرة من الرقي .

---

(١) الورقة ١٨١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) وقد سقطت هذه الترجمة من معجم الأدباء المسمى بإرشاد الأريب لياقوت الحموي ، وموضعها في المجلد الرابع منه .

(٢) انظر مثلا الورقة ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٣) انظر مثلا الورقة ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٧ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٤) انظر مثلا الورقة ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٣ . . . إلخ من النسخة السابقة .

(٥) انظر مثلا الورقة ١٤٣ ، ١٧٣ من النسخة السابقة .

(٦) مثلا الورقة ١٣٣ من النسخة السابقة .

ب : تفضيل المورد الأقدم :

كان الذهبي يعنى عند عدم توافر الموارد المعاصرة بالاعتماد على المورد الأقرب إلى الخبر فيعتمده ويفضله على غيره ، ولذلك نشأت عنده مفاهيم في تقويم الموارد قد تختلف عن المفاهيم المألوفة عندنا بسبب عنايته البالغة في هذه الناحية، ووقوفه على مؤلفات لم تصل إلينا . وقد أدى اعتماده على المورد الأقدم إلى ضرورة تغيير موارده كما هو الحال عند عنايته بالمعاصرة والمشاهدة . إلا أن عدم وقوفه على مصدر معاصر قد جعله في الوقت نفسه ينوع موارده ويحاول أن يورد أكبر عدد ممكن منها بغية التثبيت من الخبر وضبطه .

فحينما تناول السيرة النبوية[1] مثلا لم يتابع مصدرا معينا أو يقتصر عليه بالرغم من وجود الكثير من الكتب المؤلفة فيها وكان يمكنه الاعتماد على واحد أو اثنين منها، فرأيناه يعتمد أمهات الموارد الأصيلة التي تناولت هذا الموضوع فأخذ عن «مغازى»[2] عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤ هـ، «وهو أول من صنف المغازى»[3] ،

---

(١) انظر عن كتب المغازى والسيرة ، هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها (ترجمة الدكتور حسين نصار) ، والدكتور الدورى : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠) والدكتور حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى، والدكتور العمرى : نظرة في مصادر ودراسة السيرة النبوية (مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، ١٩٧٠) وغيرها .

(٢) اعتمد رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة انظر الورقة ٩، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥ ، ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦١، ٢٧٢ (سعودية) ، ج ١ ص ٧٣ ، ١٤٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٣١٨ (مطبوعة) . وهى مفقودة .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٤ ص ٣١ (مطبوعة) ، السخاوى : الإعلان، ص ٥٢٧ ، وحاجى خليفة : كشف ، ج ٢ عمود ١٧٤٧ .

و «السيرة[١]» لمحمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٣٤ هـ، و«مغازى[٢]» موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ. أما سيرة ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ فإنه لم يقتصر الأخذ عنها من رواية واحدة بل اعتمد رواية زياد بن عبد الله البكائى العامرى المتوفى سنة ١٨٣[٣] هـ، ورواية يونس بن بكير الشيبانى

---

(١) الورقة ٢١، ٣٦، ٥٦، ٦٠، ٦١، ٧٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٨، ٢٠١، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٤٤، ٢٩٣ (سعودية) ج ١ ص ٦٧، ٧٣، ١١٥، ١٧٨ (مطبوعة)، ولم تصل إلينا.

(٢) وصلت إلينا قطعة منها وجدت في المكتبة البروسية وترجمها الأستاذ أدورد سخاو إلى الألمانية سنة ١٩٠٤، وقد وصف الإمام مالك، وتابعه الذهبي، مغازى موسى بأنها أصح المغازى (الذهبي تاريخ الإسلام، ج ٦ ص ١٦٦ وابن حجر: تهذيب، ج ١٠ ص ٢٦١ والسخاوى: الإعلان، ص ٥٢٥) وقد سمعها الذهبي بالمزى على شيخه أبي نصر الفارسي (تذكرة ج ١ ص ١٤٨) وذكر أنها في مجلد صغير (تاريخ الإسلام، ج ٦ ص ١٣٣) وقد سلخها الذهبي تقريبا انظر الورقة ٢، ٥، ٣٢-٣٦، ٤٦، ٥٥، ٦٢، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ١٠٦، ١١١، ١١٤، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٨، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧٢ (سعودية) ج ١ ص ٢٢، ٤٥، ٥٢، ٧٣، ٧٦، ١٠٨، ١١٠ - ١١٢، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤١، ١٤٢، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٤٠ (مطبوعة).

(٣) لقد اعتبر الذهبي زيادا البكائى أتقن من روى السيرة عن ابن إسحاق (الورقة ٧٦ أيا صوفيا ٣٠٠٦) انظر الورقة ٩ - ٢٠، ٤٨، ٥٧، ٥٩، ٦٣، ٧٢، ٧٥، ٨٢، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٤١، ١٤٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٨٨، ٢٠٥، ٢٥٩ (سعودية) ج ١ ص ٥٥، ١٠٢، ١٠٧، ١١٢، ١٢٩، ١٧١، ١٧٥، ١٨٥، ١٦٩ (مطبوعة).

المتوفى سنة ١٩٩ ه[١] واستفاد من ملاحظات ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ ه حينما اختصر السيرة من رواية البكائى وعلق عليها[٢]. وقارن الذهبى بين هذه الروايات جميعها ، ثم استفاد من شرح السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ وهو المعروف بـ «الروض الأنف» وكان الذهبى قد اختصره بكتاب سماه « بلبل الروض[٣] ». كما أخذ أيضاً عن « مغازى »[٤] عبد الله بن وهب بن مسلم المصرى المتوفى سنة ١٩٧ه وهو أحد الثقات[٥] ، و «مغازى»[٦] الوليد بن مسلم الأموى الدمشقى

---

(١) الورقة ٨ ، ٢١ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٩٢ ، (سعودية) ج ١ ص ٣٠ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣١٩ (مطبوعة) وانظر الورقة ٢٩٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٢) وصل إلينا تهذيب ابن هشام وطبع غير مرة . وقد سمعها الذهبى على شيخه أبى المعالى محمد بن إسحاق الأبرقوهى فى ستة أيام متتالية (تاريخ الإسلام، الورقة ١٣٥ أيا صوفيا ٣٠٠٧) وانظر الورقة ٤٧ ، ٨١ ، ١١٠ ، ١٤١ ، ١٩١ (سعودية) .

(٣) انظر أعلاه آثار الذهبى .

(٤) مثلا ج ١ ص ٤٤ ، ٨٢ ، ١٢٠ (مطبوعة) .

(٥) تاريخ الإسلام ، الورقة ، ٢٢٩ — ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٦) الورقة ١٤٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٤ ، (سعودية) ج ١ ص ٢٣ ، ٢٠٣ (مطبوعة) . وذكر الذهبى أنه أخذ عن ابن وهب، فلعله أخذ قسما من مغازيه عنه (انظر الورقة ٢٨٢ — ٢٨٤ أيا صوفيا ٣٠٠٦) وراجع البخارى : تاريخ ، ج ٤ قسم ٢ ص ١٥٢ .

المتوفى سنة ١٩٥ هـ، و « مغازى[١] » محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، و « المغازى[٢] » لمحمد بن عائذ الدمشقى الكاتب المتوفى سنة ٢٣٣ هـ وغيرهم.

إن موقف الذهبي من تفضيل القديم هذا هو الذى دفعه فيما نعتقد إلى اعتماده محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠[٣] هـ بصورة قليلة جداً فى القسم الخاص بالمغازى والسيرة مع تقدمه وكأنه اعتبره « مصدراً ثانوياً » وذلك بسبب كثرة اعتماده لكتب الواقدى فكأنه استغنى عنه، ويصح مثل هذا القول فى اعتماده النادر على السير المتأخرة مثل تلك التى ألفها ابن فارس اللغوى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ[٤]،

---

(١) وصلت إلينا ونشرها جونز. وذكر الذهبي أنه قد «سارت الركبان بكتبه فى المغازى والسير والفقه أيضا» وأصح الروايات عنه رواية ابن سعد (تاريخ الإسلام، الورقة ٦٦ – ٦٨ أيا صوفيا ٣٠٠٧) انظر الورقة ٧، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٧٣، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣١، ١٣٢، ١٥٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٨، (سعودية) ج ١ ص ٣٥، ٧٣، ٨٠، ١٠٥، ١١٢، ١٤٠، ٣٢٥، ٣٣٣ (مطبوعة).

(٢) انظر مقدمة كتابه، ج ١ ص ١٤، والورقة ١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) وج ١ ص ٢٠٢ (مطبوعة) والظاهر أنه لم يأخذ عنه كثيرا بالرغم من ذكره فى المقدمة بين موارده الرئيسة.

(٣) لم ينقل عنه فى القسم الخاص بالمغازى غير ثلاثة نصوص (الورقة ١١٨، ١٣٣، ١٨٥ سعودية) وأكثر من ذلك قليلا فى السيرة النبوية) مثلا ج ١ ص ١٩، ٢٣، ٥٠، ١٦٠ مطبوعة).

(٤) أخذها الذهبي قراءة على شيخه عمر بن عبد المنعم ابن القواس، انظر ج ١ ص ٢٨٩ – ٢٩٢ (مطبوعة).

وابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣[١] هـ ، وشيخه الدمياطى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ[٢] ونحوهم ، مع أنه اطلع عليها ونقل عنها نصوصا قليلة جداً .

إن العناية بالقديم وتفضيله هو الذى حدا بالذهبى إلى عدم مسايرة أكثر المؤرخين فى اعتماد الطبرى فى حوادث القرون الثلاثة الأولى كما فعل ابن الأثير وغيره ولو نظرنا إلى موارده فى تاريخ الحوادث بعد وفاة النبى – صلى الله عليه وسلم حتى منتصف القرن الثانى – مثلا – لوجدناه يعتمد عدداً كبيراً من موارد التاريخ العام التى سبقت الطبرى[٣] مثل الهيثم بن عدى « ت ٢٠٤[٤] هـ » وهشام ابن الكلبى « ت ٢٠٤ هـ[٥] » والواقدى « ت ٢٠٧ هـ[٦] » ، وخليفة ابن خياط «ت ٢٤٠[٧] هـ» ، وأبى حسان الزيادى «ت ٢٤٣[٨] هـ » ، ويعقوب

---

(١) ج ١ ص ١٩ (مطبوعة) .

(٢) قرأها الذهبى عليه ، انظر الورقة ٢٣٦ (سعودية) ج ١ ص٢٣، ٢٩٢(مطبوعة).

(٣) هذه الموارد تشير إلى ما تناوله الذهبى فى الحوادث فقط .

(٤) انظر مثلا ج ٥ ص ١٧٨ ، ١٩٠ وانظر مقدمة الذهبى لكتابه ، ج١ص١٥ .

(٥) انظر مثلا ج ٢ ص ٢ ، ٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ج ٣ ص ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ج ٤ ص ٨٦ ، ٢٢٦ ، ٣٠٢ وغيرها . وتشير النصوص إلى أنه ينقل من كتابه «التاريخ» انظر عنه مقالة الدكتور حسام السامرائى : «هشام بن محمد الكلبى» مجلة كلية الشريعة ، العدد الثانى : بغداد ١٩٦٦ .

(٦) انظر مثلا ج ١ ص ٣٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ج ٢ ص ٨١ ، ١٣٩ ، ج ٣ ص ١٠٨ ، ١١٤ . . . إلخ ، وانظر مقدمة الكتاب .

(٧) مثلا ج ١ ص ٣٥٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ج ٢ ص ٣ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٣٥٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ج ٣ ص ١٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ج ٤ ص ٨٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٣ ، ج ٥ ص ٢٦ ، ٣٧ ، ٦٤، ٦٥، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٩ ، ج ٦ ص٥ ، ٢٧ .

(٨) انظر العمرى : موارد الخطيب ، ص ١٠٨ فما بعد .

الفسوى « ت ٢٧٧[1] هـ » وابن أبى خيثمة « ت ٢٧٩ هـ[2] » وغيرهم مما يطول ذكره . وتشير النصوص إلى أنه فضل تاريخ خليفة عليه فى معظم الأحيان .

جـ ـ التخصص التأليفى :

وعنى الذهبى بالموارد التى تخصصت فى نمط معين من التأليف سواء أكان ذلك فى الحوادث أم فى التراجم ؛ فقد اعتمد فى الفتوح مثلا على الوليد بن مسلم « ت ١٩٥ هـ[3] » ، و « كتـــاب الفتوح » لسيف بن عمر « ت ٢٠٠هـ[4] » باعتبارهما متخصصين بالتأليف عن موضوع معين .

وتظهر عناية المؤلف فى التخصص التأليفى أكثر وضوحا فى التراجم حيث تشير دراسة الموارد إلى أنه راعى فى الأغلب الأعم الاعتماد على المؤلفات التى تخصصت بنمط معين من المترجمين إضافة إلى الموارد الأخرى . ولما كنا نعلم أن المؤلفين المسلمين قد أولوا هذه الناحية عنايتهم فلم يتركوا صنفا من الناس عموما إلا ووضعوا فيهم الكتب المترجمة لهم[5] ، عرفنا سبب عناية الذهبى بهـــذا

(١) ذكره الذهبى فى مقدمة كتابه ، وانظر مقدمة الدكتور أكرم العمرى لكتابه « المعرفة والتاريخ » .

(٢) انظر العمرى : موارد الخطيب ، ص ١١٥ .

(٣) تشير النقول إلى أنه ألف كتابا فى « الفتوح » لاسيما فى أيام الأمويين انظر مثلا ، ج ٣ ص ٣٣١ ، ج ٤ ص ٨ ، ١٧٦ ، ٢٧٠ ، ج ٥ ص ١٨٩ ، وانظر ترجمة الذهبى له فى الورقة ٢٨٢ ـ ٢٨٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٤) انظر مقدمة تاريخ الإسلام ، ج ١ ص ١٥ .

(٥) لقد أراد الذهبى أن يرتب تاريخه المحيط على نوعية المترجمين ، وقد اتخذ السخاوى تنظيم الذهبى هذا وبحث عن المؤلفات التاريخية استنادا إلى تقسيم الذهبى (الإعلان ، ص ٥١٨ فما بعد) .

النمط من الموارد لا سيما إذا عرفنا أن مؤلفي هذه الكتب هم في الأغلب من صنف المترجمين المعنيين بهم ، فأصبحوا عندئذ أعرف بهم من غيرهم .

ومن أمثلة عنايته بالتخصص أنه نقل تراجم الشعراء عن المؤلفين الذين عنوا بهم مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى « ت ٢١٠ هـ[١] » ، ومحمد بن سلام الجمحي « ت ٢٣١ هـ[٢] » ، وأبي الفرج الأصبهاني « ت ٣٥٦ هـ[٣] ، والثعالبي « ت ٤٣٠ هـ[٤] » والباخرزي « ت٤٦٧هـ[٥] » والعماد الأصبهاني « ت٥٩٦ هـ[٦] » وابن الشعار الموصلي « ت ٦٥٤ هـ[٧] ، وابن بسام الشنتريني « ت ٥٤٢هـ[٨] » ،

---

(١) له كتاب « طبقات الشعراء » لم يصل إلينا ، وهو أقدم من صنف في الشعراء مفردا ، وقد رجح الذهبي وفاته في هذه السنة (تاريخ الإسلام ، الورقة ٧٢ – ٧٣ أيا صوفيا ٣٠٠٧) انظر ج٦ ص٦٣–٦٤ (مطبوعة) ، والورقة ٢٩٩ (أياصوفيا٣٠٠٦) .

(٢) نقل من كتابه « طبقات فحولة الشعراء » نشره الشيخ محمود شاكر . انظر ج ٤ ص ١١١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٨٠ ، ج ٦ ص ١٧٢ .

(٣) في كتابه « الأغاني » وهو مطبوع مشهور . انظر مثلا ، ج٤ ص١٥١ (مطبوعة) والورقة ١٥٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٤) في كتابه « يتيمة الدهر » وهو مطبوع ، وقد رجح الذهبي وفاته سنة ٤٣٠ على سنة ٤٢٩ (الورقة ٣٠٦ – ٣٠٧ أيا صوفيا ٣٠٠٩) وانظر الورقة ١١٨ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) والورقة ٦٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٥) في كتابه « دمية القصر » وهو مطبوع ، انظر الورقة ٤٦٣ (أياصوفيا٣٠٠٩) والورقة ١٨٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) .

(٦) في كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » وقد طبعت معظم أقسامه انظر الورقة ٩٠ (أياصوفيا ٣٠١١) .

(٧) في كتابه « عقد الجمان في شعراء هذا الزمان » عندي منه نسخة خطية في ثماني مجلدات . انظر الورقة ٤٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٨) في كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وهو مطبوع . انظر الورقة ٢٥٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

إضافة إلى اعتماده المصادر الأدبيــــة الأخرى التى تضمنت أخبارا عنهم مثل مؤلفات يونس بن حبيب النحوى « ت ١٨٢ هـ[١] » ، والأصمعى « ت ٢١٦ هـ[٢] » ، والجـــاحظ « ت ٢٥٥ هـ[٣] » ، والزبير بن بكار « ت ٢٥٦ هـ[٤] » ، ونحــوهم . إضافة إلى موارده من كتب التراجم الأخرى . ويصح هذا الذى ذكرناه عن الشعراء مثلا عن كل طائفة من التراجم التى أوردها فى كتابه وكتب المؤلفون المسلمون كتبا خاصة بهم حتى وإن كان مختلفا معهم فى العقيدة أو المذهب ؛ فنحن نعلم ـ مثلا ـ أنه لا يرضى أخــذ الحديث عن الرافضة ، ولكننا نجده يعنى ـ حينما يترجم للشيعــة أو غلاتهم ـ بالأخذ فى كتابه عن الموارد التى تخصصت فى تراجمهم فنقل الكثير منها ـ مثلا ـ عن الشيخ المفيد « ت ٤١٣ هـ[٥] » ، وابن النجاشى « ت ٤٥٠ هـ »[٦] وابن أبى طى الغسانى الحلبى « ت ٦٣٠[٧] » . وكان الذهبى قال فى ترجمــة ابن طى الغسانى المذكور : « . . . الغسانى الحلبى الشيعى الرافضى مصنف تاريخ الشيعة وهو مسودة فى عدة مجلدات نقلت منه كثيرا »[٨] .

---

(١) ج ٤ ص ١٨٧ (مطبوعة) .

(٢) ج ٤ ص ١٨٠ ، ج ٦ ص ٣٤ (مطبوعة) .

(٣) ج ٣ ص ٩٦ ، ج ٤ ص ١٨٠ (مطبوعة) والورقة ٢٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٤) ج ٤ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٩٢ ، ج ٦ ص ١٢١ ، ١٢٢ وغيرها (مطبوعة) .

(٥) الورقة ٨٩ ، ١١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٦) الورقة ١١١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٧) الورقة ١٤٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) ، والورقة ٨٩ (أياصوفيا ٣٠٠٨) والورقة ١٤١ ـ ١٤٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ١٦ ، ٧٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرها .

(٨) الورقة ١٠٣ (أيا صوفيا ٣٠١٢)، والورقة ١٤٧ ـ ١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) . =

ومن مظاهر ذلك أيضا ، عنايته البالغة بتتبع السير الخاصة التي ألفهـا المؤرخون عن إحدى الشخصيات ، واعتمادها في كتابه ، فنقـل عن عشرات منها سواء أ كانت سيراً لسياسيين[١] ، أم لأدباء[٢] ، أم لمحدثين[٣] ، أم لفقهاء[٤] ، أم لزهاد[٥] ، أم لمتصوفة[٦] .

على أن عناية الذهبي بالتخصص تتجلى في أحسن مظاهرها في العـدد الضخم الذي وقف عليه من التواريخ المحلية ، سواء أ كانت هذه التواريخ مما عني بالحوادث الكائنة في ذلك البلد أم في ترجمة أهـله والواردين عليه ، فأخذ عن كل بلد من تواريخه الخاصة به . والحق أن الذهبي قلما ترك تاريخا محليا معروفا ولم يستفد منه . وقد تأسف في المقدمة بسبب عدم وجود تواريخ لبعض البلدان ، وعدم قدرته في الحصول على بعض منها[٦] مما يدل على شدة كلفه وعنايته بها .

= وأرسل إلى الدكتور الفاضل حسين محفوظ مشكورا مسودة بحث له عن «ابن أبي طي» ذكر له فيه واحدا وعشرين كتابا .

(١) مثلا الورقة ١٧٣ ، ١٧٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٥) .

(٢) مثلا، ج ٣ ص ٦٥ (مطبوعة) .

(٣) مثلا الورقة ١٤٤ ، ٢٢٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٤) مثلا الورقة ٢ ، ٥ ، ٥١ ، ١٠٧–١٠٨ ، ١٢٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) مثلا الورقة ١١ – ١٢ (حلب) .

(٦) ج ١ ص ١٧ (مطبوعة) .

رابعا ـ طرائق النقل :

١ ـ الإشارة إلى المصادر :

اختلف المؤرخون المسلمون فى الإشارة إلى المصادر التى ينقلون معلوماتهم عنها أو عدم الإشارة إليها . ولم يكن عدم الإشارة عيبا كبيرا فى الكتاب آنذاك وقد جربنا وجود كثرة من كبار المؤرخين لم يذكروا القسم الأكبر من مصادرهم مثل ابن الجوزى فى « المنتظم » ، وابن الأثير فى « الكامل » ، وبدر الدين العينى فى « عقد الجمان » ، وغيرهم . كما جربنا عدم ذكر المصادر نهائيا عند طائفة من ثقات المؤرخين كالمنذرى فى كتابه « التكملة[1] » . وفى الوقت نفسه وجدنا طائفة أخرى عنيت بذكر مصادرها ، ولكنها تفاوتت فى ذلك أيضا حيث كان قسم منهم يذكر موارده بصورة دقيقة ، بينما كان القسم الآخر يذكر مورده تارة ويغفله تارة أخرى .

أما الذهبى فكان من الذين اعتنوا بذكر مواردهم سواء كان ذلك فى القسم الخاص بالحوادث أم فى القسم الخاص بالتراجم .

ويبدو لنا أن عناية الذهبى بذكر مصادره قد جاءت نتيجة لطبيعة تربيته ونشأته العلمية وعنايته الفائقة بالحديث وعلومه وتعاطيه الرواية وشدة كلفه بها ، وآية ذلك أن رواية الحديث بالأسانيد والتدقيق فى رواته تعد أرقى أنواع ذكر المصادر وأدقها ، فكان من الطبيعى جدا أن يعنى الذهبى بذكر مصادره فى تاريخه وبخاصة فى القسم الخاص بالتراجم نظرا للصلة الوثيقة التى تربط الحديث بالتراجم

---

(١) راجع الفصل الذى كتبناه عن مصادر التكملة فى كتابنا : المنذرى وكتابه التكملة ، ص ٢٧٢ فما بعد .

التى لم تنشأ وتتطور إلا بسبب العناية بالحديث النبوى الشريف[١] . يضاف إلى ذلك الأهمية البالغة لضبط تراجم الرجال فى تقويمه صحة للمنقولات سواء أكان ذلك فى الحديث أم فى غيره ، حيث كانت قيمة الروايات وصحتها تعتمد أولا على قيمة ناقليها[٢] . ولما كانت آراء العلماء ممن تؤخذ أقوالهم فى الرجال تجريحا وتعديلا تحتل مكانا بارزا فى محتويات الترجمة ، كان لابد من إيراد هذه الأقوال من مصادرها الأصلية ، وعزوها إلى أصحابها بشكل دقيق .

ومع كل ذلك فإن الذهبى لم يتبع دائما أسلوبا علميا واضحا فى ذكر مصادره ، قياسا بمناهج البحث العلمى فى عصرنا ، فهو فى معظم الأحيان يذكر المؤلف ولا يذكر كتابه فيقتصر مثلا على القول : « قال خليفة » ، أو « قاله الإدريسى » ، أو « ذكره المنذرى » ونحو ذلك ، مع أن كثيرا من المؤلفين الذين أخذ عنهم ، قد ألفوا أكثر من كتاب . ثم نجده فى كثير من الأحيان التى يذكر فيها اسم الكتاب لا يعنى بذكر عنوانه الذى وضعه له مؤلفه ، ويكتفى بإطلاق لفظ « تاريخ » عليه ، نحو قوله مثلا : « قال ابن خلكان فى تاريخه[٣] » ، و « قال موفق الدين

---

(١) راجع كتابنا : أثر الحديث فى نشأة التاريخ عند المسلمين (بغداد ١٩٦٦) وبحثنا : مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ ، ص ٢٧ فما بعد ، والعمرى : بحوث ، ص ٣٤ فما بعد ، وروزنتال : مناهج العلماء المسلمين ، ص ١١٥ .

(٢) قال الشافعى : « ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه ، إلا فى الخاص القليل من الحديث ، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله ، أو يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه » (الرسالة ، ص ٣٩٩) وعن هذا الموضوع انظر أيضا : الرسالة ، ص ٢١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٤١ ، ٥٤٤ ، والطبرى : تاريخ ج ١ ص ٣-٤ و
J. Schacht Origins of Muhammadan Jurisprudence, P. 36

(٣) انظر مثلا الورقة ٦٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧/م ٩) ويريد به « وفيات الأعيان » .

ابن أبى أصيبعة فى تاريخه[١] »، و « ذكره أبو شامة فى تاريخه[٢] »، و« قال السلمى فى تاريخه[٣] » وهلم جرا .

ولا شك أن ذكر اسم المؤلف وإغفال إسم كتابه يسبب الكثير من الإرباك للباحثين ، ليس فى الخلط بين كتاب وآخر من كتبه حسب ، ولكن فى معرفة الكتاب الواحد أيضا . ولعل المثال الآتى يوضح هذه المسألة ، فقد نقل الذهبى من كتاب « الوفيات » لأبى الفتح محمد بن أحمد بن أبى الفوارس البغدادى المتوفى سنة ٤١٢ هـ[٤] ، ولكننا لم نعرف اسم كتابه لو لم يذكره فى إحدى المرات مصادفة فى وفيات سنة ٣٩٧ هـ حينما ترجم لأبى الحسن على بن عمر بن أحمد ابن القصار البغدادى المالكى ، ونقل ترجمته عن جملة من المؤرخين الذين ذكروا أن وفاته كانت سنة ٣٩٨ هـ ، فقال معلقا : « قلت : الصحيح وفاته فى هذه السنة فى ثامن ذى القعدة ضبطها ابن أبى الفوارس فى الوفيات له[٥] » . ولم يكن بإمكان أحد أن يستنتج أن له كتابا فى « الوفيات » لو لم يذكره الذهبى تصريحا ، فالذهبى نفسه لم يذكره حينما ترجم له تاريخ الإسلام[٦] وتذكرة الحفاظ[٧]، والمصادر الأخرى

---

(١) انظر مثلا الورقة ٣٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) ويريد به « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » كما هو مشهور .

(٢) انظر مثلا الورقة ٤٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) وقد اعتبر الذهبى كتاب « الروضتين » والذيل عليه كتابا واحدا .

(٣) انظر مثلا الورقة ٢٣٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) ويريد به « طبقات الصوفية » .

(٤) انظر مثلا الورقة ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢، ١٦٢، ١٨٠، ١٨٣، ٢١٤، ٢٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٥) الورقة ٢٤٠ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ١٢٢ — ١٢٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٧) ج ٣ ص ١٠٥٣ — ١٠٥٤ .

التى ترجمت له لم تذكر له من التآليف غير كتاب « الصحيح[١] » و« الأمالى[٢] » .
ولما بحث زميلنا الدكتور أكرم العمرى فى موارد الخطيب البغدادى ، وجد أن الخطيب قد اقتبس منه (١٩٢) نصا فى كتابه « تاريخ بغداد » منها (١٧٥) نصا نقلها من كتابه مباشرة بلفظ « قرأت فى أصل كتاب محمد بن أبى الفوارس بخط يده » و « قال » . ولما لم يجد الدكتور العمرى أحدا ذكر له كتابا ، فإنه استرجم أن تكون بعض هذه النصوص من « معجم شيوخه » ، ثم قال : « ويتبين من بعضها أن معجم شيوخه كان مرتبا على سنى الوفيات[٣] » وهو استنتاج جيد فى مثل هذه الصعوبات[٤] .

ومع ذلك فإنه من الواجب القول : إن الذهبى كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن ، ولذا فهو يفترض المعرفة عندهم ، وأن ما كان شائعا فى تلك الأعصر قد يكون مغمورا فى وقتنا هذا . يضاف إلى ذلك أن طبيعة المادة المنقولة تؤدى فى كثير من الأحيان إلى معرفة اسم الكتاب عند أهل المعرفة ، فقد نقل الذهبى عن أبى سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسى الأستراباذى المتوفى سنة ٤٠٥ ﻫ بلفظ « قال الإدريسى » ولم يعين كتابه فى أغلب النصوص ، ونحن نعلم أن الإدريسى ألف تاريخين : أحدهما : لسمرقند والآخر لأستراباذ ، فيكون من السهولة عندئذ

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٣ ، والكتانى : الرسالة ، ص ١٥٩ والعمري : موارد ص ٤٢٩ .

(٣) العمرى : موارد الخطيب ، ص ٤٢٩ — ٤٣٠ (أطروحة دكتوراه بالرونيو) .

(٤) إن هذا هو السبب الذى جعلنا لا نعرف هذا الكتاب حينما كتبنا عن « كتب الوفيات » مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد الثانى ١٩٦٨ . كما لم يذكره الدكتور العمرى فى كتب الوفيات ، ص ٤٠٧ (من الأطروحة المذكورة) .

معرفة الكتاب الذى ينقل منه ، فإذا كان المترجم أسترابادذيا عرفنا أنه ينقل من « تاريخ أستراباذ[١] » وإذا كان سمرقنديا عرفنا أنه ينقل من « تاريخ سمرقند[٢] ».
ومثل ذلك نقوله عن ابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩ هـ فإذا كان النقل يتعلق برواية المترجم لأحد كتب السنن أو المسانيد عرفنا أنه ينقل من كتابه « التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد[٣] » ، وإذا كان فى ضبط اسم أو نسبة أو اشتباه عرفنا أن ذلك من كتابه « إكمال الإكمال[٤] » الذى ذيل به على ابن ماكولا ، وازداد يقيننا حينما قارنا النقول بكتابى ابن نقطة المذكورين .

٢ — عدم الإشارة إلى مواضع النقول :

لم يكن الذهبى يشير إلى مواضع النقول من الموارد التى ينقل عنها ، وهو أمر طبيعى فى عصر لم تعرف الطباعة فيه ، وقام العلم على المخطوطات التى

---

(١) لم يصل إلينا هذا الكتاب ، انظر من نقول الذهبى عنه الورقة ١٢٦ ، ١٨٤ ، (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٧٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، (أياصوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) لم يصل إلينا . انظر ١٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧/١٠) والورقة ٩٤ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) عندى منه نسخة مصورة عن النسخة الأزهرية رقم ١٣٧ مصطلح الحديث ، وقد نقل الذهبى منه كثيرا انظر مثلا الورقة ٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٥ . . . إلخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) فى خزانة كتبى ثلاث نسخ مصورة منه عن دار الكتب المصرية رقم ١٠ مصطلح الحديث ، وعن الظاهرية رقم ٤٢٩ حديث ، والمتحفة البريطانية رقم ٤٥٨٦ شرقى . انظر بعض النقول فى الورقة ٣٤ ، ١١٨ (أحمد الثالث ١٧-١٩١ / ٩) والورقة ١٥٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) والورقة ٥٩ ، ٧٨ ، ١٢٩ ، ١٥٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

لم تتوافر منها إلا نسخ قليلة ، ولذلك فإن اتباع الأساليب الحديثة فى الإشارة إلى المصادر يبدو أمراً مستحيلا . على أن الفكر التأليفى الإسلامى استطاع أن يحل هذا الإشكال فى عنايته بتنظيم الكتب فنظمها حسب السنين ، والأنساب والحروف ، والوفيات ، والطبقات ، ونحو ذلك ، فكان من السهل على من يريد الوقوف على نص أن يرجع إلى ذلك الكتاب فيجده بسرعة إذا كان عارفاً بتنظيمه ، ولذلك رأينا الذهبى يعنى عند النقل عن مترجم ما يذكر مكان الخبر إذا لم يكن فى ترجمته من الكتاب الذى ينقل عنه نحو قوله — مثلا — فى ترجمة أبى بكر محمد بن على الحداد البغدادى من وفيات سنة ٤٥٧ هـ «. حكى عنه الخطيب فى ترجمة دعلج[(١)] » .

٣ — بداية النقل وانتهاؤه :

كان الذهبى يشير إلى بداية نقله عن مؤلف ما باستعمال العبارات الدالة على ذلك نحو قوله : « قال » ، و « ذكر » ، وما إليهما فى مقدمة النص المنقول . أما انتهاء النقل فيشير إليه بإيراد نص آخر واستعماله لفظا يدل على بداية نقل جديد ، أو باستعماله كلمة « قلت » عندما يريد أن يعبر عن رأيه فى نص أو مسألة من المسائل مما يتعلق بالحادثة أو الترجمة أو النص المنقول أو ناقله ، إضافة إلى استعماله العبارات الدالة على الانتهاء نحو قوله مثلا : « انتهى قول ابن أبى أصيبعة[(٢)] » ، أو « آخر كلام عز الدين بن الأثير[(٣)] » ، ونحو ذلك .

---

(١) الورقة ١٨٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) .

(٢) الورقة ٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٣) الورقة ٢٤٤ من النسخة نفسها .

وقد لا يذكر الذهبي بداية النقل ويرجىء ذلك إلى نهاية النص ويعبر عنه بما يدل عليه ، نحو قوله : « قال خليفة[١] » ، أو « قاله الفلاس[٢] » أو « قال يحيى بن منده ذلك[٣] » ، أو « ذكر هذا بن الساعي[٤] » ، و « ذكر هذا كله المسبحي[٥] » ، و « نقلت هذا كله من خط السيف بن المجد[٦] » ، أو « ورّخه[٧] » فلان .

ومع هذا كله تبقى مسألة بداية النقل وانتهائه معقدة نسبياً تثير للباحث بعض الإرباك إذا لم يكن عارفاً بمنهج المؤلف الذي ينقل منه ، فقد تبين لنا — مثلا — أن نقل الذهبي لجزء يسير من الترجمة عن مؤلف ما في الظاهر قد يعني في معظم الأحيان نقله لجميعها عنه ، لا سيما عند عدم ذكر مصدر آخر ،

---

(١) ج ٢ ص ٣٥٣ ، ج ٥ ص ٢٠٩ (مطبوعة) .

(٢) ج ٤ ص ١٦ (مطبوعة) وانظر أمثلة لذلك في ج ٢ ص ٣١ ، ٤٥ ، ج ٣ ص ١٢٦ ، ج ٤ ص ٧ (مطبوعة) والورقة ٤ ، ٥ ، ٤٩ ، ٧٤ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٨٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧/٩) والورقة ٢ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ٥٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ٤ ، ١٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٤٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٣٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) وغيرها .

(٣) الورقة ٣٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٤) الورقة ٢٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٥) الورقة ٢٢٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٦) الورقة ٤٣ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٧) انظر مثلا الورقة ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٧ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

ولنضرب لذلك مثلين توضيحيين : أولهما من تاريخ الخطيب ، وثانيهما من التكملة للمنذرى : قال الذهبى فى وفيات سنة ٤١٣ هـ « محمد بن أحمد بن يوسف، أبو بكر البغدادى الصياد . سمع أبا بكر الشافعى وابن خلاد النصيبى ومحمد ابن أحمد بن المحرم[١] وأبا بكر بن مالك القطيعى وأحمد بن جعفر بن حمدان السقطى البصرى ، قال الخطيب : كتبنا عنه وكان ثقة صدوقا انتخب عليه ابن أبى الفوارس وتوفى فى ربيع الأول ، وكان مولده فى سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة[٢] » فيخيل لأول وهلة أن الذهبى لم ينقل عن الخطيب غير العبارة التى جاءت بعد التصريح بالنقل « قال الخطيب » ، ولكن المقارنة تبين أن الذهبى أخذ الترجمة كلها عن الخطيب[٣] .

وقال فى وفيات سنة ٦٣٣ هـ : « عبد المنعم بن صالح بن أحمد بن محمد ، أبو محمد المصرى المسكى النحوى المعروف بالإسكندرانى لسكناه بها يعلم العربية مدة . ولد فى شعبان سنة سبع وأربعين وخمس مئة ، وأخذ النحو عن العلامة أبى محمد عبد الله بن برى ، وانقطع إليه مدة حتى أحكم الفن ، وسمع من حماد الحرانى . وروى شيئاً من شعره[٤] ، وكان مليح الخط . كتب عنه الزكى المنذرى ، وقال : توفى فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر[٥] » . وحينما نقارن هذه الترجمة بما جاء فى « التكملة » للمنذرى نجد الذهبى قد نقلها بمجموعها منه[٦] .

---

(١) بضم الميم وسكون الحاء وكسر الراء المهملتين كما فى المشتبه ص ٥٧٩

(٢) الورقة ١٣٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٣) قارن الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٨

(٤) الضمير هنا يعود إلى المترجم .

(٥) الورقة ١٣٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٦) م ٨ ص ١٥١٠ (من الطبعة الماجستيرية) .

إن منهج النقل هذا يفسر لنا كثيراً من الغموض الذى صاحب العلماء المسلمين فى مناهجهم التأليفية ، فحتى عند النص على النقل باستعمال الألفاظ الدالة عليه تبقى أجزاء أساسية من المادة التاريخية لا يعرف لها أصل فى الظاهر ، وذلك أكثر تعقيداً فى التراجم ، حيث نجد من الطبيعى أن يذكر الناقل اسم المترجم ونسبه وكنيته ولقبه قبل أن يصرح بالنقل عن الآخرين ، ومن غير المعقول أن يبدأ بذكر اسم الشخص بلفظ نقل نحو «قال» و «ذكر» لما لذلك من ركة تأليفية . ومع ذلك فإن ذكر أجزاء أخرى من الترجمة مثل الشيوخ وتاريخ الميلاد أو نحوها من غير تصريح بالنقل لا يتسر إلا بافتراض الناقل معرفة عند القارىء وفهما لما قام به . أما القول بأن هذه الأقسام غير المصرح بها هى من معلومات المؤلف العامة الشائعة ، أو أنها من إضافات المؤلفين أنفسهم[١] ، فهو أمر يحتاج إلى إعادة نظر بلا ريب .

٤ — دلالات النقل عند عدم التصريح به :

أما فى حالة عدم وجود الألفاظ الدالة على النقل فيخيل للمرء لأول وهلة أن الذهبي لا يذكر موارده . وقد تبين لنا بعد المقارنات الدقيقة الكثيرة أن الذهبي يستعمل ألفاظاً معينة فى أثناء الترجمة لتدل على النقل من غير تصريح به تأتى فى آخرها عادة . ومن هذه الألفاظ « روى عنه[٢] » فلان، و« وثقه[٣] »

(١) راجع رسالة الزميل الدكتور أكرم العمرى « موارد الخطيب » حيث عقد المبحث الثالث من الفصل الثالث « طبيعة المادة التى أضافها الخطيب ولم يسندها إلى شيوخه » ص ٨٦ فما بعد .

(٢) انظر مثلا الورقة ٧ ، ٨، ٩، ٢٠ ، ٢٥ ، ٥٨، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٥، ٧٧، ٧٨ ، ١١٤، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٠، ١٣٥ ، ١٣٧ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٦٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) وغيرها كثير .

(٣) مثلا الورقة ٢ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٨، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٤، . . . الخ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

فلان ، و « كتب عنه[1] » فلان ، و « حكى عنه[2] » فلان ، و « وأجاز لفلان[3] » و «ضعفه[4] » فلان ، ونحوها . ومما يؤكد ذلك أن الذهبى يستعمل فى مواضع أخرى هذه الألفاظ ويلحق بها ألفاظ النقل الصريح ، نحو قوله : « روى عنه أبو عبد الله الدبيثى وقال ...[5] » ، و « سمع منه الضياء المقدسى وقال ...[6] » ، و « وثقة الخطيب وقال[7] » ، و « كتب عنه أبو سعيد بن يونس وورخ موته فيها[8] » ، ونحو ذلك .

ومن أجل توضيح ذلك نورد بعض الأمثلة : فقد نقل الذهبى من « تاريخ بغداد » للخطيب كثيراً من التراجم باستعمال عبارة « وثقه الخطيب » ، وهذه واحدة منها ، قال فى وفيات سنة ٣٢٣ هـ : « محمد بن أحمد بن أسد ، أبو بكر الحافظ ويعرف بابن البستنبان ويلقب كزاز سمع الزبير بن بكار وعيسى بن أبى حرب وجماعة . وعنه الدارقطنى والمعافى الجريرى . وثقه الخطيب ، وعاش

---

(١) انظر مثلا ١٤٥ ، ١٤٩ ، ٢١٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٢) مثلا ١٣٣ ، ١٤٢ (أياصوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) انظر مثلا ١٣ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٨١ ... الخ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٤) انظر مثلا ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٥) الورقة ١٥ ، ٤٣ ، ٧٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٦) الورقة ٦٠ من النسخة السابقة .

(٧) الورقة ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) والورقة ٢٧ ، ٧١ ، ١٢٦ ، ٢١٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) وغيرها .

(٨) الورقة ٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩)

اثنتين وثمانين سنة[١] » .

ونقل الذهبي كثيراً عن « معجم أسامي مشايخ أبي علي الحسن بن أحمد ابن الحسن الحداد[٢] » المتوفى سنة ٥١٥ هـ من غير إشارة له ، بل اكتفى بالقول في نهاية التراجم : « روى عنه أبو علي الحداد » ، أو « روى عنه الحداد » ونحوها . وبعد مقارنة هذه التراجم بما وصل إلينا من هذا المعجم تبين أن

(١) الورقة ١٢٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩)وقارن الخطيب ج ١ ص ٢٧٩ - وقارن أيضا :

اسم المترجم	سنة وفاته	تاريخ الإسلام أحمد الثالث ٩/٢٩١٧	تاريخ بغداد للخطيب
محمد بن علي بن إسماعيل، أبوعبدالله الأيلي	٣٢٩	الورقة ١٦١	ج ٣ص ٧٧ – ٧٨
محمد بن أحمد بن يوسف أبو بكر الطائي الكوفي	٣٤٥	الورقة ٢٢٧	ج١ص٣٧٦–٣٧٧
محمد بن معن بن هشام أبو بكر الفارسي	٣٤٥	الورقة ٢٢٨	ج ٣ص٣١١–٣١٢
محمد بن أحمد بن محمد أبو الفضل النيسابوري ثم البغدادي الصيرفي	٣٤٧	الورقة ٢٣٨	ج ١ص٣٤٠–٣٤١

وانظر أيضا الورقة : ٥١ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٩، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦، ٨١، ٨٤ ، ٩٣، ٩٤، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١١٩، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٩، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) والورقة ٢٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) والورقة ٨٠ ، ١١٩ ، ١٤٧ ، ١٧٠ (أياصوفيا٣٠٠٨).

(٢) وهو برواية أبي الحسن مسعود بن أبي منصور بن محمد الخياط عنه . عندي منه نسخة بخطي نسختها في آخر صفر سنة ١٣٨٦ هـ عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٦ م مصطلح الحديث . وقد صححتها ورقمت تراجمها وعددها (٨١) ترجمة : فيها المحمدون ، وسبع تراجم من الأحمدين .

الذهبي قد سلخ تراجمه[1] .

ومن ذلك أيضا نقله عن المنذري باستعمال لفظ « كتب عنه » ، قال في وفيات سنة ٦٣١ هـ : «الخضر بن بدران بن بغرى ، الأديب أبو العباس التركي الشاعر. من أولاد الأمراء المصريين ، وله شعر كثير . وكان شيخا كبيرا عاش ثمانيا وثمانين سنة . كتب عنه الزكي المنذري وغيره ، ومات في ربيع الأول »[2] . وكان المنذري قال في وفيات السنة المذكورة: «وفي شهر ربيع الأول أيضا توفي الشيخ الأجل الأديب أبو العباس الخضر بن بدران بن بغرى بن حطان ابن كشتكين بن عبد الله التركي الشاعر بمصر . وكتبت عنه شيئا من شعره ، وله شعر كثير .

وهو من أولاد الأمراء المصريين . وقال لي في سنة ثلاث وعشرين وستمئة : «لي الآن ثمانون سنة»[3]. وهكذا أعاد الذهبي ترتيب الترجمة استنادا إلى ما ورد في « التكملة » للمنذري .

---

(١) قارن مثلا :

اسم المترجم	تاريخ الوفاة	تاريخ الإسلام (أيا صوفيا ٣٠٠٩)	المعجم
محمد بن إبراهيم بن علي ، أبو ذر الصالحاني	٤٤٠	الورقة ٣٧٩	الترجمة رقم ٢٣
محمد بن علي بن محمد بن علي ، أبو بكر الحللي	٤٤٠	الورقة ٣٨٦	= ٩
محمد بن عبد الله بن فضلويه	٤٤٢	= ٤٠٢	= ٢٨
محمد بن مهران الخوبي	٤٤٢	= ٤٠٤	= ٢٧
محمد بن الفضل بن محمد القاساني	٤٤٥	= ٤٢٨	= ٥٧
محمد بن الحسين بن عبد الله البرجي	٤٤٨	= ٤٥٦	= ٣٧

(٢) الورقة ١٢٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) التكملة م ٧ ص ١٤٥٩ من الطبعة الماجستيرية .

على أنى أود أن أشير هنا إلى أن مثل هذه النقول تكون عادة حينما يقتصر الذهبي على مؤلف واحد فى النقل .

٥ ـ الدقة فى النقل :

لانعنى بدقة النقـــل هنا نقل النصوص الحرفى ، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة بحيث لاتجد اختلافا فى المادة التاريخية عند المقارنة . وقداستعمل الذهبي طريقة النقل الحرفى تارة وأغفلها تارة أخرى ، لكنه على أى حال كان دقيقا فى نقله ، متثبتا منه ، دلت على ذلك المقارنات التى أجريناها بين كتابه وبين بعض ما وصل إلينا من كتب [1] .

وغالبا ما كان الذهبي يعنى بنقل النصوص بألفاظها فى الحالات التى تستحق ذلك وتتطلبه مثـــــل أقوال العلماء فى الجرح والتعديل ، ونصوص الكتب والتوقيعات التى يوردها فى كتابه ، والمقطعات والقاصد الشعرية، والقطع الأدبية ، ونصوص الحكايات والمناقشات بين العلماء ، فضلا عن الروايات المسندة إلى شيوخه ، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة . فكان يؤكد ذلك بالألفاظ والعبارات الدالة عليها ، نحـــو قوله : « قال سفيان ، وشعبة واللفظ له » [2] ، وقوله : «وقال موسى بن عقبة وابن شهاب وعروة ـ واللفظ لموسى ـ قالوا ..» [3] ، وقوله : «وقال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة، ورواه موسى بن عقبة ـ واللفظ له ـ

(١) ومن قبل هذا كنت اعتمدت « تاريخ الإسلام » للذهبي فى تصحيح الكتب التى حققتها منها كتاب « التكملة لوفيات النقلة » لزكى الدين المنذرى ، وكتاب « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » لابن الدبيثى ، وكتاب « مشيخة النعال البغدادى » وغيرها ، وثبت المقارنات فى هوامش هذه الكتب ومنها تظهر دقة نقول الذهبى .

(٢) الورقة ٥٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) .

(٣) الورقة ١٦٨ (سعودية) .

قال»[١] ، و «وقال يونس بن بكير والبكائى ـ واللفظ له ـ عن ابن إسحاق»[٢] ، و « وهذا لفظ حكاية محمد بن طرخان عن ولده عبد الولى[٣] » ، ونحو ذلك من العبارات المحددة للنقل نصا[٤] .

أما إذا انتقى من النص أو لخصه فإنه يشير إلى ذلك أيضا ، نحـــو قوله : « لخصت ترجمته من الإرشاد للخليلى »[٥] ، و « اختصرت هذا من السياق لعبد الغافر »[٦] ، و «له ترجمة فى طبقات شيرويه هذا منها»[٧] ، وقال فى ترجمة شهاب الدين الغورى : استوفى ابن الأثير ترجمته وهذه نخبتها »[٨] . وإذا غير ألفاظ خبر نقله عن مؤلف آخر وكتبه بأسلوبه أو بمعناه نبه إلى ذلك ودال عليه، نحو قوله عند حديثه عن استيلاء التتار على الدولة الخوارزمية سنة ٦١٧ ﻫ : « هذا معنى ما ذكره أبو سعد شهاب الدين النسوى »[٩] . وإذا لم يكن يحفظ خبرا شفويا بصورة جيدة أشار إلى ذلك ونبه عليه ، نحو قوله : « هذه حكاية حكاها لنا الشيخ أبو الحسين اليونينى ولا أحفظها جيدا »[١٠] ، وأمثلة ذلك كثيرة فى الكتاب .

---

(١) الورقة ١٥٩ (سعودية) .
(٢) الورقة ١١٢ (سعودية) .
(٣) الورقة ٥٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٤) الورقة ١٦٩ ، ٢٢٠ (سعودية) ج ١ ص ١٧٧ ، ١٧٩ (مطبوعة) .
(٥) الورقة ٢٩ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٦) الورقة ١٨٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١١) .
(٧) الورقة ١٤٨ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .
(٨) الورقة ١٢ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٩) الورقة ٢٤٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(١٠) الورقة ١٨٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

على أننا رأينا الذهبي في الأغلب الأعم يحرر الأخبار والتراجم على طريقته، وخاصة في التراجم ، فقد عرفناه فنانا تراجميا لا يتبع أسلوب أحد في عرض الترجمة الداخلي بل يصوغها بنفسه ، فهو حتى عند نقله عن مؤلف واحد يعيد تركيب الترجمة بشكل قد يختلف عن ترتيب الكتاب المنقول عنه[١] ، وقد يضطر إلى تجميع عناصر الترجمة من عدة مؤلفين ، فينقل كل قسم عن واحد أو أكثر[٢]. ولم يجد الذهبي ما يمنعه من نقل الأخبار وإعادة صياغتها ما زال ملزما نفسه بالدقة والأمانة ، لا سيما في نقل خبر من الأخبار العامة التي لا تؤثر في قيمتها الصياغة كتاريخ وفاة أو ميلاد أو قيام بعمل ما ، أو اختصار في أسماء الشيوخ ، ونحو ذلك . وقد أيقنت أن الذهبي كان لا بد أن يتصرف في مثـــل هذه النقول ، وإلا صعب عليه عرض التراجم كما يريد ، ولعل المثال الآتي يوضح ذلك : قال في ترجمة أبي جعفر المنصور : « قال شباب[٣] : أقام الحج للناس أبو جعفر سنة ست وثلاثين ، وسنة أربعين ، وسنة أربع وأربعين وسنة اثنتين وخمسين ، زاد الفسوي[٤] : إنه حج أيضا سنة سبع وأربعين »[٥] .

---

(١) انظر أعلاه بعض الأمثلة التي أتينا بها للمقارنة .

(٢) انظر أعلاه كلامنا على منهجه في الموارد .

(٣) هو خليفة بن خياط العصفري المعروف بشباب (ت ٢٤٠ هـ) .

(٤) (ى ج ٦، ص ٢١٦ (مطبوعة) .

(٥) قوله «زاد الفسوى» فيه نظر ، فإننا وجدنا خليفة يذكر إقامة المنصور للحج سنة ١٤٧ هـ (تاريخ ، ج ٢ ص ٤٥٢) فهناك ثلاثة احتمالات أولها أن تكون النسخة التي نقل عنها الذهبي لم تحتو على هذا النص ، وثانيهما أن تكون هذه العبارة قد أضيفت فيما بعد إلى النسخة التي طبع عليها الكتاب وهو مستبعد ، وثالثها أن يكون الذهبي ذهل عن رؤية هذا النص فتوهم بعدم ذكر خليفه له .

ولننظر الآن إلى هذين المصدرين اللذين أخذ عنهما الذهبي وهما «تاريخ[١]» خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفري المتوفى سنة ٢٤٠ هـ، و «المعرفة والتاريخ[٢]» لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي المتوفى سنة ٢٧٧ هـ. فلا نجد عند خليفة نصا كالذي ذكره الذهبي، بل نجد خليفة يذكر إقامة المنصور للحج في السنوات التي ذكرها الذهبي، فذكر السنة الأولى وهي سنة ١٣٦ هـ في قائمة أمراء الموسم على عهد أبي العباس السفاح[٣]، أما السنوات الثلاثة الباقيات فقد ذكر إقامة المنصور للحج في حوادثهن كلا على انفراد[٤]. كما ذكر الفسوي إقامة المنصور للحج في حوادث السنوات[٥]. وهكذا جمع الذهبي عددا من النصوص، وألف منها نصًا واحداً.

٦ ـ المقارنة بين الروايات وترجيح الصحيح منها :

قلنا سابقا إن الذهبي اعتمد عددا ضخما من الموارد، فكان من نتيجة ذلك أن أصبحت لديه موارد تأتلف في معلوماتها وأخرى تختلف عنها. ومن هنا كان على الذهبي أن يجمع الروايات المؤتلفة ويفرزها عن الروايات المختلفة، فاتبع أسلوب جمع الروايات. ولعله تأثر في ذلك بطريقة المحدثين، وهو منهم، الذين اخترعوا الإسناد الجمعي للتخلص من تكرار الأسانيد[٦]، نحو قوله: «وقال الزهري

(١) حققه الدكتور أكرم العمري ونشره بمعونة المجمع العلمي العراقي (النجف ١٩٦٧).
(٢) حققه الدكتور العمري أيضا ونشره ديوان الأوقاف العراقي بنفقاته (بغداد ١٩٧٤ – ١٩٧٥).
(٣) تاريخ، ج ٢ ص ٤٤٠ (٤) ج ٢ ص ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٥٤
(٥) المعرفة والتاريخ م ٢ ص ١١٦، ١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٨
(٦) وهو أن يجمع المحدث شيوخه الذين حدثوه عن شيخ معين بإسناد واحد ولحديث معين في مكان واحد فيذكر الشيوخ ثم يتبعهم بقوله: قالوا. ويعود استعمال الإسناد الجمعي إلى مطلع القرن الثاني الهجري كما هو معروف.

وقتادة وموسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدى وسعيد بن يحيى الأموى... »[1]، وقوله: « قاله نافع وقتادة والزهرى وابن إسحاق وغيرهم وعروة فى مغازيه رواية أبى الأسود . . .[2] » ، وقوله : « وأما المنذرى وابن خلكان وابن الساعى وأبو المظفر الجوزى وشيخنا ابن الظاهرى فقالوا[3] : « ومعظم الكتاب على هذا النحو فهو منهج للذهبى لم يحد عنه وذلك يدل على قابلية عظيمة فى استقصاء هذا العدد الكبير من المصادر وتجميعها وعرضها .

إن هذا الاختلاف الكبير بين الروايات دفعه إلى محاولة ترجيح ما يراه صحيحا منها متبعا أسسا معينة من أبرزها :

ا ـ معرفة الراوى وخبرته :

لقد كان يرجح المصدر الذى هو أعرف بالخبر من غيره بسبب اتصاله بالحادثة أو معاصرته لها ، نحو قوله : « ضعفه أبو زرعة وذكره ابن حيان فى الثقات وأبو زرعة أعرف[4] » ، وقوله فى مولد عروة بن الزبير : « ولد سنة تسع وعشرين . قاله مصعب ، وقال خليفة : ولد سنة ثلاث وعشرين ، ومصعب أخبر بنسبه ، ويقويه قول هشام بن عروة عن أبيه ، قال : ذكر أن أبى الزبير كان ينقزنى . . ويقوى قول خليفة ما روى الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامى ، قال : قال عروة : وقفت وأنا غلام وقد حصروا عثمان . وروى الفسوى فى تاريخه عند ذكر عروة فقال : حدثنى . . . عن عروة قال : كنت غلاما لى ذؤابتان فقمت أركع فبصر بى عمر بن الخطاب ومعه الدرة ففررت

---

(١) ج ١ ص ٧٣

(٢) الورقة ١٣٥ (سعودية) .

(٣) الورقة ٩٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) الورقة ٦٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

منه . . . قلت : هذا حديث منكر مع نظافة رجاله. قال هشام عن أبيه ، قال: رددت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن يوم الجمل واستصغرنا،قال يحيي بن معين: كان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة . وقال هشام عن أبيه : ما ماتت عائشة حتى تركتها قبل ذلك بثلاث سنين . وقال مبارك بن فضالة عن هشام عن أبيه ، قال : لقد رأيتني قبـــل موت عائشة بأربع حجج[1] . . . » . ويتضح اهتمام الذهبي بالمشاهدة والمعاصرة فى الخبر الذى نقله عن سبب وفاة محمد بن يعقوب ابن يوسف بأمير المؤمنين سنة ٦١٠ هـ فقد نقل أولا من تاريخ إبراهيم بن محمد الجزرى « ت ٧٣٩ هـ » الذى ذكر أن حرسه قتلوه خطأ ثم قال بعد ذلك : « وأما عبد الواحد بن على المراكشى « ت ٦٤٧ هـ » فإنه يقول فى كتابه المعجب إن أبا عبد الله مرض بالسكتة فى أول شعبان ومات فى خامسه . وهذا هو الصحيح لأنه أدرك موته وكان شاهداً[2] » .

ب ـ الوقوف على الوثائق والخطوط :

وكان يرجح رواية على أخرى بعد تقويتها بما يقف عليه من وثائق وخطوط تؤيد ترجيحه ، نحو قوله فى تحديد وفاة عز الدين ابن الأثير المؤرخ : « رأيت تصحيحه على طبقة تاريخها فى نصف شعبان سنة ثـــلاثين[3] » . ولما اختلف المؤرخون الذين ترجموا لابن دحية الكلبى « ت ٦٣٣ هـ » مثل أبى عبد الله الأبار وابن الدبيثى والضياء المقدسى والتقى الإسعردى وابن نقطة وابن مسدى وابن واصل الحموى فى تقويمه وروايته لكتاب «الموطأ» ، رجع الذهبى إلى طبقات السماع والإجازات وخطوط العلماء لتبيان صحة هذه الرواية وترجيحها[4] .

(١) ج ٤ ص ٣١ ـ ٣٢ (مطبوعة) .
(٢) الورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠١١) .
(٣) الورقة ٩٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .
(٤) الورقة ١٣٨ ـ ١٣٩ من النسخة السابقة .

جـ - الاستفادة من الوقائع التاريخية الأخرى :

وقد يرجح رواية على أخرى لأن هناك من الوقائع التاريخية الثابتة عنده مايؤيد هذا الترجيح . من ذلك مثلا أن المؤرخين اختلفوا فى تاريخ وفاة عبدالله ابن عمر بن الخطاب ، فذكر الهيثم بن عدى وأبو نعيم وعلى ابن المـــــديني وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو مسهر أنه توفى سنة ٧٣ هـ ، وقال خليفة بن خياط وسعيد بن عفير إنها كانت سنة ٧٤ هـ . وقد رجح الذهبي التاريخ الأخير بالرغم من اتفاق جملة من المؤرخين الثقات فى التاريخ الأول مستدلا بصلاة ابن عمر نفسه على جنازة رافع بن خديج الأنصارى الصحابى المشهور[١] الذى توفى فى أول سنة ٧٤ هـ[٢] . وقال فى ترجمة حنش بن عبد الله الصنعانى : « غزا المغرب وسكن أفريقية ولهذا عامة أصحابه مصريون ، وتوفى غازيا بأفريقية سنة مئة . وثقه العجلى ، وأبو زرعة . وأما أبو سعيد بن يونس فقال : حنش الصنعانى كان مع علىّ بالكوفة وقدم مصر بعد قتل علىّ وغزا المغرب مع رويفـــــع ابن ثابت . . . وله عقب بمصر وهو أول من ولى عشور أفريقية وبها توفى سنة مئة . وكذا قال الواقدى فى وفاة حنش الصنعانى . قلت : وهم ابن يونس وابن عساكر فى أنه صاحب علىّ لأن صاحب علىّ اسمه كما ذكرنا[٣] حنش ابن ربيعة أو ابن المعتمر وهو كنانى كوفى، وقد روى عنه جماعة من الكوفيين كالحكم بن عتبة و . . . الذين لم يروا مصر ولا أفريقية فتبين أنهما رجلان . ولحنش صاحب على ترجمة فى الكامل لابن عدى[٤] » .

(١) ج ٣ ص ١٨٤ (مطبوعة) .
(٢) ج ٣ ص ١٥٣ (مطبوعة) .
(٣) ج ٣ ص ٢٤٦ (مطبوعة) .
(٤) ج ٣ ص ٣٦١ (مطبوعة) .

د ـ مسايرة أكثر المؤرخين وعدم اعتداده بالشاذ :

إن الذهبي يعتمد جملة المؤرخين ويرجح روايتهم على رواية من تفرد عنهم إذا لم يكن لديه أدلة أخرى تؤيد رواية هذا المتفرد نحوقوله فيترجمة حمد بن محمد الخطابيالبستي المتوفى سنة٣٨٦هـ « وقد سماه أبومنصور الثعالبي في كتابالبتيمة أباسليمان أحمد بن محمد، والصواب حمد كما قاله الجم الغفير[١] » وقوله في غزوة الحديبية: « خرج إليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذي القعدة سنة ست قاله نافع وقتادة والزهري وابن إسحاق وغيرهم وعروة في مغازيه رواية أبي الأسود وتفرد على بن مسهر عن هشام عن أبيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج إلى الحديبية في رمضان[٢] » .

هـ ـ الترجيح بعد التعليل :

ويعلل الذهبي نصا من النصوص المتعارضة مع ترجيحه ويفسره مستند إلى معلوماته العامة ، حيث أفاد ـ مثلا ـ من معلوماته عن بعض العادات العربية في احتساب التواريخ في تعليل أحد النصوص وتفسيره ، فقد نقل عن ابن إسحاق والواقدي أن غزوة الخندق كانت في سنة خمس للهجرة[٣] ثم نقل بعد ذلك عن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير أنها كانت في شوال من سنة أربع ورجح الذهبي سنة خمس، وقال:« وقول موسى وعروة إنها في سنة أربع وهم بيّن، ويشبهه قول عبيد الله عن نافع عن ابن عمر : عرضني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني فلما كان يوم الخندق عرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، فيحمل قوله على أنه كان قد شرع في أربع عشرة وأنه يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة سنة وزاد عليها بعد تلك الزيادة،

(١) الورقة ١٩٦ (أياصوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) الورقة ١٣٥ (سعودية) .

(٣) للورقة ٩٩ (سعودية) .

والعرب تفعل هذا فى عددها وتواريخها وأعمارها كثيرا فتارة يعتدون بالكسر ويعدونه سنة وتارة يسقطونه[1] » . ومن ذلك أيضا قوله فى نسب المؤرخ ابن الأثير : « وكان يكتب بخطه : على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى ، وكذا ذكره الحافظ المنذرى والقوصى فى معجمه وابن الظاهرى فى تخريجه للصاحب مجد الدين العقيلى وأبو الفتح ابن الحاجب فى معجمه وغيرهم ، وهو على سبيل الاختصار ، وله أشباه ونظائر ، وإنما هو : على بن محمد بن محمد ، بلا ريب كما هو فى تسمية أخويه وابن أخيه شرف الدين وكذا ذكره القاضى ابن خلكان وأبو المظفر ابن الجوزى وابن الساعى وغيرهم ، ويوضحه أن المنذرى ذكر أخويه فقال : محمد بن محمد ، مرتين »[2] .

٧ ـ انتقاء النسخ الموثقة والمقابلة بين المخطوطات :

كان الذهبى يعنى بانتقاء أصح نسخ الموارد التى يعتمدها وينقل منها ، فكان يحاول دائماً أن يأخذ من المصدر المكتوب بخط مؤلفه ، أو أن يكون توقيعه عليه للتدليل على صحة النسخة ، أو يكون بخط عالم متقن ثقة . وكانت غايته من ذلك التأكد من صحة المادة التاريخية والإشارة إلى دقتها ، وتطمين القارىء إلى أنه لم يقع أى تصحيف أو تحريف على النص المنقول عنه مما قد يحدث على أيدى النساخ ، فكان لذلك دائم الإشارة إلى كاتب النسخة التى ينقل منها سواء كان الكتاب من تأليف كاتبه أم من تأليف غيره نحو قوله : « قرأت بخط الكندى فى تذكرته[3] » ، و « نقلت هذا وما قبله من خط أمين الدين محمد

(١) الورقة ١٠٦ من النسخة السابقة .

(٢) الورقة ٩٦ (أياصوفيا ٣٠١٢) .

(٣) الورقة ١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

ابن أحمد بن شهيد ، قال : وجدت بخط عبد الغنى بن سعيد الحافظ فذكر ذلك[١] » ، و « ووفاته بخط أبى حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكرى اللغوى[٢] » ، و « قرأت بخط الضياء[٣] » ، و « قرأت بخط ابن نقطة[٤] » ، و « قرأت بخط ابن مسدى[٥] » ، و « وجدت بخط السيف ابن المجد[٦] » ، و « قرأت بخط عمر ابن الحاجب[٧] » ، و « قرأت وفاته بخط مشيخنا ابن الظاهرى[٨] » ، و « شاهدت بخط والده[٩] » ونحو قوله فى ترجمة أبى حفص ابن طبرزد البغدادى المتوفى سنة ٦٠٧ هـ : « ورأيت بخط ابن طبرزد كتاب طبقات الحنابلة لأبى الحسين ابن الفراء[١٠] » وقوله فى ترجمة أحمد بن محمد بن واجب القيسى الأندلسى المتوفى سنة ٦١٤هـ: «قرأت فى فهرسته وخطه عليه[١١]» وغير هذا كثير فى الكتاب .

وقد استفاد الذهبى من الرجوع إلى المصادر المكتوبة بخطوط مؤلفيها فى نقده لهم وتبيان أوهامهم ، من ذلك مثلا أنه لما ترجم لموسى بن يوسف بن

---

(١) الورقة ٨١ (أياصوفيا ٣٠٠٨) .

(٢) الورقة ١٦٤ من النسخة السابقة .

(٣) الورقة ٢٠ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٨ ، ١٠٨ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ... الخ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٤) الورقة ٤٦ ، ٤٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٥) الورقة ٨٦ ، ١٣٩ ، ١٦٦ من النسخة السابقة .

(٦) الورقة ١٣٩ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٧) الورقة ٦٩ ، ١٥٨ (أيا صوفيا ٣٠١١) والورقة ٨٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٨) الورقة ٨٩ (أيا صوفيا ٣٠١١) .

(٩) الورقة ٥١ من النسخة السابقة .

(١٠) الورقة ٥٠ من النسخة السابقة .

(١١) الورقة ١٢١ من النسخة السابقة .

مسدى الزاهد نقل عن مصدرين من تأليف حفيده الحافظ محمـــد بن يوسف المعروف بابن مسدى المتوفى سنة ٦٦٣ ﻫ وهما كتاب « لباس الخرقة » وكتاب « معجم شيوخه » . وقد ذكر ابن مسدى فى كتاب « لباس الخرقة أن جده توفى فى شوال سنة ٦٠٢ ﻫ ، فقـال الذهبى : « كذا قال ابن مسدى فى كتاب لباس الخرقة ، وأما فى معجم شيوخه ، فقال : مات فى رمضان سنة أربع وست مئة ، نقلتهما من خطه فى أحدهما[١] » .

وقد اضطر الذهبى فى بعض الأحيان عند عدم العثور على نسخة بخط المؤلف إلى مقابلة أكثر من نسخة فى محاولة للوصول إلى نقل صحيح، فقد راجع نسختين من كتاب أحمـد بن أبى طاهر لمعرفة مساحة بغـداد إحـداهما برواية الصولى والأخرى برواية غيره[٢] . ولمـا نقـل الذهبى نسب آل بويه عن ابن خلـكان فى ترجمة معز الدولة ، قال : « كذا ساق نسبه القاضى شمس الدين وعـدّ ما بينه وبين بهرام ثلاثة عشر أبا ، وقابلته على نسختين[٣] » .

---

(١) الورقة ٢٧ من النسخة السابقة .

(٢) ج ٦ ص ٢١ (مطبوعة) .

(٣) الورقة ٢٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٠) .

الفصل الخامس

النقد

تمهيـــد :

اختلفت مناهج المؤرخين المسلمين فى الاهتمام بالنقد ، فاعتنت به طائفة منهم وأهملته طائفة أخرى . ثم وجدنا بعد ذلك تفاوتا بين المعنيين به فأكثر من الاهتمام به قسم منهم مثل الخطيب البغدادى « ت ٤٦٣ هـ » وابن الدبيثى « ت ٦٣٧ هـ » وابن النجار « ت ٦٤٣ هـ » ، بينما أولاه القسم الآخر عناية أقل ، فلم يظهر فى كتبهم بشكل واسع مثل المنذرى « ت ٦٥٦ هـ »وتلميذه عز الدين الحسينى « ت ٦٩٥ هـ » .

أما الذهبى فقد كان من المعنيين بالنقد كل العناية بحيث أصبح يحتل مكانا بارزاً فى كتبه ، وألف الكتب الخاصة به ، ولذلك وجدناه عظيم الاهتمام به فى كتابه « تاريخ الإسلام » ، مارسه فى كل أقسامه واعتبره جزءاً أساسيا من منهجه فى الدراسة التاريخية .

انطلق الذهبى فى هذه العناية وذاك الاهتمام من تكوينه الفكرى المتصل بدراسة الحديث النبوى الشريف وروايته ودرايته الذى يؤكد ضرورة تبيين أحوال الرواة ودرجة الوثوق بهم بتمييز الصادقين منهم عن الكاذبين ، فسحبه بعد ذلك على جميع كتابه سواء أكان ذلك فى تراجم المحدثين أم فى غيرهم وسواء أكانوا من المتقدمين أم من المتأخرين ، كما طبقه فى نقد الأخبار أيضاً .

أولا : أنواع النقد وأساليبه :

لم يقتصر الذهبى على نوع واحد من أنواع النقد ، ولم يعن بمجال واحد من مجالاته ، فقد عنى بنقد المترجمين وتبيان أحوالهم ، وأصدر أحكاما وتقويمات تاريخية ، وعنى بنقد الروايات التى وجد مجالا للنقد فيها .

١ — نقد الرجال :

يقوم نقد الرجال عند الذهبى عادة على إصدار حكم فى الرجل وتبيان حاله جرحا أو تعديلا ، ويكون ذلك فى الأغلب بإيراد آراء الثقات من المعاصرين فيه وانطباعاتهم الشخصية عنه ، إذا كان المترجم من غير أهل عصره ، ويكتفى بآرائهم أو يرد عليها أو يرجع رأيا منها . أما الذين عاصرهم فيكون رأيه الشخصى هو الأساس فى هذا النقد نظراً لاتصاله بهم ومعرفته بأحوالهم .

وعلى الرغم من أن الغاية الأساسية من نشوء هذا النقد هو تبيان أحوال رجال الحديث ، إلا أنه عنى بتطبيقه على كثير من المترجمين فى كتابه . وقد اعترض بعض معاصرى الذهبى عليه فى عنايته الكبيرة بالنقد باعتبار أن الدواعى التى دعت إلى قيام النقد عند المتقدمين هى الوصول إلى تصحيح الحديث النبوى . ولما كان الحديث قد استقر فى الكتب الرئيسة فما عادت هناك من حاجة إليه ، وأن فائدته قد انقطعت منذ مطلع القرن الرابع الهجرى ، وممن صرح بهذا أبو عمرو محمد بن عثمان الغرناطى المعروف بابن المرابط «ت٧٥٢هـ» الذى ادعى أن ذكر معايب الناس غيبة لا تجوز وإن كان المذكور من أهل الرواية[1] ، قال ابن حجر : « ورأيت بخطه جزءاً حط فيه على الذهبى وترجمه

(١) السخاوى : الإعلان ، ص ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤

ترجمة أفرط فى ذمه فيها وتعقبها برهان الدين ابن جماعة على الهامش[١] » ، كما أخذ عليه بعضهم نقده لغير الرواة واعتبروا أن ذلك لا فائدة فيه[٢] . ودافع السخاوى عن الذهبى وغيره ممن عنوا بالنقد فى غير الرواة بقوله : « بأن الملحوظ فى تسويغ ذلك كونه نصيحة ، ولا انحصار لها فى الرواية ، فقد ذكروا من الأماكن التى يجوز فيها ذكر المرء بما يكره ، ولا يعد ذلك غيبة ، بل هو نصيحة واجبة : أن تكون للمذكور ولاية لا يقوم بها على وجهها ... أو يكون مبتدعا من المتصوفة وغيرهم ، أو فاسقا ويرى من يتردد إليه للعلم أو للإرشاد ويخاف عليه عود الضرر من قِبَلِه فيعلمه بيان حاله . . . أو غير ذلك من المحرمات فكل ذلك جائز أو واجب ذكره ليحذر ضرره . وبهذا ظهر أن الجرح لم ينقطع وأنه والحالة هذه من النصيحة الواجبة المثاب فاعلها[٣] » .

ويلاحظ أن العلماء المسلمين ، ومنهم السخاوى ، قد برروا استعمال النقد فى غير مجال الرواة بالفائدة المتوخاة منه للنصيحة ودفع الضرر . ومثل هذا التبرير قد يكون صحيحا فى حالة نقد المعاصرين فهو تفسير ساذج ، حيث أن الذهبى وغيره لم يقتصروا على نقد المعاصرين من غير الرواة ، بل تناولوا نقد السابقين أيضاً فيسأل عندئذ عن الغاية من نقد السابقين ؟ كما أنهم لم يستطيعوا أن يوضحوا بجلاء سبب استمرار نقد الذهبى وغيره من المتأخرين المتقدمين بعد انقطاع الفائدة من مثل هذا النقد .

من كل ذلك يتضح أن تعليل مثل تلك الأمور لا يكون بمثل هذه البساطة

---

(١) ابن حجر : الدرر ، ج ٤ ص ١٦٤

(٢) السبكى : الطبقات ، ج ٢ ص ١٤

(٣) الإعلان ، ص ٤٦١ – ٤٦٢

فهناك عوامل أكثر عمقا دفعت الذهبى إلى مثل هذه العناية لعلنا نستطيع إبراز بعضها فيما يأتى :

(أ) استمرار العناية بالرواية ، فعلى الرغم من أن تمييز الحديث الصحيح عن غيره قد استقر بعد ظهور الكتب الستة وبعض الجاميع الحديثية الأخرى فإن المسلمين لم يتركوا الرواية بلى ازدادوا عناية بها تقليدا للسابقين من جهة ، وتدينا وحبا بالحديث وروايته من جهة أخرى . ومعنى ذلك استمرار الإسناد ومن ثم ضرورة استمرار النقد فى كل عصر لتبيان أحوال الرواة[١] .

(ب) لم يتقبل الذهبى آراء النقاد السابقين باعتبارها مسلمات لا يمكن ردها أو الطعن فيها دائما بالرغم من احترامه الشديد للثقات منهم ومدحه الكثير لهم . ويبدو أنه اعتبر باب الاجتهاد فى النقد مازال مفتوحا لذلك عنى به كل هذه العناية ، يدل على ذلك رده لآراء كثير من كبار النقاد وعدم قبولها مثل أحمد بن صالح المصرى «ت٢٤٨هـ»[٢]، وأحمد بن عبدالله العجلى «ت٢٦١هـ»[٣] ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى «ت٣٢٧هـ»[٤] وابن عدى «ت٣٦٥هـ»[٥] ،

---

(١) ركز الذهبى فى كتابه « الميزان » على الرواة القدماء واعتبر مطلع القرن الرابع الهجرى هو الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر ، وذكر أنه لو فتح على نفسه تناول المتأخرين لما سلم معه إلا القليل إذ « الأكثر لايدرون ما يروون ، ولا يعرفون هذا الشأن ، إنما سمعوا فى الصغر ، واحتيج إلى علو سندهم فى الكبر فالعمدة على من قرأ لهم ، وعلى من أثبت طباق السماع لهم » . (ج ١ ص ٤)، ولكنه تناولهم فى تاريخ الإسلام .

(٢) مثلا الورقة ٢٣٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٣) مثلا الورقة ١١٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٤) مثلا الورقة ١٢٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .

(٥) مثلا الورقة ١٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

وابن حبان البستى « ت٣٥٤هـ »[١] ، ومحمد بن إسحاق بن منده «ت٣٩٥هـ»[٢] ، والخطيب البغدادى « ت ٤٦٣ »[٣] ، وابن عساكر « ٥٧١هـ »[٤] ، وابن الصلاح « ت٦٤٣هـ »[٥] ، وغيرهم مما يطول ذكره ، ولعل كتابه « الميزان » أحسن دلالة على ذلك .

(جـ) إن النقد أصبح جزءا من مفهومه التاريخى ، لذلك حاول تطبيقه فى كل موضع من كتابه . وقد أخطأ كثير ممن فسر نقده لكبار العلماء من غير الرواة أو الملوك أو أرباب الولايات أو نحوهم بأنه من صنف « نقد الرجال » بل هو حكم تاريخى الغاية منه تقويم المترجم كما سيأتى .

ويراعى الذهبى فى مثل هذا النوع من النقد أن يورد مايبين حال المترجم مما يتصل بعقيدته كأن يكون شيعيا[٦] ، أو رافضيا[٧] ، أو معتزليا[٨] ، أو « قدريا »[٩] ونحو ذلك ، مما يتصل بأخلاقه[١٠] ، أو مما يتصل بروايته

---

(١) مثلا الورقة ٨٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

(٢) مثلا الورقة ٢٣٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٣) مثلا الورقة ١٩١ من النسخة السابقة .

(٤) مثلا الورقة ٩٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٥) مثلا الورقة ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٦) انظر مثلا الورقة ١٧٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٧) مثلا الورقة ٢٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ من النسخة نفسها .

(٨) مثلا الورقة ٢٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤ ، ٤٢٢ ، ٤٤٦ ، ٤٨٥ من النسخة السابقة .

(٩) مثلا الورقة ٢٣٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧/ ٩) والورقة ١١٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) وج ٦ ص ١٠٧ ، ١١٣ ، ٣٧٧ (مطبوعة) .

(١٠) مثلا الورقة ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

كأن يكون قليل الفهم والضبط[(١)] ، متساهلا فى الرواية[(٢)] ، متهاونا فيها[(٣)] ، أو مجازفا[(٤)] ، أو مخلطا[(٥)] ، أو يحدث من غير أصل[(٦)] ، أو يقلب الأحاديث[(٧)] أو يقفز من سند إلى آخر[(٨)] ، أو يلحق اسمه فى الطبقات ونحو ذلك[(٩)] .

وتكون نتيجة التجريح أو التعديل إصدار أحكام بعبارات فنية لها دلالاتها الدقيقة جدا نحو «ثقة» ، و « صدوق » ، و «صويلح» ، و «دجال» ، و « كذاب » ، وما إلى ذلك[(١٠)] .

إن عناية الذهبى فى البحث عن عقائد المترجمين واتجاهاتهم ومذاهبهم قدمت لنا مادة غنية فى معرفة عقائدهم ومذاهبهم ، ومدى انتشارها بين الناس فى فترة ما أو فى منطقة معينة .

---

(١) الورقة ٢٠٣ من النسخة السابقة .

(٢) الورقة ١٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٣) الورقة ١٧٣ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٤) الورقة ٢٢٥ من النسخة السابقة .

(٥) الورقة ٣٧٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(٦) الورقة ٨٦ من النسخة السابقة والورقة ١٤٤ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٧) الورقة ١٧٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

(٨) الورقة ١٩١ من النسخة السابقة .

(٩) الورقة ٣١٥ ، ٤١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .

(١٠) انظر عن هذه الألفاظ ودلالاتها كتابه : « ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤ . وبحث الدكتور ناجى معروف : « أساليب الكتاب العرب فى البحث العلمى » المنشور فى العدد الأول من مجلة « الكتاب » (بغداد سنة ١٩٦٢) .

٢ — التقويم والأحكام :

لم يكن الذهبي يقتصر على « نقد الرجال » وهو « النقد الحديثي » الذى يعنى بذكر حال الرجل صدقا أو كذبا أو عقيدة أو نحوها ، فإن هذا النوع من النقد لا يمكن تطبيقه على جميع فئات المترجمين فى كتابه ، وقد حوى خلفاء وملوكا وأرباب ولايات ، وشعراء وأدباء ونحوهم ، ولذلك لم ينظر الذهبي إليهم بالمناظير التى نظر بها إلى الرواة وأشباههم فى الأغلب الأعم ، بل نظر إلى كل طائفة منهم بمنظار يختلف عن الآخر . وهذه مسألة قلما انتبه إليها الباحثون فوقعوا بآفة التعميم وخرجوا بما ظنوا أنه حقيقة وهى أن المؤرخين المسلمين المتأثرين بالحديث الشريف وعلومه نظروا إلى جميع الناس بمنظار واحد هو منظار الحديث والمحدثين .

نعم ، نظر الذهبي إلى كثير من العلماء بمنظار المحدثين ، ونظر إلى بعض من يختلفون معه فى العقيدة بمنظار عقيدته وهلم جرا ، ولكنه فى الوقت نفسه استطاع أن ينظر إلى كل طائفة منهم بمنظار آخر كوّن فى الأغلب صورة لجماع رأيه فى ذلك الشخص .

إن تعدد المناظير هذا جعل آراء الذهبي فى المترجمين تبدو لأول وهلة متناقضة كل التناقض ، نحو قوله فى ترجمة هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ : « النسابة العلامة الإخبارى الحافظ ... لم يكن ثقة وفيه رفض[١] » ، وقوله فى ترجمة أحمد بن أبى دؤاد الإيادى المعتزلى الذى قاد أعنف حملة على زعماء أهل الحديث وغير القائلين بخلق القرآن : « وكان على مذهب الجهمية داعية إلى

(١) الورقة ٧٥ – ٧٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

القول بخلق القرآن . وكان موصوفا بالجود والسخاء وحسن الخلق وغزارة الأدب[١] » . وقد صار عدم التعميم فى الذم أو المدح أصلا من أصوله النقدية ، قال فى رده على ابن الصلاح « ت ٦٤٣هـ » الذى هاجم الماوردى « ت ٤٥٠ هـ » بسبب الاعتزال « فلا تحط يا أخى على العلماء مطلقا ولا تبالغ فى تقريظهم مطلقا »[٢] .

ثم إن اختلاف المناظير عند الذهبى جعله يراعى فى كل طائفة صفات معينة بصرف النظر عن اتفاقه أو اختلافه معهم ، فكان ينظر إلى الخلفاء والملوك مثلا من زاوية الحزم ، والدهاء ، والقوة والضعف ، والسياسة ، والظلم والعدل ، وحب العلم ونحوها ، قال فى ترجمة أبى جعفر المنصور « وقد مر من أخباره فى الحوادث مايدل على أنه كان فحل بنى العباس هيبة وشجاعة وحزما ورأيا وجبروتا ، وكان جمّاعا للمال تاركا للهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة فى العلم والأدب ، فقيه النفس ، قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه . وكان فى الجملة يرجع إلى عدل وديانة وله حظ من صلاة وتدين ... خليقا للإمارة :[٣] » وقال فى ترجمة الخليفة المأمون : « كان من رجال بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤددا وسماحة وله محاسن[٤] » وقال فى ترجمة عضد الدولة البويهى : « وعمّر الطرق والقناطر والجسور . وكان متيقظا شهما . . كثير البحث عن المشكلات وافر العقل . كان من أفراد لولا ظلمه . وكان سفاكا للدماء . . وكان يحب العلم والعلماء . . . وأقام مكوسا

---

(١) الورقة ١٠ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٧) .
(٢) الورقة ٤٨٥ (أيا صوفيا ٣٠٠٩) .
(٣) ج ٦ ص ٢٥١ (مطبوعة) .
(٤) الورقة ١٢١ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

ومظالم نسأل الله العافية[١] » وقال فى هشام بن الحكم الأموى الأندلسى : « وكان ضعيفا أخرق محجورا عليه[٢] ، وقال فى وصف جوهر الصقلى القائد الفاطمى : « وكان حسن السيرة فى الرعية[٣] » ، وقال فى ترجمة العزيز بالله نزار الفاطمى : « وكان كريما شجاعاً حسن الصفح . . . حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء »[٤] .

أما العلماء فكان يراعى فيهم البراعة والمعرفة فى فنهم ، قال فى ترجمة نصير الدين الطوسى « ت ٦٧٢هـ » : « كان رأسا فى علم الأوائل لاسيما معرفة الرياضى والأرصاد فإنه فاق بذلك على الكبار ... وكان سمحا كريما حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر »[٥] .

وكان يراعى فى الشعراء مثلا الإبداع ، فقد نقل فى ترجمة الشاعر الماجن المتهتك ابن سكرة : « كان متسع الباع فى أنواع الإبداع فائق الشعر لاسيما فى المجون والسخف وكان يقال ببغداد : إن زمانا جاد بمثل ابن سكرة وابن الحجاج لسخى جدا . وقد شبها فى وقتهما بجرير والفرزدق فى وقتهما »[٦] .

وفى كثير من الأحيان يقوّم الذهبى المترجمين بعد دراسة كتبهم وتبيان قيمتها العلمية بين الكتب التى من بابتها . ومثل هذا النقد يدل بلا شك على سعة فى العقلية وتفهم منه لمجالات النقد وطبيعته لاسيما بالنسبة لأولئك الذين لم يشتهروا بالرواية وعرفوا بتآليفهم فى علم من العلوم أو فن من الفنون .

---

(١) الورقة ١١٨ — ١١٩ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .
(٢) الورقة ٢٦٣ من النسخة السابقة .
(٣) الورقة ١٥٩ من النسخة السابقة .
(٤) الورقة ١٨٦ — ١٨٧ من النسخة نفسها .
(٥) الورقة ١٤ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .
(٦) الورقة ١٨١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨) .

٣ ـ نقد الروايات :

رد الذهبي كثيرا من الروايات التي نقلها عن المؤلفين السابقين بعد نقدها أو نقد مؤلفيها . ولم يكن مستعدا دائما لتصـــديق كل ما يقال عن شخص ما أو حادثة معينة ، ولذلك وجدناه قلما ترك مؤلفا نقل عنه من غير أن يخطئه في أكثر من رواية بصرف النظر عن مكانة ذلك المؤلف من العلم وجلالته فيه، فتحصلت في الكتاب ثروة نقدية على غاية من الضخامة ، يلمسها كل من يطالع الكتاب أو يتصفحه . يضاف إلى ذلك أنه لم يقتصر على أسلوب واحد في النقد بل توسل بكل ممكن مما يوصله إلى الحقيقة ومن ثم وجدنا تنوعا في أساليبه النقدية في هذا المجال لعل من أبرزها :

أ ـ نقد السند :

ونجد ذلك واضحا في كلامه عـــلى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة وفي بعض الروايات الأولى . ويكون هذا النقد عادة بتضعيف السند بسبب الكلام في راو واحد من رواته أو أكثر ، أو تقويتـــه استنادا إلى مقاييس المحدثين فيحكم بعد ذلك على قوة الحديث وضعفه باستعمال العبارات الدالة عليه كأن يقول مثلا « منقطع » و «مرسل» و «متفق عليه» و « صحيح » وغيرها من المصطلحات المعروفة عندهم. ولما كان الذهبي من كبار حفاظ الحديث وجهابذته لذلك ما وجدناه ترك حديثا من غير تعليق عليه(١) . وقد طبق هذه الطريقة على بعض الأخبار بعد دراسة أسانيدها وهو نادر في كتابه(٢) لعدم عنايته بالإسناد فيه أصلا وتعويله على المؤلفات السابقة .

---

(١) الصفدي : الوافي ، ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) انظر مثلا الورقة ٥٨ ، ١٧٣ ، ١٧٦ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

ومع ذلك فإن الذهبي لا يكتفي بنقد السند في معظم الأخبار التي يوردها ويضعفها استنادا إلى ضعف في سندها ، بل يحاول جاهدا إيراد ما يقوى هذا التضعيف من الأدلة التاريخية التي تتوافر له ؛ ففي اتهام هشام بن عروة لابن إسحاق نقل الذهبي هذه الرواية عن العقيلي ، قال : « قال العقيلي : حدثني الفضل بن جعفر ، أخبرنا عبد الملك بن محمد ، أخبرنا سليمان بن داود ، قال لي يحيى بن سعيد القطان : أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب . قلت : وما يدريك ؟ قال : قال لي وهيب ، فقلت لوهيب : وما يدريك ؟ ، قال : قال لي مالك ، فقلت لمالك : وما يدريك ؟ ، قال : قال لي هشام بن عروة ، قلت له : ما يدريك ؟ قال : حدث عن امرأتي وأدخلت علي وهي بنت تسع سنين وما رآها رجل حتى لقيت الله . » فقال الذهبي معلقا : « قلت : هذه حكاية باطلة وسليمان الشاذكوني ليس بثقة ، وما أدخلت فاطمة على هشام إلا وهي بنت نيف وعشرين سنة فإنها أكبر منه بنحو من تسع سنين ، وقد سمعت من أسماء بنت الصديق ، وهشام لم يسمع من أسماء مع أنها حدثتها . وأيضا فلما سمع ابن إسحاق منها كانت قد عجزت وكبرت وهو غلام أو هو رجل من خلف الستر فإنكار هشام بارد »[1] .

ب ـ نقد المتن :

وهو الذي يقوم على نقد متن الرواية بكل ما يستطيع الناقد إيراده من الأدلة التي تثبت دعواه . وهذا النوع من النقد هو الذي عني به الذهبي في كتابه فرد مئات الروايات وأبطلها بنقده المتين ، وهو ظاهرة جد واضحة فيه .

ومن أمثلة عنايته بنقد المتن مع توافر الإسناد القوي ، تعليقه على خبر سفر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصة بحيرا الراهب ،

(١) ج ٦ ص ٣٧٧ (مطبوعة) .

وملخص الحديث : أن الراهب تناقش مع أبى طالب والقرشيين فى أمره حينما كانوا يتظللون بفئ شجرة ، ثم أقبل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه غمامة تظله فلما جلس تحت الشجرة مال عليه فئ الشجرة ، فلما رآه الراهب وعرف صفته ناشد أبا طالب أن يرد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خوفا عليه من الروم فرده أبو طالب ، وبعث أبو بكر معه بلالا الحبشى . فقال الذهبى : « تفرد به قراد ، واسمه عبـــد الرحمن بن غزوان[1] (وهو)[2] ثقة احتج به البخارى والنسائى »[3] ، ورواه الناس عن قراد وحسنه الترمذى . وهو حديث منكر جدا؛ وأين كان أبو بكر ؟ كان ابن عشر سنين فإنه أصغر من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسنتين ونصف . وأين كان بلال فى هذا الوقت ؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ولم يكن ولد بعد . وأيضا : فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فئ الشجرة ؟ لأن ظل الغمامة يعدم فئ الشجرة التى نزل تحتها . ولم نر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذاكر أبا طالب قط بقول الراهب ، ولا تذاكرته قريش ولا حكته أولئك الأشياخ مع توافر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك ، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار ، ولبقى عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ حس من النبوة ولما أنكر مجئ الوحى إليه أولا بغار حراء ، وأتى خديجة خائفا على عقله ، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمى نفسه ـ صلى الله علية وسلم ـ . وأيضا : فلو أثر هذا الخوف فى أبى طالب ورده كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرا لخديجة ؟ .

---

(١) توفى سنة ٢٠٧ هـ ، انظر الذهبى : ميزان ج ٢ ص ٥٨١ — ٥٨٢ .

(٢) إضافة منى للتوضيح .

(٣) فى المطبوعة ج ١ ص ٢٩ : « النيسابورى » وهو تحريف .

وفى الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية مع أن ابن عائذ قد روى معناه فى مغازيه دون قوله «وبعث معه أبو بكر بلالا» إلى آخره ، فقال: «حدثنا الوليد بن مسلم ، أخبرنى أبو داود سليمان بن موسى فذكره بمعناه »[١] .

ونرى من هذا النقد أن الذهبى قد حلل الخبر تحليلا علميا من كافة جوانبه: فى أحداثه ، وألفاظه ، ودلالاته، واستعمل عقله ، والأدلة التاريخية ليثبت بطلانه، وهو يدل على ملكة عظيمة فى النقد وتمكن فيه .

والحق أن الذهبى استعمل عقله فى رد كثير من الروايات حتى وإن لم تتوافر لديه الأدلة الكافية ، لكن حسه التاريخى جعله لا يقبلها وإن رواها أو نقلها الثقات ، فقد نقل عن الخطيب نصا عن عدد حمامات بغداد وأنها كانت ستين ألف حمام ، فقال : « قلت : كذا نقل الخطيب فى تاريخه وما أعتقد أنا هذا ولا عشر ذلك»[٢] . ولم يقبل تصديق ضخامة أعداد الناس الذين كانوا يحضرون مجالس وعظ ابن الجوزى مع أن ابن الجوزى ذكرها بنفسه فى المنتظم ، كما هو مشهور وأيدها عبد اللطيف البغدادى « ت ٦٢٩ هـ » وجماعة من المعاصرين كما نقل الذهبى فى ترجمته[٣] .

---

(١) الورقة ١١ – ١٢ (أيا صوفيا ٣٠٠٥) ج ١ ص ٣٨ – ٣٩ مطبوعة .
(٢) ج ٦ ص ٢١ (مطبوعة) .
(٣) الورقة ٢٨٢ فما بعد (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .

ثانيا : التعصب والإنصاف فى النقد :

كان من منهج الذهبى نقل آراء الموافقين والمخالفين فى المترجم ليقدم صورة كاملة عنه ، وهو طابع عام فى كتابه تجده فى كل ترجمة من تراجمه ، بينما اقتصر آخرون على إيراد المدائح فى كتبهم مثل السبكى « ت ٧٧١ هـ » وغيره . كما أن الذهبى عنى بترجمة عدد كبير من المعاصرين له ولاسيما فى معجمه الكبير، ومعجمه المختص بالمحدثين ، ولا ريب أنه نقد بعضهم فلم يعجبهم ذلك ، وتأذى البعض منهم وغضب غضبا شديدا مثل شمس الدين محمد بن أحمد بن بصخان المقرئ المتوفى سنة ٧٤٣ هـ الذى ترجم له الذهبى وأورد بعض ما فيه من القدح . فكتب ابن بصخان هذا بخط غليظ على الصفحة التى بخط الذهبى كلاما أقذع فيه بحق الذهبى بحيث صار خط الذهبى لا يقرأ غالبه[١] .

وقد عرفنا من حياة الذهبى أنه رافق الحنابلة وتأثر بشيخه ابن تيمية لاسيما فى العقائد[٢] ، فكان شافعى الفروع حنبلى الأصول ، ولذلك عنى عند النقد بإيراد العقائد على طريقة أهل الحديث واعتبرها جزءا منه كما بينا قبل قليل . ووجدنا فى البيئة الدمشقية فى الوقت نفسه من يتعصب للأشاعرة غاية التعصب .

وبسبب العقائد انتقد الذهبى من بعض معاصريه لا سيما تلميذه تاج الدين عبد الوهاب السبكى « ٧٢٨ – ٧٧١ هـ »[٣] فى غير موضع من كتابه « طبقات

(١) السخاوى : الإعلان ، ص ٤٧٠ ، وانظر الذهبى : معجم الشيوخ م ٢ الورقة ٣٠ – ٣١ .

(٢) انظر أعلاه الفصل الأول من الباب الأول .

(٣) اتصل السبكى بالذهبى سنة ٧٣٩ هـ ولم يبلغ آنذاك اثنى عشر عاما ، ولازمه فكان يذهب إليه فى كل يوم مرتين ، وقد ترجم له الذهبى فى معجمه المختص (انظر مقدمة طبقات الشافعية) .

الشافعية الكبرى[١] » وفى كتابه الآخر « معيد النعم[٢] » ، فقال فى ترجمته من الطبقات : « وكان شيخنا ـ والحق أحق ما قيل والصدق أولى ما آثره ذو السبيل ـ شديد الميل إلى آراء الحنابلة ، كثير الازدراء بأهل السنة ، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعرى فيهم مقدم القافلة ، فلذلك لا ينصفهم فى التراجم ، ولا يصفهم بخير إلا وقد رغم منه أنف الراغم . صنف التاريخ الكبير، وما أحسنه لولا تعصب فيه ، وأكمله لولا نقص فيه وأى نقص يعتريه[٣] وقال فى ترجمة أحمد بن صالح المصرى من الطبقات أيضا : « وأما تاريخ شيخنا الذهبى غفر الله له ، فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط لا وأخذه الله ، فلقد أكثر الوقيعة فى أهل الدين ، أعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق ، واستطال بلسانه على أئمة الشافعيين والحنفيين ، ومال فأفرط على الأشاعرة ، ومدح فزاد فى المجسمة هذا وهو الحافظ المدره والإمام المبجل ، فما ظنك بعوام المؤرخين[٤] » . وذكر فى موضع آخر أنه نقل من خط صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى » ٦٩٤ ـ ٧٦١ هـ » ، وهو من تلاميذ الذهبى والمتصلين به[٥] ، أنه قال ما نصه : « الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبى لا أشك فى دينه وورعه وتحريه فيما يقوله الناس ، ولكنه غلب عليه مذهب الأثبات ، ومنافرة التأويل ، والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك فى طبعه انحرافا شديدا عن

---

(١) انظر مثلا ج ٢ ص ١٣ فما بعد ، ج ٣ ص ٢٩٩ ، ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ج ٤ ص ٣٣ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، ج ٩ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ وغيرها .

(٢) معيد النعم ، ص ٧٤ ، ٧٧ .

(٣) ج ٢ ص ٢٢

(٤) ج ٩ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٥) ابن حجر : الدرر ج ٢ ص ١٧٩ ـ ١٨٢ .

أهل التنزيه وميلا قويا إلى أهل الأثبات ، فإذا ترجم واحد منهم يطنب فى وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ، ويبالغ فى وصفه ، ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن ، وإذا ذكر أحدا من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالى ونحوهما لا يبالغ فى وصفه ، ويكثر من قول من طعن فيه ، ويعيد ذلك ويبديه ، ويعتقده دينا ، وهو لا يشعر ، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها ، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها . وكذلك فعله فى أهل عصرنا ، إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول فى ترجمته : والله يصلحه ، ونحو ذلك وسببه المخالفة فى العقائد [1] » ثم ذكر السبكى أن الحال أزيد مما وصف العلائى ثم قال : « والذى أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه ، وعدم اعتبار قوله . ولم يكن يستجرى أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه [2] » وبالغ السبكى بعد ذلك فقال : إن الذهبى متقصد فى ذلك وأنه كان يغضب عند ترجمته لواحد من علماء الحنفية والمالكية والشافعية غضبا شديدا ثم يقرطم الكلام ويمزقه « ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغى ، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها [3] » .

وقد أثارت انتقادات السبكى هذه نقاشا بين المؤرخين فرد عليه السخاوى « ت ٩٠٢ هـ » حيث اتهم السبكى بالتعصب الزائد للأشاعرة ونقل قول عز الدين الكنانى « ت ٨١٩ هـ » فى السبكى : « هو رجل قليل الأدب عديم

(١) الطبقات جـ ٢ ص ١٣ .
(٢) نفسه جـ ٢ ص ١٣ — ١٤ .
(٣) نفسه جـ ٢ ص ١٤ .

الإنصاف ، جاهل بأهل السنة ورتبهم[١] . وقال يوسف بن عبد الهادى « ت ٩٠٩ هـ » فى معجم الشافعية : « وكلامه هذا فى حق الذهبى كان أجل من أن يقول مالا حقيقة له . . . والإنكار عليه أشد من الإنكار على الذهبى ، لاسيما وهو شيخه وأستاذه فما كان ينبغى له أن يفرط من هذا الإفراط[٢] » .

والحق أن السبكى أشعرى جلد متعصب غاية التعصب ولا أدل على ذلك من شتيمته المقذعة فى حق الذهبى فى ترجمة أبى الحسن الأشعرى من الطبقات فقد سف بها إسفافاً كثيراً بسبب عدم قيام الذهبى بترجمته ترجمة طـــويلة فى « تاريخ الإسلام » ولأنه اكتفى بإحالة القارىء إلى كتاب « تبيين كذب المفترى » لابن عساكر فاعتبر ذلك نقيصة كبيرة فى حق الأشعرى[٣] . وقد قرأ السخاوى بخطه تجاه ترجمة سلامة الصياد المنبجى الزاهد ما نصه : « يامسلم استحى من الله ، كم تجازف ، وكم تضع من أهل السنة الذين هم الأشعرية ، ومتى كانت الحنابلة ، وهل ارتفع للحنابلة قط رأس[٤] » .

ومع ذلك فإن هذه القضية جديرة بالدرس لأنها توضح أهمية كتاب الذهبى من جهة ، ومنهجه ومدى عدالته فى النقد والتحرى من جهة أخرى .

---

(١) الإعلان ص ٤٦٩ فما بعد .

(٢) معجم الشافعية ، الورقة ٤٧ ـ ٤٨ (ظاهرية) .

(٣) الذهبى : تاريخ الإسلام ، الورقة ١٣٢ ـ ١٣٣ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) وقد وصف الذهبى الأشعرى بأحسن الأوصاف وذكر تصانيفه وقال « من نظر فى هذه الكتب عرف محله ومن أراد أن يتبحر فى معرفة الأشعرى فليطالع كتاب تبيين كذب المفترى . . . » .

(٤) طبقات ، ج ٣ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .

ولقد أبانت دراستنا لتاريخ الإسلام أن الذهبي قد وفق إلى أن يكون منصفا إلى درجة غير قليلة فى نقده لكثير منَّ الناس وما رأينا عنده تفريقا كبيرا بين علماء المذاهب الأربعة . وما كان يرضى الكلام بغير حق ولا حتى نقله فى بعض الأحيان ، قال فى ترجمة الحسن بن زياد اللؤلؤى الفقيه الحنفى « قد ساق فى ترجمة هذا أبو بكر الخطيب أشياء لا ينبغى لى ذكرها[١] » وقال فى ترجمة ابن الحريرى الدمشقى الحنفى « ت ٧٢٨ » : « قاضى القضاة علاّمة المذهب ذو العلم والعمل[٢] » وقوله فى قاضى الحنفية شمس الدين الأذرعى « ت ٦٧٣ » : « لم يخلف بعده مثله[٣] » وترجم لأبى جعفر الطحاوى ترجمة رائقة ودلل على سعة معرفته وفضله وعمله الجم[٤] . وهذا هو منهجه فى معظم الحنفية لم نره تكلم فى أحدهم بسبب المذهب ، لا من الشافعية ولا المالكية ، ولا الحنفية .

ولو قال السبكى إنه كان يتعصب على الأشاعرة حسب لوجد بعض الآذان الصاغية ولبحث له المؤيدون عن بضعة نصوص قد تؤيد رأيه ، علما أنى بحثت فى « تاريخ الإسلام » ولم أستطع أن أحصل على مثل يَصْلُح أن يسمى انتقاداً لأشعرى . نعم قد نجد بعض تقصير فى تراجم قسم من الأشاعرة . وفى هذا المجال صرت أشعر أن سبب قصر بعض تراجم الأشاعرة قد جاء من عدم قيام الذهبى بنقل آراء المخالفين بتوسع حبا منه للعافية كما فى ترجمة أبى الحسن الأشعرى الذى لم يأت الذهبى بكلمة نقد فيه مع أن الأشعرى قضى القسم الأكبر من حياته معتزليا ،

---

(١) الورقة ١٨ (أيا صوفيا ٣٠٠٧) .

(٢) معجم الشيوخ م ٢ الورقة ٥١

(٣) الورقة ١٨ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

(٤) الورقة ١١٤ (أحمد الثالث ٢٩١٧ /٩) .

ونحن نعرف موقف الذهبي من المعتزلة . والواقع أن الذهبي ما بخس فضل هـذا الرجل إلى درجة أنه اعتبره مجددا فى أصول الدين على رأس المئة الرابعة[1] .

أما كلام الذهبي على الصوفية فصحيح ما قاله السبكى ، ولـكن فى النادر منهم، وهذا رأى ارتآه الذهبي واعتقد فيه وآمن به؛ فقد ميّز بين طائفتين منهم:

أولا هما كانت متمسكة بالدين القويم متبعة للسنة، احترمهم الذهبي الاحترام كله، بل لبس هو خرقة التصوف من الشيخ ضياء الدين عيسى بن يحيي الأنصارى السبتى عند رحلته إلى مصر[2] ، وكان يعتقد ببعض كرامات كبار الزهاد ويعنى بإيرادها فى كتابه بل يكثر منها عادة[3] ، ويورد بعض أقوالهم وحكاياتهم فى الزهد والمحبة فيه[4] .

أما الثانية فقد اعتبرهم الذهبي مارقين عن الدين مشعوذين بهم مس من الجنون ، ومنهم الأحمدية[5] أتباع الشيخ أحمد الرفاعى ، والقلندرية[6] وشيخها جمال الدين محمد الساوجي فقد ذكر ترهاته وانغشاش الناس به وبحاله الشيطانى[7] ووصف بعض أحوالهم فى ترجمة يوسف القمينى « ت ٦٥٧ هـ » فقال : « وكان يأوى إلى قمين حمام نور الدين ولما توفى شيعه خلق لايحصون من العامة ، وقـد

---

(١) تفسير للحديث الشريف « يبعث الله من يجدد . . . الحديث » وقد فسر الذهبي « من » لصيغة الجمع . انظر السبكى طبقات ج ٣ ص ٢٦

(٢) الورقة ١٢٦ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

(٣) انظر مثلا الورقة ٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ١٧٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٤) مثلا الورقة ١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٥) معجم الشيوخ م ١ الورقة ٤٠

(٦) القلندرية : المحلقون أى الذين يحلقون رؤوسهم ولحاهم .

(٧) الورقة ١٠٤ (أيا صوفيا ٣٠١٢) .

بصّرنا الله تعالى وله الحمد وعرّفنا هـذا النموذج . . . فقد عم البلاء فى الخلق بهذا الضرب . . . ومن هذه الأحوال الشيطانية التى تضل العامة : أكل الحيات ودخول النار ، والمشى فى الهواء ممن يتعانى المعاصى ويخل بالواجبات . . . وقـد يجىء الجاهل فيقول : اسكت لاتتكلم فى أولياء الله ، ولم يشعر أنه هـو الذى تـكلم فى أولياء الله وأهانهم إذ أدخل فيهم هـؤلاء الأوباش المجانين أولياء الشيطان[1] » .

ولم يكن الذهبى متعصبا للحنابلة بالمعنى الذى صوّره السبكى فالرجل كان محدثا يحب أهل الحديث ويحترمهم ، إلا أن هذا لم يمنعه من تناول مساوئ بعضهم فقد نقل عن الإمام ابن خزيمة فى ترجمة الطبرى المؤرخ قوله : « ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمـد بن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة » ثم قال الذهبى معقبا : « كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه فى الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد[2] » . وقال فى ترجمة عبد الساتر ابن عبد الحميد تقى الدين الحنبلى المتوفى سنة ٦٧٩ هـ : « ومهر فى المذهب . . . وقل من سمع منه لأنه كان فيه زعارة، وكان فيه غلو فى السنة ، ومنابذة للمتكلمين ومبالغة فى اتباع النصوص . . . وهو فـكان حنبليا خشنا متحرقا على الأشعرى . . . كثير الدعاوى قليل العلم[3] » .

ومع ما كان للذهبى من إعجاب بشيخه ابن تيمية فإنه أخذ عليـه « تغليظه

---

(٤) الورقة ١٧٤ (أيا صوفيا ٣٠١٣) . وقمين الحمام : أتونه .

(١) الورقة ٤٥ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

(٢) الورقة ٦٦ (أيا صوفيا ٣٠١٤) .

وفظاظته وفجاجة عبارته وتوبيخه الأليم المبكى المنكى المثير النفوس[(١)] » كما أخذ عليه « الكبر والعجب وفرط الغرام فى رياسة المشيخة والازدراء بالكبار[(٢)] » .

وقد رأى فى بعض فتاويه انفرادا عن الأمة ، قال : « وقد انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها ، وهى مغمورة فى بحر علمه — فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه — فما رأيت مثله وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك فكان ماذا[(٣)] ؟ » .

وقد بلغ حرص الذهبى فى النقد وشدة تحريه أنه تكلم فى ابنه أبى هريرة عبد الرحمن فقال إنه حفظ القرآن ثم تشاغل عنه حتى نسيه[(٤)] .

ولست هنا فى حال دفاع عن الرجل فكتابه خير مدافع عنه وهو الحكم فى تقويمه ، ولكننى أقول إن تحقيق كثير من الإنصاف ، وإن لم يكن كله ، أمر له قيمته العظمى فى كل عصر .

---

(١) الورقة ٣٣٢ من النسخة السابقة .
(٢) بيان زغل العلم ص ١٧ — ١٨
(٣) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٩٧
(٤) السخاوى : الإعلان ، ص ٤٨٨

الخاتمة

(١)

على الرغم مما احتله شمس الدين الذهبي من المكانة المرموقة فى الفكر الإسلامى عموماً والتاريخى خصوصاً فإن ما كتب عنه لا يتعدى صفحات قليلة ليس فيها غير ترديد لما هو شائع عنه فى المصادر القديمة التى تناولت ترجمته ، فكانت دراستنا لسيرته أول دراسة علمية قامت على أساس من الإحاطة التامة بكل ما كتب عنه واستقراء كامل لما خلف من آثار كتابية على أنحاء شتى من المعرفة الإنسانية .

وقد اسطتعت فى هذا البحث أن أوضح البيئة الدمشقية التى نشأ بها الذهبي بكل ما كان فيها من نهضة علمية واسعة وما اعتراها من صراعات عقائدية حادة ، وانتشار الجهل والاعتقاد بالمغيبات بين العوام . كما حاولت أن أقدم صورة لبيئته العائلية المتدينة المعنية بالعلم التى ربته على حب العلم والعلماء منذ نعومة أظفاره مما هيأه لمستقبل علمى مرسوم ، فرأيناه عند اكتمال شخصيته يعنى بطلب العلوم الدينية بنفسه من قراءات وحديث .

وتتبعت رحلات الذهبي العلمية واستطعت أن أحددها بالبلاد الشامية والمصرية والحجازية . وبينت نتيجة تتبعى لنشاط الذهبي أن رحلته إلى البلاد المصرية كانت بين شهر رجب وذى القعدة من سنة ٦٩٥هـ فصححت بذلك آراء بعض المؤرخين فى هذه المسألة . ووضحت طبيعة دراساته وذكرت أنها كانت متنوعة لم تقتصر على جانب واحد ، لكنها فى الوقت نفسه لم تخرج عن إدائرة العلوم الدينية عموما والعلوم المساعدة لها من تاريخ ونحو ولغة وأدب وشعر ، وشككت أنه درس كتبا فى العلوم الصرفة لإيمانه بعدم جدواها .

وتناول البحث صلات الذهبي الشخصية بابن تيمية والمزى والبرزالى وأثرها فى تكوينه الفكرى المتمثل بميله إلى آراء الحنابلة ودفاعه عن مذهبهم فى العقائد وارتباطه الشديد بالحديث والمحدثين ونظرته إلى العلوم والعلماء وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية ، مما أثر فى منهجه التاريخى تأثيرا واضحا فظهر فى اهتمامه الكبير بالتراجم التى صارت أساس كتابه ومحور تفكيره التاريخى وفى نظرته إلى الأحداث التاريخية وأسس انتقائها ، ثم فيما وجه إلى كتابه من نقد أثار نقاشا بين علماء عصره وعند العلماء الذين جاءوا بعده . أما نشاطه العلمى فقد بينت أنه اتخذ وجهتين رئيستين: أولاهما كتاباته الكثيرة، وثانيتهما تدريسه الحديث فى أمهات دور الحديث بدمشق بحيث استطعنا التعرف على خمس دور للحديث كان يتولى مشيختها فى آن واحد عند وفاته .

وأبنت مكانة الذهبي العلمية استنادا إلى دراسة مسهبة لآثاره الكثيرة التى خلفها . وقد أوضحت دراستى لذلك العدد الضخم من الكتب التى اختصرها أنه كان يتمتع بقابلية ممتازة على الانتقاء ، فكان يختارها من بين أحسن الكتب التى وضعت فى عصرها وأكثرها أصالة ، وأن اختصاراته لم تكن اختصارات عادية ، فقد وجدت فيها إضافات كثيرة وتعليقات نفيسة واستدراكات بارعة على مؤلف الأصل ومقارنات تدل على معرفته وتبحره فى فن الكتاب المختصر ، فهو اختصار مع سد نقص ، فيه تحقيق ونقد وتعليق وتدقيق .

ومع أن الذهبي كان مشاركا فى كثير من العلوم إلا أن مكانته العلمية وبراعته ظهرتا فى أحسن الوجوه إشراقا وأكثرها تألقا عند دراستى له محدثا ومؤرخا وناقدا . وعلى الرغم من أنه عاش فى بيئة غلب عليها الجمود والنقل والتلخيص، فإنه قد تخلص من كثير من ذلك بفضل سعة دراساته وفطنته . وكان مفهوم التاريخ عند الذهبي يتصل اتصالا وثيقا بالحديث النبوى وعلومه ، وقد ظهر ذلك

فى عنايته التامة بكتب التراجم التى قامت عليها شهرته الواسعة باعتباره مؤرخا. واستطعت أن أميز الذهبي عن غيره من مؤلفى كتب التراجم بأنه لم يقتصر فى تأليفه على عصر معين أو فئة معينة أو تنظيم واحد، بل تناولت كتاباته جميع عصور التاريخ الإسلامى . ولذلك جعلت منة معرفته الرجالية الواسعة ناقداماهرا فظهر ذلك فى مؤلفاته المعنية بالنقد وفى التفاتاته البارعة فى أصول النقد ورده لكثير من الروايات وتخطئته لكبار النقاد، وقوته الفائقة فى البحث والاستدلال.

(٢)

وحينما تناولت آثار الذهبي تمكنت أن أعرّف بمئتين وأربعة عشر أثرا من آثاره فى القراءات والحديث ومصطلحه والعقائد والفقه وأصوله والرقائق والتاريخ والتراجم والسير المفردة والمنوعات والمختصرات والانتقاءات والتخاريج، فى الوقت الذى لم يذكر له أحد من القدماء أو المحدثين أزيد من مئة أثر . ولم يكن عملى هنا مقتصرا على تقديم قائمة جامدة بذلك، بل عنيت بدراسة كل مااستطعت الوقوف عليه من آثاره سواء كان مطبوعا أم مخطوطا، وقدمت وصفا مختصرا لنوعية الكتاب ومجاله وموضوعه وترتيبه وأهميته بعبارة وجيزة مركزة . وهذه ميزة فى بحثنا لانجدها فى غيره من البحوث التى من بابته .

(٣)

ولما تناولت دراسة تنظيم الكتاب وأساليب عرضه تمكنت أن أتلمس ثلاثة سبل متنوعة اتبعها الذهبي فى تنظيم كتابه لم يفطن إليها أحد من قبلى وهى : —

١ — من سنة ١ — ٤٠ هـ خلط الحوادث والتراجم، وأورد التراجم القليلة التى ذكرها ضمن الحوادث، ولم يكن للتراجم فى هذه الفترة من أثر واضح يميزها عن الحوادث حيث لم نتمكن أن نستشعر أى تنظيم فيها .

٢ ـ من سنة ٤١ـ٣٠٠ هـ ذكر حوادث كل عشر سنوات بصورة متتالية ثم نظم تراجم المتوفين يقينا والمتوفين على التقريب ضمن هذه السنوات العشر على حروف المعجم مع عدم اعتنائه دائما بذكر تاريخ وفاة كل مترجم داخل السنوات العشر ، لعدم وقوفه على طائفة كبيرة منها ، ولأنه ذكر طائفة أخرى منهم على وجه التخمين والتقريب .

٣ ـ من سنة ٣٠١ ـ ٧٠٠ هـ فصل الحوادث عن الوفيات تماما وجمع فى أغلب الأحيان حوادث كل مجلد فى مكان واحد منه ، ثم رتب التراجم حسب السنين ، ونظم تراجم كل سنة على حروف المعجم ، وذكر المتوفين على التقريب فى نهاية كل عقد (عشر سنوات) : وقد تمكنا من الوقوف على العوامل التى جعلته قادرا على نقل التنظيم مثل هذه النقلة وجعله على السنين بدلا من « العقود » وتخطى الصعاب الناجمة عنها وهى :

أ ـ وقوفه على وفيات عدد كبير من المترجمين .

ب ـ تنظيم عدد غير قليل من المترجمين فى آخر سنة ذكروا فيها بتحديث أو إجازة أو نحوها ومعاملة هذا الأمر معاملة الوفاة .

جـ ـ ذكر من وقف على تواريخ وفياتهم وعرف عصرهم فى آخر كل عقد .

وقد توصلت فى هذا البحث إلى أن الذهبى استعمل « الطبقة » فى كتبه المرتبة على الطبقات لتدل على « اللقيا » متابعا فى ذلك الذين سبقوه ، بينما استعملها فى كتاب « تاريخ الإسلام » لتدل على وحدة زمنية محددة قدرها عشر سنوات « عقد » ، وأنه استخدام هذا المفهوم للطبقة لأسباب تنظيمية صرفة جاء فى الأغلب من عدم توافر تواريخ وفيات المترجمين بصورة كاملة . وعلى الرغم من أن الطبقة لم يعد لها من فائدة تنظيمية كبيرة بعد أن نقل تنظيم كتابه إلى الترتيب على السنين فى مطلع القرن الرابع الهجرى فإنه بقى بحاجة إليها فى بعض الأحيان ليذكر فى نهايتها من لم يقف على تاريخ وفاته بصورة دقيقة . وقد توصلت

إلى أن تنظيم الذهبي هذ لاعلاقة له بأدب الطبقات ومن الأفضل أن يربط بأدب التنظيم على السنين .

وأوضحت أن ازدياد عدد التراجم لم يكن أبداً هو السبب الذى دعا الذهبي إلى اختراع المفهوم الزمنى للطبقة ، بل على العكس من ذلك وجدت الذهبي يسعى دائماً حينما يتمكن ، إلى إيجاد وحدات زمنية أضيق ، ولذلك وجدت نفسى على غير اتفاق مع الأستاذ روزنتال حينما يقول : « كثيراً ما شعر الأفراد فى العصور المتأخرة بالحاجة إلى ترتيب إضافى للمادة المطردة فى الازدياد فى وحدات زمنية أوسع » ويدلل على ذلك بتقسيم الذهبي كتابه إلى عقود[1] .

ثم بينت أن الذهبي غيَّر رأيه فى عنوان الكتاب فيما بعد وجعله « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » فأبدل لفظ « طبقات » بلفظ « وفيات »، وهو العنوان الصحيح الذى يجب أن يحمله الكتاب .

وقد ظهر لى أن الذهبي فصل فصلا تاما بين الحوادث والوفيات . وبينت بالأدلة عدم وجود أية علاقة تذكر بينهما . بحيث لو جمعنا الحوادث والوفيات كلا على حدة لأصبحت كل مجموعة كتاباً مستقلا قائما بذاته لا يؤثر فى طبيعة الكتاب الآخر ، وهذا ما فعله كثير من النساخ على مدى العصور . وإن اهتمام الذهبي الرئيس قد انصب فى كتابه على التراجم ، فأصبحت هى أس الكتاب تحتل الحيز الأكبر منه ، وهذا ، فى رأينا يظهر مفهومه الأصلى للتاريخ .

وبينت فى دراستى أن الذهبي اتبع الطريقة الحولية المعروفة فى سرد الحوادث وعرضها. وعلى الرغم من وقوفى على بعض الظواهر التنظيمية فى هذا القسم ، فإنه لايدل على وجود أساليب عرض خاصة به . ولعله قد تابع فى مواضع متعددة من كتابه مناهج كتاب الحوليات الذين اعتمدهم ، ولعل هذا أيضاً هو الذى يفسر لنا تنوع أساليب العرض عنده بين فترة وأخرى .

---

(١) علم التاريخ ، ص ١٢١

أما فى تنظيم التراجم وعرضها فقد استطعت الوقوف على منهج دقيق له فى تنظيم التراجم وعرضها دللت عليه بما يأتى :

(ا) اتخاذ اسم الشهرة أساساً فى الترتيب المعجمى سواء أكان ذلك فى داخل الطبقة أم ضمن السنة الواحدة ، فترجم لكل إنسان بما اشتهر به من اسم أو لقب أو نسبة ، وأفرد الكنى فى تنظيم خاص جعله فى نهاية الطبقة فى القسم المرتب على الطبقات وفى نهاية السنة فى القسم المرتب على السنين .

(ب) عنايته بعمل الإحالات بين التراجم ، فكان يترجم للشخص فيما يرجحه من شهرة ، أو تاريخ وفاة ، ثم يعمل له إحالة فى اسمه أو لقبه ، أو كنيته فى حالة كونه من المعروفين بإحداها ، أو بتاريخ وفاة ذكرتها بعض الموارد ولم ترجح عنده . وهى طريقة علمية مفيدة جداً تسهل الكشف عن التراجم بسهولة ويسر ، وتحول دون الوقوع فى وهم التكرار .

(ج) تدقيقه العظيم بضبط تواريخ الوفيات باعتبارها أساساً كبيراً من أسس عرض كتابه ، وعنايته البالغة بالإشارة إلى التراجم المتفقة فى الأسماء ومحاولاته الجدية للوصول إلى نتيجة يظهر فيها اتحاد الاسمين بشخص واحد أو شخصين .

ومع أننى رجحت احتمال استفادة الذهبى من طريقة أبى الفرج ابن الجوزى فى ترتيب التراجم على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة ، لكننى بعد مقارنة الطريقتين والأسلوبين لم أشك فى أن الذهبى قد طور هذا الأسلوب تطويراً دقيقاً فصار مضبوطا ومتقنا بعد أن كان فى غاية الارتباك عند ابن الجوزى .

وابتداء من الربع الأخير من القرن السادس الهجرى وجدت الذهبى يورد قائمة بأسماء مواليد المشهورين فى نهاية تراجم كل سنة . وعلى الرغم من أن كثيراً من المؤرخين قد عنوا بتقييد مواليد المترجمين لكن أحداً منهم لم يفكر

أن يذكر ذلك بصورة منفردة ، فكان الذهبي رائداً في ذلك الأسلوب وساهم بتطوير فن التراجم مساهمة أوصلته إلى مستوى عالٍ من الرقي . أما سبب عنايته بذكر المواليد في القسم الأخير من كتابه فلم أجد له جواباً قاطعاً ولكنني رجحت أن يكون فكر في هذا الأمر بأخرة .

وقد تبين لي من دراستي لأسلوب الذهبي الأدبي في « تاريخ الإسلام » أنه كان أسلوباً علمياً يقدر قيمة الألفاظ التي يستعملها ومدلولاتها ، وإن لغة الكتاب لغة سليمة في نحوها وصرفها . ووجدته يسير على طريقة المحدثين في استعمال المختصرات المشهورة عندهم .

(٤)

وتوصلت عند دراستي لمحتويات الكتاب وأسس انتقاء مادته إلى أن منهجه في القسم الخاص بالحوادث تميز بما يأتي :

١ — إن الذهبي انتقى من الحوادث ما رآه مهما حريا بالذكر جديراً بالتدوين فذكره في تاريخه . وحاولنا جاهدين أن نستبين موازينه ومعاييره التي قوّم بها الأحداث ، وذلك بأن ننظر بالمناظير التي نظر بها إليها مستفيدين من دراستنا السابقة لبيئته وثقافته وعقيدته ، وهي الأمور التي كونت مزاجه التاريخي ، فتمكنا أن نميز منهجه الذي انتهجه في ذكر الأحداث وتعرفنا على معياره وميزانه الذي وزن به الحدث التاريخي بحيث رجح عنده وأصبح مهما فذكره وأسهب فية ، أو خف وزنه فاختصره أو أسقطه .

٢ — وأنه عني العناية البالغة بتكوين الدولة الإسلامية باعتبارها النموذج الأكمل في الحكم والتنظيم والعدل ، واهتم بالفتوحات ودرء المعتدين عن ديار الإسلام لأن الجهاد أساس متين من أسس الإسلام ، وأن غيرته على الإسلام

هى التى دفعت به إلى العناية بأخبار أولئك الذين ابتغوا فى رأيه تدمير الإسلام والمسلمين ، وأنه انطلق من حبه للسنة وكلفه بهـا إلى تتبع أخبارها وإجمـال أوضاعها وإيراد أخبار أعدائهـا ، وأن بيئة الدمشقية التى تميزت بالصراع العقائدى الحاد أيامئذ هى التى دفعت به إلى العناية بالنزاعات العقائدية على مدى التاريخ الإسلامى وهلم جرا .

٣ — اختفاء الموازنة الزمانية فى الحوادث بين منطقة وأخرى ومن عصر لآخر ومن سنة إلى سنة ، و عللت ذلك بنظرة الذهبى إلى تقـويم الأحـداث التاريخية ومدى أهميتها ، وتوصلت إلى أنه قد تمـكن فى أغلب الأحايين أن يوجه الأحداث فى تاريخه الوجهة النوعية والمـكانية التى أرادها .

أما منهجه فى ذكر التراجم وطبيعتها فقد تمـكنت أن أميزه بما يأتى :

١ — انتقى المشهورين والأعلام فأوردهم وأهمل المغمورين فأسقطهم .

٢ — لم يقتصر على نوع معين من المترجمين جهد طاقته ، فأورد المشهورين فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ولـكننا وجدناه ، انطلاقا من مفهومه ، يؤثر المحدثين على من سواهم فاحتلوا الحيز الأعظم من الـكتاب .

٣ — اجتهد أن يتميز كتابه بالشمول المـكانى باعتباره تاريخـا للعالم الإسلامى كافة ، إلا أن توافر المعلومات عن منطقة معينة فى وقت ما أو عدم توافرها قد أدى إلى شىء من عدم الشمول والتوازن .

٤ — كما اجتهد أن يوازن بين العصور الإسلامية . وقد بينت لنـا هذه الدراسة أنه نجح فى ذلك النجح كله .

٥ — بذل جهوداً كبيرة فى محاولة السيطرة على المادة الضخمة التى تحصلت لديه ، واجتهد أن يقدم ترجمة متـكاملة ومختصرة فى آن واحد ، خوفاً من تضخم الـكتاب ، واستطاع فى كثير من الأحيان أن يتخلص من المادة الـكثيرة

المتوافرة لديه عن أعلام المترجمين بإحالة القارىء إليها من غير أن يضطر إلى نقلها في كتابه ، ونجح في ذلك إلى حد بعيد .

٦ — راعى فى تطويل التراجم وتقصيرها فى أكثر الأحايين ، وليس فى جميعها ، شهرة المترجم بين أهل علمه أو فنه أو الذين هم من بابته ولا سيما فى العلوم والفنون التى استطاع أن يهضمها أو يطلع عليها من غير نظر إلى اختلافه معه فى الدين أو المذهب أو العقيدة أو الرأى . وعليه فقد توصلنا إلى أن تطويل التراجم وتقصيرها لم يكن دائماً نتيجة لتعصبه ، وأنه حاول الموازنة بين التراجم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

(٥)

ومع أن المادة التاريخية الموجودة فى ترجمة ما تختلف عن الأخرى حسب طبيعة المترجم ، إلا أننى تمكنت أن أضع يدى على التنظيم الذى اتبعه المؤلف فى داخل الترجمة الواحدة وأميز العناصر الرئيسة التى تناولت اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته ، وتاريخ مولده ، ونشأته ، ودراسته ، وإنتاجه وتلامذته ، ومكانته العلمية وعقيدته وآراء العلماء فيه وتقويم المؤلف له ثم تاريخ وفاته . وفصلت القول فى كل عنصر من هذه العناصر ووضحته مقارنا منهج الذهبى بمناهج المؤلفين التراجميين المشهورين ، وقومت نهجه استناداً إلى تلك المقارنات .

(٦)

ولما تكلمت على نهج الذهبى فى الموارد وفقت إلى التنبيه إلى أن المؤلف قد نوّع موارده ولم يقتصر على المؤلفات السابقة بالرغم من تركيزه عليها ، فقد

أخذ الكثير من مادته عن طريق المشاهدة والملاحظة والمشافهة ومساءلة العلماء المتخصصين ومكاتبتهم ، وأفاد من الإجازات الكثيرة التي كتبها العلماء للمستجيزين ، ومن مجاميع الطلبة والشيوخ ، وكتابات المترجمين أنفسهم . وتمكنت حينما تكلمت على إفادة الذهبي من مجاميع الطلبة والشيوخ أن أبدد الكثير من الحيرة والغموض اللذين يجابهان الباحثين حينما يجدون نقولا عن شخص ما ولا يعرفون له كتابا في موضوع المادة المنقولة ، أو أي تأليف على الإطلاق .

واجتهدت أن أوضح أن الذهبي حاول جاهداً أن يستوعب الجيد من المؤلفات السابقة على الرغم من ضخامة الكتابات التاريخية الإسلامية المتمثلة بحصيلة ذلك التراث الذي أثراه العلماء المبدعون طيلة أعصر الازدهار الطويلة. وكانت غايته من استيعاب كل هذه الموارد الضخمة تقديم خبر جيد وترجمة متكاملة تعتمد موارد متعددة تطمئن القارىء وتزيد من ثقته في الكتاب . وتمكنت أن أوضح مظاهر الاستيعاب المتمثلة بعنايته في الأخذ عن جميع الأشكال التأليفية عند المسلمين ومحاولة استنفادها موثقا ذلك بالأمثلة .

واستنتجت من دراستي للأسس التي انتهجها الذهبي في اعتماد المؤلفات السابقة أنه اتبع منهجا دقيقا في المفاضلة بين الموارد انطلق من ثلاث قواعد رئيسة عني بها كل العناية ولم يحد عنها إلا فيما ندر ، وهي :

(أ) المعاصرة والمشاهدة المتضحة مظاهرها في تفضيل المؤلف المتصل بالأحداث ، والاهتمام بذكر موارد الكتب التي ينقل منها ، والعناية بإيراد الألفاظ الدالة على معاصرة راوي الخبر له .

(ب) تفضيل المورد الأقدم عند عدم توافر الموارد المعاصرة .

(جـ) العناية بالتخصص التأليفي المتمثل بالأخذ عن المؤلفات التي تخصصت في نمط معين من الموضوعات ، أو نوع خاص من المترجمين .

وقد وثقت رأيي في استنباط هذه الأسس بالأمثلة التوضيحية من الموارد التي أفاد منها في كتابه وفصلت كل ذلك تفصيلا .

(٧)

أما طرائق النقل من الموارد فقد بينت فيها أن الذهبي عني بذكر موارده في معظم الأحايين ، وربطت هذه الظاهرة المنهجية بطبيعة تربيته ونشأته العلمية المعنية بالحديث ومصطلحه وشدة كلفه به باعتبار أن رواية الحديث بالأسانيد والتدقيق في رواته تعد أرقى أنواع المصادر .

وقد وجدت الذهبي يعنى بذكر المؤلف ويهمل ذكر كتابه ، فبينت ما لهذه الطريقة من مساوىء خطيرة وما تسببه من إرباك كبير للباحثين ليس في الخلط بين كتاب وآخر من كتب المؤلف المنقول عنه حسب ، بل في معرفة الكتاب الواحد أيضاً . ومع أنني حاولت أن أعلل طريقته بكونه كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن ، إلا أن ذلك لا يعفيه مما يسببه لنا من صعوبات جمة .

وعلى الرغم من أن الذهبي كان يشير إلى بداية النقل وانتهائه ، فقد استطعت أن أكتشف طريقتين في النقل تميز بهما :

(أ) إن نقل الذهبي لجزء يسير من الترجمة عن مؤلف ما في الظاهر قد يعني في معظم الأحيان نقله لجميعها عنه لاسيما عند عدم ذكر مصدر آخر .

(ب) إنه استعمل ألفاظا معينة للدلالة على النقل من غير تصريح به ، نحو قوله: « وثقه فلان » ، و « كتب عنه فلان » ، و «حكى عنه فلان» ، و «أجاز لفلان » ، و « ضعفه فلان » ونحوها .

وقد تمكنت من التعرف على هذه الطريقة بعد جهود طويلة من المطابقات بين كتابه وبين المؤلفات التى ينقل منها ، وقدمت بعض أمثلة تلك المطابقات .

وأوضحت فى دراستى هذه أن الذهبى بالرغم من اعتماده طريقة النقل الحرفى تارة وإهمالها تارة أخرى ، فإنه كان دقيقا فى نقل المادة التاريخية . وهو فى أكثر الحالات يشير إلى طبيعة نقله وفيما إذا كان باللفظ أو بالمعنى . على أننا استطعنا أن نميز له منهجا خاصا حينما وجدناه يجمع المعلومات من أماكن متفرقة من مصدر ما ، أو مصادر متعددة ، ويعيد تحرير الخبر أو الترجمة بصياغته الخاصة مع الالتزام التام بالدقة والأمانة .

ثم وجدت الذهبى بعد ذلك يعنى العناية البالغة بالمقارنة بين الروايات وترجيح الصحيح منها ، وتمكنت أن أميز الأسس الرئيسة التى اعتمدها فى الترجيح :

(أ) معرفة الراوى بموضوع الخبر وخبرته به .

(ب) الوقوف على الوثائق والخطوط التى توثق الخبر .

(جـ) الاستفادة من الوقائع التاريخية الثابتة الأخرى التى تؤيد خبر ما أو تنقضه .

(د) مسايرة إجماع المؤرخين الثقات ورد رواية المتفرد .

(هـ) ترجيح نص بعد تعليله ووضعه فى المجرى التاريخى العام .

وأثبت أخيراً أن الذهبى كان يعنى بانتقاء أصح نسخ الموارد التى يعتمدها وينقل منها ، مما يتمثل فى عنايته البالغة بالمؤلفات المكتوبة بخطوط أصحابها أو خطوط العلماء الأمناء الثقات ، وفى مقابلته بين بعض نسخ المصادر .

(٨)

وحينما بحثت منهج الذهبى النقدى فى كتابه « تاريخ الإسلام » ، وجدت الرجل معنيا به كل العناية ، مارسه فى كل قسم من أقسامه ، وعدّه جزءا أساسيا من منهجه فى الدراسة التاريخية. وعللت ذلك الاهتمام بسبب من تكوينه الفكرى المتصل بدراسة الحديث النبوى الشريف رواية ودراية . ثم تمكنت أن أبيّن أنواع النقد الذى عاناه وأساليبه متمثلا بنقد الرجال ، والتقويم والأحكام ، ونقد الروايات .

وقد انتقد بعضهم الذهبى بسبب استمراره فى نقد الرجال بعد استقرار الحديث فى الكتب وتحديد درجاته ، وبسبب سحبه على فئات من غير الرواة . وفى هذا المجال لم أتفق مع بعض العلماء المسلمين الذين عللوا هذا الأمر بالفائدة المتوخاة منه للنصيحة ودفع الضرر ، واعتبرت ذلك تفسيرا ساذجا منهم ، ورأيت دوافع أخرى لعل من أبرزها :

أ ـــ استمرار العناية بالرواية بعد التدوين .

ب ـــ عدم اعتبار الذهبى آراء النقاد السابقين مسلمات لا يمكن ردها أو الطعن فيها ، واعتباره باب الاجتهاد فى النقد مفتوحا فى كل زمان .

جـ ـــ إن النقد قد أصبح جزءا من مفهومه التاريخى فسحبه على جميع كتابه .

واستطعت أن أميز نقد الرجال الذى أطلقت عليه تجوزا « النقد الحديثى »، عن النقد الذى صرفه على غير المحدثين والذى سميته « التقويم والأحكام » . وبينت أن الرجل نظر إلى كل فئة بمنظار يختلف عن الآخر فى الأغلب الأعم ، وأن تعدد المناظير واختلافها جعله يراعى فى كل طائفة صفات قد لا يراعيها فى طائفة أخرى . ورددت بذلك على كثير من الباحثين الذين وقعوا بآفة التعميم وخرجوا بما ظنوا

أنه حقيقة وهى أن المؤرخين المسلمين المتأثرين بالحديث الشريف وعلومه نظروا إلى جميع الناس بمناظيرهم وبس .

واستطعت تبيان عناية الذهبى بنقد الروايات والرد على المؤلفين السابقين مهما احتلوا من مكانة بين كبار الثقات ، وأن نقده قد انصب على المتن أولا فعنى بتحليل الروايات تحليلا علميا على غاية من الرقى النقدى . ووضحت كل ذلك وفصلته ووثقته بالأمثلة الموضحة له .

وحاولت أخيرا أن أستبين مدى تعصبه أو إنصافه فى النقد ، فكان من نتاج الدراسة التحليلية الانتقادات الموجهة إليه وردود الآخرين عليها ودراستى لكتابه « تاريخ الإسلام » ، أن كثيرا مما وجه إليه غلب عليه طابع التعصب ، وأن الرجل قد وفق إلى حد كبير أن يكون منصفا ، ونبهت إلى وجوب التفريق بين التعصب وبين الإيمان بالشىء والدفاع عنه بكل ممكن .

جريدة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الخطية :

الأدفوى ، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن تغلب[1] بن جعفر (ت ٧٤٩هـ):

١ ـ الإمتاع بأحكام السماع :

نسخة المكتبة الأزهرية رقم (٤٦٢) ٧٠٥٨ أدب أباظة .

الإسنوى ، أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ) :

٢ — طبقات الشافعية :

نسختى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ذات الرقم ٥٦ تاريخ . واعتدنا أيضا طبعة ديوان الأوقاف التى قام بتحقيقها الأستاذ عبد الله الجبورى وهى فى مجلدين .

ابن الأكفانى ، أبو محمد هبة الله بن أحمد (ت ٥٢٤ هـ) :

٣ ـ جامع الوفيات . عندى قطعة مصورة منه فى آخر كتاب « موالد العلماء ووفياتهم » لابن زبر الدمشقى التى صورتها عن دار التحف البريطانية فى لندن .

ابن البخارى ، فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد المقدسى (ت ٦٩٠ هـ):

٤ ـ المشيخة. تخريج الحافظ جمال الدين أبى العباس أحمد بن محمد الظاهرى الحنفى .

نسخة المكتبة الأحمدية بحلب رقم ٢٦١ .

ابن بردس ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكى (ت٧٨٦ هـ):

---

(١) المشهور أنه « ثعلب » ولكن انظر الأعلام للزركلى ، ج ١٠ ص ٦١

٥ ـ الإعلام فى وفيات الأعلام .

نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول رقم ٢٩٦١ .

٦ ـ بغية الأريب فى اختصار التهذيب .

نسخة المكتبة الأزهرية ، رواق المغاربة رقم ٨٩٤ .

البرذعى ، أبو عثمان سعيد بن عمرو (ت ٢٩٢ هـ) :

٧ ـ الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث .

النسخة المصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٧١٩ تاريخ .

البرزالى ، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد (ت ٧٣٩ هـ) :

٨ ـ المقتفى لتاريخ أبى شامة .

نسختى المصورة عن النسخة المحفوظة فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٥١ .

البغدادى ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٤ هـ) :

٩ ـ تراجم العلماء .

نسخة خزانة كتب رئيس الكتّاب باستانبول رقم ٦٢٧ .

البغوى ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن المرزبان البغوى (ت ٣١٧ هـ) :

١٠ ـ تاريخ وفاة شيوخ البغوى :

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ١٠٦ مجاميع .

البندارى ، الفتح بن على بن محمد (ت ٦٤٣ هـ) :

١١ ـ تاريخ بغداد :

نسخة المكتبة الوطنية فى باريس رقم ٦١٥٢ عربى .

البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن على (ت ٤٥٨ هـ) :

١٢ ـ الزهد الكبير :

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ) :

١٣ ـ الدليل الشافى على المنهل الصافى .

نسخة خزانة كتب قره جلبى باستانبول رقم ٢٦٦ .

١٤ ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى .

نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٣٠١٨ .

التونسى ، محمد بن عزم (ت ٨٩١ هـ) :

١٥ ـ دستور الأعلام بمعارف الأعلام .

نسخة خزانة كتب ولى الدين جار الله باستانبول رقم ١٦٠٥ .

ابن الجزرى ، محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٩ هـ) :

١٦ ـ تاريخ ابن الجزرى ، وهو « حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه » .

النسخة المصورة المحفوظة فى المكتبة التيمورية برقم ٢١٥٩ تاريخ عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم ٦٧٣٩ عربى ، ونسخة مكتبة كوبرلى باستانبول رقم ١٠٤٧ .

ابن الجزرى ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد العمرى (ت ٨٣٣ هـ) :

١٧ ـ ملخص تاريخ الإسلام .

نسختى المصورة عن نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة ذات الرقم ٩٠ تاريخ ، والنسخة المصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ١٤٥٠ تاريخ عن نسخة كتبخانه ملّى بطهران رقم ٤٦٩ .

ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم الكنانى الحموى (ت ٧٣٣ هـ) :

١٨ ـ المنهل الروى فى علم الحديث النبوى .

النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى .

ابن جميع الصيداوى ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد الغسانى (ت ٤٠٢ هـ):

١٩ ـ معجم الشيوخ :

نسخة المكتبة الأزهرية رقم ٣٢٦ مجاميع :

الجوزجانى ، أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى السعدى (ت ٢٥٩ هـ) :

٢٠ ـ الشجرة فى أحوال الرجال :

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٢٤٩ حديث .

ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) :

٢١ ـ التحقيق فى أحاديث التعليق .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٠٠ حديث وعن دار الكتب المصرية رقم ٢ فقه حنبلى .

٢٢ ـ الضعفاء :

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول .

٢٣ ـ العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية .

نسخة خزانة كتب آصف باشا باستانبول رقم ١١٦ .

حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـ) :

٢٤ ـ سلم الوصول إلى طبقات الفحول :

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٢ م تاريخ :

الحاكم الكبير ، أبو أحمد محمد بن محمد النيسابورى الكرابيسى (ت ٣٧٨هـ) :

٢٥ ـ كتاب الكنى .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن المكتبة الأزهرية .

الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن على ابن البيّع (ت ٤٠٥ هـ) :

٢٦ ـ سؤالات أهل بغداد للحاكم فى الرجال ، رواية على بن مسعود السجزى .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة أحمد الثالث ذات الرقم ٦٢٤ .

ابن حبّان ، محمد بن حبان التّميمى البستى (ت ٣٥٤ هـ) :

٢٧ ـ الثقات .

نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٩٥ ، وهو قسم من المجلد الأول ، ونسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧١٠ ، ٧١١ تاريخ وهما المجلدان الثانى والثالث من الكتاب . وطبع الجزء الأول منه بحيدر آباد .

٢٨ ـ معرفة المجروحين من المحدثين .

النسخة المصورة المحفوظة فى معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ٤٩٦ تاريخ عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٥٩٨ ب .

ابن حجر ، الحافظ أحمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) :

٢٩ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر .

نسخة المكتبة الوطنية بباريس .

٣٠ ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس .

نسختى المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٧٥ مصطلح الحديث .

٣١ ـ المعجم المفهرس

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٨٢ مصطلح الحديث .

الحداد الأصبهانى : أبو على الحسن بن أحمد (ت ٥١٥ هـ) :

٣٢ — معجم أسامى مشايخ أبى على الحداد الأصبهانى .

نسختى التى بخطى ، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٦ م مصطلح الحديث

ابن الحريرى ، أحمد بن على المغربى (كتبه سنة ٩٢٦ هـ) :

٣٣ — منتخب الزمان فى تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان .

النسخة المصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ١٠٨ تاريخ عن نسخة الفاتيكان .

الحسينى ، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على بن الحسن (ت ٧٦٥ هـ) :

٣٤ — الإكمال فى ذكر من له رواية فى مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر فى تهذيب الكمال .

نسخة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٩٠٥ تاريخ .

الحسينى ، عز الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٩٥ هـ) :

٣٥ — صلة التكملة لوفيات النقلة .

نسختى المصورة عن نسخة كوبرلى باستانبول رقم ١١٠١ .

الخطيب البغدادى ، أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) :

٣٦ — الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٣٧١١ ح .

ابن أبى خيثمة ، أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب (ت ٢٧٩ هـ) :

٣٧ — التاريخ الكبير .

المجلد الثالث المصور فى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى عن مكتبة القرويين .

الدارقطنى ، أبو الحسن على بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) :

٣٨ — كتاب الضعفاء والمتروكين .

قطعة منه مصورة عند الحاج صبحي السامرائي ضمن مجموع رقم ٧ عن دار الكتب الظاهرية الموجودة في مجموع رقم ١٢٤ ، والقطعة المخزونة في مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٤٠٥/٤ ..

ابن الدبيثي ، أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي (ت ٦٣٧ هـ) :

٣٩ — ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد .

نسختي المصورة عن : نسخة المكتبة الوطنية في باريس رقم ٥٩٢١ ، ورقم ٥٩٢٢ ، نسخة مكتبة شهيد علي باشا باستانبول رقم ١١٧٠ .

والنسخة المصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي عن نسخة كيمبرج . وقد حققته وتبنت وزارة الإعلام العراقية نشره بنفقاتها وظهر منه المجلد الأول سنة ١٩٧٤ م .

ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩ هـ) :

٤٠ — ترجمان الزمان في تراجم الأعيان .

نسختي المصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٢٧ وهو الجزء الثالث عشر من الكتاب بخط المؤلف .

٤١ — نزهة الأنام في تاريخ الإسلام .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٧٤٠ تاريخ .

ابن أبي الدم الحموي ، إبراهيم بن عبد الله (ت ٦٤٢ هـ) :

٤٢ — التاريخ المظفري .

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٢٩٢ ب .

الدمياطي ، شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (ت ٧٠٥ هـ) :

٤٣ — معجم الشيوخ .

نسختى المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية ذات الرقم ٣٢٦ مصطلح الحديث ، وهو الجزء الثالث منه وعليه خط المؤلف .

الدمياطى الحسامى ، شهاب الدين أحمد بن أيبك (ت ٧٤٩ هـ) :

٤٤ — المستفاد من ذيل تاريخ بغداد .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٩٦ ، ومنه نسخة مصورة فى المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، وأخرى بالمجمع العلمى العراقى .

الذهبى ، مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ):

٤٥ — أحاديث مختارة من الموضوعات من الأباطيل للجوزقانى .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية التى هى ضمن مجموع برقم ٢٩٠ حديث .

٤٦ — الأربعون البلدانية :

نسخة مكتبة بانكيبور بالهند رقم ٥/٢/٤٦٢ .

٤٧ — أربعون حديثا بلدانية من المعجم الصغير للطبرانى .

نسختى المصورة عن نسخة الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٣٨ حديث .

٤٨ — كتاب الأربعين فى صفات رب العالمين .

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق .

٤٩ — أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخ أو بعد تاريخ سماع .

نسختى المصورة عن نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول رقم ٢٩٥٣ .

٥٠ — الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام .

نسختى المصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب برقم ٣٢٨ .

٥١ — الإعلام بوفيات الأعلام .

نسختى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ١١٧ مجموع .

٥٢ — تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام .

نسختى المصورة الملفقة من عدة نسخ ، وغيرها (راجع المدخل إلى هذه الرسالة) .

٥٣ — تذهيب تهذيب الكمال فى معرفة الرجال .

نسختى المصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول ذات الأرقام ١/٢٨٤٩ و ٢/٢٨٤٩ و ٣/٢٨٤٩ ، ونسخة أسعد أفندى باستانبول رقم ٢٩٢ ، ورقم ٢٤٦١ .

٥٤ — ترتيب الموضوعات لابن الجوزى .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن الأزهر .

٥٥ — تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخارى .

النسخة المحفوظة فى خزانة كتب لاله لى باستانبول ، رقم ٢٠٨٩ .

٥٦ — تشبيه الخسيس بأهل الخميس .

نسخة دار الكتب المصرية (ذهلت عن تقييد رقمها) .

٥٧ — تلخيص العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية لابن الجوزى .

نسخة المكتبة الأزهرية رقم ٢٩٠ حديث ومنها مصورة عند الحاج صبحى السامرائى .

٥٨ — تنقيح كتاب التحقيق فى أحاديث التعليق لابن الجوزى :

نسخة مكتبة فيض الله باستانبول رقم ٢٩٦ . وفى خزانة كتب الحاج صبحى السامرائى صورة لهذا المجلد ، وقطعة من المجلد الأول الذى هو فى الظاهرية رقم ٥٨١ تفسير .

٥٩ ـ ثلاثون حديثا من المعجم الصغير للطبرانى :

نسختى المصورة عن النسخة المحفــوظة فى خزانة كتب الشهيد على باشا باستانبول رقم ١٧/٥٤٦ .

٦٠ ـ ثلاثيات ابن ماجة :

نسخة دار الـكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٥٩ .

٦١ ـ الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الـكبار :

نسختى المصورة عن نسخة دار الـكتب المصرية رقم ١٥٠٨ حديث .

٦٢ ـ حقوق الجار :

نسختى المصورة عن النسخة المحفوظة فى مكتبة كوبرلى باستانبول رقم ٣/١٥٨٤

٦٣ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين :

نسخة دار الـكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث، ومجموع رقم ٧٥٣٩ عام . ونسختى المصورة عن نسخة أحمـــــد الثالث باستانبول رقم ١/٣٠٥٣ .

٦٤ ـ ذكر الجهر بالبسملة مختصرا :

نسخة دار الـكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٥٥ .

٦٥ ـ ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان :

النسخة المحفوظه فى مكتبة جستربتى بدبلن ضمن مجموع برقم ٣٤٥٨ .

٦٦ ـ ذكر من يؤتمن قوله فى الجرح والتعديل :

نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول رقم ٢٩٥٣ .

٦٧ ـ ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين :

نسختى المصورة عن نسخة دار الـكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث ، ونسختى المصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول رقم ١/٣٠٥٣

٦٨ ـ الرد على ابن القطان :

منه نسخة مختصرة محفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٧٠ وفى خزانة الحاج صبحى السامرائى نسخة مصورة عنها .

٦٩ ـ رسالة فى أن الله على العرش :

نسخة دار الكتب الظاهرية ، ضمن مجموع برقم ٤٧ مجاميع .

٧٠ ـ سير أعلام النبلاء .

نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩١٠ / ١ .

٧١ ـ العوالى المنتقاة من حديث الذهبى :

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٤٥١٢ عام .

٧٢ ـ المجرد فى أسماء رجال كتب سنن الإمام أبى عبد الله بن ماجة سوى من أخرج لهم فى أحد الصحيحين .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٥٣١ حديث .

٧٣ ـ المجرد من تهذيب الكمال .

نسخة شهيد على باشا باستانبول رقم ٥٢٣ ، ومنها مصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ٥٧٦ تاريخ .

٧٤ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبى عبد الله محمد بن سعيد ابن محمد ابن الدبيثى .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٢٤ تاريخ . وقد حقق المرحوم الدكتور مصطفى جواد جزءين منه ، بغداد ١٩٥١ ـ ١٩٦٣ .

٧٥ ـ المستدرك على مستدرك الحاكم .

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٦٢ (وهى قطعة منه).

٧٦ ـ معجم الشيوخ (الكبير) .

نسختي المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٦٥ حديث . ونسخة أحمد الثالث باستانبول رقم ٤٦٢ .

٧٧ ـ المعجم اللطيف (الصغير) .

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ١٢ مجموع .

٧٨ ـ معرفة التابعين من الثقات لابن حبان :

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة كتب الإسكوريال بإسبانيا رقم ١٦٨٩ وهي بخط الذهبي .

٧٩ ـ المعين في طبقات المحدثين .

نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة كتب فيض الله باستانبول رقم ١٥٢٨ .

٨٠ ـ المقتنى في سرد الكنى .

نسخة مكتبة فيض الله باستانبول رقم ١٥٣١ .

٨١ ـ المقدمة ذات النقاط في الألقاب :

النسخة المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، رقم ٤٤٢٣ ج .

٨٢ ـ مناقب البخاري .

نسخة دار الكتب المصرية ، ضمن مجموع برقم ٩٦٥ .

٨٣ ـ المنتقى من حديث تقي الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن المجد البعلي.

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٢٥ .

٨٤ ـ المنتقى من معجمي الطبراني الأوسط والكبير ، ومن مسند المقلين لدعلج .

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٧١ ومنها نسخة مصورة عند الحاج صبحي السامرائي .

٨٥ ـ الموقظة فى علم مصطلح الحديث .

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٤٥٧٧ عربى ، ونسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٨٨ عام .

٨٦ ـ مهذب السنن الكبرى للبيهقى .

نسختي المصورة عن نسخة مكتبة مدينة الملحقة بطوبقبو سراي باستانبول (ذات الأرقام ٢٥٨ ـ ٢٦٠ . وقد نشر بالقاهرة نشرة رديئة باسم « المهذب فى اختصار السنن الكبير » .

٨٧ ـ نبذة من فوائد تاريخ ابن الجزرى .

نسختي المصورة عن نسخة كوبرلى باستانبول ، رقم ١١٤٧ .

٨٨ ـ هالة البدر فى عدد أهل بدر .

لعل النسخة التى فى دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٤٧ هى هذا الكتاب ؟ .

ابن رافع السلامى ، تقى الدين محمد بن هجرس (ت ٧٧٤ هـ) :

٨٩ ـ الوفيات .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٢٦ م تاريخ .

ابن زبر ، أبو سليمان محمد بن عبد الله الربعى الدمشقى (ت ٣٧٩ هـ) :

٩٠ ـ تاريخ موالد العلماء ووفياتهم .

نسختي المصورة عن نسخة دار التحف البريطانية فى لندن .

الزركشى ، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر (ت ٧٩٤ هـ) :

٩١ ـ عقود الجمان فى ذيل وفيات الأعيان .

نسختى المصورة عن نسخة مكتبة فاتح باستانبول رقم ٤٤٣٥ وهى بخط المؤلف.

سبط ابن حجر ، يوسف بن شاهين الكركى (ت ٨٩٩ ﻫ) :

٩٢ ـ رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ .

نسختى المصورة عن النسخة المحفوظة فى المكتبة الخالدية بالقدس ، رقم ١١ تراجم[١] .

السبكى ، تاج الدين عبد الوهاب بن على (ت ٧٧١ ﻫ) :

٩٣ ـ طبقات الشافعية الوسطى .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥٤ تاريخ :

٩٤ ـ معجم الشيوخ :

نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٤٤٦ تاريخ .

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ ﻫ) :

٩٥ ـ وجيز الكلام فى ذيل دول الإسلام .

نسختى المصورة عن نسخة كوبرلى باستانبول رقم ١١٨٩ .

السلفى ، أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى (ت ٥٧٦ ﻫ) :

٩٦ ـ انتخابات من « مسند » عبد بن حميد .

النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة الحاج صبحى السامرائى .

٩٧ معجم السفر .

نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ١٧٦ حديث .

---

(١) نسبه المرحوم فؤاد سيد إلى الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ ﻫ (فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ قسم ٣ ص ١٧٤) وهو وهم .

٩٨ ــ معجم شيوخ بغداد .

نسختى المصورة عن نسخة الإسكوريال ذات الرقم ١٧٨٣ .

السمنانى ، على بن محمد (ت ٤٩٩ هـ) :

٩٩ ــ روضة القضاة وطريق النجاة :

نسخة مكتبة بلدية مكتبة ميونيخ ، رقم ٢٦٠ عربى .

وقد نشره الدكتور صلاح الدين الناهى فى بغداد بأخرة .

ابن سيد الناس ، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد اليعمرى (ت ٧٣٤هـ):

١٠٠ ــ أجوبة ابن سيد الناس :

مصورة معهد إحياء المخطوطات رقم ٨ تاريخ عن نسخة الإسكوريال .

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١ هـ) :

١٠١ ــ ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين :

نسخة دار الكتب المصرية ضمن مجموع برقم ٥٢١ مجاميع

١٠٢ ــ طبقات الحفاظ :

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٨٢٢ ب مجموع .

وقد طبع فى القاهرة بأخرة طبعة غير جيدة .

ابن شاكر الكتبى ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) :

١٠٣ ــ عيون التواريخ .

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٤ــ٤٩ تاريخ ، ونسخة كيمبرج رقم ٢٩٢٣ (والنسخة الأخيرة هى التى اعتمدناها فى دراسة آثار الذهبى) .

ابن الشعار ، أبو البركات المبارك بن أبى بكر الموصلى (ت ٦٥٤ هـ) :

١٠٤ ـ عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان .

نسختي المصورة عن مكتبة أسعد أفندى باستانبول ذات الأرقام ٢٣٢٣ ـ ٢٣٣٠ .

ابن الشلبي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٣ هـ) :

١٠٥ ـ إتحاف الرواة بمسلسل القضاة :

نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٤٤٩ تاريخ .

الشماع ، عمر بن أحمد بن على الحلبى الشافعى (ت ٩٣٦ هـ) :

١٠٦ ـ ثبت الشماع :

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٩٦٣ د .

صبحى السامرائى ، شيخنا العلامة المحدث الحاج صبحى ابن السيد جاسم البدرى:

١٠٧ ـ الاستبصار فى طبقات مجرحى ومعدلى رواة الآثار .

النسخة الخطية المحفوظة فى خزانة كتبه .

١٠٨ ـ الكمال فى تاريخ علم الرجال .

النسخة الخطية المحفوظة فى خزانة كتبه .

الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ) :

١٠٩ ـ أعيان العصر وأعوان النصر .

نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول رقم ٢٩٦٨ .

١١٠ ـ الوافى بالوفيات .

النسخة المصورة المحفوظة فى المكتبة المركزية لجامعة بغداد .

الطبرانى ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى (ت ٣٦٠ هـ) :

١١١ ـ المعجم الأوسط .

نسخة مكتبة كوبرلى باستانبول رقم ٤٥٤ .

١١٢ ـ المعجم الكبير .

نسخة الحاج صبحي السامرائي المصورة عن نسخة أحمد الثالث رقم ٤٦٥ .

ابن الطحان ، أبو القاسم يحيى بن على الحضرمى (ت ٤١٦ هـ) :

١١٣ ـ الذيل على تاريخ مصر (لابن يونس) .

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ١١٦

ابن طولون ، شمس الدين محمد بن طولون الصالحى الحنفى (٩٥٣ هـ) :

١١٤ ـ الأربعون المسلسلات .

النسخة المصورة المحفوظة فى الخزانة التيمورية رقم ٥٤٢ حديث .

١١٥ ـ التزام مالا يلزم فيما ورد فى ماء زمزم .

نسخة مكتبة جستربتى ضمن مجموع رقم ٣٣١٧ .

الطيبى ، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله (ت ٧٤٣ هـ) :

١١٦ ـ أسماء الرجال .

نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ٦١٦٤ .

ابن عبد الهادى ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٤ هـ) :

١١٧ ـ تنقيح التحقيق لابن الجوزى .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٠١ حديث ورقم ٥٨١ تفسير .

ابن عبد الهادى ، يوسف (ت ٩٠٩ هـ) :

١١٨ ـ تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ .

نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٤٣ .

١١٩ ـ معجم الشافعية .

نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ٤٥٥١ عام .

ابن عدى ، عبد الله بن عدى بن عبدالله الجرجانى (ت ٣٦٠ هـ) :

١٢٠ ـ الكامل فى ضعفاء الرجال .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٤٣. وقد حقق العالم الفاضل الحاج صبحى السامرائى « مقدمة » الكامل فى مجلد كبير ، جاهز للطبع .

العراقى ، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ) :

١٢١ ـ تخريج أحاديث مختصر المنهاج . تحقيق الحاج صبحى السامرائى . (لم يطبع بعد) .

العراقى ، ولى الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (ت ٨٢٦ هـ) :

١٢٢ ـ الذيل على ذيل العبر للذهبى .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٦١٥ تاريخ ، ومنها مصورة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى .

١٢٣ ـ ذيل كتاب الكاشف للذهبى .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة فيض الله باستانبول ذات الرقم ١٤٥٤ .

ابن عساكر ، أبو القاسم على بن الحسن الشافعى (ت ٥٧١ هـ) :

١٢٤ ـ تاريخ دمشق.

نسخة دار الكتب الظاهرية ذات الأرقام ١ ـ ٢٦ تاريخ .

١٢٥ ـــ معجم الشيوخ .

نسختى المصورة عن نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٣٣٧ .

١٢٦ ـــ المعجم المشتمل على أسماء الشيوخ النبل .

نسختى المصورة عن نسخة الخزانة التيمورية ذات الرقم ١٧٤٩ .

ابن العطار ، علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود (ت ٧٢٤ هـ) :

١٢٧ ـــ رسالة السماع .

نسخة مكتبة جستربتى بدبلن ، ضمن مجموع برقم ٣٢٩٦ .

العقيلى ، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى (ت ٣٢٢ هـ) :

١٢٨ ـــ الضعفاء .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٦٢ حديث .

العلائى ، محمد بن أحمد بن أينال الحنفى (القرن العاشر) :

١٢٩ ـــ تشنيف المسامع بتهذيب الضوء اللامع (للسخاوى) .

نسخة الخزانة التيمورية رقم ٦٢٤ تاريخ .

العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥ هـ) :

١٣٠ ـــ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان .

نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩١١ ، والنسخة المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .

ابن الغزى ، أبو المعالى محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧ هـ) :

١٣١ ـــ ديوان الإسلام .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٣٥٠ ح .

الفاسى ، تقى الدين محمد بن أحمد بن على (ت ٨٣٢ هـ) :

١٣٢ — تعريف ذوى العلاء لمن يذكره الذهبى من النبلاء .

نسخة مكتبة برلين الملكية رقم ٩٨٣٧ .

١٣٣ — ذيل كتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٨ مصطلح الحديث.

١٣٤ — العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين .

نسخة مكتبة قولة الملحقة بدار الكتب المصرية رقم ٦ تاريخ ق . واعتمدنا أيضا النسخة المطبوعة بتحقيق الأساتذة : الفقى وفؤاد سيد ومحمود الطناحى (القاهرة ١٩٥٨ — ١٩٦٩ م) .

ابن فهد ، أبو الفضل محمد بن محمد الهاشمى (ت ٨٧١ ﻫ) :

١٣٥ — بغية الطالب الفالح فى مشيخة قاضى طابة أبى الفتح بن صالح .

نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ١٨٠٥ د .

ابن فيل ، أبو طاهر الحسن بن أحمد بن فيل البالسى (ت ٣١١ — ٣٢٠ ﻫ)[1] :

١٣٦ — جزء ابن فيل .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٥٥٦٨ ب .

الفيومى ، أحمد بن محمد بن على المقرىء (ت نحو ٧٧٠) :

١٣٧ — نثر الجمان فى تراجم الأعيان .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٧٤٦ تاريخ .

ابن قاضى شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١ ﻫ) :

١٣٨ — الإعلام بتاريخ أهل الإسلام .

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٣٩٨ عربى .

---

(١) ذكره الذهبى فى المتوفين على التقريب من أهل الطبقة الثانية والثلاثين (تاريخ الإسلام ، الورقة ١٠٧ أحمد الثالث ٢٩١٧ / ٩) .

١٣٩ — طبقات الشافعية .

نسخة دار الكتب المصرية رقم١٥٦٨ ، ونسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٨٣٦ .

١٤٠ — منتقى المعجم المختص للذهبي .

نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٢٠٧٦ عربي ، ونسخة الأوقاف ببغداد ضمن مجموع برقم ٢٨٤١ .

١٤١ — المنتقى من تاريخ الإسلام .

نسخة المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٢٠ .

الكتاني ، أبو محمد عبد العزيز بن أحمد (ت ٤٦٦ هـ) :

١٤٢ — الذيل على وفيات ابن زبر .

نسختي المصورة عن دار التحف البريطانية ، وهي ضمن النسخة التي فيها « تاريخ موالد العلماء ووفياتهم » لابن زبر الربعي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) :

١٤٣ — التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٢٢٧ ب .

١٤٤ — طبقات الشافعية .

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ٢١٩ ك .

ابن المجد ، سيف الدين أبو العباس أحمد ابن المجد عيسى ابن قدامة (ت ٦٤٣ هـ) :

١٤٥ — تعاليق سيف الدين ابن قدامة .

نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع رقم ١٠٤ .

المزي ، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢ هـ) :

١٤٦ — تهذيب الكمال فى معرفة الرجال .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٥ مصطلح الحديث .

مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١ هـ) :

١٤٧ — التمييز .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية التى ضمن مجموع برقم ١١٤ .

١٤٨ — الكنى والأسماء .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ١ .

ابن مسهر ، أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغسانى (ت ٢١٨ هـ) :

١٤٩ ـ نسخة أبى مسهر .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٥٥٥١ ب .

المطعم ، عيسى بن عبد الرحمن بن معالى المقدسى الدلال (ت ٧١٩ هـ) .

١٥٠ ـ المشيخة .

نسختى المصورة عن النسخة المحفوظة فى مكتبة البلدية بالإسكندرية ضمن مجموع برقم ١٩٦٣ ز .

ابن معين ، أبو زكريا يحيى بن معين المرى (ت ٢٣٣ هـ) :

١٥١ — التاريخ والعلل (رواية عباس الدورى عنه) .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية التى ضمن مجموع برقم ١١٢ .

١٥٢ ـ جزء فيه تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن مكتبة الشيخ سليمان بن بسام فى عنيزة .

١٥٣ ـ سؤالات أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلى لابن معين .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة أحمد الثالث ١٢٤ / ٤ .

١٥٤ ـ سؤالات عثمان بن طالوت لابن معين .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة أحمد الثالث رقم ٦٢٤ .

١٥٥ ـ معرفة الرجال .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق التى هى ضمن مجموع رقم ١ .

مغلطاى ، الحافظ علاء الدين مغلطاى بن قليج (ت ٧٦٢ هـ) :

١٥٦ — إكمال تهذيب الكمال فى معرفة الرجال .

نسختى المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية رقم ١٥ مصطلح الحديث .

المقدسى ، عبد الغنى بن عبد الواحد بن على الجماعيلى (ت ٦٠٠ هـ) :

١٥٧ — الكمال فى معرفة الرجال .

نسختى المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٥ مصطلح الحديث .

المقدسى ، أبو حامد محمد بن يوسف (ت ٨٨٨ هـ) :

١٥٨ ـ تشنيف الأسماع بأحكام السماع .

نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ٢٠٥٥ / ٢ د .

ابن المقرىء ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن زاذان (ت ٣٨١ هـ) :

١٥٩ — معجم الشيوخ الكبير .

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧ م .

ابن مكتوم ، تاج الدين أحمد بن عبد القادر (ت ٧٤٩ هـ) :

١٦٠ ـ تلخيص أخبـــار النحويين واللغويين (اختصره من إنباه الرواة للقفطى) .

نسخة دار الـكتب المصرية رقم ٢٠٦٩ تاريخ تيمور

ابن اللَّا ، أحمد بن محمد بن على الحصكفى (ت ١٠٠٣ ﻫ) :

١٦١ ـ مختصر تاريخ الإسلام .

نسخة مكتبةالأوقاف ببغداد ذات الأرقام ٥٨٨٥ـ٥٨٩٢ ، ونسخة المـكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢١٩ .

ابن الملقن ، سراج الدين أبو حفص عمر بن على (ت ٨٠٤ ﻫ) :

١٦٢ ـ العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب .

نسخة دار الـكتب المصرية رقم ٥٧٩ تاريخ .

١٦٣ ـ ذيل العقد المذهب .

نسخة دار الـكتب المصرية رقم ٥٧٩ تاريخ (بعد كتاب العقد المذهب أعلاه) .

ابن منده ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق العبدى الأصبهانى (ت ٣٩٥ ﻫ):

١٦٤ ـ كتاب معرفة الصحابة .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول التى ضمن مجموع برقم ٦٢٤ .

١٦٥ — معرفة الصحابة .

القطعة المصورة عند الحاج صبحى السامرائى عن دار الـكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٤٤ .

منصور بن سليم ، وجيه الدين أبو المظفر الهمذانى الإسكندرانى(ت٦٧٣ﻫ):

١٦٦ ـ ذيل على كتاب مشتبه الأسماء[1] للحافظ أبى بكر محمد بن عبد الغنى (المعروف بابن نقطة).

نسختى التى بخطى ، ونسخة دار الكتب المصرية رقم ٨١ مصطلح الحديث.

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) :

١٦٧ ـ المختار من ذيل السمعانى .

النسخة المصورة المحفوظة بمكتبة المجمع العلمى العراقى .

ابن ناصر الدين : محمد بن أبى بكر بن عبد الله الدمشقى (ت ٨٤٢ هـ) :

١٦٨ ـ بديعة البيان فى وفيات الأعيان.

نسخة جامع الزيتونة بتونس رقم ١٦٧٣ .

١٦٩ ـ التبيان لبديعة البيان فى وفيات الأعيان .

نسخة الحاج صبحى السامرائى المصورة .

١٧٠ ـ التوضيح لكتاب المشتبه فى الرجال .

النسخة المصورة المحفوظة فى دار الكتب المصرية برقم ٢٣٢٩١ مصطلح الحديث والمأخوذة من نسخة سوهاج .

ونسختى المصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وعند الحاج صبحى نسخة مصورة منها أيضا .

ابن النجار ، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادى (ت ٦٤٣ هـ) :

١٧١ ـ التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام .

نسختى المصورة عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢١٣١ عربى .

---

(١) هكذا ورد على طرة النسخة . والمعروف أن كتاب ابن نقطة يسمى « إكمال الإكمال » . لأنه إكمال لكتاب الأمير ابن ماكولا .

وعن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٤٢ تاريخ .

ابن نقطة ، أبو بكر محمد بن عبد الغنى البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) :

١٧٢ ـ إكمال الإكمال .

نسختى المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠ مصطلح الحديث ، ودار الكتب الظاهرية رقم ٤٢٩ حديث ، والمتحفة البريطانية رقم ٤٥٨٦ شرقى .

١٧٣ ـ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد .

نسختى المصورة عن نسخة المكتبة الأزهرية رقم ١٣٧ مصطلح الحديث .

النواوى ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) :

١٧٤ ـ طبقات الشافعية .

نسختى المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٠٢١ تاريخ مجهول .

١٧٥ ـ العسجد المسبوك ، المنسوب لأبى الحسن الخزرجى المتوفى سنة ٨١٢ هـ ، وينسب أيضا للأفضل الغسانى .

نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة .

١٧٦ ـ مختصر تاريخ الإسلام للذهبى .

نسختى المصورة عن نسخة مكتبة رضا رامبور بالهند رقم ٣٥٣٣ .

١٧٧ ـ المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبى .

نسختى المصورة عن نسخة أحمد الثالث ذات الأرقام ٢٩١٧/١ ب ـ ٢٩١٧/٥ ب .

ثانيا ـ المصادر المطبوعة :

ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) :

١٧٨ — أعتاب الكتاب. تحقيق الدكتور صالح الأشتر ، دمشق ١٩٦١.

١٧٩ ـ التكملة لكتاب الصلة . القاهرة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠ هـ) :

١٨٠ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة . القاهرة ١٢٨٠ هـ .

١٨١ ـ الكامل فى التاريخ . القاهرة ١٢٩٠ هـ .

١٨٢ ـ اللباب فى تهذيب الأنساب . القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٣٦٩ .

أحمد بن حنبل ، الإمام (٢٤١ هـ) :

١٨٣ ـ العلل ومعرفة الرجال . أنقرة ١٩٦٣ م

١٨٤ ـ المسند ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر . القاهرة (بدون تاريخ)

الأدفوى ، أبو الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر (ت ٧٤٨ هـ) :

١٨٥ ـ الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . القاهرة ١٩١٤ م .

ابن أبى أصيبعة ، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨ هـ) :

١٨٦ ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . القاهرة ١٢٩٩ ـ ١٣٠٠ هـ .

ابن الأنبارى ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧) :

١٨٧ — نزهة الألباء فى تراجم الأدباء تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى . بغداد ١٩٥٩ .

ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ) :

١٨٨ ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور . القاهرة ١٣١١ هـ .

الباخرزى ، على بن الحسن (ت ٤٦٧ هـ) :

١٨٩ ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر . تحقيق الدكتور سامى مكى العانى

البخارى ، الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) :

١٩٠ — التاريخ الكبير . حيدر آباد ١٣٥٨ ـ ١٣٦٢ هـ .

١٩١ ـ الضعفاء الصغير . حيدر آباد (بدون تاريخ) .

ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ) :

١٩٢ — الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم القاهرة ١٩٥٥ م .

البغدادى ، إسماعيل باشا بن محمد البابانى (ت ١٣٣٩ هـ) :

١٩٣ — إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون . استانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

١٩٤ ـ هدية العارفين فى أسماء المصنفين . استانبول ١٩٦٠ م .

البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) :

١٩٦ ـ السنن الكبرى . حيدر آباد ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .

التجيبى ، صفوان بن إدريس المرسى (ت ٥٩٨) :

١٩٧ ـ زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر . بيروت ١٩٣٩ .

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ) :

١٩٨ ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى . تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، القاهرة ١٩٥٦ (الجزء الأول فقط) .

١٩٩ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ .

ابن تيمية ، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) :

٢٠٠ — الصوفية والفقراء . فتوى نشرها رشيد رضا . ط ٢ . القاهرة ١٣٤٨ هـ .

٢٠١ — منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية . القاهرة ، بولاق ١٣٢١ هـ .

الثعالبى ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) :

٢٠٢ — يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . دمشق ١٣٠٣ هـ .

الجزرى ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ) :

٢٠٣ — غاية النهاية فى طبقات القراء . تحقيق برجشتراسر . القاهرة ١٩٣٢ .

ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن سعد الله الكنانى (ت ٧٣٣ هـ) :

٢٠٤ ـ تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم . حيدر آباد ١٣٥٣ هـ .

ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧) :

٢٠٥ ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . حيدر آباد ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ هـ :

٢٠٦ ـ الموضوعات . القاهرة ١٣٨٦ هـ .

الجوهرى ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) :

٢٠٧ ـ تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . القاهرة ١٩٥٦ .

ابن أبى حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم (ت ٣٢٧ هـ) :

٢٠٨ ـ الجرح والتعديل . حيدر آباد ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ .

الحاجى ، أبو مسعود عبد الرحيم بن على (ت ٥٦٦ هـ) :

٢٠٩ ـ الوفيات . تحقيق الدكتور أحمد ناجى القيسى والدكتور بشار عواد معروف . بغداد ١٩٦٦ .

الحاكم النيسابورى ، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) :

٢١٠ ـ معرفة علوم الحديث . القاهرة ١٩٣٧ .

حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـ) :

٢١١ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . استانبول ١٩٤١ .

الحبال ، إبراهيم بن سعيد النعمانى المصرى (ت ٤٨٢ هـ) :

٢١٢ ـ الوفيات . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (مجلة معهد إحياء المخطوطات م ٢ ج ٢ ص ٢٨٦ ـ ٣٣٧) .

ابن حبان ، محمد بن حبان البستى (ت ٣٥٤ هـ) .

٢١٣ ـ مشاهير علماء الأمصار . تحقيق مانفريد فلايشهمر ، القاهرة ١٩٥٩ .

ابن حجر ، أحمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) :

٢١٤ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه . باعتناء على محمد البجاوى . القاهرة ١٩٦٤ .

٢١٥ ـ تهذيب التهذيب . حيدر آباد ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ .

٢١٦ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة . القاهرة ١٩٦٦ م .

٢١٧ ـ القول المسدد فى الذب عن المسند للإمام أحمد . حيدر آباد ١٣٨٦ هـ .

٢١٨ ـ لسان الميزان . حيدر آباد ١٣٢٩ هـ .

الحسينى ، أبو المحاسن محمد بن على (ت ٧٦٥) :

٢١٩ ـ ذيل تذكرة الحفاظ . دمشق ١٣٤٧ هـ .

٢٢٠ ـ ذيل العبر . تحقيق المرحوم محمد رشاد عبد المطلب (الكويت) :

الخزرجى ، صفى الدين أحمد بن عبد الله (ت ٩٢٣) :

٢٢١ ـ خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال . القاهرة ١٣٢٣ هـ .

ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦ هـ) :

٢٢٢ ـ الإحاطة فى أخبار غرناطة . القاهرة ١٣١٩ هـ .

الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣ هـ) :

٢٢٣ ـ تاريخ بغداد . القاهرة ١٩٣١ .

٢٢٤ ـ تقييد العلم . تحقيق المرحوم يوسف العش . دمشق ١٩٤٩ .

٢٢٥ — الكفاية فى علم الرواية . حيدر آباد ١٣٥٧ ه .

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ ه) :

٢٢٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، الطبعة الجديدة بتحقيق العالم الفاضل الدكتور إحسان عباس .

خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ ه) :

٢٢٧ ـ التاريخ . تحقيق الدكتور أكرم العمرى . النجف ١٩٦٧ .

٢٢٨ ـ الطبقات . تحقيق الدكتور أكرم العمرى . بغداد ١٩٦٧ .

الخليفة النيسابورى ، أحمد بن محمد بن الحسن .

٢٢٩ ـ مختصر تاريخ نيسابور . تحقيق الدكتور بهمن كريمى . طهران ١٣٣٩ ه .

الدولابى ، أبو بشر محمد بن أحمد الأنصارى (ت ٣٢٢ ه) .

٢٣٠ ـ الكنى والأسماء . حيدر آباد ١٣٢٣ ه .

الذهبى ، مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ ه) :

٢٣١ ـ أهل المئة فصاعدا . تحقيق الدكتور بشار عواد معروف . (مجلة المورد البغدادية ، المجلد الثانى ، العدد الرابع ، بغداد ١٩٧٣ ص ١٠٧ـ١٤٣) .

٢٣٢ ـ بيان زغل العلم والطلب . نشره حسام الدين القدسى بدمشق سنة ١٣٤٧ ه .

٢٣٣ ـ تجريد أسماء الصحابة . بمباى ١٩٦٩ م .

٢٣٤ ـ تذكرة الحفاظ . تحقيق العلامة المرحوم عبد الرحمن المعلمى اليمانى المكى ، الطبعة الثالثة . حيدر آباد ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ .

٢٣٥ ـ تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق . تحقيق فشر ، ليدن ١٨٩٠ .

٢٣٦ ـ دول الإسلام . حيدر آباد ١٣٣٧ ه ، وطبعة القاهرة ١٣٩٤ ه .

٢٣٧ ـ ذيل العبر فى خبر من عبر . تحقيق المرحوم محمد رشاد عبد المطلب ، نشره مع ذيل الحسينى فى كتاب « من ذيول العبر » وطبع فى الكويت (بدون تاريخ) .

٢٣٨ ـ رسالة فى الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم . القاهرة ١٩٠٦ .

٢٣٩ ـ سير أعلام النبلاء (ج ١ ـ ٣) . تحقيق الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد . القاهرة ١٩٥٦ .

٢٤٠ ـ الطب النبوى . القاهرة ١٨٧٠ م وينسب للسيوطى أيضا .

٢٤١ ـ العبر فى خبر من عبر (ج ١ ، ٤ ، ٥) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (ج ٢ ، ٣) تحقيق المرحوم فؤاد سيد ، الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩ .

٢٤٢ ـ العلو للعلى الغفار . القاهرة ١٣٣٢ هـ .

٢٤٣ ـ الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة . القاهرة ١٩٧٢ . (واعتمدنا أيضا نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٩٣٥ تاريخ) .

٢٤٤ ـ الكبائر . القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٢٤٥ ـ مختصر كتاب المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم . مطبوع بهامش المستدرك ، الرياض (بدون تاريخ) .

٢٤٦ ـ المشتبه فى الرجال . تحقيق على محمد البجاوى . القاهرة ١٩٦٢ .

٢٤٧ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار . (تحقيق) محمد سيد جاد الحق . القاهرة ١٩٦٩ .

٢٤٨ ـ المغنى فى الضعفاء . تحقيق الدكتور نور الدين عتر . حلب ١٩٧١ .

٢٤٩ (مناقب أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن) . هكذا وضع محمد زاهد الكوثرى العنوان وهو يشمل ثلاث رسائل فى تراجم أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد بن الحسن . طبع بالمطبعة العربية الكبرى (بدون تاريخ) .

٢٥٠ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال . تحقيق محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٧٤ .

٢٥١ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال. تحقيق البجاوى . القاهرة ١٩٦٣ .

٢٥٢ ـ النصيحة الذهبية إلى ابن تيمية . نشرها حسام الدين القدسى مع كتاب « بيان زغل العلم » .دمشق ١٣٤٧ هـ .

ابن رافع السلامى ، أبو المعالى محمد (ت ٧٧٤ هـ) :

٢٥٣ ـ ذيل مشتبه النسبة للذهبى . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . بيروت ١٩٧٤ .

ابن رجب ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلى (ت ٧٩٥ هـ) :

٢٥٤ — الذيل على طبقات الحنابلة . القاهرة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ .

الزَّبيدى ، محمدمرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) :

٢٥٥ — تاج العروس من شرح جواهر القاموس . القاهرة ١٣٠٦ — ١٣٠٧ ، وطبعة الكويت .

الزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) :

٢٥٦ — أساس البلاغة . القاهرة ١٩٦٠ .

ابن الساعى ، تاج الدين أبو طالب على بن أنجب (ت ٦٧٤ هـ) :

٢٥٧ — الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير . تحقيق العلامة مصطفى جواد . بغداد ١٩٣٤ .

سبط ابن الجوزى أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤ هـ) :

٢٥٨ — مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . حيدر آباد ١٩٥١ (وهذا المطبوع هو مختصر الكتاب) .

السبكى ، تاج الدين عبد الوهاب بن على (ت ٧٧١ هـ) .

٢٥٩ — طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق الأستاذين العالمين الفاضلين محمود الطناحى والدكتور عبد الفتاح الحلو . القاهرة ١٩٦٤ م فما بعد ، وطبعة القاهرة ١٣٢٤ هـ .

٢٦٠ — معيد النعم ومبيد النقم . القاهرة ١٩٤٨ .

السخاوى ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) :

٢٦١ — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . (مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانتس روزنتال وترجمة الدكتور صالح العلى) بغداد ١٩٦٣ .

٢٦٢ — الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر . (قسم منه ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال) .

٢٦٣ — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . القاهرة ١٣٥٣ — ١٣٥٥ هـ .

ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدى (ت ٢٣٠ هـ) :

٢٦٤ — الطبقات الكبرى . ليدن ١٣٢١ هـ .

ابن سعيد الأندلسى ، أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥ هـ) :

٢٦٥ — المغرب فى حلى المغرب .

القسم الأندلسى . القاهرة ١٩٥٣ـ١٩٥٥ ، والقسم المصرى . القاهرة ١٩٥٣ .

ابن سلام الجمحى ، محمد (ت ٢٣٢ هـ) :

٢٦٦ — طبقات فحول الشعراء . تحقيق محمود محمد شاكر . القاهرة ١٩٥٢ م .

السلمى ، أبو عبد الرحمن بن الحسين (ت ٤١٢ هـ) :

٢٦٧ ـ طبقات الصوفية . القاهرة ١٩٥٣ .

السمعانى ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ) :

٢٦٨ — الأنساب . (طبع بالزنكوغراف فى ليدن سنة ١٩١٢) وطبعت منه فى حيدر آباد بتحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى ستة أجزاء .

السهمى ، حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧ هـ) :

٢٦٩ ـ تاريخ جرجان . حيدر آباد ١٩٥٠ م .

السهيلى ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) :

٢٧٠ — الروض الأنف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام . القاهرة ١٩١٤ .

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١) :

٢٧١ — بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

٢٧٢ ـ تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى . القاهرة ١٩٥٩ .

٢٧٣ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . القاهرة ١٣٢١ هـ .

٢٧٤ — الوسائل إلى مسامرة الأوائل . بغداد ١٩٥٠ .

٢٧٥ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . القاهرة ١٩٥٨ .

الشافعى ، الإمام محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) :

٢٧٦ — الرسالة . تحقيق الشيخ أحمد شاكر . القاهرة ١٩٤٠ م .

ابن شاكر الكتبى ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) :

٢٧٧ — فوات الوفيات . القاهرة ١٩٥١ .

أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى الدمشقى (ت ٦٦٥ هـ) :

٢٧٨ — ذيل الروضتين فى أخبار الدولتين . القاهرة ١٣٦٦ هـ .

٢٧٩ — الروضتين فى أخبار الدولتين . القاهرة ١٢٨٧ هـ .

الشوكانى ، محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ) :

٢٨٠ — البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . القاهرة ١٣٤٨ هـ .

ابن الصابونى ، أبو حامد محمد بن على (ت ٦٨٠ هـ) :

٢٨١ — تكملة إكمال الإكمال . تحقيق العلامة مصطفى جواد بغداد ١٩٥٧ .

الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ) :

٢٨٢ — نكت الهميان فى نكت العميان . تحقيق أحمد زكى القاهرة ١٩١١ .

٢٨٣ — الوافى بالوفيات . نشر الألمان تسعة أجزاء منه حتى الآن بتحقيق جماعة من المستشرقين والعرب .

ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ) :

٢٨٤ — علوم الحديث . حلب ١٩٦٦ .

الضبى ، أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ) :

٢٨٥ — بغية الملتمس . مدريد ١٨٨٤ م .

طاش كبرى زادة ، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٧ هـ) :

٢٨٦ — طبقات الفقهاء : الطبعة الثانية . الموصل ١٩٦١ .

٢٨٧ — مفتاح السعادة ومصباح السيادة . حيدر آباد ١٣٢٩ هـ

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) :

٢٨٨ — تاريخ الرسل والملوك . طبعة أبى الفضل إبراهيم الجديدة . القاهرة .

الطوسى ، أبو جعفر محمد بن الحسين (ت ٤٦٠ هـ) :

٢٨٩ — الفهرست . النجف ١٣٥٦ هـ .

ابن طولون ، محمد بن على بن أحمد (ت ٩٥٣ هـ) :

٢٩٠ — القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية . دمشق ١٩٤٩ .

٢٩١ — المعزة فيما قيل فى الهمزة . دمشق ١٣٤٨ هـ .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ) :

٢٩٢ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب. تحقيق على محمد البجاوى. القاهرة

٢٩٣ — جامع بيان العلم وفضله . القاهرة ، المطبعة المنيرية (بدون تاريخ)

ابن العبرى ، غريغوريوس الملطى (ت ٦٨٥ هـ) :

٢٩٤ — تاريخ مختصر الدول . الطبعة الثانية . بيروت ١٩٥٨ .

العراق ، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ) :

٢٩٥ — فتح المغيث بشرح ألفية الحديث . القاهرة ١٣٥٥ .

العراقى ، ولى الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (ت ٨٢٦ هـ) :

٢٩٦ — التقييد والإيضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح . القاهرة ١٩٦٩ م .

ابن عساكر ، أبو القاسم على بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) :

٢٩٧ — تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى . دمشق ١٣٤٧ هـ .

العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد :

٢٩٨ — المعيد فى أدب المفيد والمستفيد . دمشق ١٣٤٩ هـ .

العليمى ، مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن الحنبلى (ت ٩٢٨ هـ) :

٢٩٩ — الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل . القاهرة ١٢٨٣ هـ .

٣٠٠ — خريدة القصر وجريدة العصر .

القسم المصرى. القاهرة ١٩٥١ . والقسم الشامى . دمشق ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤ ، والقسم العراق . بغداد ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ ، ١٩٧٣ .

ابن العماد الحنبلى ، أبو الفلاح عبد الحى (ت ١٠٨٩ ﻫ) :

٣٠١ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . القاهرة ١٣٥٠ ﻫ .

أبو عوانة ، يعقوب بن إسحاق النيسابورى (ت ٣١٦ ﻫ) :

٣٠٢ ـ المسند . حيدر آباد ١٩٤٣ م .

العيدروس ، عبد القادر بن شيخ عبدالله (ت ١٠٣٨ ﻫ) :

٣٠٣ ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشر . بغداد ١٣٥٣ ﻫ .

الغبرينى ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله (ت ٧١٤ ﻫ) :

٣٠٤ ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المئة السابعة ببجاية . الجزائر ١٩١٠ م .

الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ ﻫ) :

٣٠٥ ـ إحياء علوم الدين . القاهرة ١٩٥٧ م .

الغزى ، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١ ﻫ) :

٣٠٦ ـ الكواكب السائرة فى أعيان المئة العاشرة . بيروت ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ .

الفتح بن خاقان ، الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت ٥٢٨ ﻫ) :

٣٠٧ ـ قلائد العقيان . القاهرة ١٢٨٣ ﻫ .

٣٠٨ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس . القسطنطينية ١٣٠٢ ﻫ

أبو الفدا ، الملك المؤيد إسماعيل بن على (ت ٧٣٢ ﻫ) :

٣٠٩ ـ تقويم البلدان . باريس ١٨٤٠ .

٣١٠ ـ المختصر فى أخبار البشر . استانبول ١٢٨٦ ﻫ .

أبو الفرج الأصبهانى ، على بن الحسين (ت ٣٥٦ ﻫ) :

٣١١ ـ الأغانى . طبعة دار الـكتب المصرية بالقاهرة .

ابن فرحون ، إبراهيم بن على (ت ٧٩٩ هـ) :

٣١٢ ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب . القاهرة ١٣٥١ هـ .

الفسوى ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) :

٣١٣ ـ المعرفة والتاريخ . تحقيق الدكتور أكرم العمرى . بغداد ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

ابن الفوطى : كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣ هـ) :

٣١٤ ـ تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب . الجزء الرابع قسم ١ ـ ٤ تحقيق الدكتور مصطفى جواد . دمشق ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ .

ابن فهد المكى ، محمد بن محمد بن محمد النخلى (ت ٨٧١ هـ) :

٣١٥ ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ . (مطبوع ضمن كتاب ذيل تذكرة الحفاظ للحسينى) . دمشق ١٣٤٧ هـ .

الفيروزابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) :

٣١٦ ـ القاموس المحيط . القاهرة ١٣٣٠ هـ .

ابن القاضى ، أحمد بن محمد (ت ١٠٢٥ هـ) :

٣١٧ ـ جذوة الاقتباس فيمن حل من أعلام مدينة فاس . فاس ١٣٠٩هـ .

القرشى ، محيى الدين عبد القادر بن محمد بن نصر الله (ت ٧٧٥ هـ) :

٣١٨ ـ الجواهر المضية فى طبقات الحنفية . حيدر آباد ١٣٣٢ هـ .

القفطى ، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ) :

٣١٩ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة . تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ .

القنوجى ، أبو الطيب صديق بن حسن (ت ١٣٠٧ هـ) .

٣٢٠ ـ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول. الطبعة الثانية . بمباى ١٩٦٣ .

ابن القيسرانى ، أبو الفضل محمد بن طاهر (ت ٥٠٧ هـ) :

٣٢١ ـ الأنساب المتفقة : ليدن ١٨٦٥ م .

٣٢٢ ـ كتاب السماع . تحقيق أبى الوفا المراغى . القاهرة ١٩٧٠ م .

الكتانى ، محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥ هـ) :

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة . الطبعة الثالثة ١٩٦٤.

٣٢٣ ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. فاس ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧ هـ .

ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) :

٣٢٤ ـ البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة ١٣٥٨ هـ .

ابن ماكولا ، الأمير على بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ) :

٣٢٥ ـ الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب . تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى ، صدر منه ستة أجزاء بحيدر آباد آخرها سنة ١٩٦٧ .

المحبى ، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١ هـ) :

٣٢٦ ـ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر . القاهرة ١٢٨٤ هـ .

ابن المدينى ، على (ت ٢٣٤ هـ) :

٣٢٧ ـ العلل . تحقيق محمد مصطفى الأعظمى . بيروت ١٣٩٢ هـ .

المراكشى ، أبو محمد عبد الواحد بن على (ت ٦٤٧ هـ) :

٣٢٨ ـ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة ١٣٨٣ هـ .

المزى ، أبو الحاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢ هـ) :

٣٢٩ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف . تحقيق عبد الصمد شرف الدين. بمباى ١٣٨٥ هـ فما بعد .

المصنف ، أبو بكر بن هداية الله (ت ١٠١٤ هـ) :

٣٣٠ ـ طبقات الشافعية . بيروت ١٩٧١ .

المقرى ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) :

٣٣١ — نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . القاهرة ١٣٠٢ هـ .

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ) :

٣٣٢ — السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة . القاهرة ١٩٣٤ فما بعد .

المنذرى ، زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى (ت ٦٥٦ هـ) :

٣٣٣ — التكملة لوفيات النقلة . تحقيق الدكتور بشار عواد معروف . الطبعة الماجستيرية (بغداد ١٩٦٧) وطبعت منه أربعة مجلدات فى النجف ١٩٦٩ـ ١٩٧١ وطبع باقيه فى القاهرة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ .

ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) :

٣٣٤ — لسان العرب . بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٨ هـ .

ابن ناصر الدين ، محمد بن أبى بكر بن عبد الله الدمشقى (ت ٨٤٢ هـ) :

٣٣٥ — الرد الوافر . بيروت ١٣٩٣ هـ .

النباهى ، أبو الحسن على بن عبد الله المالقى (توفى بعد ٧٩٣ هـ) :

٣٣٦ — المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . القاهرة ١٩٤٨ .

النجاشى ، أحمد على بن على بن أحمد (ت ٤٥٠ هـ) :

٣٣٧ — الرجال . بمباى ١٣١٧ هـ .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ألفه سنة ٣٧٧ هـ) :

٣٣٨ — الفهرست . القاهرة ١٣٤٨ هـ .

النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن على (٣٠٣ هـ) :

٣٣٩ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين . حيدرآباد (بدون تاريخ) .

النسوى ، محمد بن أحمد (توفى حوالى ٦٣٩ هـ) :

٣٤٠ ـ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى . القاهرة ١٩٥٣ .

النعّال ، صائن الدين محمد بن الأنجب البغدادى (ت ٦٥٩ هـ) :

٣٤١ ـ مشيخة النعال البغدادى . تحقيق الدكتور ناجى معروف والدكتور بشار عواد معروف . مطبعة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٧٥ .

أبو نعيم الأصبهانى ، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) :

٣٤٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . القاهرة ١٩٣٨ .

٣٤٣ ـ ذكر أخبار أصبهان . تحقيق سيفن ديد رنغ . ليدن ١٩٣١ .

النعيمى ، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ) :

٣٤٤ ـ تنبيه الدارس إلى ما فى دمشق من المدارس . دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ هـ .

ابن واصل الحموى ، جمال الدين الشافعى (ت ٦٩٧ هـ) :

٣٤٥ ـ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ ،

ابن الوردى ، عمر بن المظفر (ت ٧٤٩ هـ) :

٣٤٦ ـ تتمة المختصر فى أخبار البشر . القاهرة ١٢٨٥ هـ .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٨ هـ) :

٣٤٧ ـ السيرة النبوية . باعتناء مصطفى السقا وجماعته . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٥ .

ياقوت الحموى ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى (ت ٦٢٦ هـ) :

٣٤٨ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . تحقيق موغليوث ، ج ٧ طبعة أولى . القاهرة ١٩٢٥ ، ج ١ ـ ٦ طبعة ثانية : القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠ م .

٣٤٩ ـ معجم البلدان . تحقيق فستنفلد الألمانى ، لايبزك ١٨٦٦ م .

ابن أبى يعلى ، أبو الحسين محمد بن محمد ابن الفراء (ت ٥٢٦ هـ) :

٣٥٠ ـ طبقات الحنابلة . القاهرة ١٩٥٢ .

اليونينى ، قطب الدين موسى بن محمد الحنفى (ت ٧٢٦ هـ) :

٣٥١ ـ ذيل مرآة الزمان . حيدر آباد ١٣٧٤ ـ ١٣٧٥ هـ .

مؤلف مجهول :

٣٥٢ ـ الكتاب المسمى خطأ بالحوادث الجامعة والمنسوب خطأ لكمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ . تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ .

ثالثا ـ المراجع العربية :

أسعد طلس ، الدكتور :

٣٥٣ ـ الكشاف عن خزائن كتب الأوقاف . بغداد ١٩٥٣ .

أغا بزرك ، محمد محسن :

٣٥٤ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة . النجف ١٩٣٦ فما بعد .

الأفغانى ، الدكتور محمد سعيد عبد المجيد :

٣٥٥ ـ شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى الهروى. القاهرة (بدون تاريخ).

الألبانى : ناصر الدين :

٣٥٦ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . دمشق ١٣٩٠ هـ .

بشار عواد معروف ، الدكتور :

٣٥٧ ـ أثر الحديث فى نشأة علم التاريخ عند المسلمين . بغداد ١٩٦٦ .

٣٥٨ ـ أصالة الفكر التاريخى عند العرب . بحث قدم للمؤتمر الدولى للتاريخ . بغداد ١٩٧٣ .

٣٥٩ ـ تاريخ بغداد لابن الدبيثى، منهجه ، موارده ، أهميته. بغداد ١٩٧٤.

٣٦٠ ـ تواريخ بغداد التراجمية . بغداد ١٩٧٤ .

٣٦١ ـ ابن الدبيثى . (المجلة التاريخية . العدد الثانى . بغداد ١٩٧٤) .

٣٦٢ ـ كتب الوفيات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى . (مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، العدد الثانى . بغداد ١٩٦٨) .

٣٦٣ ـ مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين . (مجله الأقلام البغدادية ، السنة الأولى ، العدد الخاص . بغداد ١٩٦٥) .

٣٦٤ ـ معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى (مجلة الأقلام ، السنة الخامسة ، العدد السابع . بغداد ١٩٦٩) .

٣٦٥ ـ المنذرى وكتابه التكملة لوفيات النقلة . النجف ١٩٦٨ .

البيطار ، محمد بن بهجة :

٣٦٦ ـ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . دمشق ١٩٦١ .

الجبورى ، عبد الله :

٣٦٧ ـ فهرس المخطوطات العربية مكتبة الأوقاف العامة : بغداد ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .

الحديثى ، الدكتورة خديجة عبد الرزاق :

٣٦٨ ـ أبو حيان النحوى . بغداد ١٩٦٦ .

حسين نصار ، الدكتور :

٣٦٩ ـ نشأة التدوين التاريخى . القاهرة (بدون تاريخ) .

حمارنة ، الدكتور سامى خلف :

٣٧٠ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الطب والصيدلة . دمشق ١٩٦٩ .

الدورى ، الدكتور عبد العزيز :

٣٧١ ـ بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب . بيروت ١٩٦٠ .

روزنتال ، الدكتور فرانتس :

٣٧٢ ـ علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى بغداد ١٩٦٣ .

٣٧٣ ـ مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى . ترجمة الدكتور أنيس فريحة . بيروت ١٩٦١ .

الزركلى ، خير الدين :

٣٧٤ ــ الأعلام . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٥٤ ــ ١٩٥٩ .

أبو زهرة محمد :

٣٧٥ ــ أحمد بن حنبل . القاهرة ١٩٤٧ .

٣٧٦ ــ ابن تيمية . القاهرة ١٩٥٢ .

أبو زهو ، محمد محمد :

٣٧٧ ــ الحديث والمحدثون . القاهرة ١٣٧٨ هـ .

السامر ، الدكتور فيصل :

٣٧٨ ــ الدولة الحمدانية . بغداد ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ .

السامرائى ، الدكتور حسام الدين :

٣٧٩ ــ هشام بن محمد الكلبي (مجلة كلية الشريعة ، العدد الثانى .
بغداد ١٩٦٦ م .

السباعى ، مصطفى حسين :

٣٨٠ ــ السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى . القاهرة ١٩٦٦ .

سزكين ، الدكتور فؤاد :

٣٨١ ــ تاريخ التراث العربى . ترجمة الدكتور فهمى أبى الفضل . القاهرة
١٩٧١ .

الطباخ ، محمد راغب الطباخ الحلبى :

٣٨٢ ــ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء . حلب ١٣٤٢ هـ .

عاشور ، الدكتور سعيد عبد الفتاح :

٣٨٣ ــ العصر المماليكى فى مصر والشام . والقاهرة ١٩٦٥ .

العلى ، الدكتور صالح أحمد :

٣٨٤ — المحاضرات الشفهية. بحث مكتوب بالآلة الكاتبة . بغداد ١٩٧٣.

٣٨٥ — مصادر دراسة خطط بغداد فى العصور العباسية (مجلة المجمع العلمى العراقى ، العدد الرابع عشر) .

٣٨٦ — مصادر دراسة الكوفة فى القرون الإسلامية الأولى (مجلة المجمع العلمى العراقى ، العدد الرابع والعشرون) .

٣٨٧ ـ مواد الكتابة . بحث مطبوع بالآلة الكاتبة . بغداد ١٩٧٣ .

٣٨٨ — المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز (مجلة المجمع العلمى العراقى ، العدد الحادى عشر) .

على إبراهيم حسن ، الدكتور :

٣٨٩ — دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، الطبعة الثانية .القاهرة ١٩٤٨.

العمرى ، الدكتور أكرم ضياء :

٣٩٠ ـ بحوث فى تاريخ السنة المشرفة ، الطبعة الثانية . بغداد ١٩٧٢ .

٣٩١ — موارد الخطيب فى تاريخ بغداد.رسالة دكتوراه ١٩٧٤ (بالرونيو) بدمشق وطبعت أخيراً .

٣٩٢ — نظرة فى مصادر ودراسة السيرة النبوية (مجلة كلية الدراسات الإسلامية . بغداد ١٩٧٠) .

٣٩٣ — نفطويه النحوى ودوره فى الكتابة والتاريخ(مجلة كلية الآداب. بغداد ١٩٧٢) .

فؤاد سيد :

٣٩٤ ـ فهرس المخطوطات المصورة (التاريخ (ج ٢ قسم ٣ : ٣ القاهرة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٩ .

لطفى عبد البديع ، الدكتور :

٣٩٥ — فهرس المخطوطات المصورة (التاريخ) ج ٢ قسم ١ القاهرة ١٩٥٦ .

محمد كرد على :

٣٩٦ — ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية . دمشق (بدون تاريخ) معهد المخطوطات العربية :

٣٩٧ — فهرس المخطوطات المصورة (التاريخ) ج ٢ قسم ٤ ، القاهرة ١٩٧٠ .

ناجى معروف ، الدكتور :

٣٩٨ — أساليب الكتاب العرب فى البحث العلمى (مجلة الكتاب ، العدد الأول . بغداد ١٩٦٢) .

٣٩٩ — تاريخ علماء المستنصرية . الطبعة الثانية . بغداد ١٩٦٥ .

هورفتس ، يوسف :

٤٠٠ — المغازى الأولى ومؤلفوها . ترجمة الدكتور حسين نصار . القاهرة ١٩٤٩ .

يوسف العش ، الدكتور :

٤٠١ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) . دمشق ١٩٤٧ .

رابعا المراجع الأعجمية :

1 _ Brockelmann , Carl : Gescbtchte der Arabischen Litteratur . « Leiden » .

2 _ Encyclopeadia of Islam . « New ed . » . (artls . Dhahabi _ Hadith) .

3 _ Goldziher : Kampfe um die Stellung des Hadith im Islam (ZDMG Band 61) .

4 _ J. Schacht : origins of Muhammadan Jurisprudence , oxford 1965.

المحتويات

صفحة

آثار المؤلف المطبوعة

أولا : كتب وأبحاث فى تاريخ علم التاريخ عند المسلمين :

١ ـ مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين. مجلة الأقلام البغدادية ، السنة الأولى ، العدد الخامس ، بغداد ١٩٦٥

٢ ـ الغزو المغولى كما صوره ياقوت الحموى : مجلة الأقلام البغدادية ، السنة الأولى ، العدد الثانى عشر ، بغداد ١٩٦٥

٣ ـ أثر الحديث فى نشأة التاريخ عند المسلمين . بغداد ، مطبعة الجمهورية ١٩٦٦

٤ ـ شُهْدَة بنت أحمد ـ مجلة بغداد ١٩٦٧

٥ ـ المنذرى وكتابه التكملة لوفيات النقلة . النجف ١٩٦٨ (ساعدت جامعة بغداد على نشره) .

٦ ـ كتب الوفيات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى . مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، العدد الثانى ، بغداد ١٩٦٨

٧ ـ المستدرك على معجم البلدان لياقوت الحموى . مجلة كلية الشريعة ، العدد الثالث ، بغداد ١٩٦٨

٨ ـ معاجيم الشيوخ والمشيخات وأهميتها فى دراسة التاريخ الإسلامى . مجلة الأقلام البغدادية ، السنة الخامسة ، العدد السابع ، بغداد ١٩٦٩

٩ ـ من هو مؤلف تاريخ بخارى ؟ مجلة الأقلام البغدادية ١٩٧٠

١٠ ـ رشيد الدين ابن المنذرى ، العالم الشاب . مجلة الرسالة الإسلامية ، العدد (٤٦) بغداد ١٩٧٠

١١ ـ تاريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع (نقد) . مجلة المورد ، السنة الأولى العددان الأول والثانى ، بغداد ١٩٧٢ .

١٢ ـ أصالة الفكر التاريخي عند العرب . (بحث ألقي في المؤتمر الدولي للتاريخ المنعقد ببغداد في آذار / مارس سنة ١٩٧٣ ثم نشرته وزارة الإعلام العراقية ضمن بحوث المؤتمر سنة ١٩٧٦) .

١٣ ـ العثور على أثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي . مجلة المورد ، السنة الثالثة ، العدد الثالث ، بغداد ١٩٧٤ .

١٤ ـ ابن الدبيثي ، دراسة تحليلية . المجلة التاريخية ، العدد الثاني ، بغداد ١٩٧٤ .

١٥ ـ تواريخ بغداد التراجمية . بغداد ، مطبعة دار السلام ١٩٧٤ .

١٦ ـ ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ، منهجه ، موارده ، أهميته . بغداد مطبعة دار السلام ١٩٧٤ .

١٧ ـ الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام . (رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي قدمت سنة ١٩٧٥) . القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧٦ (ساعدت جامعة بغداد على نشره)

ثانياً : النصوص التاريخية المحققة (دراسة وتحقيق) :

١٨ ـ كتاب الوفيات ، لأبي مسعود الحاجي المتوفى سنة ٥٦٦ هـ . بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٦٦ (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور أحمد ناجي القيسي عميد كلية الشريعة يومئذ)

١٩ ـ التكملة لوفيات النقلة ، للمنذري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ـ المجلد الأول النجف ، مطبعة الآداب ١٩٦٩ (ساعدت جامعة بغداد على نشره)

٢٠ ـ التكملة لوفيات النقلة ، للمنذري ـ المجلد الثاني . النجف ، مطبعة الآداب ١٩٦٩ (ساعدت جامعة بغداد على نشره)

٢١ ـ التكملة لوفيات النقلة ، للمنذرى ـ المجلد الثالث . النجف ، مطبعة الآداب ١٩٧١ (ساعدت جامعة بغداد على نشره)

٢٢ ـ التكملة لوفيات النقلة ، للمنذرى ـ المجلد الرابع . النجف ، مطبعة الآداب ١٩٧١ (ساعدت جامعة بغداد على نشره)

٢٣ ـ أهل المئة فصاعداً ، لمؤرخ الإسلام الذهبي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ (مجلة المورد ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، بغداد ١٩٧٣)

٢٤ ـ ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، لابن الدُّبيثى المتوفى سنة ٦٣٧هـ ـ المجلد الأول . (نشرته وزارة الإعلام العراقية فى سلسلة إحياء التراث رقم ٣٦ بنفقتها) . بغداد ١٩٧٤

٢٥ ـ مشيخة النقّال البغدادى ، لصائن الدين محمد بن الأنجب النعال البغدادى المتوفى سنة ٦٥٩ هـ . بالاشتراك مع عمى الأستاذ الدكتور ناجى معروف (نشره المجمع العلمى العراقى وطبع بمطابعه سنة ١٩٧٥)

٢٦ ـ التكملة لوفيات النقلة ، للمنذرى ـ المجلد الخامس . القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٧٥

٢٧ ـ التكملة لوفيات النقلة ، للمنذرى ـ المجلد السادس . القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٧٦

ثالثا : الترجمة :

٢٨ ـ الناقدون الأولون لشعر السيرة (بحث نفيس للدكتور وليد عرفات باللغة الانكليزية) . مجلة الأقلام ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، بغداد ١٩٦٤

سيظهر قريباً :

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي

الطبقة الحادية والستون

٦٠١ ـ ٦١٠ هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور بشار عواد معروف

أستاذ منهج البحث التاريخي المساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد

عزيزي القارئ الكريم :

لا ريب أنك بعد أن قرأت هذه الدراسة المنهجية وقوّمتها بما تستأهله من المكانة اللائقة بها ووقفت على الجهد المبذول فيها أصبحت نفسك تتشوق إلى الوقوف على كتاب الإمام الذهبي العظيم « تاريخ الإسلام » .

ولما كنّا قد خبرنا الكتاب ودرسناه دراسة دقيقة مفصلة كما رأيت ، فقد وجدنا أن أروع مافي هذا التاريخ وأكثره أصالة وتفصيلا هو ذلك القسم الذي أرخ فيه المؤلف للقرن السابع الهجري (٦٠١ ـ ٧٠٠) وتناول فيه الحوادث الرئيسة من تاريخ الأمة وتراجم علمائها من المحدثين والمفسرين والفقهاء والقضاة والزهاد والمتصوفة والفلاسفة والأدباء والشعراء والنحاة واللغويين والمتكلمين والملوك والأمراء والوزراء والقواد وغيرهم من المشاهير والأعلام .

ووجدنا أن مما يُغْلِي قيمة هذا القسم من الكتاب ويغليها أن المؤلف كان شاهد عيان عاصر قسما من أحداثه أو أخذ عن شيوخه وأساتيذه ، وأن المُتَرْجَمين فيه معظمهم من شيوخه أو شيوخ شيوخه فكان على صلة وثيقة

بهم ، لذلك جاءت كتاباته عنهم فى غاية الدقة والإتقان والضبط ، بحيث صار لا يدانيه أى كتاب من بابته .

ومن أجل كل هذا فقد قمنا بتحقيق هـــذا القسم على أصح النسخ ، ومنها نسخة بخط المؤلف ووفق أحدث الطرائق العلمية ، وعلّقنا عليه بفرائد الفوائد التى توثقه وتجلّى نصوصه وقمنا بتخريج تراجمه على أمهات الـكتب المطبوعة والمخطوطة التى تناولت هذا العصر . ونأمُل أن يوفقنا الله لإخراجه بصورة منتظمة وسريعة لتعم فائدته وترجى عائدته . علما أن هذا القسم سوف يكون فى عشرة مجلدات ضخام ، وإن كل مجلد منه يكوّن وحدة تاريخية متـكاملة بحوادثها وتراجمها أمدها عشر سنوات ، وهو ما اصطلح المؤلف على تسميته بـ « الطبقة » .

الدكتور بشار عواد معروف

رقم الإيداع بدار الـكتب ٤٥١٩ /١٩٧٦

they were originally presented or did he rearrange them in his own way ? Did he include the same material that was originally involved in each biography or had he modified or rephrased it ?

The answer to these and similar questions constitute the substance of the third chapter which investigates the "elements of the biography".

The fourth chapter is devoted to Al-Dhahabi's technique of using sources and his method he used in quoting from previous works. I have concluded that the author relied upon all sources available to him such as observation, oral narration, inquiries, correspondance, collections of scholars, ijazat, the writings of the persons included in his biographies and other available works dealing history and biographies. I have found out, however, that the author's main sources of material were the manuscripts of his predecessors. So I have made a detailed study of the manner in which Al-Dhahabi made use of those manuscripts and how well he knew them. I have also discussed his criteria in prefering one manuscript over another and the method he followed in quoting and footnoting — explicitly or implicitly — and how accurate he was in choosing the trustful copies of a book or whether he compared the different manuscripts of the same book.

The fifth and last chapter examines Al-Dhahabi's procedure and principles of criticism. I have attempted to explain the different types of criticism concerned with tradition and biographies on the one hand and evaluation and historical value-judgement on the other. Then I have considered his technique of assessing the "isnad" and the content and cited instances to illustrate each. And as Al-Dhahabi was often accused by historians of being dogmatic and partial, I have found it my duty to consider such accusations carefully to show, by referring to his book, whether the man was fair or not and how just were his critics.

Finally, I have summarized the conclusions of this study and listed in full detail all the sources and references, (published or in manuscript forms) which I have utilized in my study.

Dr. BASHAR A. MAROUF
Assistant Professor
College of Arts
University of Baghdad.

a) reference to any mentioning of the book by previous authors.
b) pointing out whether the book has survived and whether it has been published or not.
c) a brief presentation of the nature of the book, its scope, material and arrangement.

The Second Part

The second part of this study examines Al-Dhahabi's Technique "in Writing **Tarikh Al-Islam** (The History of Islam) in the assumption that such a study will reveal clearly the value of one of the most important primary sources dealing with Islamic history and will make it easier for those interested to benefit fully by its material. Besides the comparison and contrast of Al-Dhahabi's techniques of writing with those of other historians, which is carefully drawn, has served to show the merits and demerits of those historians.

This part is divided into five chapters :

The first chapter deals with the arrangement and display of the book. It starts with a description of the general lay-out of the book and alludes to the changes which it has undergone. And as the book contains events as well as biographies, I have tried to find out whether the events and biographies are related in any particular way. However, I have failed to establish any direct relationship between the two,, so I studied each of them separately, I have also found out that towards the end of the sixth century A.H., the author began to relate the births of some famous scholars in each year. Consequently, I have set out to examine this aspect of the book and explain the method followed in the presentation of this material. Towards the end of the chapter. I made a brief study of Al-Dhahabis literary and linguistic style as it is expressed in his book.

In the second chapter I have considered the principles which the author employed in selecting the events and biographies and tried to specify the criteria which determined the quantity and quality of the material selected. I have noticed that in **Tarikh Al-Islam** Al-Dhahabi was more concerned with biographies than any thing else (the biographies constitute about 85% of his book and amount to about forty thousand). Consequently, I have made a detailed study of Al-Dhahabi's art in arranging and presenting these biographies. I have also made my best to inquire into questions dealing with the way in which the author copied some of tohse biographies :

Did the author copy the biographies from other books exactly as

AL-DHAHABI AND HIS TECHNIQUE IN WRITING HIS BOOK TARIKH AL-ISLAM

I have hosen "Al-Dhahabi and his Technique in Writing his Book **Tarikh Al-Islam**" to be the subject of my Ph.D., dissertation because of the outstanding status that Al-Dhahabi enjoyed in Islamic thought in general and in historical research and writing in particular. Furthermore, his famous book **Tarikh Al-Islam** (The History of Islam) is regarded nowadays as one of the greatest sources of Islamic history.

This study comprises an entry and two main parts: the first part is about Al-Dhahabi and the second about his book **Tarikh Al-Islam**.

The Entry

The entry includes three important sections: the first shows the significance of the study, its limitations and the reasons for choosing it. The second examines the procedure of writing the book, calculates the surviving copies which I have got access to and describes my own collected copy which was employed in this study The third section constitutes an analitical presentation of the sources and references used in this dissertation.

The First Part

The first part is rendered in two chapters: the first is concerned with the biography of Al-Dhahabi. It studies his environment, his first interests and travels in search of learning, the nature of his studies, his personal relations and their influences on his way of thinking, his academic posts and activities and his significance as a writer, a critic and a thinker. The chapter ends with the death of Al-Dhahabi, whose life was a continuous endeavour to record Islamic history in the most scientific manner known then.

The second shapter considers the various types of books, summaries and takharij which Al-Dhahabi wrote. The books are classified according to their subject-matter, whereas the summaries and takharij are simply arranged in alphabetical order.

The method followed in studying all the author's works proceeds as follows :

AL-DHAHABI

AND HIS TECHNIQUE IN WRITING HIS BOOK TARIKH AL-ISLAM

by

Dr. BASHAR A. MAROUF

Ass. Professor, College of Arts

Baghdad University

Cairo 1976